تاريخ شرق السودان

ممالك البجة... قبائلها وتاريخها

تأليف
محمد صالح ضرار

تاريخ شرق السودان

ممالك البجة

قبائلها وتاريخها

تأليف

محمد صالح ضرار

الجزء الأول

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

محمد صالح ضرار عندما بدأ البحث والدراسة

٣١/٨/١٩٣٧

الإهــــداء

من الشاعر البريطاني ممكبلنج

إلى الرجل البجــاوى

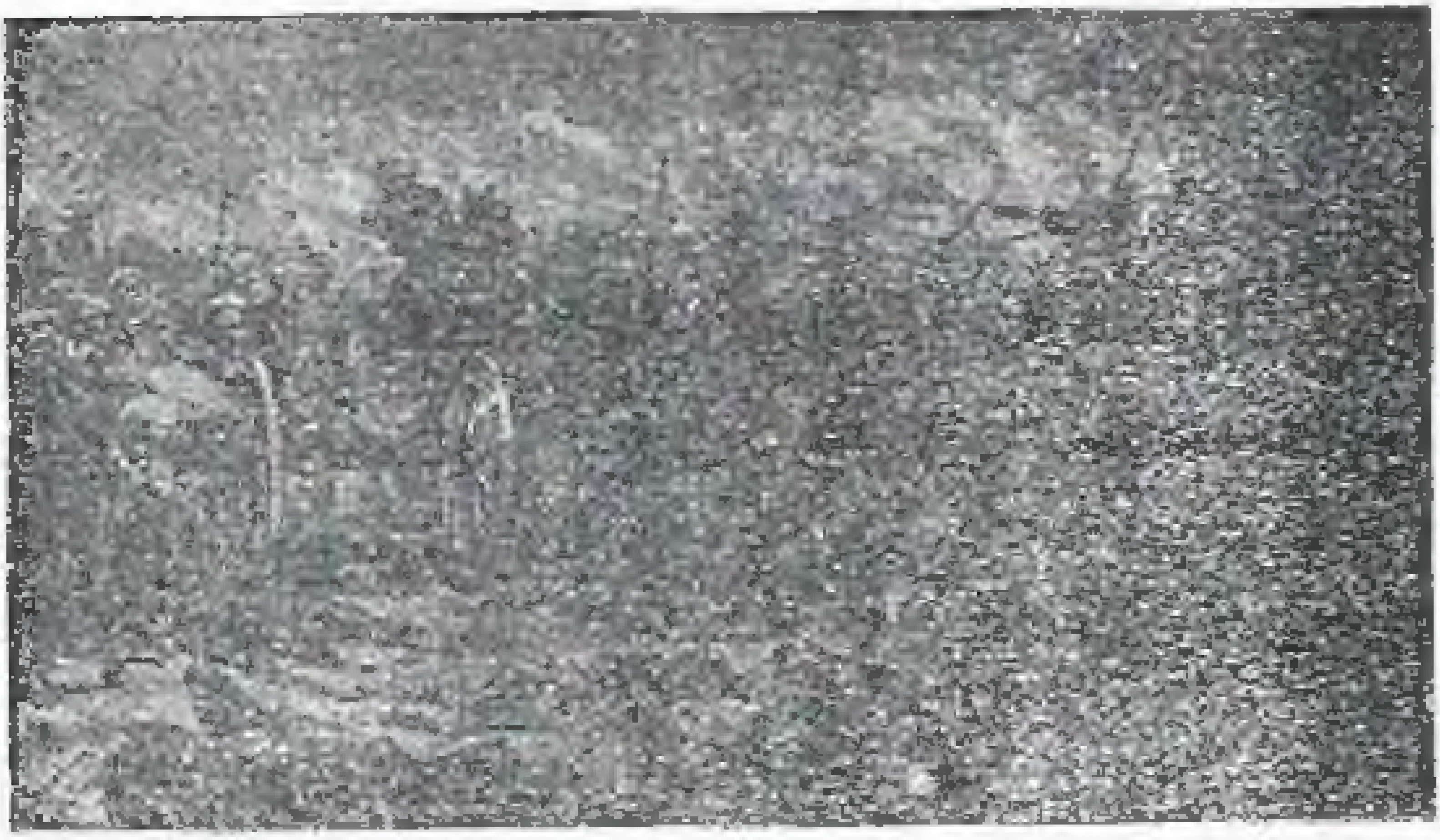

إلى البجاوى ذى الشعر الأشعث :

لقد التحمنا فى معارك ضد كثير من الرجال عبر البحار وكان بعضهم يتسم بالشجاعة ، وبعضهم لم يكن كذلك وكان هناك الباثيون ، والزولو والبورميون بيد أن البجاوى كان أروع الجميع .

إذ أننا لم نستطع أن نحصل منه حتى على شروى نقير . فقد كان يختفى بين الأشجار ، ثم يهب واثبا على فرساننا ، فكم قتل منهم فى سواكن عندما كان يلعب بقواتنا كما يلعب القط بالعصفور .

لهذا فإننى أتقدم بهذا الإهداء الك أيها البجاوى فى وطنك السودان .

إنك رجل داهم الظلام ، ولكنك محارب من الطراز الأول .

إننا هنا نقدم لك شهادتك ، وإذا أردتها ممهورة فإننا سوف نجيء إليك ، وستكون لنا معك جولة ثانية فى أى وقت تشاء .

ولقد كانت لنا دورات فى تلال خيبر وأخذنا فرصتنا هناك ، أما البوير فقد أداروا رءوسنا رغم بعدنا عنهم ، وسلط البورميون فينا برودة إيراوادى ، أما شياطين الزولو فقد نافسونا فى الأسلوب ولكن كل ما أصابنا من هؤلاء لم يكن يساوى قطرة مما جرعنا إياه ذلك البيجاوى .

نعم : إننا حين التقينا بالبيجاوى رجلا برجل فإنه قد صرعنا جميعاً ، وقلبنا رأساً على عقب . وجرعنا الويل . وبعد كل ذلك نطلق صحافتنا بأننا صمدنا ولم نتزحزح من أماكننا .

لذلك فإننى أقدم لك هذا الإهداء أيها البيجاوى إننى أقدم لك هذا الإهداء لك ولزوجتك وطفلك . كانت الأوامر التى صدرت إلينا تقضى بأن نحطمك ، وبالفعل فقد جئنا لنقوم بذلك .

لقد أجهزنا عليك ببنادق المارتينى ، ولم يكن ذلك من الإنصاف فى شىء .

ولكن بالرغم من كل الظروف القاسية التى واجهتك فإنك يأيها البيجاوى قد حطمت المربع .

لم يحدث أن حصل هذا البيجاوى على أى شهادات ، وليست لديه ميداليات أو أوسمة .

لذلك علينا أن نشهد له بمهارته التى أظهرها فى استعمال صارمه ذى الحدين . إنه عندما يثب من بين الأشجار ، وقد حمل ترسه المستدير المدبب الوسط ، ورمحه المريض السنان .

فإن باستطاعة هذا البجاوى أن يذيق بأسلحته تلك فى خلال يوم واحد فقط ما يجعل الجندى البريطانى السليم يجتر تلك الذكرى المريرة لمدة عام كامل.

لذلك فإليك هذا الإهداء أيها البجاوى ، وإلى أصدقائك الذين فقدوا حياتهم ، ولو لم نكن قد فقدنا بعض زملائنا الذين كانوا يعيشون معنا فى مصر كندنا لكنا شاركناك فى تنديدك بأعمالنا .

ولكن كما تعلم فإن الأخذ والعطاء هو سنة الحياة وإننا سنقول بأن الصفقة كانت عادلة ، لأنك إن كنت قد خسرت أعدادا أكبر منا فإنك دون شك قد استطعت أن تهشم المربع .

* * *

إنه يهجم على الدخان عندما نتوقف عن التقدم . وقبل أن نتبين الموقف نراه وقد أهوى بسيفه على رؤوسنا .

إنه زهرة البرى ، إنه جوهرة ، إنه حمل وديع ، إنه قطعة من المطاط المهووس بالإنطلاق ، إنه الشيء الوحيد فى هذا العالم الذى لا يعطى مثقال ذرة من الأهمية لكتيبة المشاة البريطانيين .

لذلك ، فإليك أيها البجاوى وأنت فى وطنك السودان هذا الإهداء .

إنك رجل فقير ، ولكنك محارب من الطراز الأول .

إليك هذا الإهداء أيها البجاوى ذو الشعر الكث . نعم ، إليك أنت أيها المارد الأسود الجبار هذا الإهداء لأنك أنت حطمت المربع البريطانى .

من

رديارد كبلنج

شاعر الإمبراطورية البريطانية

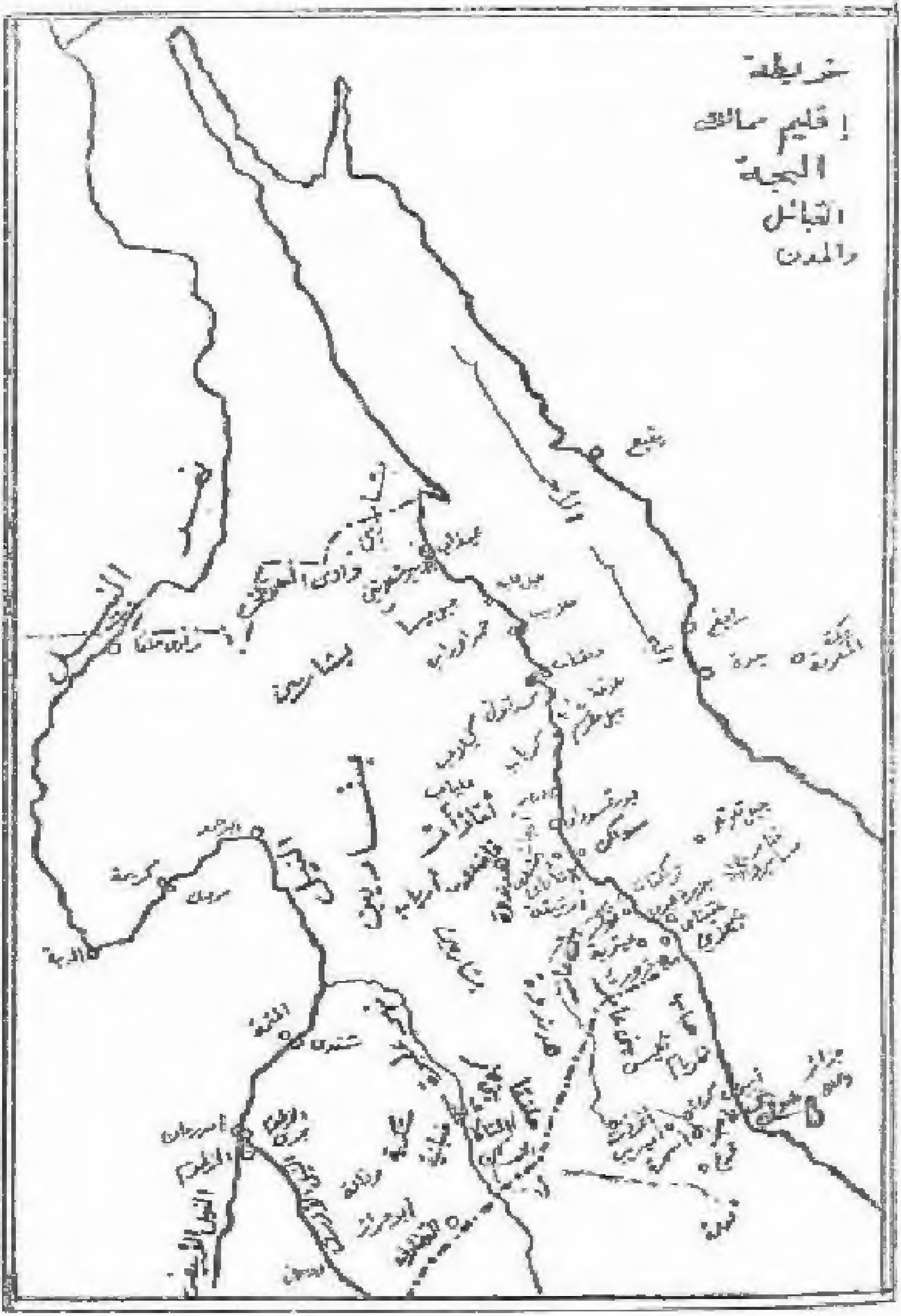
خريطة
إقليم ممالك
البجة
القبائل
والمدن
بشارية
سواكن

نقلت هذه الخريطة من كتاب مملكة الفونج في سنار
بالانجليزية التي الفها . أ. ج. س. كروفورد

THE FUNJ KINGDOM OF SENNAAR
BY O. G. S. CRAWFORD

وهذا الكتاب من أدق واسمتعا مؤلفه
كتبا نادرا الحصول عليها تتناول تاريخ اليعقوبي
ورحلة ابن حوقل في هذا الإقليم منذ ألف عام

١٩٥٧م

الجـــزء الأول

أقاليم البجـة وأصلها

مملكة قبائل بنى عامر ـ قبائلها وحوادثها

تاريخ قبائل الامارأر والبشاريين

محمد صالح ضرار
١٨٩٢ ـ ١٩٧٢

اهتم محمد صالح ضرار بتاريخ كل ما اتصل بإقليم البجة من قبائل وأحداث وتراث . وكرس وقتاً كبيراً فى تدوين كل ما استطاع أن يلم به من تاريخ هذا الإقليم . وكما يبدو من سطور مقدمته . فإن النغمة الأولى التى جعلته يكتب تاريخ البجة . هى الكلمات الحماسية التى ألقاها الأستاذ الشيخ ماضى أبو العزائم على التلميذ الصغير محمد صالح ضرار . وهو فى مدرسة سواكن وكان أبو العزائم قد تحدث للتلاميذ حديثاً ثورياً عن أمير الأمراء عثمان أبو بكر دقنه . وجذبت شخصية الأمير المؤرخ محمد صالح ضرار وحملته على دراسة أعمال الأمير وتاريخ قيادته كما حملته على دراسة إقليم البجة .

والكاتب هو ابن الشيخ ضرار على عمدة قبيلة العجيلات والاماندة . واسمه مركب من اسمين كما جرت عادة كثير من السودانيين فى ذلك . ولكنه كان فى بعض الفترات يدعى باسم صالح ضرار ومن ثم فإن أبناءه كتبت أسماؤهم بدون ظهور اسم محمد فيها . ولكن بعد شبابه أصبح اسم محمد لايفارق الإسم الثانى وعرف بأنه محمد صالح ضرار .

كتب مؤرخنا العديد من المؤلفات . فهو بالإضافة إلى كتاب تاريخ سواكن الذى ظهرت طبعته الأولى سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) فقد طبع كتاب « حياة تاجوج والمحلق » وما زالت المؤلفات التالية معدة للطبع وهى :

١ ــ تاريخ أرتريا والصومال باعتبار هذين القطرين كانا أجــزاء من السودان فى القرن الماضى .

٢ — تاريخ إقليم البجة .

٣ — تاريخ قبائل الحلنقة والهدندوة والملهتمكنات والسيقولاب والرشايدة .

٤ — تاريخ قبائل الحباب والحامدين بالسودان وأرتريا .

٥ — تاريخ قبائل بنى عامر بالسودان وأرتريا .

٦ — تاريخ قبائل الامارأر والبشاريين .

وبالإضافة إلى ذلك فقد دون حوادث المهدية فى كسلا وكتب صفحات عديدة عن الأمير عثمان أبو بكر دقنة وغير ذلك من المقالات والمحاضرات . وربما كان من المفيد أن أنقل هنا بعض ما كتبه عن نفسه بخط يده فى بعض أوراقه .

١ — الإسم : محمد صالح بن ضرار على .

٢ — القبيلة : ملهيتكناب مخذ العجيلاب البكرية .

٣ — القبيلة (العجيلاب) تسكن منطقة عقيتاى جنوب توكر على سواحل البحر الأحمر .

٤ — ولدت بعقيتاى فى ١٣ ذى الحجة سنة ١٣١٠هـ .

٥ — درست القرآن بالجامع الشافعى بسواكن وأنا ابن عشر سنين .

٦ — دخلت مدرسة سواكن الأميرية سنة ١٩٠٣ وأتممت بها تعليمى . ونلت الشهادة وقبلت بالثانوى سنة ١٩٠٨ ، فحالت الظروف دون إلتحاق بالكلية (كلية غردون) .

٧ — فى سنة ١٩٠٩م إلتحقت بالخدمة فى شركة التلغراف الشرقى ، EASTRN TELEGRAPH وكنت أقضى أوقات فراغى فى قراءة الصحف

السياسية والمجلات العلمية والكتب التاريخية التي كانت تزخر بها « غرفة المطالعة الأدبية » بسواكن .

٨ — وكرست من وقتي ساعتين كل يوم لدراسة الفقه وقراءة القرآن بالتجويد على الشيخ بشير محمد كريت الأرنوق بجامع السيد محمد عثمان تاج السر (الميرغني) .

٩ — وفي أول يناير سنة ١٩١٦م تركت أكل اللحوم والأسماك وكل مافيه روح واكتفيت بالبن والعدس حتى كانت سنة ١٩١٩ ، فعدت إلى ماقبل سنة ١٩١٦م من الحياة .

١٠ — كلما سافرت إلى أي جهة من إقليم البجة أو اجتمعت بوالدي (ولد سنة ١٨٤٥ تقريبا وتوفي سنة ١٩٣٠م) وأعمامي وكلهم اشتركوا في جميع حوادث شرق السودان وبايعوا الأمير عثمان دقنه سألتهم عن أحداث القبائل وتاريخها .

١١ — دونت أشعاراً كثيرة بلغة بني عامر (تيجري) والبجاوية . وبعضها يرجـــع إلى ماقبل أكثر من ثلاثمائة سنة فيها الحوادث المهمة ، والوقائع الحربية ، والتشكيلات القبلية ، ووصف المراعي ، والمناهل ، والأراضي ، وذكر الشجعان والأجواد ، والبخلاء .. الخ ووجدت كثيرين ممن يعرفون الحوادث الواردة في الشعر القديم ، وفي لغة التيجري يلتزمون الروي بالقصائد الطويلة أما بالبجاوية فهي مثل الدوبيت (بيتان فقط) .

١٢ — طول خدمتي بهذه الشركة كان سببا في اتصالي بكل شيوخ سواكن والبوادي خصوصا نظار القبائل ، وكلهم كانوا من القراء والكتاب وقد عاصر أكثرهم الحكم التركي والمهدية .

١٣ — كنت ناظراً لمدرسة ثم اشتغلت محاسباً حتى سنة ١٩٥٣ م فأحلت إلى المعاش.

١٤ — كنت أقتني دائماً كتب الأدب والاجتماع والتاريخ خصوصاً ما كان خاصاً بتاريخ السودان، ومذكرات رواد السودان منذ سنة ١٥٢٠م حتى يومنا هذا وأكثرها بالعربية والإنجليزية.

١٥ — إجادتي للسانين (التبجوية والبجاوية) أعانتني على الاتصال وفهم ما أريد معرفته من مؤرخي القبائل الذين لا يجيدون العربية، فسكل ما دونته من الحوادث معرب أما من اللغة البجاوية أو التبجوية.

١٦ — عاصرت شيوخاً لا يتكلمون إلا في حوادث الماضي البعيد والقريب ودراستي الأدب العربي على بعض المدرسين حببت إلى البحث عن تاريخ حياة أمة البجة، بل كل السودان لأن الأمة التي ليس لها ماضي (قديم) ليس لها حاضر (جديد) وكرست أبحاثي عن إقليم البجة (شرق السودان) لثقتي بأن لهم تراثاً قديماً يجب أن يبحث.

١٧ — وفي سنة ١٩١١ م نادى الدكتور «صن يات صن» بالصين للصينيين، وقبله في سنة ١٨٨١م نادى السيد أحمد عرابي باشا «مصر للمصريين» فكنت أنادي «بالسودان للسودانيين» ولم أحد عن هذا المبدأ في كتاباتي ومقالاتي منذ سنة ١٩٢٢م (وهو أول تاريخ لمقال عن المهدي وعثمان دقنه) إذا كان يتلخص في: «لقد أحسن المهدي صنعاً بقتل غوردون إذ كف ضغط الجيش الإنجليزي على دقنه حول سواكن».

١٨ — أخذ طبع كل مؤلفاتي الحاضرة (أولا) متسلسل حياة تاجوج والمحلق، ثم تاريخ سواكن أرتريا والصومال، وتاريخ قبائل الحباب والحماسين

(بالسودان وأرتريا) ، ثم تاريخ قبائل إقليم البجة مثل تاريخ كسلا والحلنقة وبني عامر والهدندوة والامارار والبشاريين والدهقاب (رهط الأمير عثمان دقنه) وحوادث المهدية ... الخ .

١٩ — لما رأيت أن الأسانيد التاريخية متوفرة لدى كتب قديمة ومعلومات كثيرة عن قبائل البجة استحسنت الاشتغال بها .

٢٠ — ابن خلدون لم يذكر شيئا عن الإقليم الذى أكتب عنه أو وقع عليه اختيارى ، ولكنى أفضل عليه المقريزى الذى ألف كثيراً عن العرب والسودان ومصر ، ثم نقل عن المؤرخ السودانى ابن سليم الأسوانى الذى ضاع كتابه عن البجة وعلوة والنوبة ... الخ .

٢١ — أنا اعتبر أول مؤرخ عربى هو أحمد بن يعقوب الذى كان فى أوائل القرن الثالث للهجرة .

٢٢ — الشاب من العشرين إلى الثلاثين تكون نفسه ونيابة وحده لا نراه ومن الثلاثين حتى الأربعين يتردد ، ومنها للخمسين يحمل (مشاكل) أى يعتريه التردد والهواجس وتربية الأولاد والمنزل ... الخ ، ومن الخمسين لا يخشى إلا الله ويترفع من كل الصغائر .

٢٣ — لم يستفد البجة كمجموعة أو أفراد من حكومات الأحزاب مؤتلفة أو مختلفة إلا المساومات والضغائن وكراهية البعض وتحطيم كل المشاريع النامية لمديريتهم ، ولم تمنح هذه الحكومات عندنا حتى خلوة بسيطة ، هذا بخلاف ما أغدقوه على سائر المديريات ، انظر كيف كانت وزارة الأحزاب تنتخب من كل مديرية وزيراً وحرم إقليم البجة من وزير بل من مدير لأى مصلحة ، مع أن الكفاءات جمة وموجودة .

٢٤ — أحب أن يحكم السودان باللامركزية ، أو النظام الذى اقترحه السيد عبد الرحمن على طه ، كل مديرية أو ولاية على حدتها حتى التعليم الثانوى .

٢٥ — لم أجد أى صعوبة إلا من الوحوش الكاسرة وإطلاق النابات والأحراش ، وكدت يوما من الأيام أن أموت عطشا فى سنة ١٩٤٢م لولا أن أدركنى رفيق بالماء من مكان سحيق .

٢٦ — كل مجارى أو مؤرخ سودانى يستفيد جداً من مؤلفاتى ويمكن لكل باحث أن يعمل منها تحليلات علمية ، ولو أنى قد عملت ملخصا تاريخيه لكل قبائل إقليم البجة ، لا أوافق على طبعه أو إخراجه إلا بعد استكمال التاريخ الكبير .

٢٧ — ليس لدى أى وقت لقراءة المؤلفات الحديثة ، وأما السودان فى قرن فليس فيه أى شىء عن إقليم البجة بتاتا إلا بعض كلمات عن الأمير عثمان دقنه ، والسبب أن الإقليم المذكور كان منفصلا عن السودان انفصالا حتى سنة ١٩٠٥ م إذ وصلت سكة حديد النيل بالبحر الأحمر (لا أدرى ماذا فى سائر الكتب عن الأمير عثمان دقنه الذى كتبت أنا عنه نحو خمسين صحيفة من القولسكاب بعنوان حوادث المهدية بكسلا ، وستكون بسواكن وضواحيها أضعافا مضاعفة) وهنا جاكسون والمدام مارتوردس فالأول يمدح قومه ويشيع بالأنصار ، والثانية كانت بالعكس تقدم التجاريش التركية المحاربة للأمير عثمان دقنه ، وتمدح خططه الحربية وأساليبه العسكرية . ونحن نكتب فى كل شىء الحقيقة المستقاة من الوطنيين الذين اشتركوا فى المعارك وندع المستعمر لكتابهم وما يروق لديهم ولدى أتباعهم فإن كتاباتهم كلها لاتخلوا من الأغراض والتشيع بالوطنيين .

٢٨ – كل الكتب المؤلفة عن السودان مفيدة جداً ، ومن لم يطلع عليها أو يقتنيها فلا يصح له أن يكتب حرفاً واحداً عن وطنه ، ليت جمعية التاريخ بالكلية أو بوزارة الداخلية تسمح بطبع كتاب الشيخ إبراهيم عبد الدافع (الفونج والسلطنة الزرقاء) ، أو تاريخ الشيخ الزبير ود ضوه وغيرها من المخطوطات .

٢٩ – الاستعداد الفطرى لدراسة التاريخ أولا ، ثم اقتناء الكتب الخاصة بما يريد المؤلف الكتابة عنه ، وأهم شيء هو المراجع التاريخية .

٣٠ – لامؤاخذة فى تطرف ضد عهد الأحزاب، وقد كنت حزبياً ولكنى رأيتها تبعثر الكفاءات وتجعل الشاة وراعى الشاة سيان ، وهذا يتجافى مع ديمقراطيتنا الإسلامية .

ملحق ملحوظة :

لم أترك مسكاناً مأهولا ، أو منهلا مشهوراً فى إقليم البجة إلا وزرته ، واجتمعت بسكانه ومشايخه (من عيذاب شمالا وحلايب حتى قرروره فى الجنوب) ، أما نهر أتبره فقد طفته شرقا وغربا . وأقمت بين سكانه . ولكل قبيلة نطقها المختلف عن الأخرى لايدركه إلا الخبير بالألفاظ البداوية والتبجوية .

كنت أطوف هذا الإقليم وكان محظوراً على مثلى المرور خلال ديار البجة لأنها كانت تسمى « مناطق مقفولة » .

محمد صالح ضرار

هذا ما كتبه المؤرخ عن نفسه ، ونعود الآن لنقول :

تبلغ عدد الصفحات التاريخية التي كتبها المؤلف ألفا ومائتي صفحة من الفولسكاب ، وهو بالإضافة إلى تدوين التاريخ والأشعار البجاوية باللغتين التبجرية والبجاوية ، فإنه سجل بعض القصص التراثية ، قصة عمر باشئير البني عامري وغرامياته وأشعاره باللغة التبجرية، وقصة محمود الفليح المدنحوى وغرامه وتعذيب ممتاز باشا له وما جاء على لسان محمود من شعر بجاوي يفيض بالألم والأحزان . كما ترجم ذلك الشعر باللغة العربية .

كان مؤرخ قبائل إقليم البجة يهوى الأدب ، وفي بداية حياته ألف بعض المقامات ، وأهمها المقامة الترمسية ، التي كان أبتدكرها أستاذنا الفاضل الشيخ مجذوب جلال الدين ، عندما كنت طالباً في كلية غردون عام ١٩٣٧ ، وكان ينشد قول المؤرخ في المقامة ،

كل النبات النضر دون الترمس وابائمه المخـــــر دون الأنفس

وهي من تراثه الباقي لدينا ، كما أنه كان يتلذذ بإخراج المسرحيات التي كان يمثلها على مسرح ويختار المتفوق في كأبطالها ، وغيرها من الشباب في بورتسودان، وأسهم وقته لإنهاض كرة القدم في إقليم البجة ، فكان مستشار فريق السواكنيين في بورتسودان منذ سنة ١٩٢٦م وكذلك في سنكات . فقامت على أكتافه وأقرانه نهضة رياضية بجلاء في الصور الفوتوغرافية التي احتفظ بها والتي ما زالت باقية مع مخلفاته .

بذل هذا المؤرخ جهداً في الحصول على السيوف الأثرية في شرق السودان ، وكان يجمع العصي النادرة أيضا ويهدى من هذه وتلك لزواره في البيت مع ما يأخذون من علم دفاق في ساحته .

وما زلت اذكر ما رأيته فى طفولتى فى منزلنا من حشود لأفراد قبائل الصحة من شيب وشيوخ أكل الدهر عليهم وشرب . وهم يسكنون فى منزلنا حيث تقوم أمى (رحمها الله) بإعداد الفطور لهم من اللقيمات بالسكر أو العسل ، ومن العصيدة التى تعوم فى السمن البلدى وقد يكدس السكر بها أو على على جدرانها العسل . ولم تكن تقدم لهم الفول والبيض لأنهم لا يأكلون الأول ويحتقرون الثانى احتقارهم للدجاج وآكليه . وكانت أمى عليها الرحمة تملأ الأطباق باللحم والأرز والسمن لهؤلاء كل هؤلاء الأعاريب . وكنت أشاهد أبى المؤرخ وهو يجلس الساعات الطوال على فرش الصلاة أمام أحد الأعاريب يستمع إليه وهو يتحدث بلغة غير العربية وينقل ما يقول أوراق أمامه عرفت فيما بعد أنها باللغة العربية . لقد كان يوم دارنا آحاد وعشرات من أولئك الشيوخ ليتقل عنهم مؤرخنا . وكان فى آخر النهار يدفع للواحد منهم عشرة قروش نظير ما أعطى من أخبار . لقد كان يقدر ما قدم من أخبار تقديراً عظيما ، وما كانوا يعلمون أن ما قدموه عليه يساوى كل ذلك المبلغ . كان ذلك حتى ما أذكر حوالى سنة ١٩٢٩م وما بعدها ، أما ما كان قبل ذلك فلا تعيه ذاكرتى .

أن ما كتب المؤلف من مخطوطات نأمل أن تظهر قريباً تباعاً حتى تظهر للعالم الحديث العطايا القيمة التى وهبها هـذا المؤرخ لعالم التاريخ والاجتماع . والقراء والدارسون سيجدون قيمة العطايا التى قدمها محمد صالح ضرار . وسيرة هذا المؤرخ قد سارت بعيداً عند علماء الغرب بحكم اهتمامهم واتصالهم به منذ بعيد والاعتراف بدائرة تخصصه . فما من دارس للدرجات العليا إلا وجلس إليه واستمع منه إلى ما لديه من معرفة وأحاديث .

وهذا الكتاب « تاريخ قبيلة الهدندوة والأمارأر والبشاريين وبنى عامر والحلنقا والهدندوة والبنى عامر والحباب والسيتولاب والرشايدة وغيرهم من سكان شرق السودان إنما هو نموذج للجهد الذى بذله المؤلف فى إخراج عطائه العلمى لطلاب المعرفة وطالبى العلم والراغبين فى دراسة علم الاجتماع وتطور الجماعات .

ضرار صالح ضرار
ابن المؤلف

الارض والناس
فى اقليم البجـة

تبلغ مساحة السودان الشرق مايقرب من ١١٠٠٠٠ ميلا مربعا تمتد من الشمال على الحدود للمصرية السودانية من موضع نتر شلاتين شمال ميناء حلايب، وإلى الجنوب حتى ميناء مصوع بارتريا . أما من ناحية الغرب فحدود هذا الإقليم تشمل الأراضى والتلال المحاذية للنيل من الشمال حتى عطبرة ولكن لاشأن لها بسهول النيل ، ثم أنها تحوى نهر عطبرة وضفافه إلى الحدود الحبشية . أما من ناحية الشرق فإن شواطىء البحر الأحمر هى حدوده النهائية .

فى هذه البقعة تسكن قبائل البجة المختلفة منذ آلاف السنين ، وانتشرت جماعاتها وأفرادها يضربون فى وديان السودان الشرق ، ويرقون جباله ، ويقطعون صحاريه وصحاصيه وهم على ظهور جمالهم يرعون بأبلهم وماشيتهم وضأنهم وأغنامهم ، لايزرعون إلا الذرة والدخن وهى الحبوب التى يصنعون منها خبزهم وطعامهم ولا يخزنون منها إلا مايكفيهم مؤونة عامهم . فإن لم تهطل الأمطار فى الموسم التالى ضاقت حالهم ، ونضب ماؤهم ، وماتت أنعامهم وضمرت أجسامهم .

والبجاوى فى مظهره صغير للبنى، متوسط القامة ، خفيف الحركة سريعها ، يقفز إلى أعلى فى خفة الطير، وإلى الأمام فى سرعة الفهد، ووجهه نحيل بيضاوى وحنكه غير عريض ولكنه ينزل فى زاوية حادة إلى الذقن فتصبح كأنها زاوية للثلث . أما أنفه فحسن الاستقامة جميل التكوين ويبدو مثالا حسنا للأنف القوقازى وبشرة البجاوى يغمه تشوبها حمرة ، وشعره ناعم تغلب عليه الأمواج.

أما الأرض التي يسكن عليها قليست كلها بالأرض الكريمة التي تهب وتعطي ، ولذلك فإن سكانها جبلوا على التقشف وحياة الجدب حتى أجسادهم ضامرة ، ووجوههم نحيلة ولما قلت مطالبهم في الحياة احتفظوا بكبريائهم وكرامتهم ، وبحبهم لحياة الاستقلال الفردى مع شعور عظيم بالشجاعة والتضحية والانتصار للقريب وللقبيلة ، والابتعاد عن كل مظاهر أجنبى ، وعدم الثقة فيه أو الاعتماد عليه .

ماذا يريد البجاوى في حياته غير قليل من الماء والخبز ، ومرعى لإبله وسائر أنعامه ، وبضعة أذرع من قماش حول جسمه ، ثم يتمنطق بسيفه ، ويمسك رمحه ويعلق ترسه ، ويمشي بعصاه المفلطحة المحنية من أسفلها يضرب بها الحيات والثعابين ، ويطرد بها الكلاب ، ويلوح بها على ماشيته ، ويهزها على رأس أعدائه ! فهو يقضى النهار بطوله في صيف محرق دون أن يتجرع قطرة ماء ، وتمضى عليه عدة ليال لايتذوق فيها طعاماً ، وهو بحاله راض قد وطن نفسه على أن تلك هي العيشة الطاهرة التي لم يكتشفها أحد غيره بعد .

بالرغم من سعة الأرض التي يسكنها البجاوى إلا أنه حريص أشد الحرص على كل شبر فيها ، فهو لايتنازل عنها لغيره ولو أدى ذلك إلى القتال ، وهو حريص على مرعاه وعلى ماقى أرضه من كلأ وعشب وشجر ، ويدافع عنها كما يدافع غيره عن أعز ممتلكاته ثم هو لايسمح لغيره بحفر بئر في تلك الأرض مهما دعت الضرورة من ماء له ولغيره لأنه يعلم أن ذلك يعنى نزوح عدد من الناس للسكنى في ذلك الرقعة من الأرض . ومن حفر بئراً في أرض البجاوى كمن حفر قبراً له لذلك تراه يمانع ويجاهد دون ذلك مهما كلفه الجهد من جهاد ، فهو لايحب أن يجاوره أحد في أرضه ، وقل أن تؤمن بالتعايش السلمى

والتبادل التجارى فى منطقته لأنه بفطرته يشعر بأن ذلك إنما يجلب غير الأجنبى إلى بلاده لأن فيه استقراراً لامريب فى أرضه ، ومشاركته له فى السيادة والملكية ومن ثم كان البجاوى دائماً يؤمن بالاكتفاء الذاتى فى ملبسه وفى مأكله ومشربه ، وفى مايطلبه من متع الحياة .

كان البجاوى يرمق سواحله على البحر الأحمر بكثير من الشك والترهيب . ولعلهم الشعب الوحيد فى التاريخ الذى سكن على شواطىء البحر ولم يشتغل بالملاحة والتجارة ، أو يهتم بالتجارة بين بلدان العالم القديم . فسواحل السودان الشرقى لم يخرج منها ملاحون يجوبون الأقطار الأخرى، ولكنها كانت تستقبل رواد التجارة بموانئها دون أن يكون لهؤلاء التجار نفوذ على داخلية البلاد . فلم يبن البجة مراكب تجارية تجوب عرض البحر كما كانت الأمم التى عاصرتهم تعمل كالمصريين أو الصينيين أو الحميريين أو البطالسة والرومان . كلا فالبحر وأمواجه لم يستهو البجاوى مطلقاً . بل أن مافى جوف البحر من حوت ولآلىء لم يغر البجة لخوضه فى سبيل الطعام والغنى ، فهم اكتفوا بـ ... الصحراء واستعاضوا عن المراكب بالجمال، وعن لآلىء البحر بالأحجار من عقيق وغيره مما قد يجدونه فى أرضهم ، وعاشوا أمة برية طيلة حياتهم . وهم لا يستطيبون السمك فلا يأكلونه، ولا تجذبهم رائحته أو شكله ، بل قد يمجون من أولئك الذين يأكلونه بشهية ، ولكنهم لايقيسون شيئاً بلحم الضأن من بلدهم والتمر الذى تجلبه المراكب من العراق منذ قديم الزمن .

إن المعقل الوحيد إلى أجزاء كثيرة من أفريقيا كان فى موانىء السودان الشرقى وخاصة فى مينائه العتيق التاريخ سواكن . فقد كانت سواكن تخدم كل أجزاء السودان الحديث ، بل ومنها تمضى القوافل إلى أواسط أفريقيا وإلى

غربها في عصور التاريخ المختلفة . ففي عصور الفراعنة كانت البهارات والأبنوس والفهود والأسود والقرود والعاج من أهم ما تتطلبه المدنية الفرعونية . لذلك صارت سواكن ميناء لها أهميتها الخاصة . وكذلك كان الأمر فيما تلا ذلك من عصور . وعندما انتشر الإسلام في أفريقيا ووصل إلى غربها أصبحت سواكن ذات مكانة خاصة في نقل الحجاج بين ضفتي البحر الأحمر . وهكذا نشأت هذه الميناء التي كانت أم ثغور على البحر الأحمر منذ فجر التاريخ حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي . ومع هذه المدينة نمت مدن أخرى في السودان الشرقي، وكانت لكل منها أهميتها الخاصة في حقبة أو حقب من تاريخ الجنس البشري . فتاريخ سواكن جزء مهم من تاريخ السودان الشرقي إن لم يكن أهم الأجزاء على الإطلاق ، فسواكن مدينة إلتقت فيها عدة حضارات عن طريق التجارة ، وأسهمت في بث تلك المدنيات إلى كثير من أجزاء السودان . ومع أنها أثرت على من سكنها من البجة إلا أن تلك المدنيات أخفقت إخفاقاً حقيقياً في أن تجد طريقها نحو حياة البجاوى لتتغير في شكلها أو رتابتها . لقد وقف البجاوى صامداً ضد كل فن أدخلته مدنية سواكن على نفسها أو نقلته إلى بقية أجزاء السودان . أما أراضي البجة فإنها احتفظت بأصالتها وعراقتها حتى القرن العشرين ، فلما تأثر السودان عامة بما نقلت سواكن بدأ التأثير يلحق بإقليم البجة حين أشرفت سواكن على الموت مبنى وإن لم تمت معنى[1] .

---

(١) ارجع الى كتاب : تاريخ سواكن والبحر الاحمر — للمؤلف نشر الدار السودانية للكتب ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م . الطبعة الاولى .

ثم نعود إلى هذا البجاوى الذى سكن فى هذه المنطقة لنرى أصيله فى التاريخ الماضى قديمه وحديثه . فى أرضه بالشمال تقع مناجم الذهب البراق الذهبية ، وقد بهر ذلك الذهب الفراعنة ، ثم هذا حذوهم البطالسة والرومان ثم العرب ، فكانت هناك علاقات وحروب بين البجة وبين تلك الأمم المتعاقبة . وكان السودان الشرقى يمثل الجسر بين المدنيات القديمة وما تتطلبه من حاجيات أفريقية فى سبيل العيش المترف الرغيد فى قصور الملوك والأمراء والأغنياء . وكان رجال البجة دائماً بالمرصاد يرقبون ويداهمون ويهاجمون ذوداً عن كل شبر من بلادهم . وما زالوا فى دفاعهم المجيد ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر حين استولت على السودان قوات الحكومتين المصرية والبريطانية . ولم يتوقف كفاحهم قبل سقوط عدد منهم ضحايا للاستعمار حين عبروا مع إخوتهم باستقلال البلاد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

-

إنهم يعرفون مسالك وديانهم ، ومسارب جبالهم ، ودروب صحرائهم ومنابع مياههم ، ولكنهم قليلو الكلام مع الغريب ، بعيدو التعاون معه كثيرو الشك فيه ، فلا يعطونه سراً من أسرار بلادهم ، أو خبراً من أخبار حاضرهم أو ماضيهم ، فن يدرى عما إذا كان هذا الغريب صديقاً أم عدواً . وعلى كثرة ما يتحدث البجاوى مع ابن جلدته يقل حديثه مع الغريب فلا يكاد يرد على سؤال ، أو يجيب على استفسار . وتكتنف أحواله ستائر الغموض العميق . فهو يبتعد عن كل مكان يكثر طرّاقه . ولئن سكن كل الناس فى موطن نبع المياه فإن البجاوى لا يروق له أن يكون قريباً من مصدر الماء لأن الماء طرّاقه كثيرون ، وهو يحب العزلة ، ويبعد عن الجماعة . فى العزلة استقلال فردى كامل ، وفى الجماعة قيود يفرضها المجتمع . وهو لا يحب التقيد ولذلك

قل أن تجد بجاوياً نزل بأهله فى نبع الماء ويكفيه أن يملأ قربته مرة كل عدة أيام فيشرب هو وأهله قليلا قليلا، وقد يجود على من يطرق مكانه باللبن الحليب والثريد ولكنه يفكر مرات ومرات قبل أن يقدم قدحاً من الماء خاصة إن كان الطارق حضريا يرشف الماء من الظمأ رشفا ينهك مدده المحدود من الماء .

ولا يتسنى للمؤرخ التدوين الصحيح لتاريخ السودان الشرقى مالم يكن هو من أبنائه الذين يجيدون لغة المنطقة البجاوية ، ويعلمون عاداتها وتقاليدها ، فيدلهم ويعطهم زمام الحقائق ، لأن عاداتهم تقضى عليهم بعدم الاطمئنان لغير بنى جلدتهم مهما كان الباحث الأجنبى صديقاً أو محلياً أو متعرباً . ولذلك لايعتد بكتابة الأجانب فى كثير من الشؤون المتصلة بصميم حياة البجة، وخاصة ما كان له علاقة بالخلافات القبلية ، أو الحرب أو الثورات ، فإنهم يخفونها لئلا يحاسبوا هم وأحفادهم بموجبها ويجب على المؤرخ أن يكون حافظاً لأكثر أشعار السكان وأمثالهم بلغتهم لأنها النبراس الذى يضيء وينير السبيل أمامه على كثير مما حدث فى الزمن السالف . ولقد قضيت زهرة شبابى وكهولتى كذلك أرتاد القرى والبوادى فى الجبال والسهول الواقعة بين سيداب شمالا ومصوع جنوبا، وشرق النيل حتى سنار ثم أم حجر بالحبشة وأنا أستشف الحقائق والأخبار لأضعها بين يدى القارئ فى هذا السفر .

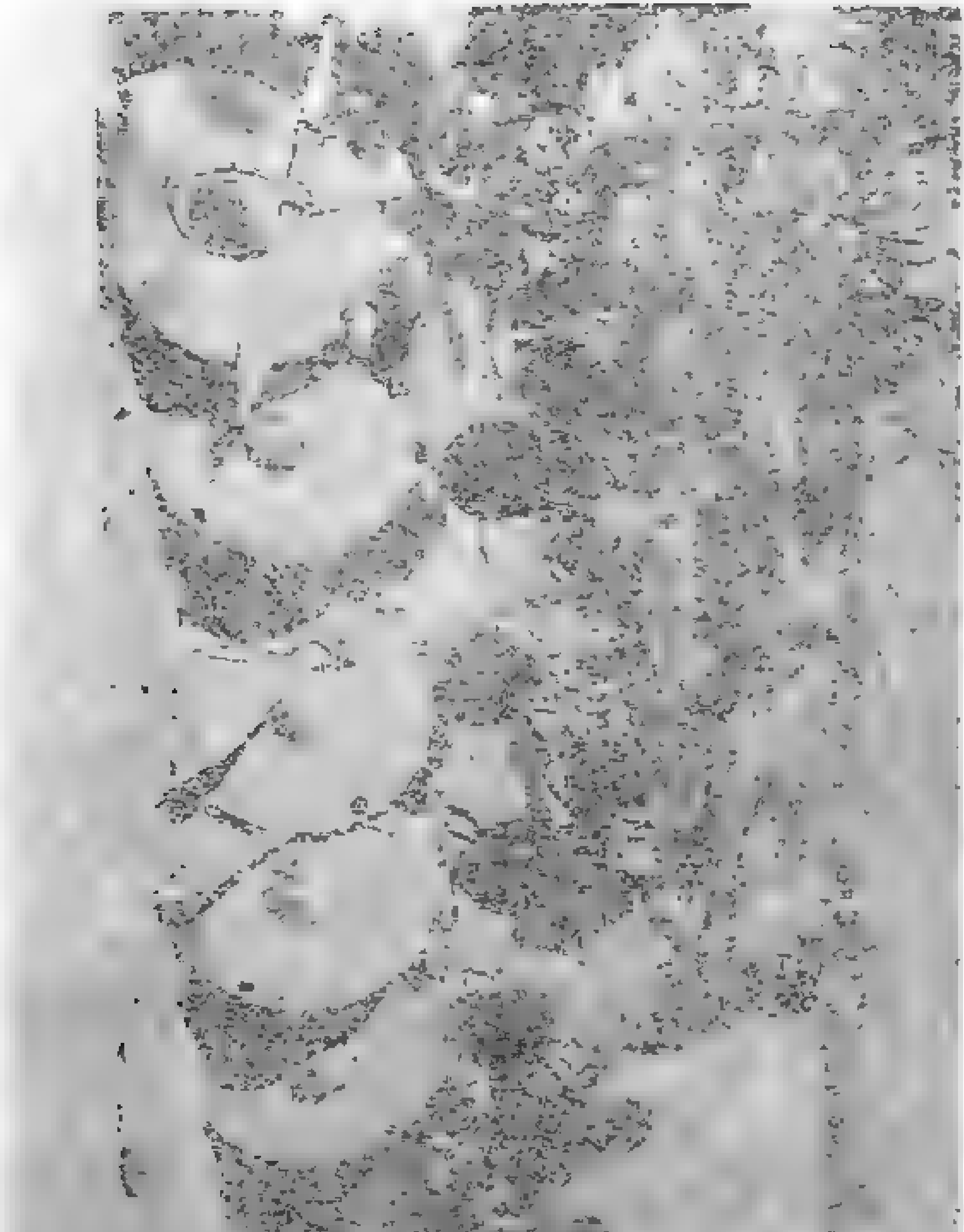

الاستعداد للدفاع عن الوطن

أصل البجة

تضاربت أقوال المؤرخين في أصل البجة الذين تحدث عنهم بعض المؤرخين الكلاسيكيين كما أورد أخبارهم مؤرخو العرب . وأخذ كل من هؤلاء المؤرخين يبحث عن أصل البجة وعن موطنهم الأول كما أنهم وجدوا أن اسم البجة لم يكن هو الاسم السائد الذى أطلق على سكان إقليمهم البجة فى كل العصور ، بل إن هذا الاسم كان عرضة للتغيير حسب تغير الأمم التى كان لها اتصال بالبجة . ولكن تلك الأسماء لم تغير فى حقيقة وضعهم كسكان لتلك المنطقة

وقد اتفق كل من داود روبيني اليهودى والمسعودى على أنهم من أبناء كوش ابن كنعان وبذلك أصبح البجة فى رأيهما من الساميين الذين نزحوا من بلاد العرب . وأورد الدكتور جواد على نقلا عن استرابو أن العرب كانوا يسكنون إلى الطرف الثانى من الخليج العربى فى البحر الأحمر ما بين مصر والحبشة على الساحل المسمى بسكان الكهوف تمييزا لهم من عرب الجزيرة .

أما شقير فانه لم يختلف كثيراً مع الرأى السابق إذ قال : « إنه من الثابت المقطوع به والمؤيد بالقرائن التاريخية والطبيعية أنهما (أى البجة وشبه السود) من سلالة غير سلالة السود . وأنهما من أقدم شعوب إفريقيا بعد السود . ولم ينشأ فيها بل هاجرا إليها من آسيا عن طريق مصر والبحر الأحمر من عهد بعيد . أما ملامحهم وعاداتهم وأخلاقهم فجميعها عربية محضة ، وأبدان البجة صحاح ، وبطونهم خماص ، وألوانهم مشرقة » . فكل قول لا يعترف بأن أصل البجة من جزيرة العرب لا تسنده أى حقيقة

انضم جورجي زيدان إلى رأى شقير أيضا فذكر . إن أمة الشاسو من عرب الشام هاجرت إلى إقليم البجة واستوطنت بين النيل والبحر الأحمر كما يتنقل فيها بدو هذه الأيام . وكان قدماء المصريين يسمون هذه البادية تَشَرْ TASHAR وتعريبها الأرض الحمراء تمييزاً لها من وادي النيل واسمه (كيمى) وتعريبها الأرض السوداء . ولم يكن الشاسو يقتصرون فى مضاربهم على تلك الصحراء بل كانوا يرحلون بينها وبين طور سينا . وكلمة شاسو معناها عرب ، واشتهروا بالسطو ونهب أموال سكان وادى النيل[1] ويقال لهم المكسوس . ا هـ . ويبدو أن زيدان ذهب يهدأ فى محاولته لمعرفة أصل المكسوس فجعلهم من اقليم البجة ولكن ليس هناك حتى الآن من الأدلة التاريخية ما يثبت هذا الرأى

قامت عدة محاولات من جانب الجيولوجيين لمعرفة أصول البجة ، وكان من بين المشتغلين فى ذلك السير ولاس بدج الذى ذكر بأن البحث فى مقابر البلاص حول جبل ماماك أوصل إلى نتيجة لا تقبل الجدل بأن جماجم أصحابها سامية أى أنها من عنصر راق[2] . وهذه المقابر تحتفظ تحتها أجداد البجة الأقدمين وعثر عليها منتشرة فى عديد من جبال البجة بالبحر الأحمر .

غير أن بعض المؤرخين كان يرى فى أصل البجة آراء تختلف عما أوردناه فهناك الهمذانى كان يرى أنهم من ذرية سام بن نوح ، وذكر الطبرى أنهم جنس من الاثيوبيين وكان قول المسعودى يعارضه فى الرأى إذ أنه كان يرى أنهم

---

(١) وربما اقتبس البجه غزو مصر والنوبة من هؤلاء العرب ، كما كانوا يغزون الحبشـــــه .

(٢) مقابر البلاص حول جبل ماماك (بدج : السودان المصرى) .

عرب قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفــــة ميممة بين الشرق والغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وسار فريق منهم نحو الغرب وهم أنواع كثيرة . وأما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ، وتشعبوا فرقا ، وملكوا عليهم ملكا .

ويقول الدكتور جواد علي بأن بقايا ثمود كانت على سواحل البحر الحبشي (الأحمر) وأن البجة في تلك العصور كان يطلق عليهم البلامس ، ثم سموا البجة . وفي كتاب « الطواف حول البحر الإرتري » وصف شامل لأصول البجة .

ونحن أوردنا كل هذه الشواهد من عدة كتب ومراجع لنثبت لكل من يجهل أصول البجة أن يعلم أنهم أمة سامية وأنهم عرب ويندر جداً فيمن يسكن هذا الإقليم أن يحرم من صلة وثيقة أو ضئيلة بهؤلاء البجة من الأمم العربية التي هاجرت قبل وبعد انتشار الدين الإسلامي .

وفي جزيرة العرب كانت تدور حرب طاحنة بين قسمي السكان أي العرب العاربة والمستعربة .

ظهرت في العراق عدة آثار كانت سبب هزيمة أولئك الذين أنكروا وجود عاد وثمود معتمدين على كتب التوراة ، كما طبعت مراجع كثيرة وقيمة جداً في العراق عمن يصفق البحر الأحمر ، وكذلك أساطيل بني الأحمر (الفونيقيين) التجارية ، وكيف أنهم ربطوا المواصلات من « جنة عدن » (مسبوتيميا) العراق إلى الخليج الفارسي فالمحيط الهندي والبحر الأحمر إلى خليج العقبة والسويس ، ثم مدينة صور والبحر الأبيض المتوسط .

وفي كتابنا « تاريخ سواكن والبحر الأحمر » ذكرنا كيف أن سفن

عيد حورام كانت تزور موانى البحر الأحمر بالواردات والصادرات كل ستة شهور .

أما ما كتبه الدكتور محمد عوض فى تاريخه عن قبائل شمال السودان المنقول جله عما كتبه المستعمرون من الإنجليز الذين خانهم الحظ فى الاطلاع على مؤلفات مؤرخى لعرب ، إذ كان كل اعتماده واستشهاده من (S. N. & R. ، مجلة السودان فى رسائل ومدونات) . وإذا أساء الإنجليزى فى كتابته عن البجة نقلها الدكتور بنصها وفصها وحلاها بوتوش من المثالب حتى توغر صدر أبناء البجة خصوصا على الإنجليز . ونحن لا نلوم الإنجليز ، ولكن نلوم أخانا المسلم الذى استعان بهم على إخضاعنا وإذلالنا ، كما استعين بهم قبلنا لعرابى باشا وإخوانه . وإنى لو أردت الرد على الأخطاء الموجودة فى كتابه لذهب ورقى سدى ، إذ لا يمكن أن نتفق لأنه يرى أن كلمة « بجة » من اختراع الإنجليز ، وأنا أقول إنها أقدم من ذلك عند الفراعنة والبطالسة والرومان والعرب . والدكتور ضرب بكل ذلك عرض الحائط . وكنت أود أن تؤلف جمعية من كل أبناء السودان ليدحضوا ما قاله عن قبائلهم ، وإنكاره لعروبتهم التى سأبين فيما بعد كيف كانت هجرة العرب إلى السودان . أما ما ذكره الدكتور والمستر كلارك عن أخلاق البجة فقد برّ كل منهما صاحبه فى معائبنا ومثالبنا ، وأثبتا الشكل منصف جمهلهما عمن يكتبان ، فكلاهما فى جريه مذموم .

وبينما يرى سليمان عبد الرحمن المصرى أن البجة عنصر من عناصر المصريين والأثيوبيين اتخذوا مساكنهم فى الصحراء الشرقية يقرر الدكتور عواد بأنهم بقايا ثمود كانت على سواحل البحر الأحمر وهو بذلك يؤكد ساميتهم .

هذه هى أقوال بعض المؤرخين فى أصل البجة وفيها يرجع القول بأنهم أمة سامية وذلك بحسب ما كتب واعتمادا على ما اكتشف من جماجم فى القبور .

وجاء فى دائرة المعارف الانجليزية .. إن لفظة البجة تطلق على مجموعة من قبائل واسعة الانتشار وهم من قدماء المهاجرين الساميين » ويقال لهم فى كتب الاقدمين البلامس وبليمس » وقد وصفهم هيرودتس (سنة ٤٠٦ ق م) بطول القامه وجمال الجسم خاصة فى الرجال كما تحدث عنهم استرابو (سنة ٢٤ م) فأطلق عليهم عدة أسماء إذ يقول .. ويسكن لأجزاء السفلى على جانبى مروى على طول النهل من ناحية البحر الأحمر الميجاباريون والبليميون الخاضعون للاثيوبيين والمجاورون للمصريين . وعلى التروجلوديتيون الواجهون لمروى على مسيرة عشرة أو اثنى عشر ستاد [1] من النيل .

من هنا يظهر لنا أن فى ذلك التاريخ كان البجة يسمون بالبليميين كما أن هناك جماعة أخرى كان يطلق عليها التروجلوديتيون وذلك فى العهد الكلاسيكى ولكن لا شأن لهم بالبجة لأن تلك المنطقة لم يسكنها البجة مطلقا .

وقد عرف قدماء المصريين سكان السودان الشرقى واتصلوا بهم وظهر فى نقوشهم لفظ « البقة » وهو لفظ قريب جدا من البجة أما جيرانهم من الجنوب الشرقى وهم سكان مملكة أكسوم فإنهم دونوا فى آثارهم لفظة بوقيته على سكان الاقليم الذى نحن بصدده وهو فى حد ذاته لا يختلف كثيرا عن اضرابه من الألفاظ . ويضيف بعض المؤرخين أن هناك شيئا آخر

---

(١) كل ستاد يساوى ستمائة قدم أى ٢ر١٨٥ مترا .

يسكن مع البجه يدعى الزابو اتخذ مسكنه فى الجبال بين سواكن وبربر على النيل ولكن هذا الشعب لم يعد له وجود الآن .

ليس فى الاختلاف بين الألفاظ المتقاربة من البجة ما يدعو إلى التشكك فى أصل هذه الأمة التجارية أو فى موطنها ومثل هذا الاختلاف طبيعى لأنه قد يكون ناتجا من اختلاف لهجات البجة أنفسهم حسب مناطقهم ، وإن نظارات البجة الخمس الآن يختلف نطق كل منهما عن الآخر فى الكلمات والأسماء والمسميات والألفاظ .

ومن بين الأسماء التى أطلقت على سكان إقليم البجة دون التحديد فى أمرهم ما ذكره نوتيوس من أنه بعد خليج العقبة تأتى أرض جماعة يسمون مايناى وهى أرض منبسطة سهلة وبها مياه عزيزة ، وهى منخفضة تغطيها الحشائش والأعشاب والنباتات التى يبلغ ارتفاعها قامة إنسان ، وهى مليئة بالجمال الوحشية وبالغزلان والأغنام والبغال والثيران ، وبها أيضا كثير من الأسود والذئاب والفهود . ويليها خليج يسكن عليه بيت ميغروماتى الذين يصطادون الوحوش ويقتاتون بلحومها ، وهم الذين تقع فى مقابل ساحلهم تلك الجزر الثلاث . ويبدو أن حديث نوتيوس فيه خلط بين الحقيقة والخيال ولكن ما يسترعى الاهتمام هو لفظ ميغروماتى القريب من لفظ الزابو وهم الذين قيل أنهم كانوا أيضا من سكان إقليم البجة .

أما الاسم الحالى لسكان الاقليم فهو البجة وهم تحت نظارات هى الهدندوة ، والأمارأر ، وبنى عامر ، والبشاريون والحلنقا . أما ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية من أن العبابدة والشكرية من قبائل البجة أيضا فليس صحيحا لأن هذه قبائل عربية نزحت إلى السودان بعد انتشار الإسلام وليس لها علاقة بالبجة .

البجة في عصر الفراعنة

يستدل من الآثار المصرية أن قبائل البجة المجاورة لمصر كانوا كما هم في هذا العهد يخالطون الحضر على النيل فيأتون من صحرائهم بالمواشي وخشب السنط والفحم والصمغ والعسل وجلود الحيوانات والحجارة الكريمة ويقايضون بها الأقوات والأنسجة . وكان المصريون يسالمونهم لمنع تعدياتهم والانتفاع بتجارتهم ويجعلون لمشايخهم جعلا معلوما يجرونه عليهم في كل سنة فيتعهدون بحماية الطرق وحفظ الأمن قال ابن سليم ولكنهم لم يكونوا يقيمون طويلا على هذا العهد، بل كان خصب وادي النيل يغريهم فيغزون أهله من وقت لآخر، فينهبون ويسلبون ويعودون بغنائمهم إلى منازلهم الصحراوية . وكان المصريون كلما فرغوا من حروبهم في الشمال يبعثون السرايا إلى تلك الصحراء وغيرها ويبنون المراكب الكبيرة في القصير ويرتادون بها موانى البحر الأحمر فيعودون بالجزية وهي من محاصيل تلك البلاد حتى سواحل المحيط الهندي

وكان ملوك الفراعنة يضعون أيديهم على جميع المناجم كي ينفردوا باستخراج خيراتها . فآلاتهم لسحق أحجار الذهب والأنوار التي يدخلون بها إلى الكهوف متناثرة حول كل المناجم . وإني شاهدت أن التراب الذي كان الفراعنة يسحقونه أنعم من الذي تسحقه آلات العصر الحديث في كل المناجم، وتوجد مناجم مقفولة لم تلمسها الأيدي بعد الفراعنة(1) . وذكر أحد الإنكليز في مذكرة ما كان يلاقيه البجة من الفلوات والمرض في البحث عن المعادن على أيدي الفراعنة .

---

(1) طلعت مرة أحد الجبال فوجدت جميع أدوات استخراج الذهب المستعملة منذ قبل الإسلام باقية وعلى أبواب المنجم جنادل كبيرة حركها سدها لتتحقق مما خلفه فوجدت الباب الذي ندخل منه المفتوح . وتركت ذكر اسمه لأن صاحبه يرغب أن يصبح يده على امتياز أحد .

وأول ملك مصرى عرفه التاريخ كفاتح للبلاد السودانية هو سنفرو فى حوالى سنة ٢٧٢٠ ق . م . وقد هاجم هذا الملك القبائل السودانية المتحدة من بلاد النوبة وأرض البجة ، وأطلق على هذه القبائل ذات الأقواس وذلك لأن السودانيين كانوا يستعملون القوس فى حروبهم . واستطاع سنفرو أن يتغلب على خصومه بعد حروب دامية انتهت بأن أخذ كثيراً من الغنائم والأسلاب ، كما أجبر البجة وسكان النيل على دفع الجزية إلى بلاط فرعون . ويذكر سنفرو أنه عاد إلى مصر من غزواته بسبعة آلاف أسير من النساء والرجال و ٢٠٠,٠٠٠ رأس من الضأن والبقر .

ثم هدأت فترة الانتفاضات السودانية واستمر السودان تابعاً لمصر حتى عهد الأسرة السادسة (حوالى ٢٤٢٣ ق . م) إذ بدأت قبضة المصريين على وادى النيل والبحر الأحمر تقوى ، واستطاع يوما الحاكم المصرى على البحر الأحمر وشمال السودان أن يخضع كل السكان خضوعاً تاماً ، بل إنه استطاع أيضاً أن يجند كثيراً من سكان إقليم البجة وشمال السودان فى الجيش المصرى ، كما كون منهم فرقاً أرسلت لمحاربة القبائل البدوية التى كانت تهاجم مصر عبر جزيرة سيناء . وبفضل هذه الفرق البجاوية السودانية تمكن المصريون من تأمين حدودهم الشرقية الشمالية عبر شبه جزيرة سيناء .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العهد كان عهد استقرار راجت فيه التجارة بين السودان ومصر . وكان من أهم دعائم هذه التجارة القبائل البجاوية التى كانت تستعمل جمالها فى نقل البضائع من أجزاء إفريقيا الوسطى والشرقية إلى ربوع مصر . وكانت قوافل العاج وريش النعام والعطور والأبنوس وأخشاب السنط تسير على أوسع نطاق بين القطرين .

وعندما انتهت المملكة المصرية الوسطى (٢١٥٠ - ١٥٨٠ ق.م) العرش الفرعوني بدأت بنشاط جديد نحو الجنوب والجنوب الشرقي من الحدود المصرية وخاصة في عهد الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ١٩٧٠ ق.م) إذ ظهرت حاجة الحكام المصريين إلى مزيد من الذهب والرقيق لإقامة مشاريعهم البدنية، وكان المصدر الوحيد لهذين الصنفين هو السودان: الأوسط للرقيق والسودان الشرقية للذهب. وقام أمنمحات الأول بحملات ناجحة ضد البجة حتى تم له إخضاعهم، وأجبرهم على استغلال مناجم الذهب الواقعة في وادي العلاقي. وقد كتب أحد كبار الموظفين المصريين في السودان آنذاك واسمه ساهاتور في مسلة كيف أنه أجبر البجة على العمل في المناجم هناك فكان شبابهم يحفرون لاستخراج الخام من الذهب ويطحنونه، بينما يغربله المسنون، وكان هذا التسخير مما سبب عديداً من الثورات البجاوية على الحكم الفرعوني. ولكن لم تكن كلها ناجحة إلى الحد الذي استطاع فيه البجة أن يستقلوا بأوطانهم استقلالاً كاملاً.

واستمر النشاط المصري نحو استغلال الأراضي السودانية بشكل أوسع في عهد أمنحوتب الأول وتحتمس الأول (١٥٥٥ و١٥٤٠ ق.م) وأضعفا شوكة النوبة، وأجهزوا على قوة البلامس في الصحراء الشرقية حتى أن قواتهم لم تستطع أن تهدد طرق القوافل المصرية التي تحمل الذهب والأحجار وسائر المنتجات الأخرى. وكان لهذه السيطرة الأثر الكبير على الخزائن المصرية المملوءة ذهباً والتي اكتشفت في مقبرة توت عنخ آمون في القرن العشرين.

ولم تفتر همة المصريين عن زيادة إنتاج الذهب من مناجم البجة. فقد

عهد سيتى الأول (١٣١٣ ق.م) بدأت محاولات جديدة فى هذا الشأن لحفر كثيراً من الآبار تدر دراً متواصلا من الماء للقوافل والعمال المسخرين الذين كانوا يستخرجون الذهب . ولم يتوقف هذا العمل فى عهد رمسيس الثانى (١٢٩٢ ق.م) بل ازداد توسعاً وإنتاجاً . ولو لم يكن العمل يجرى على طريقة تسخير الرقيق لما استطاعت مصر أن تستفيد الفائدة القصوى من تلك المناجم . ولكن وجود الرقيق بأعداد كبيرة فى تلك العهود جعل من الممكن أن تستغل تلك المناجم إلى الحد الذى أظهر مبلغ غنى قدماء المصريين ومبلغ ثرواتهم الضخمة من الذهب المستجلب من جبال البجه .

وضعفت مصر بعد ذلك ، وضعفت قبضتها على القبائل البجاوية المحاربة فاستعادت قبائل البجة حريتها واستقلالها ثم مالبثت أن ناوشت كل الدول التى استعمرت مصر بعد ذلك بإغاراتها المتكررة على الحدود المصرية .

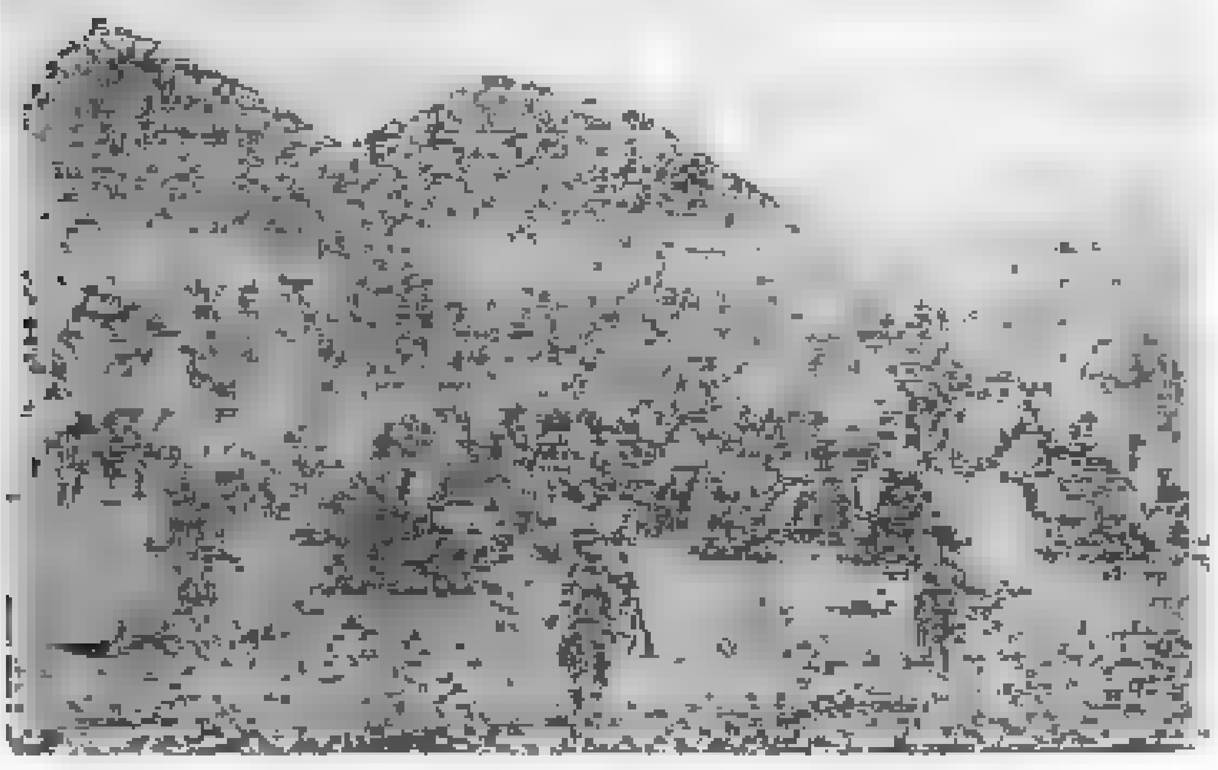

ساحة الصقر

العهد الروماني

لم يتصل الرومان بالبجة طوال القرن الميلادى الأول ، ولم يكن إحدى الأمتين يعرف شيئاً عن الأمة الأخرى . ويبدو أن البجة كانوا بمثابة الأمة الخرافية بالنسبة للرومان الذين قال أحد مؤرخيهم « إن البجة قوم تنمو رؤوسهم من تحت أكتافهم » ولعل هذا يدل على أن البجة حتى ذلك القرن لم يبتدئوا فى الهجوم على الرومان وعرقلة تقدمهم من الأراضى المصرية نحو بلاد النوبة والبجة .

غير أن فترة الهدوء التى كانت تسود الحدود الرومانية ما لبثت أن أعقبتها سلسلة من الغارات والاشتباكات بسبب محاولة الرومان بسط نفوذهم على الأراضى الواقعة جنوبى أسوان ورغبة البجة فى منع الرومان من التغلغل إلى تلك المناطق ، وكان الرومان كسابقيهم من ولاة مصر يريدون فتح التجارة مع السودان وعبور أراضى البجة ، واستغلال الذهب والأحجار الكريمة من جبالها وأراضيها .

ولعل أول هجوم بجاوى على الرومان كان فى سنة ٢٥٠م وذلك فى عهد الامبراطور ديسيانس . واستمرت المناوشات بين الجانبين حتى تم التوصل إلى هدنة والدخول فى مفاوضات بين الجانب الرومانى والبجاوى . فأوسل الملك (يودس) البجاوى بأزمون بن بيرى رئيساً لوفد المفاوضات وتباحث مع تريبونيوس البعى فى أمر الحدود الرومانية . ويبدو أن الجانبين توصلا إلى اتفاق مؤقت بحيث يمتنع البجة عن مهاجمة الإمبراطورية الرومانية المتاخمة لهم .

لكن سرعان ما رأى البجة أن الهدنة لم تعد فى مصلحتهم ولذلك فإنهم

تقضوا في عام ٢٦٦م ، وتغلغلوا في حدود مصر حتى صدهم دولبوس فيرمابانوس مما اضطر ملك البجة إلى الركون إلى الهدنة حتى تحين فرصة أخرى .

وفي عام ٢٧٢م زادت متاعب الرومان كثيراً في مصر لأن الملكة زنوبيا ملكة تدمر أبدت نشاطاً عظيماً في هجومها على الرومان في مصر واستطاعت أن تعقد تحالفاً مع كثير من الفئات المصرية المتذمرة من حكم الرومان لمصر واتفقت أيضاً مع البجة في جنوبي شرق مصر على فتح جبهة أخرى للرومان حتى يشتد الضغط الحربي عليهم . واستجابة للتحالف مع زنوبيا قام البجة بهجوم عنيف على الرومان واستطاعوا أن يتقدموا داخل الحدود المصرية إلا أن حلفاءهم من التدمريين أصيبوا بالهزيمة مما أدى إلى خروجهم من المعركة ، فاتجه الجيش الروماني لمساندة جيوشه بالحدود الجنوبية وتمكن من صد الهجوم البجاوي الذي وصل إلى مقربة من موقع سوهاج ، وأخذ القائد الروماني بروبس في تعقب البجة حتى تم طردهم من مصر في عام ٢٧٤م وقد وقع بعض البجة أسرى في أيدي الرومان ويضيف المؤرخ فوبسكوس أن بعض أولئك الأسرى كانوا من العرب الذين عبروا إلى إقليم البجة وأصبحوا من رعايا ملك البجة

لم تستسلم البجة لتلك الهزيمة واعتبروها هدنة يستجمعون فيها استعداداً لقتال شديد وفي عام ٢٧٦م ذكر فوبسكوس أن بروبس النائب الإمبراطور الروماني الذي تولى مصر من ٢٧٦م إلى ٢٨٤م غزا البجة وقهرهم وأرسل منهم أسرى إلى روما ، ولكن البجة جددوا الهجوم ، وعبروا الحدود بجيش قوي استطاع أن يكسب انتصارات ساحقة على الرومان ، واستولى بسرعة فائقة على مناطق كثيرة من مصر وتخطى موقع سوهاج الحالي وبات خطره عظيما

على الرومان . وذكر موبسكوس أن بروبس النائب للامبراطور الرومانى الذى تولى مصر من ٢٧٦م إلى ٢٨٤م أعد جيشا قويا لمحاربة النزو البجاوى والتحم معهم فى عدة مواقع غير فاصلة ، وأخذوا هم فى التقهقر إلى حدودهم حتى إذا وصلوها لم يستطع بروبس التوغل فى أراضيهم خوف عصاباتهم وصحرائهم ، ولكنه تمكن من القبض على عدد من الأسرى البجاويين فأرسلهم إلى روما ليظهروا فى استعراضاتها العسكرية المعتادة ، وقد أذهل شكلهم ومظهرهم الرومانيين .

ازداد ضغط البجة على الرومان سنة ٢٩٧ م وذلك فى عهد الامبراطور ديوكليشيان فاضطرت الامبراطورية الرومانية إلى الإنسحاب من كل الأراضى الواقعة جنوب الشلال الأول ، واتخذت منه نهاية لحدودها الجنوبية . ثم أن ديوكليتيان أمر باسكان أمة النوباتيين (وقد يكونون هم النوبة) ليسكنوا فى تلك المنطقة أملا منه فى أن يكونوا درعا حصينة ضد غارات البجة المتكررة . وبالرغم من هذا الإجراء فإنه كان مضطرا إلى مصانعة النوباتيين والبجة معا حتى لا يغيروا على مصر ، فاتفق معهم على أن يدفع جزية سنوية لكل من الامتين . وطالب البجة بأن يسمح لهم بالحج إلى معابدهم الوثنية فى جزيرة الفيل حيث كانوا يشتركون هم والنوباتيون والمصريون فى عبادة الإله ايزيس الذى كانوا يعتقدون أنه واهب الخطب لبلادهم . ورضى ديوكليشيان بهذا الشرط إذ لم تكن المسيحية بعد قد أصبحت الدين الرسمى للامبراطورية .

أما بعد عام ٣٢٣م وهو بعد اعتناق قسطنطين للدين المسيحى فقد بدأ البجة يشعرون بقوة الضغط المسيحى عليهم لا من الشمال فحسب ولكن من الجنوب الشرقى أيضا إذ أنه فى عام ٣٥٠م هجم الملك أزانا ملك اكسوم

المسيحى على قبائل مملكة البجة ، وتقدمت جيوشه من الجنوب فى محاولة ناجحة لتحطيهم مملكتى البجة والنوبة فى عاصمتها مروى القديمة التى كانت ما زالت تدين بالوثنية ، وتمكن الملك أزانا من الانتصار عليهم نصرا حاسما ، مكنه من تحطيم بلادهم ، وبهذا أزال إحدى الدولتين السودانيتين المكروتين ولم يبق غير البجة ليواجهوا خطر مواصلته للغزو من الجنوب وخطر الرومان من الشمال . واستمر هذا التهديد للبجة حتى بلغ أقصاه فى عام ٣٩٠ م حين قام تيودوسيوس الأول الرومانى بإغلاق المعابد الوثنية فى جزيرة الفيل ومنع كلا من النوبة والمصريين والبجة من عبادة الأوثان ، ثم أجبر المصريين على اعتناق المسيحية ، وتضايق النوباتيون من ذلك ، وتمسك البجة بصلابة بحقهم فى اعتناق الدين الذى يرون غير عابئين بالضغط الرومانى وما يمكن أن يتبعه من اضطهاد .

وبدلا من أن تنهار مملكة البجة بسبب ما عانته من أزمات حربية بسبب الحصار الرومانى من الشمال والأكسوم من الجنوب استطاعت أن تشد من قواها مرة أخرى ، وما وافت سنة ٤٠٧ إلا كانت مملكة البجة أقوى ما تكون عليه وجهزت كل إمكانياتها لحرب جديدة ، حتى إذا جاءت سنة ٤٣٩ م عبرت جيوشها الصحراء الشرقية متدفقة نحو أسوان حيث عبروا النيل ووصلوا إلى « واحة خارجة » التى كانت معقلا رومانيا مسيحيا ، فأبادوا الحامية وأسروا سكانها المسيحيين وعادوا أدراجهم إلى بلادهم .

ومنذ حلول القرن الخامس للميلاد أصبح البجة سادة الموقف حتى فى أراضى النوبة لا ينازعهم فى ذلك أحد ، وتقلص النفوذ الرومانى إلى درجة استطاع معها البجة تأسيس مملكة ثانية جنوبى أسوان . وترتب على تلك

سجلت عدة ملوك محليين وواجهم بعض الآثار التى تدت سطوتهم وعلاكتهم سكتهم لم يكتبوا انتصاراتهم أو يخلدوها بلغتهم البجاوية التى لم تكن تكتب ، ولما أراد مليكهم خاراشين أن يسجل مقدرته لجأ إلى أحد الكتاب المصريين الذين يعرفون اللغة اليونانية فكتب له الوثيقة التالية باليونانية[1].

« وأنا خاراشين — ملك البجة — أكتب إلى أبنـــاء خاراشين وشارابانكور وشارحيت أنني سمحت لك بإدارة جزيرة تمارى ، ولا أسمح لأحد غيرك بالتدخل فى ذلك . أما إذا حاول الرومان خلق الصعوبات والمتاعب وامتنعوا عن دفع الجزية المتفق عليها فاعلم بأنه ليس فى استطاعة فيلادج أو حابيوتراموس أن يمنعاك من إجبار الرومان على دفع الجزية المعتادة لهذه الجزيرة » .

شعر الرومان بأنهم أخطأوا بإحضار النوباتيين الوثنيين فى أرض النوبة ليكونوا دولة حاجزة بينهم وبين البجة لأن النوباتيين اتحدوا مع البجة فى التخلص من الخطر الرومانى ، ورأى الامبراطور ماشيانوس أنه لابد له من كسر شوكة البجة والحد من تمرد النوباتيين ولذلك فإنه أرسل قائده العظيم ماكسيميوس سنة ٤٥٢ م بجيوش عظيمة لضرب البجة الضربة القاضية . واستطاع القائد الرومانى كسب بعض المعارك المحلية ، لكن البجة كانوا قد عقدوا العزم على عدم الخوض فى معركة حاسمة مع جيش يفوقهم عدداً وسلاحاً ، واكتفوا بالمناوشات والهجوم الخاطف ثم التقهقر إلى الصحراء ولما لم يجد ماكسيميوس فرصة لمقاتلتهم ، لجأ إلى الدبلوماسية فدخل معهم فى مفاوضات انتهت بصلح وإقامة هدنة بين الجانبين ، فاحتفظ البجه لأنفسهم بالحق فى إقامة

---

(1) ماكمايكل . تاريخ العرب فى السودان .

تماثيلهم الدينية الوثنية فى معابد إيزيس بجزيرة الفيل سنوياً ، ومن هناك يحملون الإله إيزيس إلى أوطانهم كما جرت العادة بذلك على أن يتوقف غاراتهم الحربية على مصر لمدة مائة عام . ثم أطلقوا سراح أسرى الرومان كما قبلوا تسليم بعض من أبنائهم ليكونوا رهائن فى أيدى الرومان حتى لا ينقضوا اعتداءاتهم . ويبدو أن الرومان قد قبلوا استمرار دفع الجزية السنوية للبجة نظير محافظتهم على هذه المعاهدة .

غير أن البجة لم يكن من رأيهم إيقاف غزواتهم مدة قرن وكانوا فى مفاوضتهم مع ماكسيمنوس يقولون بأنهم سيتعهدون بذلك طيلة قيادة ماكسيمنوس بمصر أو طيلة حياته ، ولكن القائد الرومانى استعمل قوته وأجبرهم على التعهد لمدة قرن فرضوا بذلك وهم يضمرون شيئاً آخر .

لما مات ماكسيمنوس بعد ذلك بمدة أعوام زحف البجة نحو مصر وهاجموا القوات الرومانية وأجبروها على التقهقر أمامهم حتى خلصوا رهائنهم من أيدى الرومان ثم عادوا إلى ممتلكاتهم سالمين ولم يتمكن الرومان من ملاحقتهم .

كانت سنة ٥٤٣م(١) نقطة تحول فى تاريخ السودان عامة والبجة خاصة ، فى تلك السنة أرسلت الامبراطورة تيودورا بعثة دينية إلى السودان تدعو فيها ملك النوباتيين إلى اعتناق مذهبها المنوفيزى ، واستطاع القس جوليان الذى أرسلته من اكتساب قلب الملك إلى الدين المسيحى ، ولكن مالبث أن أرسل الامبراطور جستنيان بعثة تبشيرية مناوئة لبعثة زوجته واستطاعت

(١) السودان فى رسائل ومدونات .

أن تكسب الملك النوبي إلى العقيدة الأرثوذكسية ، وأصبحت أرض النوبة منذ ذلك التاريخ حليفا دينيا للرومان وانتهت عداوتها معهم ، وبقى البجة وحدهم منفردين ، وأصبحوا هم القادة من الوثنية والمناهضين للمسيحية ، وأصبحت مملكتهم محاصرة ، فإلى الشمال الرومان ، وإلى الغرب النوبة وفي الجنوب أكسوم ، وكلها دول معادية لها . ولما رأى الرومان المرلة السياسية التي صار عليها البجة أرادوا أن يضربوا ضربتهم القاضية ، فأغلقوا المعابد الوثنية بجزيرة الفيل، وحملوا آلهتها الوثنية إلى القسطنطينية غير عابئين بغارات البجه التي قد تهددهم في معسكرهم . واتحد الرومان والنوبة ضد البجة ، وربما بتشجيع وإعانات من الرومان نهض ملك النوبة المدعو سلكو في منتصف القرن السادس الميلادي وأعد جيشا عرمرما ، فهاجم مملكة البجة والتحموا في قتال عنيف انتهى بانتصار القوات المسيحية على القوات المجاورة ، وسجل الملك سلكو انتصاره ذلك على جدران معبد كلابشة قائلا[1] :

« أنا سلكو - ملك النوبة وكل الأثيوبيين - ذهبت إلى مدينتي تاليس وتافيس وهناك حاربت البجة مرتين حيث منحني الله النصر عليهم، ثم حاربتهم مرة ثالثة وانتصرت أيضاً، كما استوليت على مدنهم، وعسكرت بجيوشي هناك ثم عقدت صلحا معهم بعد أن أقسموا لي بأوثانهم ، فوثقت بهم وبقسمهم لأنني أعلم أنهم رجال صدق وأمانة » .

يبدو أن ذلك كان آخر عهد مملكة البجة بالضراوة والحروب ، ويعتقد بعض المؤرخين[2] أن الضربة كانت نهاية مملكتهم . لكن التاريخ نبأ بعد

---

(1) المقريزي : الكنز المدفون .
(2) نفس المصـــدر .

يثبت أن أمة البجة لم يحدث أن ضعفت حربياً لأنها استطاعت التربص بعد الرومان بنفس القوة الحربية التي ضعضعت سلطة الرومان في مصر، واحتفظوا بروحهم الحربي حتى الآن. لقد ألفوا الحرية والاستقلال فلم يكونوا يقبلون أي سلطان عليهم ولم تكن هزيمة النوبة لهم إلا هزيمة مؤقتة إذ أنهم عاشوا في ممالكهم قروناً عديدة بعد انهيار ممالك النوبة المسيحية.

كان أول لقاء حربي بين البجة والعرب في أيام الفتح العربي لمصر بقيادة عمرو بن العاص. وكانت العلاقات بين الرومان والبجة قد طرأ عليها كثير من التحسين والوفاق إلى الحد الذي طلب فيه القائد بطليموس الروماني النجدة من النوبة والبجة لمواجهة الغزو العربي. وخرج الملك البجاوي مسكسوح(١) لمساعدة مصر بخمسين ألف مقاتل من البجة معهم ألف وثلاثمائة فيل على كل فيل عشرة من الشجعان ويعززهم جنود ملك النوبة فالهق. وكانت بين هذه الجنود البجاوية جنود قبائل الأتاكة(٢)، وقد قدموا من وراء سواكن وجعلوا من جلود الفهود دروعاً لهم، ووضعوا على شفاههم العليا خواتم من النحاس. وهؤلاء الأتاكة هم الذين بنوا قبور عامان في جبال المدندوة وبق عامر. وكثر القول في أصل الأتاكة، وبعض المؤرخين يرى أنهم من بقايا قدماء المصريين الذين هربوا من وجه البطالسة أو الرومان واختلطوا بالبجة. وعلى كل حال فإن جنود البجة التي وقفت في وجه عمرو بن العاص استماتت في قتال المسلمين، وهاجمتهم هجوماً عنيفاً، أما النوبة فإنهم استخدموا سهامهم في ضرب المسلمين في أعينهم حتى أطلق عليهم العرب «رماة الحدق» ولكن

(١) المسيكدج.

(٢) يرد هذا الاسم في أكثر أحداث قبائل البجة خصوصاً المشاريين.

لم تكن هذه النجدة البجاوية النوبية ذات أثر فعال في تقرير مصير المعركة لأن عمرو بن العاص استطاع أن يتغلب على جيوش الحلفاء بسبب الإمدادات العسكرية التي كان يرسلها له عمر بن الخطاب وبذلك تم له الاستيلاء على مصر .

يقول بلج إنه كان هناك ملك اسمه (سفرو) كان قبل المسيح بثلاثة آلاف وسبعمائة سنة وأراد فتح السودان لنفس الأسباب التي اتخذها محمد علي باشا وهي تجنيد السودانيين السود وتسخيرهم[1] .

---

(1) أما العجم فكان الفرس استرقوهم عند التنقيب عن الذهب والزمرد وسائر الاحجار الكريمة [من بلادهم] .

الهجرة العربية قبل الاسلام

شهد السودان الشرقي عدة موجات سامية نزحت من جزيرة العرب إلى السواحل الغربية من البحر الأحمر . وكما رأينا من قبل فإن أكثر المؤرخين درجوا على القول بأن البجة من عنصر سامى نزح منذ قديم الزمان إلى ذلك الأقاليم، واستمرت بعض القبائل العربية في هجرتها إلى السودان قبل الإسلام، وكانت أشهر تلك القبائل التى نزحت قبيلة بَلِيّ وقد كتبها القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى بفتح الباء وكسر اللام وياء مشددة بالفتح . ويضيف القلقشندى بأن هذه القبيلة هم بنو بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن حمير ، وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر « وقبره بجبل الشحر » ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى منهم بنو قاب وغيرهم والنسبة اليوم بَلَوِيّ بزيادة واو مكسورة قبل ياء النسب[١] .

ويقول جرجى زيدان إن بلىّ وجهينة هما القسم الغربى من بطون قضاعة اجتازوا البحر الأحمر وسكنوا مابين صعيد مصر وبلاد الحبشة حيث كثروا هناك ، ولا زال ملكهم على يد قبائل البشاريين والأمارأر والهدندوة وبنى عامر أنشأوا مملكة فى مصوع سنة ٩٦٥ هـ ١٥٥٧ م » ولازال سلطة قبائلهم بأيديهم[٢] .

ونجد قبيلة بَلِيّ من أقدم القبائل العربية التى هاجرت إلى هذه الديار

---

(١) وفى الانساب رحلة الى مصر من نشتم ثلثه قضاعة (بلى) .

(٢) يقول شكيب ارسلان : ولا تزال بعليا هذا العنصر (بلى اوجد ارب) المنار محتفظ بمضرته وتقاليده وملاماته المتبدة محل احترام كل القبائل المجاورة ولكنهم غضوا إلى كل شىء عربى ينتسب اليوم ...

[illegible] بعد النامس وثمود وغيرها ، وكانت هجرتها قبل ظهور الإسلام [illegible] وهي بطن من بطون قضاعة التي يقال عنها في كتب المؤرخين بأنها [illegible] من نزح من قبائل معد . وكان السبب في نزوحها حرب وقعت بينها وبين [illegible] بسبب فتاة ربيعية يمتلها رجل قضاعي من بني نهد ، فانتصرت مضر [illegible] وإياد لربيعة . وانتصرت عكّ لقضاعة — فأجلوا من أماكنهم [illegible] نجد ما عدا قبيلة بلي فإنها يممت اليمن ونزلت مأرب ثم ارتحلت منها إلى ما بين تيماء والمدينة .

وقال ابن خلدون : « إنهم اجتازوا إلى العدوة الغربية من البحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم وصاهروا المصريين » .

وقبائل بلي هي أول من نقل اللغة العربية إلى إفريقيا . فجاوروا قبائل البجة ، ولكنهم لم يختلطوا بها . فأطلقت البجة كلمة « بَلَوِيتْ » على اللسان الذي تتكلمه « بلي » أي اللغة العربية ، وهي ما لم تكن مفهومة عندهم ، ولذلك نسبوها لأول من تكلمها في ديارهم . كما أن « البلي » كانوا عنصراً عربياً يترفع عن سواه من أمم افريقيا ، واعتبروه سيداً عليهم ، إذ وفد ومعه أخلاق عالية ، وادعى السيادة على أمة البجة بما جلبه معه من الفضائل . كما أطلق على كل سيد من « بلي » « بَلَوِيُونْ » وتعريبها رئيسنا أو سيدنا أو بَلَوِيبْ ، وبالبني عامرية « بَلَوَّايّ » أو « بَلَوَّاى » وكلها تؤدي معنى السيادة والزعامة . كما أن البجة والبجاوية تؤدي لمعنى عكس ذلك . وكان البلويون يأنفون من مصاهرتهم أو مخالطتهم حتى ضاعت عروبتهم اللغوية

واتخذوا البجاوية لساناً إذ اضطرتهم سنة الحياة الاجتماعية كى يتزوجوا بنات رؤساء البجة ، ونشأ أبناؤهم وهم يتكلمون لغة أمهاتهم . وكما يقول الانجليز : إن أول ما يتعلمه الطفل من الألفاظ هو ما تنطقه أمه بلسانها . Mother's tongue ولا يزال هــذا القياس سارياً إلى اليوم . والأم التى تجيد العربية والبنى عامرية والبجاوية يتكلم بنوها هذه اللغات الثلاثة بطلاقة وسهولة . وأنا أقول لكم هذا عن علم مقرون بتجربة وخبرة ، ولا يمكن لأى باحث عن أصول البجة وتاريخهم أن ينجح ما لم يحسن الكلام بلغاتها ويحفظ أمثالها وأشعارها وهو لا يحتاج إلا إلى صبر وقوة وعزم وتضحية وقت الفراغ فى تدوين كل صغرى وكبرى من الحوادث والأشعار وما كان منها بين شاعرين .

يقول شقير بك فى تاريخه : إذا أردت أن تسأل البجاوى عن معرفته بالعربية فيجب أن تنسبها إلى « بَلِي » فتقول له تَلَوْيِتْ تِكَيْتِيتاً (هل تعرف لغة بلى أى العربية) فإما أن يرد عليك بإحدى الكلمتين (كَا كَنْ) أى لا أعرف ، أو (أَكَنِينْ) أى أعرف وكذلك فى البجاوية (تِدَاوِيتْ) والبنى عامرية التى يقال إن أول من تكلمها أهل البحر وساحل أدوليا وقبيلة ثمود ويهود اليمن ، وهذا موضوع يحتاج لبحث كثير فى المستقبل . وقد وقفت قبائل بلى حائلا دون انتشار المسيحية فى شرق السودان حتى جاء الاسلام مع العرب فاعتنقوه (١) . واشتهر البليون بالشجاعة والعزم

---

(١) بعض مؤرخى الغرب يدعى أنهم اعتنقوا المسيحية وهذا خطأ واضح إذ لو كان ذلك حقاً لما تنازلوا عنه بسهولة ولا عتبرهم أمراء العرب ثميين فى مصاهرتهم وهذا ما لم يكن .

حتى هاجم كل من حولهم من الأمم وخصوصاً الحدارب فهم شوكة القوم وحجرهم .

العرب والبجة والنوبة

كانت هناك قبل الإسلام وقائع حربية متعددة بين البجه والنوبة خاصة منذ أن اعتنق النوبيون الدين المسيحي وبقى البجة على وثنيتهم . وكانت البجة أقل قوة ونظاماً من النوبة حتى أنها قبلت سيادة النوبة الاسمية عليها . وفي هذا العهد الذي ضعفت فيه البجة قبيل الإسلام انصهرت فيه عدة قبائل من البجة في النوبة ومنها الزنافج أو زنافج كما كتبها الرحالة اللوزانى بوركهارت. وهذه إحدى قبائل البجة التي انتقلت إلى النوبة قديماً ، وقطنت في ضواحي شنقير (بين أبو حمد وبربر) وهم على حدة في الرعى والكلأ والآلة (الجاوية) ، لا يخالطون النوبة ولا يسكنون قراهم ، وعليهم وال من النوبة . وهم قوم لا يعرف لهم مقر إذ اندمجوا نهائياً في النوبة والعرب . وقبيل هجرة (الحدارب) من الجزيرة العربية كان الزنافج أكثر عدداً منهم غير أنهم أصبحوا تبعاً لهم وصاروا خفراء لهم يحرسونهم ويعدونهم للمواشى . ولكل رئيس من الحلويت (الحدارب) قوم من الزنافج في جماعته ، وهم كالعبيد يتوارثونهم[1] بعد أن كانت الزنافج أظهر عليهم . وأسلموا في إمارة عبد الله

---

(1) كانت هذه العادة متأصلة في بني عامر والعميلاب والحبب فانهم كانوا يعاملون البجة الذين تحت سلطانهم هكذا طيلة تلك العصور التي ورثوا فيها ملك البلويين وأزالوه . فلما كانت سنة ١٩٤٧ م في يوم ٣ مارس أعلن مدير كسلا المستر هانكوك بحضور المستر اندرويول مفتش طوكر بأن القبائل المستعبدة قد تحررت . وكان أول عمدة قبيله وافق على ذلك هو الشيخ محمد ضرار على .

ابن سعد بن أبي سرح سنة ٣٠ هـ . ولم أستطع العثور على بقايام الآن بين البجة ، ولكن هذا لا يمنع أنهم موجودون في منطقة أخرى لأن كثيرا من القبائل السودانية كانت تنتقل إلى أماكن بعيدة ، ومثال ذلك فقد وجدت بين قبائل الحباب في إرتريا بقايا من قبيلة بني حلبة التي تسكن أساسا في دارفور بغرب السودان .

لما ظهر الإسلام في السودان سكن جماعة من المسلمين [1] أماكن معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب ، ونزح إلى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا من البجة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر ابن نزار ممن سكن في تلك المنطقة . ويضيف المسعودي بأن صاحب المعدن آنذاك (سنة ٣٣٣ هـ - ٩٤٤ م) هو بشر بن مروان بن إسحق ، وهو من من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن ، وثلاثين ألف محارب على النجب من البجة والحداوب (البلويب) وهم مسلمون من بين سائر البجة . وكان بشر أصوان بنو كنز الدولة ، وهم خليط من الحداوب وربيعة ، كما أنهم أمراء ممدوحون مقصودون ، صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن مزام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم ولما أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي جيشا إلى كنز الدولة وأصحابه ترحلوا من البلاد ، فدخلوا بيوتهم فوجدوا فيها قصائد في مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن ابن الزبير قال فيها :

---

[1] المســعودي .

ويَتْحِدُهُ إن خانه الدهر أوْسطاً   أناسٌ إذا ما أُنجدوا أو أُتْهِمُوا
تحروا فما تحت الكواكب خائف   وجادوا فما فوق البسيطة مُعْدِمُ

وأنه أجازه عليها ألف دينار، ووهب ساقية تساوى ألف دينار.

وأبناء كنز الدولة قاتلوا النوبة وملكوها ثم اندمجوا فيها وهم الذين بنوا جامعاً بدنقلة يأوى إليه الغرباء.

تركت الإسهاب فى حوادث النوبة لعلمى بأن فى بنيها من يقوم بكتابة تاريخها مطولا، ولا بأس أن آتى بما قاله المقريزى عن بنى كنز الدولة:

«وأصلهم[1] من ربيعة بن نزار، وكانوا ينزلون اليمامة، وقدموا أرض مصر فى خلافة المتوكل على الله حوالى سنة ٢٤٠ﻫ فى عدد كثير. وانتشروا فى النواحى، ونزلت طائفة منهم بأعالى الصعيد، وسكنوا بيوت الشعر فى براريها الجنوبية وأوديتها. وكانت البجة تشن الغارات على القرى الشرقية فى كل وقت حتى أخربوها. فقامت ربيعة فى منعهم عن ذلك حتى كفوهم. ثم تزوجوا منهم، واستولوا على معدن الذهب بوادى العلاقى، فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة، واختطوا قرية تعرف بـ «الشناس» وحفروا بها آبارا. وكانت عيذاب التى يونس من ربيعة ملكوها عند قدومهم من اليمامة. ولما قتل إسحق بن بشر خلفه أحد بنى عمه (من بلبيس) وهو أبو عبد الله محمد بن على. وأشهر رجال ربيعة هم بنو مسروق، وإليه ينسب كنز الدولة حاكم أسوان. فنزل إلى أسوان، وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان. ولم يزل رئيساً على ربيعة حتى مات. فقام برئاستهم

---

[1] البيان والإعراب.

بعده ابنه أبو المكارم هبة الله ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي ، وهو وهو الذي ظفر بأبي ركوة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه . فأكرمه الحاكم إكراما عظيما ولقبه « كنز الدولة » ، وهو أول من لقب بذلك منهم ولم تزل الإمارة فيهم وكانوا يعرفون بكنز الدولة حتى قتل آخرهم في ٧ صفر سنة ٥٧٠ .

وبنو كنز الدولة هم الذين خضدوا شوكة البجة ومنعوهم من غزو صعيد مصر ، كما أباحوا القبائل العرب استثمار المعدن تحت حمايتهم ، ونشروا بينهم تعاليم الدين الإسلامي حتى انتشر في جميع مناطقهم . واختصوا برعايتهم العداريب[1] وجعلوهم في أيديهم قوة يعتد بها في توطيد الأمن وبث الطمأنينة في دائرة نفوذهم في الصعيد والأماكن النائية من مملكة البجة .

ومن قبائل البجة الكبيرة في التاريخ « دهيون » ، قال عنهم ابن سليم الأسواني إنهم جنس مولد بين علوة والبجة ، وقد بحثت عنهم أو من يعرف من أسمهم شيئا فلم أعثر على أخبارهم ؛ ولعل ممن يأتون بعدي من يوفق إلى على وجودهم .

وللمسافة بين وادى العلاقي وأول قبيلة بجاوية مثل الزنافج تبلغ خمسة وعشرين مرحلة في بادية يقل فيها الماء ويكثر النير . وهي المملكة الخامسة التي اتخذ ملكها « بقلين » عاصمة لإقامته . ويقول ابن سليم إن حدود الزنافج ربما امتدت إلى « شنقير » قرب بربر ، ومن شنقير طرق إلى سواكن وباضع (مصوع) وجزائر دهلك الواقعة شمال مصوع على بعد ثلاثين ميلا ، وجزائر

---

[1] البلاغ لسليمان عبد الرحمن .

بحر (عيذى وكَلْبِيّ وأخواتهما) التي لجأ إليها من نجا من الأمويين[1] بعد إخراجهم من أرض النوبة وذاقوا الأمرين في حربهم هذا إذ فقدوا كثيرا منهم . وفي تلك الجزائر الواقعة شرق قرى عقيقان انشأوا عمارات وحضارة عربية نجد آثارها هناك[2] كتب بعضها المهندس المعمارى الليجر هبرت في رسائل ومدونات السودان .

وكانت مملكة البجة والنوبة تابعتين لمصر منذ الإسلام حتى استولى السلطان سليم التركى سنة ٩٢٤هـ على مصر فسلخ مملكة البجة عن القطر المصرى وألحقها بإمارة الحجاز ، وبقيت مملكة النوبة تابعة لمصر . وانضم إقليم البجة كله إلى السودان سنة ١٨٦٥م بما في ذلك إرتريا والصومال الإنجليزى ، ولولا أن الخديوى محمد على باشا استولى على السودان سنة ١٨٢٠م وقضى على إمبراطورية الفونج لبقيت ممالك البجة الخمس إلى اليوم (في السودان بكامل حدودها) .

كان ملوك هاتين الأمتين يتبادرون في غزو ريف صعيد مصر ، كما كانت الإحتكاكات من كلا الأمتين باهظة جدا . ولم تكن بينهم هدنة عارضة ، أو معاهدة نافذة المفعول ، إذ تنتقض قبل أن يجف مدادها ، حتى في عصر الإسلام ، فهم في قتال مع كل مستعمر يملك القطر المصرى منذ أيام الفراعنة الشداد ، ثم البطالسة والرومان والعرب والأتراك . فكان خراب البلدين سهلا جدا عند

---

(1) لما رأى بنو أمية أن القتل بالجملة سيكون نهايتهم تشتتوا واختفوا في البلاد (اليعقوبى) .

(2) زارها قبلنا كثيرون من علماء الآثار ووجدوا أن تاريخ وفيات سكانها يبدأ سنة ١٣٢ هـ (٧٥٥ م) وكان خرابها سنة (١١٧٠ م) وكلف ... مشاهداتنا خصوصا السقر كرومونته .

القرات ، وهذا داود ملك النوبة يحدثنا التاريخ أنه غزا مدينة عيذاب (الميناء الرئيسي لحجاج بيت الله الحرام من المصريين والسودانيين) سنة ٦٧٤هـ وسلب منها وأحرق ديارها وقتل الرجال ، وسبى النساء ، واسترق الأطفال ، وتوجه إلى أسوان وأحرق السواقي التي حولها ، وعاث فيها فساداً . فلما سمع والى قوص بذلك توجه إليه بجيش كثيف ، ولكن داود هرب وتمكن الوالى من القبض على قائد خيله وأمره ورجاله ، وبعث به إلى الملك القاهر بيبرس الذى أرسل جيشاً عظيماً فتح دنقلة ، فتم فتحها ، وهرب داود وتعين مكانه ابن أخته المدعو «سكندة» ووالده من جهة عيذاب . فعال تولية السلطة أفرج عمن كان بأيدى النوبة من أهل عيذاب وأسوان من المسلمين . ولم تقم بعد ذلك لعيذاب أى مدنية (مثل سواكن اليوم) بعد أن كانت مدينة زاهرة بالعمران والتجارة . فتجار الهند واليمن والحبشة يقصدون الديار المصرية من هذا الطريق المشهور باستتباب الأمن فيه ، فتقهقرت كثيراً بعد أن كانت من أعظم مراسى الدنيا ، ولقد أطلنا في تاريخها عند ذكرها(١) .

وكانت عيذاب مقر ملك البجة الحدارب في الإقليم الشمالى وفيها جامع ينسب إلى القسطلانى شهير البركة ، وفيها قاض قد درس فى الأزهر الشريف .

---

(١) تاريخ سواكن والبحر الأحمر للمؤلف : الدار السودانية للنشر سنة ١٤٠١ (١٩٨١) .

منظر لأحد قصور مدينة سواكن فى القرن التاسع عشر
وأوائل القرن العشرين : منزل على جاويش .

هجرة العرب الى السودان بعد الاسلام

عندما فتح العرب مصر في أيام عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » تدفقت أمواج من القبائل العربية نحو مصر طلباً للرزق والجهاد . ولم يكن كل الراحلين من المجاهدين ، بل كانت هناك القبائل العربية التي ذهبت لتجد لنفسها حياة أفضل من تلك التي كانوا يجدونها في جزيرتهم ، ولما وصلوا إلى مصر وجدوا أنها لاتناسبهم ، وأخذوا يزحفون جنوبا وراء المراعي وتجنبا للزحام لأن مصر القليلة الأمطار لاتصلح لقوم رحل ، ماشيتهم الجمال ، فدخلوا دنقلة واندمجوا في مملكة النوبة وقبائل البجة[1] .

وفي أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نادى رجل من قبيلة بلي في الشام « بالقضاعة » ، فبلغ ذلك الخليفة ، فكتب إلى عامله في الشام كي يرحل ثلث قضاعة[2] ، فسيّروا إلى مصر . وكانت بلي متفرقة بأرض مصر أول أمرها في الإسلام ، ثم انتقلت هي وجهينة واستوطنوا الأراضي التي حول ميناء عيذاب .

ولم تتوقف هذه الموجات العربية المهاجرة إلى السودان عن طريق مصر أو البحر الأحمر مطلقاً ، فقد استمرت طيلة العهود ، ودونها عدد من مؤرخي العرب في كتبهم فقد ذكر المسعودي أن النوبة كانت (قبل ظهور المسلمين) أشد من البجة إلى أن قوي الإسلام وظهر ، وسكن جماعة من المسلمين بلاد معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب ، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار .

---

(١) حضارة السودان لأحمد عثمان الفاسي .

(٢) لكان بعضها قد رحل الى السودان قبل الاسلام كما رأينا .

..ت أسوان أهم نقطة التقاء العرب فى مصر ، وقد سكنها خلق كثير
..ب من قحطان ونزار وربيعة ، وخلق من قريش (١) ، وأكثرهم منتقل
مصر . ولهم نخل كثير هناك ، وقد أبقيمت من النوبة فى دولة الأمويين
..سهيد . ومن أسوان كان العرب ينزحون جنوبا إلى السودان فى أوسطه
..يث حيث كانت تطيب لهم الإقامة . وكانت أسباب تلك الهجرات كما
..ال سليم الأسوانى فى تاريخه (المفقود) هى أن العرب المسلمين بعد
.. مصر هاجروا إلى السودان من مصر وبلاد العرب إما فرارا من الحكام
..ة الرزق حتى ملأوا بلاد النوبة العليا .

ومن هذه أسباب فرار العرب من الحكام ما كان فى مصر أيام حكم
..ين حين ضيقوا الخناق على العرب بشتى الطرق مما اضطرهم إلى التوغل
..ا نحو السودان . وفى عهد (٢) المماليك كان العربان فى الوجه القبلى يعدون
.. مخربين ويقلقون راحة البلاد ، وينهبون كل مايقع تحت يدهم ،
..ستعملون القوة فى النهب والسلب . وضج منهم أهل المناطق المتاخمة للسودان
..صر السلطان أمره إلى الجنود بقتل العرب وحرق ديارهم . فاستنبطوا
..رقة لا يمكن للعربى أن يفلت منها أو يتخلص (٣) ، وهى أنهم كانوا يقولون
..بى قل « دقيق » فإن نطقها صحيحة بالقاف قتلوه ، وإن نطقها خطأ بأن
..ل « دئيق » كما هو النطق المصرى تركوه لأنه غير عربى ، وكانت هذه
..نة والاضطهاد من أهم أسباب هجرة العرب إلى القطر السودانى فرارا
.. مصر .

---

(١) مواسم الأدب .
(٢) المقريزى .
(٣) نفس المصدر .

كذلك كانت الهجرات عندما انتقل الملك من ذرية الظاهر بيبرس إلى المنصور قلاوون ، فقد بعث سنة ٦٨٦ هـ العساكر إلى النوبة بعد أن استنفر العربان من أولاد أبي بكر الصديق وأولاد عمر بن الخطاب وأبناء شريف وشيبان وأبناء كنز الدولة وعيرهم من العرب وبنى هلال ، وساروا جميعهم[1] مع الجيش متجهين إلى السودان حتى بلغوا دنقلة ، واقتتلوا مع النوبة وهزموها وتوغلوا خلفها مسيرة خمسة عشر يوما .

ولما أسلمت النوبة في سنة ٧١٩ هـ وذلك أيام السلطان الناصر بن قلاوون انقطعت عنهم الجزية ، وانتشرت العرب وزاد عدد السكان ، وأسلم سلطان دنقلة وتسمى بمحمد بن كنز الدين . وكانت تلك الحادثة من أهم الحوادث التاريخية في بلاد السودان عامة إذ أصبحت الحال للسيطرة العربية الإسلامية على كل من الدين المسيحى الذى كان منتشراً في البلاد الواقعة في ضفاف النيل ، وعلى الدين الوثنى الذى كانت تدين به البجة قاطبة في السودان الشرقى .
وكانت أهم تلك القبائل والبطون العربية التي نزحت إلى السودان من جزيرة العرب سواء عن طريق البحر الأحمر بالسفن أو عن طريق طور سينا والقطر المصرى حسبما ورد في كتب المؤرخين هي :

١ — أبناء أبي بكر الصديق وهم بنو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق ، ومنازلهم بالبرجين وصنبط وسكرة وطحا المدينة من بلاد الأشمونين كما ذكر الحمدانى . وقد اختلط كثير منهم بقبائل البجة .

---

(1) المقريزى .

٢ — وأبناء الزبير بن العوام من بنى مصعب بن الزبير ، وهم جماعة يعرفون بجماعة محمد بن ورات استوطنوا الوجه القبلى أول أمرهم

٣ — بنو هلال وهم فرع من بنى عامر بن صعصعة من هوازن .

٤ — بنو العباس وقال عنهم ابن سليم إنهم أكثر القبائل التى هاجرت إلى السودان وتليهم فى الكثرة جهينة .

ويضيف المقريزى (١) أنه قد أخذ كثير من القبائل العربية الرحلة فى الهجرة إلى السودان فى أوائل القرن الرابع عشر الميلاد فانطلقت جهينة (٢) وحلفاؤها من فزارة نحو الجنوب والمغرب تاركين بنى كنز الدولة ومكرمة فى شمال النوبة ومصر العليا .

وبسبب نزوح هذه القبائل العربية إلى السودان أصبح الكثير من السودانيين يرجعون نسبهم وأصلهم إلى العرب حتى قال أحد الكتاب الانجليز « يزعم كل الكبابيش والحسانية بأنهم من نسل الزبير بن العوام ، وكذلك تزعم قبائل البجة الذين يقطنون شرق السودان أنهم من أولاد كاهل » . ولكن تشكك ربد (٣) ليس فى موضعه وذلك لأنه يجهل طبيعة علم الأنساب عند القبائل العربية واهتمامهم وحرصهم على ذلك . ولعل من أصح الأقوال فى مثل هذا الشك ماقاله جرجى زيدان من أن « أشعار العرب وأقوالهم وأمثالهم واخبارهم شاهدة بمحافظتهم على النسب وعنايتهم بالرجوع

---

(١) البيان والاعراب .

(٢) عرب السودان : ماكمايكل .

(٣) المستر ريد أحد الاداريين البريطانيين بالسودان سابقا ، وكان مدير مديرية النيل الابيض .

إلى أجدادهم من قحطان أو عدنان » . وكان الخلفاء يحضون المسلمين على حفظ أنسابهم والتدقيق بها . ولا يطلب من المهاجر أو الجاهد ممن لا يعرف القراءة والكتابة إلا أن يغزو وفى يده سلسلة نسبه ، وقد كانوا يرحلون وبيد الواحد منهم المصحف الشريف والقروة وسلسلة النسب بين صفحات المصحف ، وفى الثانية يحمل السيف للجهاد . وقد كان عمر بن الخطاب يحرص على المحافظة على الأنساب ، وهو الذى يقول « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا »[1] ، وكان عمر يقسم العطاء على حسب الأنساب القبلية وما زال العرب فى السودان حتى الآن لا ينتسبون إلى قراهم ومدنهم ولكن إلى قبائلهم وبطونهم .

ومن ثم نرى أن عرب السودان الذين احتفظوا بأنسابهم العربية لم يبعدوا عن الحقيقة قيد أنملة . كما أن كل الشواهد التاريخية تثبت تلك الحقائق . وأما قبائل البجة التى شك ريد فى عروبتها فهى قبائل الأمارأر والبشاريين والحلنقة والرغوياب والأمارأب التى اندمجت فى بنى عامر والحباب . وكلها تحتفظ بسلاسل أنسابها منذ أن وطئت أقدام أجدادها البلاد واختلطوا بالبجة سكان البلاد الأصليين .

أما هجرة العرب إلى السودان الشرقى واختلاطهم بالبجة فقد كان أساسه الرغبة الملحة فى تعدين الذهب من جبالهم كما كانت تفعل الأمم السابقة التى جاورت البجة . ولم يكن التعدين من السهولة بمكان لأنه تسبب عن حروب كثيرة بين العرب والبجة كما سنبين فى ما يلى من صفحات .

---

(1) ابن خلدون .

غزو البجة لمصر في العهد الإسلامي

... على ريف صعيد مصر في أوائل القرن الثالث للهجرة ... الأمر إلى أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد ، فأمر ... الجم سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) ، فكانت له معهم الحروب ... وكتبت المعاهدة الثانية مع العرب[1] ، وكل المعاهدات ... بعد إنشائهم لمملكة البجه في شرق السودان ، ... مصر العداوة والخصومة ، وانتهكوا حرمة حدودها ، وتوغلوا في بلاد ... فكانت الأموال تسلب ، والمواشي تنهب ، والأرواح تزهق لأوهى ... فلا حرمة الجوار تمنعهم ، ولا دين يقلعون عن الشر والأذى ، ... أو من خلق تعيدهم عن إتيان هذه المصائب مع جيرانهم[2] ، وكانت ... زهده أو رياضة يتمرنون على إتيانها ، حتى جاء الإسلام ورفرفت ... على أرض الكنانة في سنة ١٨هـ (٦٤٠م)[3] ، وبهذا اصطدم ... بالبجه في المملكة التي كانت قائمة في شمال إقليم البجة ... الشرقيه ، حتى كانت أيام خلافة سيدنا عثمان بن عفان فعزل عنها ... العاص وولى عليها أخاه من الرضاعة عبد الله ابن أبي سرح الذي غزا ... سنة ٣١هـ فتجمع إليه بعد عودته من النوبة على شاطئ النيل لتوقف

---

(١) كانت بين البجة والرومان معاهدة سنة ٢٢٣ ... بأمر الامبراطور ... وحفظت هذه الوثيقة في هيكل ايزيس .

(٢) هكذا كان حال البجة مع الحبشة فقد كان شجيجا شديد جدة ... لا يوجد نصوص يوضح لنا ما لا تقوم على أذى ممالك البجه العربية والكوشية .

(٣) وقيل سنة ٢٠ هـ .

من البجه ، فسأل عن شأنهم فأخبر أنه ليس لهم ملك يرجعون إليه ، فهان عليه أمرهم وتركهم ، فلم يكن لهم عقد أو صلح . وهذا التساهل هو الذى حدا بهم كى يستخدموا بما يصدر منهم ، فطالما غزوا شرق مصر وجنوبها فى الجاهلية والإسلام وخربوا قرى عديدة مما يليهم من الصعيد .

وكان أول من عقد معهم المعاهدة فى أواخر القرن الأول الهجرى هو عبدالله ابن الحبحاب السلولى، فقد عقد معهم معاهدة أمان وحسن جوار على أن يعطوه ثلثمائة من الإبل فى كل عام حين ينزلون ريف مصر مجتازين بتجارتهم غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا ، فإن قتلوه فلا عهد لهم ، وألا يؤووا عبيد المسلمين ، وأن يردوا أبقيهم إذا وقعوا إليهم . وكان نائب ملك البجة مقيما بالريف المصرى رهينة . وهذا النائب هو من الحداربة (بيت المملكة) وهم شوكة القوم ووجوههم المشهورون بالشهامة والشجاعة ويخضع لسلطانهم أشد بطون البجه فى ذلك العصر وهم الزنافج (زنافج)[1] .

وكثرت أذية البجه للمسلمين الذين يريدون استثمار المناجم والاستيلاء عليها شيئا فشيئا حتى تذوب وتنصهر القومية البجاوية فى العنصر القادم حديثا من الشمال أو من جزيرة العرب حاملا مشعل النور والهداية إلى طريق الحق والصواب . وقد تم كل ذلك ولكن بعد قتال عنيف ودماء زكية طاهرة أريقت فى الدفاع عن الأوطان وكنوزها العامرة بالتبر والجوهر والفضة .

---

(1) كانوا يأخذون من البجاوى فى كل شاة يأخذها أربعة دراهم وفى البقرة عشرة .

هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير أبي إسحق ابن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين لكنون ابن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان: إنك سألتني وطلبت إليّ أن أؤمنك وأهل بلدك من البجة، وأعقد لك ولهم أماناً عليّ وعلى جميع المسلمين، فأجبتك إلى أن عقدت لك عليّ وعلى جميع المسلمين أماناً ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا، وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وباضع (مصوع) ملكاً للمأمون عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى، وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين، إلا أنك تكون في بلدك ملكاً على ما أنت عليه في البجة وعلى أن تؤدي إليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة، وذلك مائة من الإبل، أو ثلاثمائة دينار وازنة داخلة في بيت المال، والخيار في ذلك لأمير المؤمنين وولاته. وليس لك أن تحرم شيئاً عليك من الخراج. وعلى أن كل أحد منكم إن ذكر محمداً ﷺ أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به أو قتل أحداً من المسلمين حراً أو عبداً، فقد برئت منه الذمة — ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين، وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذراريهم. وعلى أن أحداً منكم إن أعان المحاربين على أهل الإسلام بمال أو دله على عورة من عورات المسلمين أو أثر لعورتهم، فقد نقض ذمه عهده، وحل دمه. وعلى أن أحداً منكم إن قتل أحداً من المسلمين عمداً أو سهواً أو خطأ، حراً أو عبداً أو أحداً من أهل ذمة

للمسلمين، أو أصاب لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالا ببلد البجة، أو ببلاد الإسلام، أو بلاد النوبة، أو في شيء من البلدان براً أو بحراً، فعليه في قتل المسلم عشر ديات، وفي قتل العبد للمسلم عشر قيم، وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم، وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه. وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجراً أو مقيماً أو مجتازاً أو حاجاً، فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم. ولا تؤوا أحداً من آبق المسلمين. فإن أتاكم آبق فعليكم أن تردوه إلى المسلمين. وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت في بلادكم بلا مؤونة تلزم في ذلك. وعلى أنكم إن نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهروا سلاحاً ولا تدخلوا المدائن والقرى بحال، ولا تمنعوا أحداً من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها براً أو بحراً. ولا تخيفوا السبيل، ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين، ولا أهل الذمة. ولا تسرقوا المسلم ولا الذمي مالا، وعليكم أن لا تهدموا شيئاً من المساجد التي ابتناها المسلمون «بصيحة» و«هجر» وسائر بلادكم طولا وعرضاً، فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة. وعلى أن كنون بن عبد العزيز يقيم بريف مصر وكيلا يفي للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج، ورد ما أصابهُ البجة للمسلمين من دم ومال، وعلى أن أحداً من البجة لا يعترض حد القصر إلى قرية يقال لها «قبان» من بلد النوبة حداً لأحد.

عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لكنون بن عبد العزيز كبير البجة الأمان على ما عينا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فإن زاغ كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة. وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم من البجة. وعلى كنون

... بما شرط لعبد الله ابن الجهم - وأخذ بذلك عبد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلقه من الوفاء والميثاق ، والكنون بن عبد العزيز وجميع البجه عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين ، وذمة الأمير أبي إسحق ابن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم ، وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم فإن كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فإن غير كنون ، أو بدل أحد من البجة فذمة الله جل اسمه، وذمة أمير المؤمنين، وذمة الأمير ابن إسحق بن أمير المؤمنين الرشيد ، وذمة عبد الله بن الجهم ، وذمة المسلمين بريئة منهم . وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح المخزومى من سكان جده وعبد الله بن اسماعيل القرشى . ثم نسقة جماعة من شهود أسوان .

ظل البجة بموجب هذه المعاهدة نحو خمسة عشر عاما ثم تغلبت عليهم عوامل أهمها حب السلب والنهب ، فبدأوا غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله ، فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمى وهو من الأمراء الحازمين وسنأتى على قتاله للبجة فيما بعد .

لما أراد ملك البجة إلغاء المعاهدة بدأ بطرد العرب من جميع المناجم والمدن وامتدت سرايا غزواته إلى بلاد الوجه القبلى ، وهذا هو الذى أغضب الخليفة فى بغداد خصوصا منعهم دفع الخراج . ولا شك أن استثمار المناجم معتبر من أكبر أسلحة الاستعمار ، ولذلك قرروا الخلاص منها بأى ثمن . وطلاب الحرية لا يمكنهم أن ينالوها أو يحصلوا عليها مالم يتحللوا من قيود مثل هذه المعاهدة التى كانت جميعها فى صالح العرب . ومن يدرس أخلاق البجة يتحقق بأن أكره

شيء عندهم هو السيطرة وأخذ الأموال بالقوة مثل « الخراج » . ونحن قرأنا في التاريخ كيف أن العرب أهل الردة رفضوا أداء الزكاة لأول الخلفاء إذ اعتبروها إتاوة تدفع لقريش . فما بالك بالبجاوى المقيم في وطنه بين أهله وعشيرته يأتيه الأجنبي من الخارج فيطالب منه أن يكون شريكا له في نياقه وبقره ويضع يده عليها بدون أي تعب . وإذا رضيها تحت ضغط من القوة اليوم لن يقبل أداءها غدا وسيحطم قيودها عند سنوح أول فرصة ، ولم يرض بها إلا بعد أن قهرته حكومة شديدة أزالت دولا عديدة من الوجود ، وغنمت تيجان ملوكها ، وقذفت بهم في العراء ، وقضت على ما كان لديهم من مدنية وحضارة . ولقد علمنا من المستعمر أن أغنى الأمم هي التي تملك مناجم الحديد والرصاص والنحاس والذهب والفضة والكبريت (حديثا) وكل هذا متوفر بكثرة في إقليم البجة الذي كان أهله يقاتلون ويحاربون الغزاة الأوائل من الفراعنة والبطالسة والرومان وغيرهم . ولله در ذلك كندون الذي رأى أن مصلحة أهله وعشيرته تمزيق تلك المقاصة من الورق بالسيوف البواتر .

قتال البجة للعرب ٢٣٢ — ٢٤٧ هـ للواثق (٨٤٧ — ٨٦١ م) :

حافظ البجة على نصوص المعاهدة المبرمة بين كندون وابن الجهم ، ثم عادوا إلى غزو الريف من صعيد مصر وقتلوا من وجدوه بالمعدن من المسلمين ، وكان ذلك في أيام جعفر المتوكل على الله بن المعتصم . فكتب له صاحب البريد بمصر[1] بخبرهم . فأنكر المتوكل ذلك وشاور الناس في غزوهم . وأخبروه

(1) اسمه يعقوب بن ابراهيم البلاذ عيسى مولى الهادي وهو المعروف بقوصرة .

... نخيل ومدينة وأصحاب إبل وماشية ، وأن الوصول إلى بلادهم صعب لأنها مجاور ، وأن بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر في أرض قفرة وجبال وعرة ، وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة يتوهم أن يقيمها وأن يخرج إلى بلاد الإسلام . فإن جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجة ... فأمسك المتوكل عنهم ، فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على ... منهم . واستاء الحكام من نقض المعاهدة والعزم مع أن البجة كانت ... حق الحصول ممن يعملون في المعادن ، ويدفعون منه للسلطان سنويا بحجة مثقال تبر قبل أن يطبخ ويصفى . وتوالت السنون وكثرت الشكوى ... خرجت قبائل البجة من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر وهي على التخوم ... أرض مصر وبلاد البجة ، فقتلوا عدة من المسلمين ممن كان يعمل ... المعادن ويستخرج الذهب والجوهر ، وسبوا عدة من ذراريهم ونسائهم . وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم ، وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها[1] وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل في المعادن من المسلمين . فانصرف ... عنها خوفاً على أنفسهم وذراريهم . فانقطع بذلك ما كان يؤخذ ... من حق الخمس من الذهب والفضة . فولى المتوكل أحد رجاله وهو محمد بن عبد الله المعروف بالقمي (من مدينة « قم » الفارسية ومن أبناء أبي موسى الأشعري)[2] محاربة البجة ، وولاه معادن تلك البلاد وهي قفط والأقصر وإسنا وأرمنت وأسوان . وكتب إلى عنبسة بن إسحق الضبي العامل على حرب مصر بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند . فخرج عنبسة إلى أرض

(١) تاريخ الطبري .

(٢) عندما كانت هجرة عائلة فضيلة القاضي عبد القادر حسين لتولي القضاء الشرعي بمدينة سواكن بعد الفتح التركي سنة ١٥٢٠ م .

البجة وانضم إليه جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من المتطوعة ، فكانت عدة من معه نحوا من عشرين ألفاً بين فارس وراجل ، وأرسل عن طريق القلزم (الضفة الغربية من البحر الأحمر) سبعة مراكب محملة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير ، وأمر رؤساء السفن أن يوافوه بها في ساحل البحر من أرض البجة . وسار القمي حتى جاوز معادن الذهب ، فخرج إليه ملكهم « علي بابا » (أو لباب) وابنه الأمير « بعيس » في جيش كبير ، وكانت البجة على إبلهم بالحراب . فجعلوا يتقاتلون أياما متوالية ؛ يتناوشون ولا يصدقون المحاربة . وجعل ملك البجة قتاله شبه مهادنة لكي تطول الأيام طمعا في نفاد الزاد والعلوفة التي معهم فلا يكون لهم قوة ، ويموتون هزالا فتأخذهم البجة بالأيدي . فنفدت الأزواد ، ولكن المراكب قد وصلت بموضع يسمى « صنجة »[1] فحمل جيش الملك علي بابا على الأمير القمي ورجاله ، واستمرت الحرب بينهم سجالا حتى اقترح أحد رجال القمي أن يستعملوا الأجراس وسلاسل الحديد في أعناق خيلهم[2] ، ويهجموا بها على الجمال التي اشتد رعبها ونفورها من الضوضاء ، ففرت بأصحابها إلى الجبال والأودية حتى أدركهم الليل وذلك في أول سنة ٢٤١هـ . وبعد أيام جاءه مندوب الملك طالبا الهدنة ، وكان القمي قد غنم تاج الملك فأعطاه الأمان ورد إليه بلاده التي احتلها على أن يؤدي ما عليه من متأخرات الخراج . وعاد القمي ومعه الملك علي بابا بعد أن استخلف ابنه « بعيس » على مملكته وأن تستأنف حياة العمل في المعادن كما كانت قبل الحرب .

---

(١) واقعة بقرب محمد قول .

(٢) قبائل البجة التي تجيد القتال على الخيل أشهرها الحلنقة والكميلاب وبني عامر . وبولعليب وبوقليبي الهدندوة والحمران .

ـ وصل الملك على بابا مع القمى العراق وجد الخليفة المتوكل بمدينة سر من رأى ، فخلع عليه وعلى المشايخ الذين[1] كانوا معه حللا من الحرير ... كما خلع على بابا وحلا مليحا واعترف له المتوكل بالسيطرة على طريق مابين مصر ومكة المكرمة ، وانتدب عليهم معداً الايتاخى ... مولى سعد محمد القمى فرجع إليها ومعه الملك « على بابا » وهو على دينه ... معه صنم من حجارة كهيئة الصبي يسجد له . وأقام القمى بأسوان مدة ... خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ منه حتى لم يبق منه شيئا .

وامتثل الملك على بابا دية البجة الذين قتلهم القمى وجيشه كمعاملات ... ، وأن يكون الدفع يوم عيد الأضحى سنة ٢٤١ هـ . وحافظ على بابا ... عهده وهو عدم منع مسلمى العرب من استخراج الذهب ، فكثر المسلمون ... المعدن واختلطوا بالبجة وظهر التبر بكثرة خلاله ، وتسامع الناس به ... من البلدان . والملك على بابا هو من قبيلة « بلى » التى يقال لها بالبجاوية « بريب » وبالبقى عامرية « بلو[2] أو بلاو » كما فى بعض الكتب . وهذه القبيلة كانت لها السيادة على البجة وقال المقريزى إن الملك على بابا سار

---

(١) ووضع على رأس الملك عمامة سوداء (شعار بنى العباس) بدلا من التاج . وكان معه فى رحلته هذه سبعون شابا بحرابهم وزيهم الذى كان ... الفترة البجاوية فكانت أنظار العامة والخاصة ملفتة اليهم وهم بباب الخليفة .

(٢) هى القبيلة العربية الثانية فى الهجرة الى السودان قبل الاسلام ... اعتمدنا ان البجة هى السامية الاولى بهذا الاقليم .

عبد ابن ملك النوبة[1] ، وكانت تزين لهما ويسيران على المدن حتى انتهيا بأمير المؤمنين فنظرا إلى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش ، وعظم العمارة مع ما شاهداه في طريقهما .

في أواسط القرن الثالث للهجرة كان تنازع السلطة بين رجلين من قريش ببلاد البجة والنوبة على أشده ، فهذا العلوي إبراهيم بن محمد من ذرية عمر بن علي ابن أبي طالب جمع جموعاً كثيرة وعسكر حول مدينة أسوان ، ووقف له بالمرصاد عبد الله بن عبد الحميد العمري ينازعه السلطان ، ويجمع حوله القبائل لقتاله . فما تمت استعداداتهما الحربية اشتبكا بجيشيهما في قتال شديد ثم انهزم العلوي واختلف مع أصحابه فانشقوا عليه وناصبوه العداء ، فتركهم ، ومضى إلى عيذاب ، فأجاره نائب ملك البجة ، وأعد له سفينة أبحرت به وأهله إلى جـــدة ومنها إلى مكة المكرمة ، وهنا خلا الجو في بلاد البجة والنوبة للعمري .

وفي رواية محمد بك موسى ناظر الهدندوة ، أن الرياح فرقت سير السفينة من عيذاب إلى جدة ، فاتجهت نحو الجنوب وألقت مرساها في الشيخ برغوث حيث أقاموا أياما ، ثم هبت عليهم عاصفة هوجاء مصحوبة بأهوية وأتربة أخفت شمس الظهيرة ، فتسابقوا إلى طلوع السفينة ، وتخلفت بالبر إحدى بنات العلوي ، فضلت الطريق حتى أمسى عليها الليل ، فرأت ناراً تضاء ، فقصدتها ، وكان الحي من السادة الكميلاب إذ أخذوها إلى سواكن ، وأصبحت هذه العلوية الهاشمية هي جدة الهدندوة وسنبين ذلك في تاريخ الهدندوة إن شاء الله .

---

(1) اسمه جراكيس بن زكريا أي (جرجس) .

البجة والعرب سنة ٢٥٥هـ (٨٦٨م) :

فى هذا التاريخ قدم على البجة أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى بعد محاربته للنوبة ومعه ربيعه وجهينه وغيرهم من العرب ، فكثرت بهم العمارة فى البجة حتى صارت الرواحل التى تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب (السنابك) التى تحمل من القلزم إلى عيذاب ، فصلت البجة إلى ربيعه وتزوجوا منهم ، وقيل إن البجة تحالفت مع ربيعة على قتل العمرى ، وأخرجوا كل من خالفهم من العرب وحرموه من التنقيب عن الذهب فى ديارهم ، وتصاهرت ربيعة مع رؤساء البجه (البلويب) وبذلك كف ضررهم عن المسلمين .

وفى سنة ١٥٩هـ (٧٧٣م) يوم العيد أقبل البجة نحو مصر فنهبوا وعادوا غانمين ، وفعلوا ذلك مرات ، وكان على مصر إذ ذاك عبد الحميد بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب فخرج غضبا لله وللمسلمين وكمن لهم فى طريقهم فلما عادوا من آخر غزواتهم خرج عليهم وقتل مقدمهم ومن معه ، ودخل بلادهم فنهب مالا يحصى ، وتابع عليهم الغارات حتى أدوا إليه الجزية التى لم يدفعوها قبل ذلك ، وسنأتى على كيفية قتاله .

أجمعت جميع كتب مؤرخى العرب على أنهم كبدوا البجه خسائر فادحة فى الأرواح والأموال أمامهم أى كتاب العرب مثل الحكومة الفرنسيه اليوم حين تذكر خسائر الجزائريين بعشرات الألوف ، وأن خسائرهم طفيفة أو لاتذكر ، مع أن الواقع والمعروف عند كل الأمم والدول دائما أن خسارة المهاجم ضعف خسارة المدافع ، والمحقق المدقق فيما تنشره الدول المستعمرة عن

خصومها يعتريه العجب عندما يحصى سكان مثل الجزائر أو كينيا – إذ يثبت الإحصاء أن السكان قد انقرضوا مع أن القتال بينهما على أشده . وهـذا يذكرنا بحوادث المهدية وقتال الأمير عثمان دقنة للإنجليز الذين يقولون بأن خسائر الأمير خمسة آلاف وخسائرهم مائة وعشرون جندياً ، ثم تكون النتيجة عودتهم إلى سواكن منهزمين متسابقين إلى باب السور وخيل الأنصار تعدل فى أقفيتهم ، وفرسانها يتلاعبون بالرماح والصوارم البيض .

قال المقريزى فى خططه : ثم كثر المسلمون فى المعدن فخالطوا البجة ، وأسلم كثير منهم خصوصاً الحـــدارب وهم شوكة القوم ووجوهم ، وهم مما يلى مصر من أول حدهم إلى العلاقى وعيذاب التى يعبر منها إلى مدينة جدة .

وجاء فى كتاب الإعلام عن عبد الحميد العمرى أنه تأثر من الشجعان ، وكان عابداً وصالحاً بمصر . حارب البجة بدون إذن من السلطان أحمـد ابن طولون سنة ٢٥٩هـ (٨٧٢م) فسير إليه السلطان جيشاً كثيفاً ، فلما التقوا تقدم العمرى وقال لمقدم جيش السلطان إنى لم أخرج لفساد ولم أوذ مسلماً ولا ذمياً ، وإنما خرجت طلباً للجهاد . فاكتب إلى ابن طولون بخبرى . فلم يجبه وقاتله فانهزم جيش ابن طولون وعاد من سلم منه إلى السلطان وأخبروه بالخبر . فلامهم على قتاله وقال : نصر عليكم ببغيكم ، وتركه . وبعد مدة ماتياً العمرى غلامان له فقتلاه وحملا رأسه إلى ابن طولون فسألهما عن سبب قتله فقالا أردنا التقرب إليك .. فقتلهما .

البجة والإسلام سنة ٢٣٣هـ (٩٠٤م) :

قال شقير بك فى تاريخه : وما زال الإسلام يمتد حتى عم صحراء البجة وأزال منها عبادة الأوثان .

أشهر ملوك البجة بعد الإسلام :

هو بشر بن مروان بن إسحق وأبوه من ربيعة وأمه من البجة . وبسط من هذا البيت نفوذهم على هذه الممالك المترامية الأطراف وتولوا حكومتها بتفويض من مصر[1] ، وكان يلقب أمير البجة « الحدربى » نسبة إلى ذلك الشعب الشمالى . وكان يكتب له فى الأبواب السلطانية المصرية حتى أوائل القرن التاسع الهجرى بالعنوان الآتى :

« مجلس السامى الأميرى الحدربى »[2] :

قال الأستاذ سليمان عبد الرحمن : وأغلب الظن أن هذا الرسم بقى لأمراء البجة من أهل هذا البيت حتى آخر عهد المماليك

الأمير عمرة بن مالك :

قال القلقشندى فى صبح الأعشى أن هذا الأمير كان فى أيام دولة الناصر قلاوون وأنه كان أميراً جليلاً ذا عدد جم وشوكة ملكية يغزو الحبشة وأمم السودان ، ويأتى بالنهاب وبالسبايا ، وله أثر محمود وفضل مأثور . وفد على السلطان فأكرم مثواه وعقد له لواء وشرفه التشريف وقلده وكتب إلى ولاة

---

(١) من حدود ما بين مملكة ومصوع الى أسوان .

(٢) وهذا أيضا عنوان أمير سواكن وهو أيضا من الحدربيه .

الوجه القبلي من آخرهم وصار العربان بمعاضدته ومساعدته والركوب لغزو معه متى أراد. وقلده إمرة عربان القبائل مما يلي قوص. وكتب له منشوراً بما يقتضيه من البلاد وتقليده بإمرة عربان القبلة مما يلي قوص، وإلى حيث تصل غايته وتركز رايته.

وبقيت مملكة البجة في العائلة الخديوية إلى عهد السلطان سليم سنة ٩٢٣هـ حيث أمر بسلخها عن مصر وولى عليها أمراء وأتبعها للحجاز، وكذلك سواكن ومصوع حتى سنة ١٨٤١م فانضم إقليم البجة للسودان (حكومة الخديوي محمد علي باشا) وذلك بعد زوال مملكة الفونج التي ظهرت سنة ٩١٠هـ واستولت على بلاد البجة سنة ١٠٠٠هـ تقريبا برئاسة الشيخ عجيب المانجلوك[1] ثم انضمت سواكن ومصوع إلى السودان سنة ١٨٦٥م وخفضت سلطة أميريها إلى عموديتين[2].

---

(1) هو ثاني وزراء العبدلاب أيام السلطنة مكانته بعد الأمويين - وكان أمراء العبدلاب يحاصرون تفلتر القبائل ماذا رزنوا ولذا حملوا الرئاسة له باعدائهم له بكل الملابس والمراسيم حتى يضمنوا عدم ثورة القبيلة عليهم ومستقبل ذلك.

(2) كانت إمارة سواكن محل عدة منازعات بين الحداربة والارتيقة التي توسط موكزها في عهد السلطان محمود العثماني إذ أصدر مرسومه بذلك (في أواخر القرن الثاني عشر الهجري).

ممالك البجـة

حسب مقتضيات العصور المختلفة، كانت بالسودان ممالك تقوى وتضعف والبحث عن كل الممالك التى قامت بالقطر السودانى يحتاج إلى أبحاث ومراجع دقيقة لعاجز مثلى أن يتحصل عليها بسهولة ، ولو أنه لدى من المراجع عن تاريخ البجة مايفى، سبيل التدوين أمامى — اللهم إلا النزر اليسير فإنى لم أقدر على الحصول عليه ، وربما كانت أكبر مملكة بجاوية هى التى ذكرها الأستاذ سليمان عبد الرحمن فى (البلاغ) عن ذكره للبجة .

البجة فى القرن الرابع للميلاد

أقام البجة المملكة الرابعة[1] ، فى شرق السودان إلى ساحل البحر الأحمر ما بين حدود الحبشة وتحت أصوان ، واتخذوا حاضرتها « سواكن » ومرفأها « عيذاب » .

وكانت هذه المملكة لاتفتر عن إنتهاك حرمات الحدود المصرية والتوغل فى الصعيد ، والتعرض للأرواح والأموال ، لاترهبها القوة ، ولا تصدها المواثيق . وتمتد حدودهم من صحراء (قنا) إلى مايقارب حدود الصومال ، واتخذوا مساكنهم فى الصحراء الشرقية من وادى النيل ، وهم إلى هذا العصر قبائل جسيمة ، وهم من حدود مصر إلى جنوب مصوع وجزأ ردملك .

---

(1) كانت هذه الممالك الأربع عند ظهور هى المنطقة على النحو التالى : (1) الأولى فى السودان الاوسط وعاصمتها سوبه ، والثانية على النيل فى شمال السودان وعاصمتها دنقلة ، والثالثة مملكة البجه بين اصوان وصحراء قنا حتى مصوع ، وعاصرت هذه الممالك مملكة اكسوم فترة من الدهر وهى المملكة الثالثـة .

وملوك البجة الآن هم نظارهم ، وهم :

١ — ناظر البشاريين : الشيخ أحمد كرار أحمد .

٢ — ناظر الأمارأر : الشيخ محمد أزرباب أحمد .

٣ — ناظر الهدندوة : الشيخ محمد الأمين ترك .

٤ — ناظر الحلنقة : الشيخ جعفر على شكيلاى .

٥ — ناظر بنى عامر : الشيخ إبراهيم محمد عثمان .

ومنذ فجر تاريخ السودان كانت هناك أمتان اشتركتا فى حوادثه ، فكانت إحداهما هى تلك التى تسكن فى حوض النيل بلاد النوبة والتى سميت بلاد كوش أو النوبة وغير ذلك من الأسماء التى اشتهرت بها ، أما الأمة الثانية فهى أمة البجة التى كانت تجوب الصحراء الشرقية نحو البحر الأحمر . وانقسمت البجة إلى عدة ممالك متفرعة عن مملكتها الرئيسية ، وكانت دائما تقف صفا واحداً وسداً منيعا ضد للغيرين من المستعمرين والمعتدين . وبالإضافة إلى ذلك فإن مملكة البجة درجت على انتهاك حرمات الحـــدود للمصرية والتوغل فى صعيد مصر والتعرض للأرواح والأموال لا تردعها القوة ولا تصدها للواثيق .

على أن الزمان فعل فعله فى وحدة المملكة البجاوية حتى إنه لما زارها ابن حوقل قبل ألف عام[١] ، لم يجدها متحدة فى مملكة واحدة بل وجدها قد

(١) كذلك كتب اليعقوبى عن مملكة البجة واورد هذا التقسيم الداخلى لملكها الخمس توفى اليعقوبى حوالى سنة ٨٧٢ م . وابن حوقل حوالى سنة ٩٧٧ م .

ـسمت إلى خمس ممالك لكل منها حدودها وسلطانها . وهذه الممالك هى :

١ — مملكة ناقيس : وهى تبدأ شمالا من أول الحدود المصرية وفى غربها أسوان .

٢ — مملكة بقلين وهى تقع بين خور بركة وساحل البحر الأحمر المجاورة لمملكة جارين .

٣ — مملكة بازين : وهى تقع بين مملكة علوة وبقلين .

٤ — مملكة جارين : على السواحل الجنوبية حتى جبل دورا (بقلة) قرب عقة

٥ — مملكة قطاع : تبدأ من ناقفة حتى صهر (مصوع) .

ومن يتأمل هذه الممالك على الخريطة يجد أن قبائل البجة الخمس الآن قد ورثت أراضى هذه الممالك ، كما ورثت ألقابها فقد كان زعماؤها يحملون لقب ملك ولهم مظاهر خاصة فى حلق الشعر العام نحو وطاقيتهم الملكية . فقد كان لكل ملك منهم كرسى للحكم عرف فى السودان باسم « ككر » وهو العرش الذى يجلس عليه الملك ، أما رأسه فقد كان يغطيه بتاج أو طاقية من الذهب تسمى « أم قرين » ويصحب ذلك من شارات الملكية سيف أوربى صقيل ونقارة (طبل) يقرع فى المناسبات وعند الأزمات . ولم يفقد هؤلاء الملوك ألقابهم الملكية إلا بعد أن فتح محمد على باشا شرق السودان سنة ١٨٤١ فأزال الملك وألقابه وأبدلها بكلمة ناظر قبيلة . وما زال هذا اللقب مستعملا لزعماء القبائل الكبار حتى اليوم .

لقد ورثت قبائل البجة الحاضرة ممالك أسلافهم السابقين وأصبح الوقف الآن كما يلى :

١ — قبائل البشاريين ويسكنون فى منطقة مملكة ناقيس .

٢ — قبائل الأمارأر وهم يعيشون فى منطقة مملكة بقلين .

٣ — قبائل الهدندوه وينتشرون فى بقاع مملكة بازين .

٤ — قبائل بنى عامر وموطنهم على السواحل الجنوبية .

٥ — قبائل الحلنقا ويقطنون فى كسلا وما حولها .

البجة وابن حوقل

ذكر ابن حوقل في رحلته منذ ألف عام أنه وجد القبائل الآتية بإقليم البجة وفي سرمة بأكثرها ، وهي باقية إلى عصرنا هذا ، فمثلا يوجد منها في حوض مصر :

١ — رقبات السودان(١) .

٢ — عيذك — وصوابها عيذقن : وتوجد بقاياها في جبل بهذا الإسم جنوب مصر .

٣ — سنتبو : وصوابها سنتبو (٢) .

٤ — أيتمة : أغلبيتها بالسودان

٥ — أما حنفريه .

٦ — وحيكيا (كيختيا) فرحلت إلى إرتريا بعد الوقائع بين الحق عامر والجعوب في القرن الثامن للهجرة ، وهم اليوم أقلية حول مصوع .

٧ — وأما مفتح : فتنقسم إلى ثلاث نظارات كبيرة بإرتريا ، وهي : بيت شحقن ، وبيت أزهي وجمجان :

٨ — أزنيتة : وهي معروفة وكذلك حدندوه ، وتسكيلك ، وجعوة من بقايا البجة التي انضمت لحدندوة ، واحتفظت بمنازلها في نركوات (٣) .

---

(١) أما رقبات ارتريا فهي كثيرة ، ولها نظارة خاصة هناك .
(٢) أغلبيتها بارتريا .
(٣) زعماؤهم من مسلمي كاثوليك الحنتوبية ، ويسكنون « تلك كليدان » بين أسمرة وكرن .

٩ — كُرْبَاب : وهم من بطون « أتمن » (أى ذرية عثمان بن الشيخ عجيب المانجلوك العهد اللاحق) من قبيلة الأمارأر .

١٠ — حرمنباب : وسواسها « حرم تبا »[١] .

١١ — كاييرُو :

١٢ — فجرجرو ، فإنى لم أجد أى خبر عنهما .

فلو تمكنت وتحصلت على نسخا من رحلة هذا المؤرخ العربى لازدادت معرفتى بأهل ذلك العصر من قبائل البجة التى طاف بغالبيتها المجاورة للجبال الساحلية (شواطئ البحر الأحمر)

ويظهر أن جهله باللغة البجاوية والبنى عامرية حدلتا دون تعمقه فى الداخل والوصول لشواطئ نهر عطبره والقاش وكسلا .

ولقد عرّبنا هذه النبذة من كتاب « دولة الفونج » تأليف المستر كروفورد وهذا المؤرخ تحصل مثى على نسخة من سلسلة نسب الأشراف (ذرية السيد محمد الحسينى) وكذلك سلسلة نسب المدندوة ، وقد تفضل بنشرها فى مجلة « السودان فى رسائل ومدونات »[٢] ، وعمل مضاهاة بين نسختى ونسخة السير دوجلاس نيوبولد فى أسماء أجداد المدندوة ، فأنا عرّبت الأسماء ، وهو تركها بالبجاوية . فمثلا قلت « جعفر » بدلا من « كِلآىْ » ، « قلاو » سماه

---

(١) كانوا يسكنون بجبال بنى عامر ، ثم اندمجوا فى جيل واحد أطلق عليه اسمهم ، وقد بقيت منهم أقلية ضئيلة اندمجت فى مجال الحماسين العامرية .

(٢) SUDAN NOTES AND RECORDS

وعند العرب تيمنا باسم « جعفر الطيار » ولمعرفة البجة بهذا الإسم اكتفوا بـ « كلاَى » وهو « طيار » ، وكان الصواب حلهما لكليهما .

وقلت « يوسف » ، وقال « تأشوك » أو « ما كول » ، وقلت « حمزة أو فيد » ، وقال « حدلاب » وقس على ذلك في تصحيح أسماء سائر قبائل البجة وتعريبها .

البجة والصليبيون :

في سنة ٥٧٨هـ طمع البرنس ريتولد دى شاتيلون في الإستيلاء على أراضي الحجاز ، فأنشأ المراكب وحمل أخشابها على الجمال إلى الساحل[1] ، ثم ركبها وشحنها بالرجال وآلات القتال وجعلها قسمين : قسما سار إلى جزيرة قلعة إيلة (سيناء) ، فمنع أهلها من ورود الماء فنال أهلها شدة ، وضيق عليهم . والقسم فسار نحو عيذاب وأفسد في السواحل ، ونهب وأخذ ما وجد من المراكب الإسلامية وما فيها من التجار ، وبغتوا الناس في بلادهم على حين غفلة لأنهم لم يعهدوا بهذا البحر إفرنجيا لا تاجراً ولا محاربا ، وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن أخيه صلاح الدين ، فعمر أسطولا في بحر القلزم بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، وشحنه بالرجال البحريين ذوي التجربة من أهل الشجاعة والدين ، وساروا إليه فظفروا بمراكب العدو بعدما حرقها وأخذ

(١) الحروب الصليبية — أما ريتولد فهو صاحب الكرك بالشام وكان أشد أمراء الصليبيين عداوة للمسلمين وقد عزم على المسير في البر إلى المدينة المنورة ، وكان دائما ينقض عهوده ويجمع جيشه واستعد لذلك ، ولكن خوفه من عز الدين فرخشاه صاحب دمشق منعه من تنفيذ عزمه .

جندها ومن حوب منهم في البرية تتبعه العرب وأحضرته إليه . ثم سار نحو عيذاب مقتفيا أثر الباقي من مراكب الصليبيين فوجدهم قد قتلوا أهل عيذاب[1] ، وأسروهم ونهبوهم وساروا ، فتبعهم فوجدهم قد قطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب ، وتوجهوا إلى أرض الحجاز ، فعظم البلاء على الناس ، وأشرف أهل المدينة المنورة ومكة المكرمة على خطر ، وسار لؤلؤ يقتفيهم ، فوصل ميناء رابغ بالحجاز (ساحل الحوراء) فأدركهم هناك فأوقع بهم من القتل والأسر ، فلما رأوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا إلى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب . فنزل لؤلؤ من مراكبه إليهم وقاتلهم أشد قتال ، وأخذ خيلا من عرب البلاد فركبها وقاتلهم فرسانا ورجالا ، فظفر بهم وقتل أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام إخافة البلد الحرام . وعاد بالباقين إلى مصر فقتلوا جميعا لئلا يدل من يظل منهم حيا على تلك الجهات ، وكانوا على مسيرة يوم من المدينة المنورة فأدركهم المسلمون وأخذوهم عن آخرهم بعد جهاد طويل استمر أكثر من شهر ونصف .

---

(1) قال ابن جبير إن الافرنج أخذوا سفينة للبجة أتت بالحجاج من جدة ، وأخذوا في البر قافلة كبيرة أتت من قوص إلى عيذاب وقتلوا الجميع ، وأخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن . وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة . وأحرقوا نحو ستة عشر مركب أخرى ، وقد انتشرت أخبارهم وسلطتهم على شاطيء البحر وولجوا إلى برية الحجاز .

وادي العلاقي

في كتب التاريخ والرحلات ورد اسم هذا الوادي المشهور بكثرة الذهب في منطقة الشمالية من أقاليم البجة المجاورة اليوم لمساكن العبابدة والبشاريين وقد كتبنا عنه كثيرا فيما سبق . لكن عثرنا على فصل كتبه الدكتور جواد علي العراقي في كتابه « تاريخ العرب قبل الإسلام » يكاد أن يكون المقصود به وادي العلاقي : قال الدكتور عن المؤرخ ديدورد روس : إن جبل (شابينوس CHABINUS) يسكنه شعب اسمه : ديباه DEBAE يعنى بتربية الإبل لأنه يعيش عليها فيشرب ألبانها ، ويأكل لحومها ، ويحارب عليها ، وينقل عليها من مكان إلى مكان . ويخترق أرضه نهر يحمل مع مياهه تراب الذهب (التبر) ويصب في البحر ، غير أن الناس لايعرفون كيفية استخلاص الذهب وتنقيته . وهم لايسمحون للغرباء بالنزول عندهم إلا إذا كانوا بيتواه BEATIAE أو من : بيلوبونس PELOPONESI لاعتقادهم أنهم ينحدرون وهؤلاء من صلب جد واحد هو « هريقلوس » .

فقال الدكتور جواد إن هذا الجبل وهذه القبائل في إقليم العسير ، وأن النهر المذكور ينبع من مدينة صبيا SABYA ويصب بقرب جيزان . ونحن نقول إن مسكن وادي العلاقي من البجة كان جبل اعتمادهم ومعاشهم على الإبل ، وقد حاربوا الفراعنة والبطالسة والرومان والعرب على ظهور هذه الإبل بخلاف عرب الجزيرة الذين كانت حروبهم على الخيل من عهد اسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام .

وسأترك لأبناء البجة بحث الألفاظ والأسماء لأني أراها أقرب إلى اللهجة البجاوية .

المعادن ببلاد البجة

الزمــــرد

قال الجاحظ أن معدن الزمرد لا يوجد إلا في بلاد البجة — وقال المسعودي إن الموضع الذي فيه الزمرد يعرف بالخربة وهي مفازة وجبال — والبجة تحمى هذا المكان وإليها يؤدي الخفارات من يرد حفر الزمرد .

والزمرد الذي يقطع من هذا المعدن أربعة أنواع :

الأول منها : يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء . تشبه خضرته بأشد ما يكون من السلق خضرة . وهذا اللون خير كله ولا ضارب إلى السواد .

الثاني منها : يدعى بالبحري ومعناه في التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزانج (داغون بوروما) والصين ترغب في هذا النوع من الزمرد وتباهى في استعماله ولباسه في تيجانها وأكاليلها وخواتيمها وأسورتها ، فسمى بالبحري كما ذكرنا ، وهو ثاني المر في الجودة وشدة خضرته .

الثالث منها : يعرف بالمغربي ، ومعناه في هذه التسمية وإضافته إياه إلى المغرب ، هو أن ملوك المغرب من الأفرنجة والأندلس والصقالبة والروس وإن كانا أكثر هؤلاء الأمم متصلين بالجربى وهو ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون في هذا النوع من الزمرد كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصين في النوع المعروف بالبحري .

الرابع منها : هو المسمى بالأصم وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمنا لقلة مائه

خضرته . وهذا النوع يتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة . وجملة الوصف
ـــه الأنواع الأربعة فى الجودة والمغالاة فى الثمن هو أكثرها ماء ، وأصفاها
و أكثرها خضرة ، وأنقاها من السواد والصفرة ، وغير ذلك من الألوان مع
تحرك هذا الجوهر من التوشيه . فإذا سلم مما ذكرنا كان نوعه غاية فى الجودة
ونهاية فى الوصف . وفى حجارته مايبلغ الخمسة المثاقيل فى الوزن إلى أن يتناهى
إلى حد القدسة فى المقدار . وآفات هذا الجوهر المنوع كثيرة منها الرمم ،
والصلابة ، والعروق البيض التى تشوب هذا الجوهر وتوجد فيه ، ولا يفنا كر
ذى الدوابه بهذا الجوهر . والحيات والأفاعى والثعابين إذا أبصرت
الزمرد الخالص سالت أحداقها . وإن الملسوع إذا سحق من الزمرد الخالص
و دقين على الفور آمن على نفسه من سريان السم فى جسده . ولا تقرب
الحيات من معدنه وأرضه . وهو حجر لين رخو متشكل إذا ورد على الماس
ـ كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شأن هذا الجوهر
وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه الخواص العجيبة والمنافع
الكثيرة . وقد يوجد على ظهر الأرض فى هذا المعدن فى وهادة وجباله وما
حفر وارتفع من أرضه نوعان منه ، وهما المغربى والأصم المتقدم ذكرهما .
والزمرد يكثر فى السنة التى تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق . وبوادى
المنطقة المالكة لهذا المعدن (الزمرد) تتصل ديارها بالعلاقى الذى فيه معدن
الذهب اهـ .

ولقد رأيت هذا الجوهر وهو خشن أى بعد استخراجه من المنجم وقد
أراه الشيخ محمد السيد البربرى سنة ١٩٢٠م بمدينة سوا كن

معدن الذهب

يوجد ببلاد البجة خصوصا الشمالية منها أى بأرض البشاريين والأمارأر عدة جبال كلها مناجم مملوءة بالذهب الكثير وأقول هذا من تجربة ومشاهدة بالعين . ولكن أين المال الذى يصرف على استخراج الذهب . والناس هنا فى السودان يحاولون كأفراد استخراج الذهب والميكا والمنجنيز والحديد وهذا مستحيل لأن هذه الخيرات يجب أن تتألف شركات وطنية كى تستخرجه من الكهوف والمغاور التى كان الفراعنة والبطالسة والرومان يسخرون السخرة فى العمل بها حتى جاء الإسلام وأبطل العمل فى الجبال وانتقل إلى السهول والوديان وخصوصا وادى العلاقى .

وحاول الخديوى محمد على باشا البحث فى البادية المذكورة ولكن للأسف لم ينجح الخبير الفرنسى فى العثور على آثار الفراعنة فى الجبال ولذلك ألغى البحث عام ١٨٣٩م .

وجاء الرحالة المستر أوغسطوس وايلد Mr. A. WYLDE إلى سواكن وسار منها بالجمال حتى اكتشف عدة مناجم حول جبيت المعادن وأوكو وأونيب فى أوائل المهدية سنة ١٨٨٥م . وبعد الفتح الثانى جاءت عدة شركات انجليزية لم تنجح منها إلا الأولى . فلما استنزفت ما حواه الجبل توقف مديرها فنقلت آلاتها وورثها شركة أبناء المرحوم الشيخ سعيد عبدالله باعشر ، غير أن بحثهم لم يحقق رغبتهم ، فانتقلوا من « أوكو » و « كوان » إلى جبال « وكتيب » وهنالك استقر بهم المقام وبدأوا فى البحث والتنقيب . وإنهم وإن كانوا فى دور الإنشاء وجلب الآلات والمعدات (وما أغلاها وأكثرها)

... تشير علوم تدل على أنهم رجال كد وعمل مع أولئك العمال ... .

... هنا المنجم عن بورتسودان نحو ثلثمائة ميل وله طريقان أحدهما ... قرل وجويت المعادن وهو طويل ، والثانى عن طريق عقبة تكيب ... عدى وهو قصير .

... هنا نذكر الحقيقة وهى أن بلدان وجبال البجة كلها معادن . وكلما ... في داخليتها عثر على أجود وأكثر الذهب والتبر . قال ... و ... أن فيها الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر ... الزمرد ». والبجة تقصهم رؤوس الأموال لاستخراجها من أرباب ... ت والمستثمرين فإن الأيدى العاملة متوفرة جداً فى إقليم البجة . ولم ... هذه كل الثروة البجاوية، بل فى أوديتهم شجر الأهليلج والمقل والشيح ... مكى وشجر البان والنخيل والسدر والدوم والرياحين وسائر الخضروات ... ينفع الناس . وهذا وادى العلاقى الذى كان العرب يبحثون عن ... فيه .

قال ابن جبير فى رحلته إنه واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع وفيه آبار عذبه ... منها . ومعدن الذهب عندهم متوسط فى الصحراء . لا جبل حوله ... لينه وسباسب سياله . وإذا كان أول ليالى الشهر العربى خاض الطلاب ... الرمال، فينظرون التبر يضئ بين الرمل ويعلمون مواضعه ، ويصبحون ... كل منهم إلى كوم الرمل الذى علمه، فيحمله على نجيبه ، ويمضى إلى ... فيغسله ويحوله ويستخرج منه التبر ويلحمه بالزئبق ثم يسكبه

في الهوادق (آلات لتصفيه الذهب) فى ذلك مماش سكان الوداى المذكور .

ونتقل إلى أخلاق البجة منذ القدم بأنها لم تتغير إلى اليوم منذ آلاف السنين وهى تدل على أنهم تحلوا بصبوهم وافر فى مكارم الأخلاق قبل أن يخالطوا بالعرب أو يدينوا بالإسلام .

من أخلاق البجة

قال نعوم بك شقير «وأما البجة فلونهم بين قاتم ويشبهون بدو العرب جداً في الملامح والأخلاق إلا أنهم أشكس أخلاقاً» . وروى العارفون عنهم حوادث تدل على كرم الأخلاق وطيب النفس ، منها أن رجلا من الهدندوة من عمودية البشكوات يدعى الشيخ محمد بن عبد الله جاء إلى إحدى عموديات قبائل غير الهدندوية يستلهم الصفح عن قتيل قتله أهله من رجالها . فطعنه أحد منهم بحربة في جنبه ليبيده الوسط في الصلح . فلم يلتفت إلى الطاعن بل ظل يرجو العفو والكف عن طلب الثأر والدم يسيل من جنبه . فلما رأى أهل القتيل أنه صابر على الضيم إلى هذا الحد حتى يحقن الدماء تنازلوا عن دم ابنهم إكراماً له ، وحملوه عندهم أياماً على الرحب والسعة . فهم يحترمون الموت ولهم صبر على مضض الأيام . ومن غريب أخلاقهم أنه إذا جاء الجدب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم باب داره على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل أحداً خوفاً من التعيير بالسؤال . وفي سنة ١٣٠٦ هـ بتوكر حدث كثير من هذا . والمريض مهما اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه وكذلك المضروب لا يبدى أقل توجع مهما اشتد عليه الضرب . والمسوق إلى القتل لا يبدى أقل جزع أو خوف . ومن أكبر العيوب عندهم الفرار من العدو . فإذا ارتكب أحدهم جناية استوجبت القتل وقف في مكانه ينتظره بالتسليم وكامل الصبر . وكثير مثل هذه الأخلاق في كل قبائل البجة لها حوادث مماثلة وكل أجيالها وهي لدى كل سوداني معتادية .

مملكة قبائل بني عامر

قبائلها وحوادثها

محمد صالح ضرار

وهو يتقدم في أبحاثه وسنه

مملكة قبائل بنى عامر فى مملكة البجه الكبرى

نشأتها وتطورها

لقد سبق أن ذكر فى الباب الأول من هذا الكتاب أن مملكة البجا والتى كانت تنقسم إلى خمس ممالك كما ذكر ذلك كل من اليعقوبى وابن حوقل - وكانت هذه الممالك هى : نقيس (أو نقيس) ، ثم بقلين ، وبازين وجارين ثم قطعة أو (قطاع) كما وردت فى النصوص العربية أحيانا . وقد حدد أن هذه الممالك الخمس عدد ، لأن مناطق قبائل البجة الرئيسية وهى من الشمال إلى الجنوب (البشاريين) ، والأمارار ، والهدندوة والحلنقا وبنى عامر ، هذا ما أوضحه المؤرخ فى هذا السفر .

ولما كنا الآن بصدد الحديث عن مملكة بنى عامر التى ورثت أراضى مملكة جارين بعد أن تناول المؤلف الحديث عن بقية الممالك الأخرى فى هذا السفر ، فإننا نود أن نقول بأنه لا يعرف بالضبط متى ، اتخذت هذه المملكة اسم « بنى عامر » ولكن يبدو أنه عندما قوى ساعد هذا الرهط من السكان ، وانتشر فى كل أنحاء المنطقة تغلب اسمه على بقية السكان الآخرين من بجة أصليين ، وعرب نازحين سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده

ولهذا الإسم العربى الأصيل أهمية كبرى فى تاريخ المنطقة لأنه من الأسماء العربية الأصل القليلة التى وجدت لنفسها مكانا فى إقليم لا ينطق سكانه باللغة العربية إذ أن سكان مملكة البجة يتحدثون كما نعرف لغتين إحداهما اللغة البيداوية (أو الهدندوية) ، والأخرى البنى عامرية أو التيجرية السامية والتى يطلق عليها أيضا «الخاساوية» . وهذا الإسم العربى الأصيل يجعل من الأهمية

بمكان البحث عن أسباب هذه التسمية وعن عرفة الأحداث والتحركات التي أدت إلى إطلاق هذا الاسم العربي الأصيل عليها .

ويبدو أن هذا الاسم قد انتشر بعد أن توقفت رحلات مؤرخي العرب وجغرافييهم ، ونجد أن ابن حوقل الذي زار المنطقة في القرن العاشر الميلادي لم يذكر هذا الاسم ، بل إنه ذكرها على أنها مملكة جارين ، كما أنه ذكر أسماء الكثير من القبائل البجاوية الأخرى والتي مازالت تحتفظ بأسمائها حتى الآن ، ولعل هذا الاسم (أي بني عامر) ظهر أولا في المناطق الجنوبية من المملكة مثل مناطق سمهر (أي مصوع) وما جاورها ، ثم انتشر في بقية مناطق البني عامر بامتداد أراضيها وصولا إلى تخوم سواكن وكسلا ، وسائر منطقة التاكا .

وتعتد مملكة جارين (بني عامر) على سواحل البحر الأحمر من جنوبي سواكن حتى تصل إلى جنوبي مصوع وتشمل مصوع وجزائر دهلك ، ويجرى في أرض هذه المملكة خور بركة الموسمى الذى تردع دائما بالعطش والحروب منذ فجر التاريخ . وهذه المنطقة تمثل الجزء الجنوبي الشرقي من أراضي مملكة البجة . وتعتد مساكن هذه المملكة في أنحاء كثيرة من إرتريا الحالية ، وتلتف جنوبا حتى تصل إلى التاكا (كسلا) التي كانت ملتقى عدد من قبائل البجة وهي الحدندوة والحلنقا وبني عامر .

ويجب ألا يغرب عن البال أن أراضي مملكة البجة الكبرى التي اعترفت بها الخلافة العباسية كانت تمتد من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وباضع (مصوع) . وقد جاء هذا التحديد في نص المعاهدة التي

.. دث بين خليفة المأمون بن هرون الرشيد وبين الملك كنون بن عبد العزيز ملك البجة وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين للهجرة (سنة ٢١٦ هـ) . (راجع معاهدة العرب مع البجة فى هذا الكتاب) .

وقد قامت مملكة بنى عامر التى كانت تدعى جارين فى هذا الجزء من السودان الشرقى ، ووصفها المقريزي المتوفى سنة ٨٧٣ م حين تحدث عنها بأن لهم ملكا خطيرا ، مما يشير إلى أن هذه المملكة أخذت دورا بارزا فى القوى الموجودة فى المنطقة ، وهى الحبشة والخلافة العباسية ومملكة البجة السودانية .

وكانت هذه المملكة قد تأثرت بالهجرات العربية المتلاحقة من شبه جزيرة العربية كغيرها من الأجزاء الشمالية من مملكة البجة ، وكما رأينا أن البجة الأقدمين أنفسهم إنما كانوا من قدماء العرب الذين نزحوا من بلادهم وقد أجمع علماء الأجناس على أنهم وقدماء المصريين من عنصر واحد وقد أصبحوا مزيجا من الحاميين والساميين على مر التاريخ . ولم يكن البحر الأحمر فى يوم من الأيام عائقا عن مثل هذا الاتصال وهذه الهجرات ، وما لم يكن نزوح من نزوح عبر البحر الأحمر يتم عن طريق سيناء وصولا إلى الساحل الغربى للبحر الأحمر كما حدث لقبيلة بلى قبل الإسلام وبعده ، فقد انتشرت هذه القبيلة أوسع انتشار فلمت الشام الكبير شمالا وانتهى طرفها الآخر فى مصوع (بضع) جنوبا فى البحر الأحمر ، ولكن على مر العصور كثرت الهجرات العربية إلى شمال شرق إفريقيا حيث الأراضى البجاوية موصلة إلى المنطقة التى من عيذاب شمالا على الحدود المصرية السودانية حتى مصوع جنوبا ، بل وتخطت أراضى العفار الإفريقى جنوبى مصوع (سواحل القرن الافريقى) ، وتوغلت

فى طمس الحبشية داخل أراضى إثيوبيا ، بل إن الحبش أنفسهم إنما هم إحدى تلك القبائل اليمنية التى هاجرت إلى الحبشة وأكسبتها اسمها القديم قبل أن تتبنى اسم أثيوبيا فى هذا القرن .

ويقول السير ولاس بدج فى كتابه تاريخ أثيوبيا[1] « أما سواحل البحر الأحمر ، فإنه منذ قيام أول مملكة حبشية فى شمال شرق إفريقيا وهى مملكة أكسوم وذلك فى القرن الميلادى الأول ، فإنه لم يعرف كيان واضح ثابت لسلطان مملكة حبشية فى هذه الجهات » بينما كانت مملكة البجة قائمة على وحدة أراضيها ، وجيشها الموحد الذى كان يدافع عن بلاده منذ أن خاض الحروب مع الفراعنة .

وكان من بين القبائل العربية التى هاجرت إلى إقليم البجة أفواج من قبيلة بَلِىّ ، وقد انتشرت هذه القبيلة فى سائر أنحاء مملكة البجة كما وأسند وقُلِّد بعض أفرادها الزعامة على عشائر المملكة ، وتوافدت عليها قبائل عربية أخرى من أكبرها ربيعة وجهينة وبعض بطون قريش وغيرها فى العصور الإسلامية . واستطاعت هذه الوفود تقلص من نفوذ الأسر الحاكمة السابقة لها عن طريق الزواج من بنات زعمائها وتوارثت أبناؤهن الحكم بدلا من أخوالهم كما كان متبعا فى ذلك العصر ، حتى لم يبق فى آخر الأمر سلطان لأبناء قبيلة بلى إلا فى مصوع حيث وجدهم الأتراك العثمانيون فى القرن السادس عشر هناك ، وأقروهم على حكمهم للجزء الجنوبى الشرقى من مملكة جارين البجوية ، واعتمدوا بهم حكاما على نواحى مصوع وما جاورها من قبائل بنى عامر ،

---

[1] صفحة ١٠ من المقدمة .

استولوا على هذا الحاكم البلوى لقب « نائب » ، واستمر حكم هذه الأسرة في تلك الجزيرة وما حولها حتى الاستعمار الإيطالي .

وبالإضافة إلى قبيلة بلى العربية التي نزحت إلى مملكة جارين قديماً ، فقد نزحت قبائل أخرى ربما كان من بينها قبيلة بنى عامر اليمنية أيضاً ، واستطاعت هذه القبيلة بسبب كثرتها وقوتها أن تجعل استيطانها على كل سكان المملكة في آخر الأمر كما حدث في قبائل البشاريين والأمارار والهدندوة مثلاً . وقد امتصت كل هذه الشعوب العرب النازحين عن طريق الاختلاط والتزاوج ، وجعلوهم يتكلمون بلغاتهم التبداوى (البجاوى) ، ويتزيون بزيهم وعاداتهم ، أما البجة فقد أخذوا من هؤلاء النازحين الدين الإسلامى بعد ظهوره فاعتنقوه وناصروه أقوى مناصرة .

ويقول كل من ترمنجهام و كروفورد نقلا عن السكرتت روزينى إن قبيلة بنى عامر بن كثير قد رحلت من اليمن إلى السودان الشرقى ، وربما كان ذلك بعد انهيار السد ، ثم انتشرت مع بلى وغيرها فى جنوبى شرقى مملكة البجة لتكون إحدى ممالكها الخمس .

وقبيلة بنى عامر بن كثير هذه ربما كانت إحدى المخاليف اليمنية التى ذكرها اليعقوبى حيث أورد أسماء أربعة وثمانين مخلافاً فى اليمن ، وهم الذين كان يتكون منهم كور اليمن ، وكان من بين هذه المخاليف مخلاف بنى عامر وربما رحل جزء كبير من هذا المخلاف إلى الشواطئ السودانية الجنوبية (بين مصوع وسواكن) مع من كان ينزح من القبائل اليمنية وانتشروا بين هاتين المدينتين كما مثل الرشايدة فى القرن التاسع عشر الميلادى . واستقرت بنى عامر هناك فى مملكة جارين البجاوية ، ولما تكامل عددها وقوى مركزها

بعد عدة قرون تغلب اسمها على سائر أسماء المنطقة من بجة وعرب . وأخذ ينتشر هذا الاسم ليطغى على غيره حتى إذا ظهرت مملكة الفونج ازداد نفوذا وذيوعا .

وقد ذكر أبرهة الحبشي في مخطوطة له عن سيره إلى البيت الحرام في غزوته المشئومة التي كانت نكالا عليه أن جيوشه التقت بمقاتلي قبيلة بني عامر في جنوبي الجزيرة العربية ، وأنه بمساعدة كندة استطاع أن يتغلب على بني عامر وربما كانت كندة هذه قبيلة كندة العربية التي كان لها شأن في ملك المنطقة كما أن قبيلة بني عامر التي ذكرها أبرهة قد تكون هي التي نزح بعض بطونها إلى السودان الشرقي على دفعات بين حين وآخر ، وازدادت هذه الهجرة بعد منتصف القرن السادس الميلادي .

ومنذ انهيار سد مأرب قبل سنة ٢٤٥م فإنه كانت تكتنف مناطق جنوبي الجزيرة العربية والساحل الإفريقي المقابل حركات هجرات نشطة سببتها معرفة المسالك البحرية عبر البحر الأحمر بواسطة المعينيين ثم السبئيين ثم الحميريين ، وضعف الأحوال الاقتصادية والزراعية في اليمن وضيق العيش واضطراب الأحوال الدينية والسياسية ، والصراع المرير بين اليهودية والمسيحية ، وما حدث من اضطهاد ديني بمختلف الأشكال مما كان أن لجأت كثير من العشائر اليمنية إلى أراضي مملكة البجة التي لم تعرف الاضطهاد ، والتي كانت تنعم بالرخاء وحرية اختيار المراعي الواسعة والأراضي الزراعية الوفيرة في حوض بركة وغيره مع وفرة المياه في الخيران .

وعندما انهد سد مأرب تضاعفت حركة الهجرة بقبائل اليمنية صوب

جنوبا وشمالا ، وشرقا وغربا حتى صـــدق فيهم المثل العربى « تفرقوا أيدى سبأ » .

ويبدو من ذكر أبرهة لبنى عامر فى وثيقته تلك أنه كان على علم بوجود بعض بطون قبيلة بنى عامر فى السواحل السودانية (الإفريقية) لأنه لم يذكر أى قبيلة أخرى فى وثيقته غيرها ، ولعلها كانت ذات شهرة وقوة سياسية ونفوذ اقتصادى وعسكرى إذ أنها تكاد تكون القبيلة العربية الوحيدة التى وقفت أمام جحافل أبرهة بأفياله وجنوده وهى التى قابلت جيشه حتى استعان عليها بكندة كما ذكر مما يدل على قوة شكيمتها ، ولم تستطع أية قبيلة عربية أخرى أن تقف أمامه وهو يتقدم فى محاولته الشرسة لهـدم الكعبة المشرفة .

وهكذا نجد أن هذه القبيلة التى نزح كثير من أفرادها إلى السودان قبل الإسلام قد تركت فيه شيئا آثارا بعيدة على مملكة حازين السعورية .

عندما نزحت قبيلة بنى عامر وغيرها من القبائل العربية إلى الأراضى السودانية الساحلية لم تكن تتحدث اللغة العربية الفصحى لأن هذه اللغة لم تكن قد أخذت معالمها المعروفة الآن ، ولم تكن هى اللغة السائدة الوحيدة فى الجزيرة العربية ، بل كانت هذه القبائل تتحدث لغة سامية قريبة من العربية هى المسماة باللغة « البنى عامرية » ، والتى عرفت بين سكان المملكة البجاوية أيضا باللغة « التقرية » ، وكما يلاحظ القارئ فإن اللفظة « تيجرى » تبدو وكأنها مشتقة من لفظة « تجارة » ثم نسبت إلى « توبجر » تصغيرا للتاجر مع

إحداث التبديل العرفى فى اللفظ ، وهذا يعنى أنه من الممكن أن تكون هذه اللغة المنسوبة إلى تاجر قد انتشرت أيضا فى تلك المنطقة بسبب محدث قبائل بنى عامر ابن كانو وجزء القحطانيين من جنوبى الجزيرة العربية بها وعدت غيرهم من تجار العرب بها أيضا ، وربما كانت لغة عربية سائدة فى ذلك العهد لأنه حتى الآن نجد كثيرا من كلماتها منتشرا فى اللغة العربية الفصحى واللهجات اليمنية[1] ، وهناك لفظ ثالث يطلق على هذه اللغة بل وعلى بعض العشائر الساكنين منذ القدم فى إقليم البجه ، إذ يطلق على هذه اللغة أيضا اللغة « الحاساوية » ، وقد تستبدل الحاء أحيانا خاء (كما يحدث فى بعض اللهجات العربية أحيانا) ، ولعل هذه الكلمة مشتقة من الحسا أو الإحساء التى ربما نزحت منها جماعة تتكلم لهجة كالبنى عامرية أو ربما اختلطت اللهجات هناك فى مملكة جارين الهجاوية حتى خرجت منها لغة بنى عامر الحالية ، أو ربما كانت اللغة البنى عامرية ، لغة عربية بدائية لم تتطور إلى الفصحى بعدا ، أو ربما كانت قد تطورت واختصرت قواعدها وإعرابها ؛ وعلى كل حال فإن مجال البحث لتحقيق مثل هذه التكهنات ، وعلاقة السودان بسائر مناطق الجزيرة العربية ، وتحديد موقع القبائل مجال واسع للبحث والتعريف ، ويمكن التوصل إلى حقائق أوضح إذا أخذ الباحث فى الحسبان العادات والملابس ، وطرق دفن الموتى ، والرعى وغير ذلك .

وقد ذكر المسعودى أنه عندما زار جزيرة سواكن حوالى سنة ٣٣٢ هـ كان يحكمها ملك الحاسا (أو الخاسا) وهو ملك مسلم .

وكل هذا يدل على أن سلسلة الهجرات العربية النازحة إلى إقليم البحر الأحمر السودانى لم تتوقف على مدى التاريخ .

---

(١) يقول المؤلف ان ثلاثة أخماس اللغة البنى عامرية من اللغة العربية

— و توضيحهم أن بنى عامر « يمتعون بالخاصية البجاوية برأسهم الصغير وبحجمهم المتوسط ، وتقاطيعهم المنتظمة كتقاطيع الأوروبيين ، ... وشفاههم الضيق ، والبشرة الصفراء التى تميل إلى اللون النحاسى الذى ... تموج أو الجعد ولكنه ليس مفلفلا ، والشفاه التى غالبا ماتكون ... ولكنها ليست مقلوبة ، وباللحية الخفيفة القليلة الشعر » .

... من كتابات المؤرخين ، وما تناقلته الروايات ، وما أطلق على اللغة ... يتكلم بها سكان هذه المنطقة ، وما تميزت به هذه القبائل سواء فى ... حضرمت أو الملات أو غيرها أنها هى أصل كل القبائل التى تتحدث بهذه ... ولكن كان يحدث أحيانا أن نهاجر بطون عربية كبيرة خاصة بعد ... ، أو زعماء قرشيون ، أو من يدعون القرشية أو الشرف ، أو غيرهم ... المملكة ، فإنهم يتخذون من بعض عامة البجة شعوبا صغيرة لهم ، ... يسمون زعماءهم عليهم ، ويتخذونهم عشائر لهم ، فتنقسم القبيلة على نفسها ... أن اللغة والدين والعادات لم يمسها التغيير . وهذا ما نجده يحدث عندما ... زعماء قبيلة الحباب والألمدا وبيت أسقدى والمجيلات وغيرهم إلى البلاد ، ... من قريش كما ظهر فى تاريخهم . وكذلك قبائل الحاسيين وسائر قبائل ... أو المملكة حتى أصبحت هذه المملكة تتألف من عدة ممالك صغرى ... كبقية أنحاء السودان منضوية فى تحالف (فدريشن) تحت مملكة كبرى . ... أن أصل الشعوب التى ضموها إليهم هى من البجة ، ولكنهم انصروا ... لوبقهم بسبب الطموحات الإنسانية ، والأبعاد الجغرافية ، والانقسامات السياسية ، والاعتداءات الأجنبية ، والاختلافات الداخلية .

وإن كل هذه الممالك البجاوية الصغرى كانت فى الأصل تحت راية ملك

البجة وعاصمته هجر والذى اعترف له المأمون بالسيادة على أراضيه من حد أسوان إلى مصوع

وفى القرن السادس عشر الميلادى انضمت مملكة بنى عامر إلى الحلف السنارى وهو الحلف الذى أقامته سلطنة الفونج فى سنار ، ودخلت فيه كل الممالك السودانية تقريبا التى تكونت من القبائل المختلطة التى كانت تدين فى معظمها بالدين الإسلامى ، وكانت مملكة بنى عامر التى تقع فى الطرف الشرقى البعيد من السودان من بين تلك الممالك التى دخلت فى الحلف بسبب الروابط الدينية والعربية والتاريخية التى تربطها بممالك السودان الأوسط ، وكانت سلطنة الفونج قد ورثت أراضى ممالك النقابة المسيحية التى كانت تربطها بمملكة البجة روابط المصير الواحد منذ فجر التاريخ ومنذ مواجهاتهم لفراعنة والأشوريين والفرس واليونان والرومان والعرب

ولما استقر رأى مملكة بنى عامر على تقوية السلطنة الزرقاء (سلطنة الفونج) بالدخول فى حلفها ، أرسلت وفدها إلى ملوك سنار ، وهؤلاء أرسلوا مندوبا من السلطان السنارى ليكون ممثلا له فى مملكة بنى عامر ، وكان هذا المندوب من قبيلة الجعليين العباسية ، فأقام بين بنى عامر وتزوج ابنة زعيمهم ، وأصبح أبناؤه يمثلون العائلة الحاكمة لقبائل بنى عامر نيابة عن سلطنة الفونج ووزارة العبدلاب وذلك بعد أن اندمجوا بفعل تلك المصاهرة والمواطنة مع زعماء البلو السابقين ، وهكذا استمرت مملكة هذه القبيلة فى السلطنة السنارية وانضمت سواحل البحر الأحمر لها من سواكن حتى مصوع وكان أن أعطى زعيم قبائل البنى عامر من قبل سلطان الفونج الطاقية أم قرون (رمز التاج) والككر (رمزا للعرش) ، ونحاس (طبلا كبيراً) رمزا للسلطة والجيش الى قلدها له سلطان سنار ، وقد استمرت هذه العلاقة السياسية بين مملكة بنى عامر

... في جنوب مصوع بالمملكة الزرقاء حتى انهيار هذه المملكة على يد ... إسماعيل بن محمد على باشا سنة ١٨٢١ ميلادية .

... هذه العلاقة بين مصوع ومن فيها من بني عامر وبين سائر ... الى احتلها محمد على باشا إذ أن محمد على باشا ومن بعده ... كانا قد ضما تلك المناطق عن طريق استئجارها من السلطان ... ممتلكاتها فى السودان بما فى ذلك زيلع وهرر وملحقاتها وذلك ... ١٨٦٥ ميلادية ، غير أن التغيير الكبير الذى حدث هو فى الإسم ... محمد على باشا على ممالك السودان المختلفة كما ذكر المؤلف ، إذ ... من كل ملوك القبائل ، وأطلق عليهم لقب « نظار » ، ... فقدوا حكمهم الملوكية العريقة ، والحالة المفقودة التى كانت تحيط ... التعامل مع بعضهم بعضا أو عند التعامل مع الدول الأخرى .

... ظهر الإستعمار الغربى فى إفريقيا ، وحوى معظمها بأسرها ... مستعمرات أوربية إذ كان الجزء الجنوبى من مملكة بنى عامر من ... إيطاليا . ووضعت مصوع كجزء من تلك المستعمرة لتكون ثغراً لها ... استولى إيطاليا على الحبشة فى أول فرصة ممكنة وذلك بالرغم من بعد ... مصوع الجمرك من الأراضى الحبشية المطلقة الشاهقة . وقامت الثورة ... السودان بعد ... مصر على تلك المناطق فى إرتريا التى كانت تسمى ... الشرقى وحاكمها ... حاكم عام السودان ويحكم المنطقة مونزنجر ... إيطاليا هذه الأجزاء من أراضى مملكة البجة وضمت إليها أراضى ... وأسمت المستعمرة إرتريا ... للبحر الإرترى الذى كانت ترد إليه السفن ... من مصر فى العهود الرومانية وبهذه السياسة فقدت مملكة بنى عامر

جزءاً كبيراً من أمثالها وأراضيها ، وصنع على السودان ذلك الجزء من وطنه الذى اعترف له به المأمون بن هارون الرشيدى والذى ورثه السلطان العثمانى حتى سلمه للخديوى اسماعيل . وفى الواقع فإن إيطاليا قد ساخت ثلثى قبائل بنى عامر بأراضيها من مملكة البجة الأصلية ومملكة التقرى وضمتها بإسمها أولا ، ثم وضعتها الأمم المتحدة تحت الحـــــــكم الفدرالى الإثيوبى حتى ضمها الإمبراطور هيلا سيلاسى بطريقه الخاصة نهائيا إلى إثيوبيا فى آخر الأمر . وقد أخذ أبناؤها الآن يحاولون إحياء أمجادهم التاريخية واستعادة ما فقدوه من حرية ومشاركة للعالم فى بناء مدنية تقوم على مبدأ الحرية والمساواة والتقدم .

لم تكن قبائل بنى عامر ومن معها من قبائل أخرى عندما نزحت من الجزيرة العربية قبائل رعوية فحسب ، بل كانت أيضا قبائل منهم الزراع والفلاحون وقد كانوا يعرفون الزراعة والحرث بفضل ما كان لديهم من مخلاف فى كور اليمن إذ كانوا يعتمدون فى معيشتهم على الزراعة من مياه سد مأرب ، ولذلك فإنهم عندما استقروا فى الأراضى السودانية التابعة لمملكة البجة لم يتوغلوا فى أرض الحبشة كما فعلت قبيلة الحبش العربية من قبلهم إذ استقر هؤلاء فى الهضاب ، ولكن بقى أكثر قبائل بنى عامر حول الوديان والأراضى الزراعية والخيران . وكانت الزراعة فى خور بركة منذ قبل القرن الرابع الميلادى تقوم على سواعد البجة الأصليين من سكان المنطقة الذين اشترك معهم بنو عامر فيما بعد فى هذا المجال الزراعى . وقد عرفت هذه القبيلة زراعة القطن من سكان إقليم البجة السابقين الذين كانوا يمارسونها من قبل ، وكانت الأفواج الأولى من القبائل الحميرية التى نزحت إلى شرق السودان الجنوبى

قد أخذت تعمل فى هذه الزراعة مع البجة ويخبرنا الملك عزانا الأكسومى (حوالى سنة ٣٥٠م) بأنه خرج فى حملة عسكرية لتأديب البجة والنوبة الحمر والنوبة السود فى تلك السنة ، وأنه أحرق مزارع قطنهم التى وجدها أمامه ، ولاشك فى أنه احترق أراضى توكر وخور بركة – تلك الأراضى التى كانت وما زالت تزرع قطنا وذرة ودخنا كما جرى فيها الماء فى الخريف كما هو الآن وقد ذكر عزانا فى كتاباته هذه أسماء كل من البجة والحاسا والنوبة الحمر والسود على أنهم من بين الشعوب التى حاربها وانتصر عليها ، مما يظهر من أنهم كانوا يقفون فى حلف واحد ضد اعتداءاته التى تكررت دون أن ينجح فى إخضاعهم أو الاستيلاء بشكل نهائى على بلادهم .

والمملكة بنى عامر وقبائلها أهمية استراتيجية وتجارية فى التاريخ القديم والحديث ، فهى بحكم مقاومتها الضارية لأبرهة عندما غزا مكة المكرمة ، منذ خروجه من اليمن ، كانت تحمل راية المقاومة الحربية ضده وبذلك صارت حلفا لقريش وخاصة زعيمها عبد المطلب ، وربما يكون قد أدى هذا الاعتداء إلى تقارب فى العلاقات بين قبائل البجة الجنوبية ومسلمى قريش من المهاجرين الأوائل ، وما قدمته هذه المملكة البجاوية الجنوبية من مساعدة للمهاجرين الأوائل من المسلمين حتى خرجوا من مكة المكرمة قاصدين نجاشى الحبشة . وربما كانت ميناء مصوع أو بضع حصص اسمها القديم هى موضع نزول هؤلاء المهاجرين المسلمين وقد ذكر كروفورد فى كتابه عن مملكة الفونج فى سنار (ص١٢٦) « أن مصوع كانت متصلة منذ البداية وعلى مر التاريخ بقبائل إقليم بنى عامر والذى كان بكل تأكيد جزءا من أراضى

صنار ، وأنها كانت آخر موطن لأصدقائنا البلو (بلي) الذين أصبحوا يحكمون فيها باسم نائب » .

وبسبب وجود مملكة البجة في مصوع وإن هجرة المسلمين الأوائل لم تواجه صعوبات أو اعتراضات من جانب سكانها ، وكما عرف عن قبائل بني عامر حتى الآن فإنهم بطبيعتهم كزراع كانوا وما زالوا يعيشون حياة استقرار ، ويستقبلون التجار الجوالة لبيع سلعهم ، لهذا فإنهم قبلوا بلجوء المهاجرين المسلمين بترحاب . ويصف السير ولاس بدج في تاريخه عن إثيوبيا هذه العلاقة فيقول بأنه في سنة ٦١٥م هاجر أحد عشر رجلا وأربع نساء من مكة المكرمة ووصلوا إلى ميناء شعيبة بالقرب من جدة حيث استقلوا سفينتين وأبحروا عليهما عبر البحر الأحمر إلى الحبشة بأجر قدره نصف دينار للشخص الواحد ، وطاردهم القرشيون ولكن وصلوا إلى شعبة بعد أن كانت السفن قد أبحرت بهم وقد سميت هذه بالهجرة الأولى لتمييزها من الهجرة الثانية التي كانت أكبر حجما وأكثر نفرا » .

ولنا أن نلاحظ أن المهاجرين الأوائل لم يسلكوا طريق البر إلى اليمن ومنها عبر باب المندب إلى سواحل البحر الأحمر الغربية ، ولكنهم آثروا الإبحار من شعيبة على طريق البحر الأحمر جنوبا إلى ميناء مملكة جادين وهي باضع (أي مصوع) .

ولما لم تكن للحبشة سواحل إذ أنها أرض مغلقة ، فقد كان لابد لهؤلاء المهاجرين من أن ترسو سفنهم في ميناء مملكة جادين أي باضع مع ملاحظة وجود حرف الضاد في باضع مما يوحي بأنها عربية محضة ، وقد كتبها البرتغاليون

أحياناً BAZI مما يدل على أنه احتفظ عليهم الامر فى مخرج حرف الصاد ونطقه لم يستطيعوا أن يميزوا بينه وبين حرف الظاء ، ومازال كثير من المتحدثين بهذه العربية يخلطون بين هاذين الحرفين حسب القبائل التى ينتمون إليها ، وإذا أخذنا فى الحسبان ماذكره كروفورد عن باضع ما أكد لدينا أن المهاجرين الأوائل من المسلمين حلوا ضيوفاً على مملكة جاوبن البنى عامرية بحكم الروابط الوثيقة بين قريش وسائر العرب فى كل مهجر ، ولقد كان سكان هذه المملكة من بجة وعرب همزة الوصل بين العرب وأراضى الحبشة عبر مناطقهم فى إرتريا الحالية وذلك فى عهود ماقبل الإسلام وما بعده ، وكانت المملكة حاروبن تجارة رائجة بفضل نشاط أبنائها فى الزراعة والصيد ، وكان من أهم صادراتها منتجات القطن والدخن والذرة والسمن وريش النعام والإبل والضأن والحيوانات المتوحشة التى كان يؤم يسميها الصيدون والتجار ملازم اشرائها وتسليم وتصديرها للعالم الخارجى منذ أقدم العصور . وقد كان البجة هم الذين يجلبون التوابل من العالم الشرقى عبر أراضيهم ويرصون قوافلها حتى تصل مرسى فى صعيد مصر ، ثم من هنالك تنقل إلى الإسكندرية فمناطق أوربا المختلفة . وقد كان من الصعوبة بمكان نقل هذه التجارة عبر الأراضى الحبشية والمناطق بسبب مرتفعاتها الشاهقة ووعورة طرقها وانعدام الأمن فيها . ولكن سهول ممالك البجة ومراتعها وإبلها جعلت التجارة تروج فى مناطقها . كما كانت جسورها العربية من الشواطئ مثل سواكن ومصرع وعيرى (جزيرة الريح) خير ما ترسو عليه السنابيك والجلاب والفلك فى عهود التاريخ المختلفة[1] .

---

1 انظر كتاب تاريخ سواكن والبحر الأحمر للمؤلف .

وكانت هذه المملكة ملجأ دينيا عندما يشتد الاضطهاد الديني كما حدث للمسيحيين في نجران حين قام ذو نواس اليهودي باضطهادهم وحرقهم في الأخدود فقد فر من وجهه كثير من أبناء اليمن المسيحيين ورحلوا إلى سواحل البجة في مملكة جارين بسهولة العبور إليها ولسكونها ملجأ أمينا من ذلك الاضطهاد الديني . ولما ظهر الإسلام بنوره ، وزاد اضطهاد قريش المسلمين نصح النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ليبقوا فيها حتى تنفرج الغمة وقد نزل هؤلاء المهاجرون على مملكة جارين البني عامرية كما رأينا حتى بلغوا نجاشي الحبشة ، ولو أرادوا البقاء هناك لوجدوا من الترحيب والتمجيد ما وجدته مملكة سنار الإسلامية ودولة المهدية من نصرة وإعزاز ، وما وجدته دولة الخديوي اسماعيل من مؤازرة .

وسواء أكانت هذه المملكة قد سميت على قبيلة بني عامر اليمنية المناضلة التي نزحت مع من نزح من القبائل العربية قبل الإسلام أو كانت هي من أبناء بني عامر بن كنو كما ذكر أبناء القبيلة للكونت روزني في إرتريا كما حدثهم بذلك أباؤهم ، أو كان هذا الاسم يرجع إلى عامر بن علي المحنك العباسي كما يرى مؤرخنا ، فإنه لا ريب في أن هذه مملكة عريقة الجذور في شرق السودان ، وأن أراضيها كانت جزءاً من وادي مملكة البجة الكبرى التي امتدت من أسوان حتى انتهت في مصوع وجزائر دهلك .

وفي الصفحات التالية يبين مؤرخنا محمد صالح ضرار تفاصيل تاريخ قبائل هذه المملكة أي مملكة بني عامر .

« دقلل »

تطلق هذه الكلمة على ناظر عموم قبائل بنى عامر (باللسان العامرى) ويقال له بالبجاويه عند متكلميها من البجه « وَقَداً » والأخيرة يلقب بها كل نظار أقليم البجه عند متكلمى البجاوية وهم سكان غرب خور بركة والقاش، وأما سكان الشرق حتى سواحل البحر الأحمر فلا يعيدون إلا الأولى. وهى سهلة الكتابة غير أنها تحتاج لشكل (أوضحنا ذلك).

وسنبدأ بيت النظارة أولا ، ونوضح عصر كل ناظر وحوادثه . ونبين الأسانيد التى اعتمدنا عليها فى حقيقة النسب وصحته . فنقول إن رهط النظارة يقال لهم النابتاب وهم ينتسبون إلى رجـــــل من الجعليين[1] يقال له « عبد نابت »[2] ابن أبى القاسم بن محمد الطويبع بن أحمد سُوينق بن شاع الدين ابن عرمان .

تلقى على نابت دراسة القرآن عند أخواله فى جهة مَلْهاتْ ، وقد هاجر والده الشيخ أبو القاسم من مدينة المتمة حوالى سنة ٩٢٥ هـ ، فدخل سوبة وسافر منها إلى بلدة عامرة يقال لها « ديرة »[3] وكانت تسكن حولها قبيلة

---

(١) وجدت هذه المقدمة مكتوبة فى سجل صغير عند الشيخ الحسن ابن صالح ابراهيم سنة ١٩٢٠ وكان وكيلا لنظارة بنى عامر بكسلا . وكـــان أجداده يحتفظون بها حتى لاتضيع أصولهم وفروعهم .

(٢) أمة من قنود الملهيتكناب .

(٣) بقى من آثارها بئر مشهورة وقد أصبحت ملكا لقبائل التكرية . ولكن للبئت الى اليوم يحنون اليها ويتغنون بمائها العذب ومراعيها الطيبة . ويقول أصحابهم لولا القوة والحيل التى استعملت ضدهم لما بارحوها .

من البجة تسمى لبت (LABAT)، فأقام بها زمناً ثم رحل منها إلى مدينة «اتاكا» (كسلا) ثم أراضى الناش، ثم ارتحل إلى وادى «إمبوريب» «IMBOUREIB».

ثم سافر مع جماعة من المهلية كتات إلى جهة طواب وأقام مع القمود وتزوج بامرأة منهم، ثم رزق منها ولدان سمى أحدهما «القاسم» فمات صغيراً أما الثانى فسمى «علياً» وهو على نابت(1) الذى بعد أن أخذ كفايته من العلوم الدينية قام للدعاية الإسلامية بين الوثنيين من سكان إقليم البجة فتوجه نحو جبال مرويت وأسرم دريهيب ASA 'AMA - DERHIB (2) ونزل ضيفاً على ملك البجة المقيم فى تلك الناحية وهو المدعو «دقال محمد بن إدريس أدر أيب» ADAR AYEIB وترجمتها أحمر اليدين لأنه كان يصبغ يديه بالحناء. وأول عمل أتاه الشيخ على نابت هو فتحه خلوة لتدريس القرآن، وطلب ذات يوم من الملك أن يزوجه ابنته فرضى بعد أن استشار أقاربه، ولكن بعضهم اعترض على ذلك وقالوا كيف نزوج ابنتنا لمن لانعرف أصله(3)، وبيتوا النية على التكيد له. ولكن الملك زوجه إياها، واستعدت النساء من أزواج مقابل واجهة البيوت إلى الحرب وتطاولن بهجو الملك وصهره، وهذه العادة لانجدها اليوم إلا فى القبائل الإثيوبية.

---

(1) كان جماعة من البجة يسألونه عن مقدمه فيرد عليهم بقوله لتهكما) «نبت من الأرض» ولذلك اشتهرت ذريته بأبناء «النابت». وملك البجة كان من البلو.

(2) هى مثل شور بلامس ماماى و «تسدرة» بأرض السود يغاب وعربيها «التلال السبعة».

(3) كانوا يسكنون فى عكانت تلف Aakat - Ba-af «ومعربها ظفر الحوم»

وبعد الانتهاء من مراسيم القرآن انضم الشيخ على ثابت إلى أصهاره ونجح في نشر تعاليم الدين الإسلامى ، وأمر الملك كل القبائل أن تعتنق الدين الإسلامى سريعا . فكان النجاح حليفه ولم يتخلف عن الدعوة إلا سكان عكش تآلف من البلو ، فهجموا ذات يوم على قرى بنى عمومتهم ، وقتلوا الشيخ على وكل من دافع عنه ، وانتزعوا النحاس من بيت الملك همد ، وبذلك احتلت النظارة ، ودمروا الخلوة وطردوا منها الطلاب وأنذروا المليكتاب بالحرب إذا حاولوا إرسال أحد طلابهم للدعاية الإسلامية . وبعد مضى زمن وضعت زوجة الشيخ على غلاما سموه « عامر » حسب وصية والده : وكان دائما يذكر لأصهاره بأنه خلق من الجنة ، وأنه يحفظ نسبة في طي المصحف . ونشأ عامر في كنف جده وأخواله حتى بلغ سن الرشد ، وتشاجر ذات يوم مع أحد الشبان وتشاتما ، فقال له الشاب « نحن قتلنا والدك ، والرجل الذي تناديه بوالدى هو خالك ، واتخذنا من جمجمة والدك مدا نكيل به الحبوب » فغضب عامر من كلامه وذهب إلى أمه وطلب منها أن تقول له الحقيقة فحاولت إخفاءها ، ولكن أمام إلحاحه اعترفت بكل شيء ، وسلمته مخلفات والده[1] ، وهى السيف والمصحف والفروة . فسار إلى جهة ملهابه وأخبرهم بما أصاب والده الشيخ على . فأرسلوه مع إحدى القوافل إلى القا كا تم إلى شندى ، وهناك تقدم بنفسه إلى ملك الجعليين ، فتحققوا من صحة نسبه ، فسرد لهم كل ما أصاب والده ، وكيف أنه قتل مظلوما . وذكر لهم زوال مملكة جده وأخواله واستيلاء خصومهم عليها . فاستاء الملك ووزراءه وطلبوا أن يقوم مع عامر بعض المتطوعين من الشبان ، وطلب من ملك سنار نجدة

---

(1) تعتنى قبائل بنى عامر فى أخذ الثأر وسرعة الانتقام التى يوصيا عماء

أخرى من أبناء العبد اللاب ، فكانوا نحو مائتى فارس على خيولهم فاشترط وزير العبد اللاب أن تكون البلاد تابعة لسنار وأن يكون ملكها « عامر » ، فوافقوا جميعهم . فقاد عامر فرسانه حتى وصل إلى هود آف علواب تتبعه جماعة من الحمراء بالطرق ومساكن خصوم عامر فى عكات ناف . فأغاروا عليها ودمروا كل من وجدوه من البلويب واستولى عامر على المقارة وشتتوا شمل سكان القرى ، وأوقعوا فيهم الرعب بالخيول التى لم يألفوا القتال عليها . فطلبت القبائل الأمان ، وخضعت لسلطة عامر . فنادى مناديه بالأمان ، وخضعت قبائل البجة والحماسين لسلطة عامر ، وتبوأ عرش أخواله ، ومنع الناس من مطاردة البلو ومن معهم ، وأعلن العفو العام عن كل الخطائين معه أو ممن اشتركوا فى قتل والده وذويه . وبعد عام أرسل الغنائم والزكاة من الإبل وسائر المواشى مع الفرسان إلى شندى وسنار (1) .

فاعتمدت حكومة السلطنة الزرقاء « مملكة بنى عامر » (2) .

ثم تزوج عامر بإحدى بنات أخواله ، ثم بدأ بتعيين بعض القراء من للمكتاب لنشر الدين الإسلامى وإنشاء الخلاوى فى القرى البعيدة والقريبة ، وتنفيذ الأحكام الشرعية بين المتخاصمين ، وأن تكون المعاملات بمقتضى الكتاب والسنة ، وأن تدفع الزكاة فى مواعيدها ، وأن يكون لعامر عشر المحصول من

---

(1) لم يكن فى حاجة لإبقائهم معه لأن القبائل البنى عامرية كلها مسالمة ولاتميل للشر إلا فى حالة الثأر فقط .

(2) اجتمعت آخر عائلة من البلويب فى جهة «قبرتة» فحاربها عامر بعد قتال استمر ثلاثة أيام . وتفرق ملكهم فى أرض الحباب ومنسوع واندمج من بقى منهم فى البجة وخضع لسلطة عامر .

السمن والعسل . واستمرت هذه العادة تعطى للرؤساء حتى انتهت الحوائج وساءت حالة المراعى بجهات الحقيق . أما فى إرتريا فالحالة طيبة جداً ولم تتغير عما هى عليه فى القرون السابقة . ويروى أن قبائل قود أعطت للشيخ عوايده من نياقها الزهيرية « جوهرى » وسبق أن أعطوا الأخير مثلها حينما تزوج أبو القاسم الشاع الحيفانى . واليوم تسمى هذه الإبل «فرطات» لأنهم وضعوا على أمها فوطة — وهى عزيزة عند النابتاب .

وأشهر من نعلمه منهم تاريخ بنى عامر هو الشيخ محمد نور على ضرار ، والشيخ أحمد موسى (شيخ مشايخ بنى عامر وقد توفى سنة ١٩١٩ بعد أن نيف على المائة عام[1] والشيخ جعفر كشه ، وكثيرون غيرهم أمثال الشيخ محمد بن إدريس محمد حميد بيت معلا ، وإنى أعتبر نفسى مقصراً فى تاريخ بعض القبائل التى لم يتسنى لى بلوغها بسبب سوء المواصلات أو لاتساع امتدادها لأن كثيراً منها أعاقتها الشيخوخة والهرم

قال نعوم بك شقير « إن مملكة بنى عامر » قامت فى الصحراء الشرقية وحدود بركة شرقاً وغرباً بين المقيق على البحر الأحمر وبلاد الحبشة ، وشمالاً بالمدندوة جزاء خور بركة حتى سواحل البحر الأحمر . وهى مؤلفة من أربع قبائل عظيمة وهى :

(١) البجة والخاسة (٢) وبنو عامر (النابتاب) (٣) العيلاب (ملهيتكناب) (٤) بيت معلا (الحماسين) . قيل إن بنى عامر جاءوا من

---

(١) سجل اسمه المستر ريتشارد هل فى كتابه (رجالات السودان) .

الحجاز فملكوا البجة وطاسة ، ثم جاء المجيلاب والنايتاب[1] وهم أبناء نابت من الجعليين فملكوهم جميعاً ، وقد انضمت إلى سلطة عامر عدة قبائل أخرى .

ونحن نخالف نعوم في اسم « بني عامر » إذ أنه اسم أطلق على هذه القبائل من مملكة الجعليين (لأنه ابنهم) ، وكذلك من مملكة الفونج ، ولو أن في في بطون بني عامر عدة قبائل عربية .

ونأتي هنا على وثيقة صحيحة تؤيد جعلية « عامر بن علي نابت » ، ولاتمام الفائدة كنت قد كتبت ملخصاً عليها وأسميته « حياة العباس وبنيه » ولكنه فقد مني في بطون أوراق التاريخ إذ كنت أريد أن أزين به تاريخ كل العباسيين خصوصاً بني عامر والجعليين والحمدوية والعباسية الخ .. وإذا عثر عليه أحد الأشخاص فليضمه في مقدمة تاريخ الأمير عثمان ابن أبو بكر دقنة[2] .

---

(1) هم بيت نظارة المعقل اليوم .

(2) وجدت هذا الملخص .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . أما بعد :

فإن معرفة الأنساب من الأمور المهمة الصعاب لقوله صلى الله عليه وسلم : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم . وقال رجل « تعلم الأنساب علم لا ينفع وجهل لا يضر » هذا في زمن التحابب والتوادد . وأما زمننا هذا وهو زمن التباغض والتحاسد واجب تعلم الأنساب لأن آخر الزمان تحصل فيه فتن بين ملوك العرب ، والعجم ويتغلب العجم بممالك العرب ، ويجهل الأنساب ولا يتخلصون من ذلك إلا بالأنساب . والنسب يثبت بالإشاعة والناس مأمونون على أنسابهم إلا من ادعى شرفا فإنه يطالب بإثباته بطريق ذلك الحال ، فإن لم يثبت يعاقب شرعا(١) وأما غير ذلك فلا فإن من حفظ نسبا من أبيه وجده وحازه فإنه على ما حازه ، ومن نفا عنه وادعاه لغيره كلف بينة . فإن لم يثبت ما ادعاه ، حد شرعا . ويوافق ذلك ما قاله مالك « الناس في أنسابهم على ما حازوا وعرفوا كحيازة الأملاك » . ومن ادعى خلاف ذلك كلف بإقامة البينة وإلا حدّ .

(فصــل)

في الشرف وما يتعلق به ، فأقول وبالله التوفيق « قال عليه الصلاة والسلام» لشرف لي ولعمي حمزة والعباس » وكل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبه ونسبه ، حسب الدين والتقوى ونسبة ذريته الخاصة وهو ذراري

---

(١) كان القاضي عبد القادر حسبي بمحكمة سواكن الشرعية وهو مشهور من القضاة كثيري التحقيق في الأنساب القرشية ويحدون كل من يدعي كذبا النسب الهاشمي .

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم من الإمام على رضي الله عنه ، وهما ذرية سيدنا الحسن أو الحسين ، وكل نسب يلحقه بالشرف مقدم على غيره قطعا ، وأما النسب إلى قريش فإنه يقدم على غيره حيث انتهى إلى عدنان ، فيكون صحيحا لقوله صلى الله عليه وسلم : «قدموا قريشا ولا تقدموها» وعلى هذا إن ابن الشريفة ليس بشريف — الشرف الخاص على ما ذهب إليه ابن عرفه وأبو حنيفة — وإن التفاخر بالأنساب مذموم شرعا ، فلا ينبغي لأحد أن يفتخر بنسبه على غيره مطلقا ، إلا إذا رأى احتقاراً أو أراد أن يعرف نسبه لصلة رحم على ما ذكر في القرآن الشريف .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله تعالى « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » .

فإذن الكرم عند الله يحصل للعبد بالتقوى ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء والأجداد ، مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب ، إذا كان الأصل واحدا فكيف يتكبر الفرع بعضه على بعض إلا من خصه الله تعالى بالعلم والتقوى فإن له الشرف بذلك قطعا .

(فصــل)

في أصول العرب وبعض من قبائلها وأبناء العباس ، فنقول وبالله التوفيق :

« إن قبائل العرب كثيرة على ما ذكر في كتاب السمرقندي ، وكتاب البحراني ، وغيرها من كتب الأنساب ، وهاك ما اشتهر منها وهي : حمير ، وطي ، وتغلب ، ولخم ، وجذام ، وهمدان ، ومذحج ، ويعصر ، وحفصة ،

وكب ، والأزد ، ومزينه ، وجهينة وغيرها منهم كلها تجتمع في جد واحد وهو الحسن بن قحطان بن الحسن بن النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام والله أعلم .

أولاد العبـاس

أما أولاد العباس الذكور عشرة وهم : الفضل ، وعبد الله ، وقثم ، وعبيد الله ، والحارث ، ومعبد ، وعبد الرحمن ، وكثير ، وعون ، وتمام : على ما قاله الحافظ بن حجر في فتح البارى شرح صحيح البخارى . وقيل أحد عشر : سعد على ما ذكره محيى الدين بن العربى فى المسامرات ويقوى العدد الأول قول ابن عباس تموا بتمام فصاروا عشرة ، يارب اجعلهم كراما بررة وقال إن لكل منهم قبرية ببلدة نائية من بعضها لأنه لم يوجد أب أبعد قبورا من بنى العباس . وكذلك فإن عبد الله بالطائف ، والفضل بالشام ، وعبيد الله بالمدينة ، وقثم بسمرقند ، ومعبد بأفريقيا . وكان للعباس ثلاث بنات : أم حبيبة وآمنة وصفية ، وأكثر أولاده من لبابة أم الفضل وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أما بنو جدارهم فلم نعلم لنا تفصيلا سوى ما ثبت من أولاد ولده حبر الأمة عبد الله رضى الله عنه – فإن المشهورين منهم ثلاثة « على والفضل وأحمد » .

أما على فذريته بيت الخلافة المعروف عند الأمة بالخلافة العباسية . وأما الفضل فذريته بنو أسعد المعروفة بذرية أبو مرخة وسيأتى سلسلة نسبه عند نسبة « جُمَل » . وأما أحمد – على ما قيل – لم يترك له ذرية . وقد توفى سيدنا العباس رضى الله عنه فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنه ٣٢ هجرية وله من العمر ثمانون عاما .

« أسباب الهجرة »

أما سبب خروجهم إلى بر السودان والغرب والحبشة وذلك كان في ولاية الخليفة أبي محمد عبد الله السفاح وهو أول من تولى من بني العباس فنزع الملك من يد مروان الذي قيل فيه إنه آخر ملوك بني أمية . ولم يزل السفاح المذكور في قتل بني أمية وأتباعهم حتى أخلى منهم الأرض ، فهرب سليمان الأموي إلى أرض الحبشة ، وأقام بها زمنا طويلا . فبلغه أن السفاح جاد في طلب بني أمية بعد تفرقهم في البلاد حتى لحق بمحمد بن الوليد بن هاشم في بلاد الأندلس فقتله . وهرب سليمان المذكور من أرض الحبشة إلى أرض السودان وتزوج بنت ملك من ملوك السودان واستولدها على ما سيأتي ذكره واستوطن بسنار حتى صاروا ملوك السودان المشهورين بدولة الفونج . ولقد خرجت العرب أيضا في زمن الحجاج إلى أرض السودان بطريق السويس والبحر الأحمر حتى وصلوا إلى بلاد الغرب . ثم عادوا إلى دنقلة والنيل ، وتغلبوا على النوبة وجهينة حتى صاروا أهلا للسودان [١] إلى وقتنا هذا .

« نسبة الجعليين »

أما نسبة قبائل جُعَل فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ الكامل المرشد الولي الصالح الفقيه العالم العلامة محمد بن عيسى بن عبد الباقي بن عبد الحق ابن علوان بن صالح بن الحسين بن دهش بن بدير بن عمرو بن سرار إلى

---

(١) أعددنا بحثا خاصا لهجرة للأمويين من دنقلة عن طريق صحراء إقليم البجة نقلا من تاريخ اليعقوبي «مصحح» .

نقلتها من مكة المكرمه من الشيخ الكامل العروف العارف بأنساب الأنام وهو نقلها من الشيخ سالم السنهورى فإن قبائل جعل من مرار ومن لم يتصل به فليس بجعلى أى « عباسى » .

من جهة جعل ، وهاك عمود نسبه — وهو مرار بن السلطان حسن المعروف بكودم بن أبى الديس بن قضاعة بن خوقدم بن مسروق بن أحمد اليمانى بن ابراهيم المشهور بالجعلى ادريس بن قيس بن يمن بن الخزرجى نسبة إلى أمه من الخزرجى بن حمدان بن قصاص بن كرب بن ماطل بن باطل بن ذى الكلاع الحميرى نسبه إلى أمه من حمير ابن سعد الأنصارى (نسبة إلى أمه من الأنصار) بن الفضل بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان .

وهـــذا هو المتفق عليه . وعدنان بن أد بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن يترح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بن تارح بن ناخور بن شاروخ بن ارعوين بن فالج بن عير بن هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن مهلاييل ابن أنى خنيث ابن يانيس بن شيث بن آدم عليه السلام ، وآدم من التراب والتراب من الزبد ، والزبد من الموج ، والموج من البحر ، والبحر من الظلمة ، والظلمة من الدخن ، والدخان من النور المحمدى ، والنور المحمدى من النور الالهى ، والله أعلم بالصواب .

أما القبائل التى نشأت من الأجداد ما بين مرار وعبد الله بن العباس ولم

تعمر ابر السودان أو الحبشة أو بلاد العرب أو مصر ومنها انتهت ببلاد الحجاز ، وإلى الآن فروعها باقية بها وكذلك أولاد العباس الآخر .

« جعل »

أما تسمية جعل بهذه الاسم فإن لهم جدا أسود اللون مثل الجعل وسمته عمته « جعل » فاشتهر نسبه بذلك ، وسميت به القبيلة ولنرجع إلى ذكر سرار وفروعه « أولاد سرار » .

أما أولاد سرار بن كردم ثلاثة : سَمْرة وسُمَيْر وسمار :

أما أولاد سمرة فأربعة : بدير ، وعبد الرحمن أبو الشويحات ، وتركى ، أبو الطرفية وبتاش جد الرباشاب ، وسُمَيْر أولاده أربعة : القربّات والغُنّ والقصاص والبطحان . وفى السمرقندى أن البطحين من آل بطحت ابن دجانة .

وأما أولاد سمار فأربعة : سعد الفريد — والأشقاء منهم ثلاثة : صبيح أبو صبيح وبرباط وخبيه . أما أولاد أبو مرخه فثلاثة حمد الأكرت جد الماجدية والكرنان وحميد العوام جد التوايمية ، وحميدان جد العوينية .

أما أولاد حميدان فثمانية : غانم وشايق (أشقاء أمهم عاقة بنت رباط) ، وحسب الله ومطرق أشقاء : أمهم عائشة القمر الفوتاوية ، وقنيم ، وغنوم وجبيم ، وملك ، الزين وهم أربعة أشقاء .

وأما أولاد غانم فثلاثة : صواب وضواب وحفوج . أما أولاد صواب اثنان : بشارة وناصر . أما أولاد بشارة : الميرفاب والزيداب والعبد الرحماناب والفاضلاب والرباطاب والسرحاب إلى غير ذلك من أولاد بشارة ، ومكنوم

من ...ر إلى أرض الأورو وناصر جد البادراب . أما أولاد ضواب فاثنان : عرمان وأبو خصين : أما أولاد عرمان فثلاثة عشر : حبل وجبر وعبد العال وعدلان وزيد ومكاير وشاع الدين ومحمد ونصر الله وعبد ربه ومسلم وشبهب و...بايه وأما أولاد أبو خصين فاثنان : محمد ومحمد البهكري ، محمد جد ...ب الحداب ناس الجريف والقرباب والباياب والكتياب ، ومحمد البهكري ...ب د الأوجاب ناس ولد مرجان الله . أما أولاد عدلان ثلاثون . الكواسكة ... أمهم بنت علي كركوس ، والشناب أربعة : نافع ونفيع أشقا . أولاد ... خاوية ، ومحمد جد الحمداب ، وعلي عوده أشقاء أولاد بنت ولد شعل الكاية ، ومحمد المبود وعبد الدايم أشقاء ، وأبو سليمان وبركات أشقاء ... محمد فريد والشيخ عبيد فريد والعرص فريد وعبد الرحمن فريد وأبو بكر ... . أما أولاد عبد الدايم فخمسة عشر منهم المرتقل وأبو بيصرون ... تمرشكول وأبو الحداد والكتاوى وضواب وقادس والقدو والسدو وأبو ...بو وعلي بويو وأحمد أبو العلاليت ومحمد دنقل . وأما أولاد عبد المبود ... : محمد الأصغر وبلال القيده ونيس شقل وكتكيت وبعبوش وعبد السلام وموسى الحضير محمد الأصغر جاب الصقر وكتكيت جاب الكتكيتاب وموسى ...ب الجيراب والتامراب والوسياب والحضير جاب العيال حد القلاب وبعبوش ... البعايش وعبد السلام جاد . سعد وعبد الدايم جاب الحوانيت والكيتولاب ، ... سعد وإدريس جاب الكلامين ، وأبو بكر جاب أولاد عبد الدايم ، ومجموعه ...جب ناس عبد الله ولد الدليل .

وأبو حيس جاب غناوه وكلهم بجبل إدريس وأما أولاد عبد العال ...ة وعشرون : محمد جواد كوش وتدبل ومحمد وعبد الكريم وحمارة

وحسب الله وموسى وعمر وجعفر وجاد الله ورافع ومجزور وكلتود وكشر وبشر وتسمه كلى والعاشر الشيخ ناوى ذريته مع البطحانى — وأما أولاد دياط فنعمة هو من جد الموضية ، وقريش جد القريشاب وحسن جد الحيتقرية وعبيط جد العبيطية ومقبل جد القابيل ودهره جد الدهيمات — أما أولاد سعد الفريد . فعطان وطه ونهيد . أولاد قحطان سبعة : صبيح جد الصبحية ومصل جد الفضيلة ومحمد الضب جد الضهانية اهـ .

وهذه النسبة قد نقلتها من عدة أنساب تزيد على ستة وعدة كتب أشهرها السمرقندي وكتاب العمران وغيرها من كتب الأنساب الصحيحة نسأل الله تعالى أن يكون قرين الصحة وأن تستفيد منه الأمة العربية بالسودان حتى تكون أصلا لما أخذ عند ذوى الشأن - والرحمن وصلّ وسلم على سيد ولد عدنان[1] واختم لنا بحسن الختام والاحسان آمين .

<u>ملحوظة :</u>

نقلها الشيخ العاقب نور الهادى

قد تمت هذه النسبة بعون الله تعالى وحسن توفيقه على يدى الفقير إلى رحمة ربه القدير الحصر أحمد الباشا بن محمد موسى غفر الله لنا ولوالدينا واقاربنا ومامعنا وجميع المسلمين آمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(1) لقد حذفت منها أسماء القبائل التى لا تنتسب الى سيدنا العباس ابن عبد المطلب — اذ جل غايتنا هنا هو حصر ذريته حسب ما تونب احفاده بالسودان : محمد صالح ضرار .

«الشيخ عامر»

هو عامر بن علي ثابت الشامع الدبنابى الجعلى من نسل عرمان بن ضواب وأمه بنت وَهَدَا (الملك محمد بن إدريس أدار أبيب (أحمر العينين) . وأما والده على ثابت من فمود[1] ، الهيتكناب البكريه ، وكان وَهَدَا محمد ملكا على الحبشة ، وأصله من قبيلة « تِيَّى » بَلَوَ أو بَلَوِيب . وكانت سلطته ممتدة من حدود توكر حتى مصوع .

وكان عامر لايعرف شيئا عن حقيقة والده ، فلما بلغ أشده سأل والدته عن أبيه فذكرت له أن أخواله البلو صاهروه ثم خالفوا ملكهم (أباها) وقتلوه ، ثم أعطته خلفانه كما أسلفنا فى الروايات السابقة ، فأخذها عامر وسافر حتى وصل مدينة شندى وعرض نفسه على الجعليين فعرفوا والده وأرشدوه إلى أقاربه (ذرية عرمان) ، ثم تقدموا به إلى ملكهم كما جاء فى الروايات السابقة .

ونحن بعد بحث وتدقيق فى عدة من كتب الأنساب الخطية والمطبوعة اعتمدنا صحة كل هذه الأنساب القرشية . والشيخ عامر بن على ثابت أنشأ هذه المملكة مما يدل على أنه من أعظم رجال (البنى عامر) عصره إذ أزال دولة ثم بنى على أنقاضها مملكته المشهورة باسمه إلى اليوم ، وهو معدود من الأفذاذ الذين سمحت بهم الأيام .

---

(1) قيل ان الهيتكناب أعطوا على ثابت تامة من تناتهم التى هاجروا بها من الحجاز الى السودان ، ولاهميتها عندهم كانوا يضعون عليهما قطعة حمراء ولذلك سميت «موطات» ؛ ولايزال نسلها موجودا عند جميع النابتاب .

وعاش الشيخ عامر في توطيد مملكته حتى توفي ولم يعقب إلا ولداً واحداً هو الشيخ ناصح .

« الشيخ ناصــح »

اشتهر هذا الناظر بالتقوى حتى إن القبائل جميعها ارتاحت لسياسته الرشيدة وأحكامه العادلة ، وعاد إليه بعض القبائل التي مرت مع الهلو عند إنهزامهم من عامر .

وقد رزق الشيخ ناصح خمسة أولاد ذكور هم :

أحمد ، وعلي ، وأحمد ، وإدريس ، وعوض الله : ولإدريس بن ناصح بنت تزوجها رجل من الأرتيقة (الموبات) ذرية الشريف علم الدين[1] ، الذي كان أميرا على سواكن في عصور المماليك[2] وله من الأولاد تسعة هم : عمر ، حامد ، عوض ، حمد ، وحيدة (أبو الصرة) ويقال لذريته وذمای وشنها[3] وهؤلاء سكنوا جميعهم في مكان واحد وضموا إليهم كل من جاورهم من قبائل البجة والحامدين حتى تكاثر نسلهم وازداد تعدادهم فأطلق عليهم اسم « حمد عامر » .

أما ناصح فقد أنشأ بنوه « حمد أصبح » . و « عامر » الذي تفرع من بابيه

---

(١) تقول الشيخ جعفر كشه ان علم الدين من التكرية وهذا خطـأ صححناه معه بعد ان احضرنا جماعة من المتوباب الارتيقه (علمن) .

(٢) أوضحنا ذلك في تاريخ سواكن .

(٣) تعريبها هميم او كبير وهاى معناها «رسم» للأنف أو الأذن .

« عد عامر » و « قلتانا » التي تنتمي إليه حصة « عد قلتانا » وعد على تَمْ (الألَمْ) ، ولما توفي الشيخ ناصح خلفه على المملكة ابنه « على » المشهور بعلى عَكّشه .

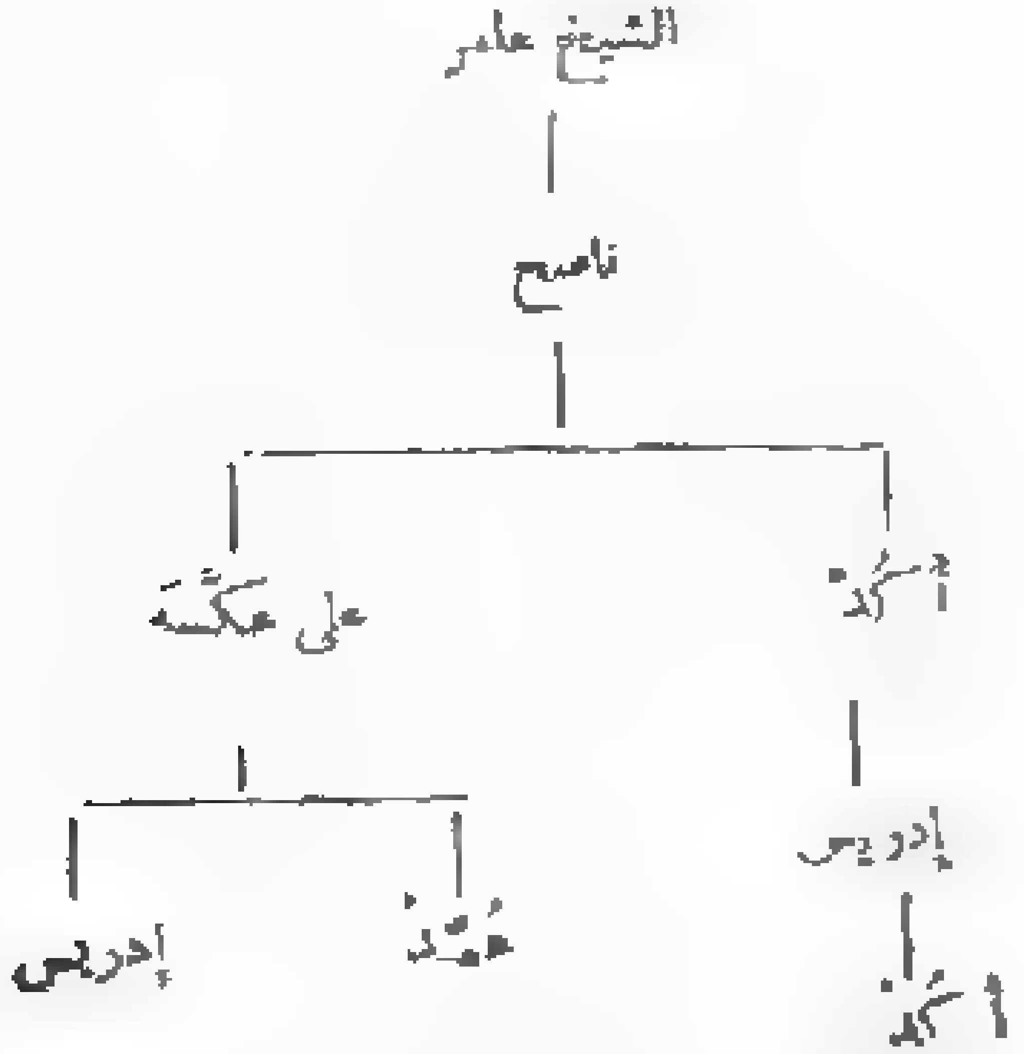

حال توليته رئاسة القبائل أمرها بأن تلقبه بالشيخ على ناصح. وكان شديد الأحكام ، فأمر كافة قبائل بنى عامر بألا ترحل بتاتا من حوله حول جبل عَكَّات نَاف(١) أو شرقها إلى سهول توكر والعتيق ، فأطاعته القبائل (وبدأت في الاستقرار) خوفا من أحكامه الصارمة لمدة سبع سنين . وبعدها جاء رؤساء القبائل إلى أخيه « أكَدْ » واستشاروه في أوامر أخيه التي لا تطاق. فقال لهم إن خير الطرق هي أن تتفرقوا من حوله ويرحل كل منكم إلى حيثه

(١) هذا المحل مشهور برداءة طقسه وقلة مائه وسوء مراعيه — واعتقدت القبائل لن ترعى في أي مكان ترتاح فيه .

بعد الرأى الطويلة . فاستصوبوا رأيه ونفذوه شيئا فشيئا . ولما سئلوا عن أسباب تشتيتهم وتمزقهم كانوا يجيبون « ابتلانا الله برئيس يطلب عكس ما نريد » . ولهذا السبب أطلق عليه اسم على عَكَّسَهْ . فاستاء من رحيلهم من عاصمته وسافر إلى سنار لمقابلة ملك الفونج وحمل معه مالا كثيرا . فلما تقدم لملك الفونج أكرمه جدا وأرسل معه فرقة من السوارى لتأييده . وحال وصوله إلى عَكَّاتْ تَأْفْ توفى إلى رحمة مولاه .

ويقول الشيخ إدريس صالح (ناظر بنى عامر السابق) إنه سمع من الشيخ أكدموسى أن وفاة على عكسه كانت من الغيظ لأنه ربط ثوبه وحزم به بطنه بشدة لم يفتح عنها الثوب نحو شهرين ، فجرحت بطنه وخرجت منها الديدان وسقط ميتا من الألم . ثم تولى بعده أخوه الشيخ أكد وكان محبوبا لدى التهاميين .

« دقلل أكد »

DIGLAL

لُقِّبَ أكد بعد وفاة أخيه بلقب « دِقْلَلْ » للتفخيم والتعظيم ، ويروى أنه عاقل للعيث ، وتولى النظارة بعد وفاة أخيه بعصور عائد الشيالة التي حضرت من سنار ، وتولى إرضاء كل القبائل الناقمة وأعادها إليه . ويعادل وظيفة دقلل في الحساب « كَنْتِيباىْ » ، وعند متكلمي البجاويه شمالا تعادلها كلمة « وَدَدْأ » ويعاد ناظر بني عامر بالبقين، فمتكلمو البجاوية يقولون له « وَدَدْأ » وبالتبجرى يُدعى « دِقْلَلْ »[2] ويقال إنها من ألقاب مملكة الفونج يوم قتل فارس قبيلة حَفَرة[1] . وقد أطلق على محل إقامة دقلل اسم « دَقَة دقلل » Daga ، ويطلق اسم « دقة طُلَيْم » Talleem ، وهي عبارة عن قرى كثيرة مجاورة لبعضها البعض في سهل واسع فسيح ويكون غالبا معروفا ومشهورا بحسن طقسه ، والأسود هو محل وجود « دقلل » (والسواد نسبة للسكان) في الشتوب أو هاشوب (سهول البحر الأحمر) يكون « الدقة » في « عَيْدِبْ » أو في « حَلاَّيبيبْ » شتاء (قرب محدوبنة) ، وفي الصيف يقيم في « هَوَشَايتْ » بأعلى خور بركة بجوار أغُرْدَت . أما « دقه طَدَا » فيطلق

---

(١) ستوضح ذلك عند ذكر «الحفرة» .

(٢) هذه الوظائف عربتها الحكومه لبركة بكلمة « ناظر بني عامر» نصر الهمدنوه » وناظر الشكرية » وناظر الامارار » وناظر الحلنقه » وناظر المشاريين» - وأما زعيم الارتيقة بسواكن فكان يلقب «باربنج» وتعريبها «امير» حتى كانت سنة ١٨٦٥ م فخصصت الى «عمدة سواكن» حينما صمم الخديوى اسماعيل باشا للسودان .

على القرى التى ترحل مع الإبل التى يملكها دقلل إلى المراعى الخصبة . ولقد شاهدت فى سنة ١٩٢٣ م « دقه « ملّاًيم » ، ودقه « ملَدَه » (وهو الأسعف نسبة لبياض الإبل) ، وكان أكثر سكان الأول يقيمون فى أغوردت ، ومعظم فى تبيّنْ ، وكلا الانتفاع بمياه حوانات القش . والشيخ عمر بن الشيخ محمد على سمى منازله « دقه عند الشيخ حامد » بار ربان ، وكذلك أطلق على منازل الأطفدة أيام رئاسة الشيخ جمع بن عجيل « دقه افلنده » دمرته قبائل بيت معلا . وكذلك الشيخ عامرى خمد سميت منازله « دقه عند عامرى » وقد أطلق عليه الذى أخنى على لبد . ويقال القرى قبيلة بيت معلا إيتليلى Ey tell أى المنازل التى لا يمكن التحقق منها لكثرتها . وبقال لمنازل كنفمدى حباب « دِقّى Diggi » . ولا يسمح كل من هؤلاء الرؤساء أن تسمى منازله بدقة و دِقّى ، كما أن بعضا من رجال بنى عامر يطلقون على أبنائهم اسم « كنتيباى » مع أنه لقب خاص بناظر الحباب . وبالعكس عند الحباب إذ يسمونه أبناءهم باسم « دِقلل » وهو مالا تسمح بتسميته نظارة بنى عامر . وفى أيامه ظهرت حصة .

« إيتكبى » وتعريبها أصحاب الإبل البيضاء . وقد خلف دقلل أكثر من الأولاد إدريس – إبراهيم – على – آدم – شاور – نور ، وانقرضت ذرية الأخيرين . وأما آدم فلم يبق من ذريته إلا ثلاثة رجال لهم قرية تسمى « شَدَّق Chaddaq » .

ولهم شيخ اسمه محمد يحصل منهم الضريبة . وقد ورث من آبائه سيفا جيدا معدودا من خيرة سيوف بنى عامر . ولكثرة اختلافاتهم حكمت الحكمة على أن يحمله كل منهم ثلاث سنوات تنتهى بآخر يوم من رمضان الثالث وبذلك انتهى الخلاف .

م ذرية عي ، وقد ازدادوا مربعا حتى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، فقل عددهم وكادت مواشيهم أن تنقرض، وأصبحوا حصة ضئيلة ، وهم خلاف العمودية التي يقال لها « عد على » .

عد ابراهيم

وأما إبراهيم فهو جد عمودية « عد إبراهيم » التي كانت تقاتل عد عمر و (سيأتى ذكرها) .

« دقلل أدريس بن اكد »

تولى النظارة بعد وفاة والده في خلايوب : حيث كان دقد دقلل بالتتوب ودفن دقلل أكد في جبل عدارتة غرب قرى عدوبنه . أما ابنه دقلل ادريس فقد اشتهر بالتقوى وفي أيامه حضر الشيخ محمد ابن عابد (الشريف الحسنى (أحد الفايداب) وتزوج بابنه دقلل ادريس ، ورزق منها ابنه الشيخ حامد شيكاى[1] وقد انفصل عن دقلل اخواته إبراهيم وعلى وآدم بعد توليه بزمن قصير وهذه عادة في أبناء الرؤساء فإنهم ينشقون على أخيهم الأكبر أو أبناء عمومتهم الصالح إذا تولى منصبا ربما حتى يأخذوا منه شيئا مما تحت يده ، وأبدوا في حسن معاملة من تحتهم من العربان وقبائلهم من الوجهة التي استوطنت هذا الاقليم منذ اقدم أزمنة التاريخ . وبعض أبناء المشايخ يرون أن العربان ميراث تركه والدهم الشيخ المتوفى فيرمون الشكاوى

(1) مصغر لكلمة شيك (شيخ) وهو لقب والده .

والدعاوى العريضة لأرباب الحل والعقد كما حدث أن وصلت صك كاتب هذه الأحرف في الخرطوم ، وصرفوا أموالاً كثيرة بدون جدوى إذ انتشرت الحرية وذهب الاستعباد مع الاستعمار إلى حيث لا رجعة .

ولما توفى دقلل إدريس أحمد خلف من الأبناء أربعة : أحمد – موسى – حامد – علي . وقد فعلوا مع أخيهم دقلل أحمد الأكبر كما فعل أعمامهم مع أبيهم وهو تقسيم العربان بينهم .

« دقلل أحمد بن ادريس »

تولى النظارة بعد وفاة أبيه ، ولكن إخوانه وأبناء أعمامه أفسدوا عليه أمر العربان وانضم إليهم صار المشايخ ، فلم يكترثوا لكلامه وخالفوا كل ما كان يقوله لهم . فاتفق مع أخيه الأصغر موسى بن ادريس أن يأخذ معه هدايا كثيرة من أموال والدهما ويسافر بها إلى ملك سنار ويعطيها إليه حتى ينتدب لتأييد أخيه الناظر أحمد فرقة من الخيالة تعيد إليه احترامه السابق . فلما وصل سنار قدم شكواه منتصره ملك سنار وأرسل الخيالة لتأييده واعترف له بالملك ومنحه « طاقية من الذهب الخالص » (يقال لها أم قرين[1]) وسيفاً

---

(1) لاتزال باقيه لليوم عند دقلل محمد طاهر بن جيلاني الحسين ، وأما السيف فقد طلبه رحال من أنفه بقصص من دقلل حمد بن أحمد المذكور وكان مقروف تاحت التكليس وبقى معهم نحو مائه سنة ، ثم باعه التكليس للشيخ عمر محمد على بالفه ريال ، ثم اشتراه من الاخير دقلل الحسين بثمانمائه ريال مساوى سنة ١٣٣٠ هـ وفي سنة ١٣٤٩ هـ أهداه دقلل الحسين الى البرنس امبرتو ساموى عمبوبل (ولى عهد ايطاليا) عندما زار ارتريه سنه ١٩٢٨ . وقد اعطيت طاسه مثلها من الذهب تحمل حتما زار ايطاليا سنة ١٩٣٠ م

جيدا يسمى (البيداى) وكنكرا (كوسيا) . فلما وصل الجيش ومعه هدايا الملك خضع كل العصاة واستقامت الأمور وهدأت القلاقل .

وتزوج دقلل أكد ابنة رئيس بيت بحدالياى وكيل بحر نجاشى فى سواحل العتيق (ذكرنا ذلك فى تاريخ حباب بيت بحدالاى (أحوال كاتب هذه الأحرف) . ولم يعقب منها دقلل أى ذرية ، ويظهر أن زواجه كان سياسيا فقط ليأخذ معها بعض العربان أمثال ولنهو التى رفض رئيسها الأموى أن يكون تابعا ، بل رفض دفع العادة ، واكتفى بدفع الزكاة ورضى بها دقلل . وإلى اليوم هذا العنصر الأموى لم تفارقه حسب الشهرة وحسن السمعة مثل جدهم « أبو سفيان ابن حرب » . والدقلل أكد من الأولاد : همد عشير إدريس (محمد القصير اليدين) وهو جد قبائل « راس » والثانى على بكيت جد عد على بكيت : والثالث همد هو جد « عد أكد » .

«مقتل محمد حشير الديو»

تولى مملكة بني عامر بعد وفاة والده، ومكث سبع سنوات، ثم توفي في خور بركة. وكان يكره الرجوع إلى العتمور. وترك من الأولاد: إبراهيم وثلاثة صغار؛ ورفضت قبائل بني عامر أن تولى ابنه إبراهيم وولوا عمه موسى ابن إدريس.

الطاقية أم قرين نقلا عن كتاب «معالم تاريخ السودان»
للأستاذ الشاطر بوصيلي

« مقتل موسى بن ادريس »

كان موفقا في جميع أعماله ، وقد كثرت في أيامه قبائل النازحات (ذرية عامر) واشتدت شوكتها وانتشر صيتها بين القبائل ، وقد رزق خمسة من الأولاد : تشاكى ثلاثة منهم بعد وفاة والدهم في منصب النظارة ، وادعى كل منهم أنه أحق بها من أخيه ، واشتد النزاع بينهم ، فقرروا كالعادة السفر إلى سنار وعرض الأمر على ملك السلطنة الزرقاء ، (والمشتكون هم محمد (أكبرهم) وعلي بكيت ومحمود) . وبينما هم في الطريق انضم محمود إلى أخيه الأكبر (محمد) حتى وصلوا سنار ورفعوا شكواهم ، فطلب الملك أن يترك كل منهم رهينة عنده أحد أقاربه الذين حضروا معهم ، وقال أخبركم فإن استقام الأمر لأحدكم وهيئته القبائل أوليه الرئاسة ، وإن بدرت أعزله وأجرب أخاه . ففرح محمد بذلك وأحضر أخاه محمود وتركه رهينة ، فقال علي بكيت إنه أخي أيضاً ولا يحق له أن يرهنه . فسأل الملك محمود عن قبوله البقاء بسنار حتى تنتهي مدة التجربة فأجابه حقيقة إن علي بكيت أخي ، أما محمد فإنه أخي الأكبر ، وهو بمنزلة والدي ، فقد رباني منذ صغري حتى صرت رجلا كما ترى . فحكم الملك بأن يتولى النظارة « محمد » بعد أن أخذ شهادة أكابر المشايخ وهم من سكان جبال وسهول البحر الأحمر أمثال الشيخ جميع بن عجيل بن علي (من المجيلاب والأطلندية) ، والشيخ محمد بن عامري (من قبائل الجبال) ، والشيخ أحمد حسال[1] (من أشراف بيت معلا الجبال) ، فأيدوا جميعهم مقال محمد الذي رفع شكوى أخرى إلى الملك قائلاً له إن أقاربي وأبناء عمي يسكنون مع اشتكريبا

---

(1) كان معهم زعيم البجة الشيخ عدلان أبروف وتمريبها « الحنبل الأحمر » .

حول مقر يقال لها « ريره » Reiran فإما أن توصل معى موقة أو حاملهم بهائمى إلى دياري ، أو أحلف عنها كالعهد بثأر لأنى وعـــدت مشايخ القبائل بإحضارهم معى . فأمر الملك بترحيلهم معه من ديار الشكرية . ولا يزال هذا النمط من البقعة يتغنى بهذه الأبيات (ريره) وطيب المقام حولها فى أشعارهم التى ينبعث من سماعها الحنين إلى الأوطان

وقد قتل موسى من الأولاد محمد ـ حامد ـ محمود ـ البكيت (على[1] بكيت) وأحمد دقى وهو جد قبيلة « اشكراب » .

فرسان من بنى عامر يعدون بمهارة كبيرة قبل أسد رابض هناك سنة ١٩٢٥ م ص. ش

« دقلل همد بن موسى »

تولى رئاسة النظارة في سنقر بحضور وزرائه من الفونج ـ وقد كان الملك نورا من الدمور الخطط « ومعنى كُولآبي »(1) أي أبو ثلاثة عكاكيز ، ويسمى جبرتا ، وأقام زمنا بسنار . أما أخوه على بخيت فقد سار حاملا سباب أمه في النظارة وواصل سيره ليلا ونهارا حتى وصل دقة دقلل وجمع كافة زعماء القبائل وقال لهم « إن ملك الفونج ولاني النظارة وطرد أخي دقلل همد » . فصدقوه ، فاختار أكثر القبائل غنى ورحل بهم إلى عَيذاب . ولما حضر دقلل همد جمع ما بقى من القبائل حوله وأقام في تُوكشايت بسلام طيلة مدة نظارته .

كان زمان همد معاصر الشيخ حامد أحمد تاموتاى والشيخ محمد بن قايد والشيخ أبو الرايات (عبد الله الحلنقى) وهؤلاء الثلاثة سافروا معا لطلب العلم إلى أبي حراز عند الشيخ عبد الله بن الشيخ دفع الله ، ثم عادوا معا بعد إتمام دراستهم ، وذلك يوافق القرن الحادي عشر الهجري كما في طبقات ود ضيف الله وذكرنا تاريخ كل منهم في حينه ، ودرسوا أيضا على الشيخ إدريس ود الأرباب .

وفي آخر أيامه رحل دقلل همد إلى عيذاب وهناك أدركته منيته ؛ وخلف من الأولاد : موسى تُولى ـ وعلى بكيت ـ وحامد أوْدْ (عوض) ـ وأكد وعمر ليدى أنتا بعد والده حصته « الشكّاب » .

---

(1) باللغة البجاوية .

« دقلل على بكيت بن همد »

نال منصب والده مع أنه كان أصغر إخوانه ، وكان أعقلهم . وأول من رضي نظارته أخوه الأكبر « موسى تول » .

ويقال إن في أيام نظارته قتل الرجل الذي يقال له « ملس بن عتول » بيد أحد عربان دقلل . فاشتكى أخوه آدم عتول إلى دقلل على بكيت لينصفه من القاتل . فصار دقلل يوعده ويماطله حتى طالت عليه مدة الانتظار لأخذ الثأر والانتقام ، وكاد أن ينساه لولا أن أبناء دفعه دقلل كانوا يعيرونه بقولهم « متى تثأر لأخيك موسى »[1] فيرد عليهم « سأقتل لكم فحلا كبيرا » . فيضحكون عليه وكان هو يتربص لغفلة من دقلل فيلقاه منفردا فيطعنه . وفي أحد الأيام كان يتحادث دقلل مع أخيه حامد أود جاءه ولد عتول وطعن دقلل على بكيت بالحربة طعنة نجلاء قضت عليه ، وسار نحو القرية يفتخر بأنه قتل دقلل بني عامر . فأدركه حامد أود وضربه بالسيف على عنقه فقتله . ودفن دقلل في هراشابت

وتوجه دقلل على بكيت في إحدى سنين الشتاء إلى عيدب ، فوجد السيد أحمد تاهوتاي مخيما بأهله وأتباعه هناك ، فطلب دقلل منه أن يعطيه الزكاة بصفة عوائد مرعى ، فرفض السيد حمد أن يدفع شيئا ، فقال دقلل أنا لا أسمح لغير قبائل بني عامر أن تخيم في عيدب فحدث بينهما خلاف رحل بعده السيد أحمد تاهوتاي ومعه كل قبائل ألمدا إلى أرض الحباب . وابن عتول

---

(1) ويقال بأنه من فرهباب الهدندوة عشيرة «ابرى» لجأ الى ناظر بني عامر لما كثرت جرائمه في الهدندوة والاخير استعمله رئيسا للعصابات . وخشيت من بأسه كل القبائل .

أهله من قبيلة « شموش » وهم قبيلة اشتهرت بالكبرياء والغطرسة – فكان الرجل منهم يحلق رأسه من الخلف ويترك الجزء الأمامي متدلياً على وجهه ثم يسرحه إلى الخلف :

ولم يخلف دقلل على بكرت إلا ابنتين ، وكانت أمه من فرود فلم يتمسكا به ولم يبق من شموش إلا أبناء شيباى فى الأبلمة(٢) .

وقد أعاننا على معرفة حوادث دقلل وما جرى فى عامر أشعار جدنا الشيخ محمد (عيون)(١) بن شيك بن عجيل إذا كان رهينة عند دقلل ضمن من ... ابن عمه العمدة الشيخ علي بن مرار بن عجيل – إذ نظم قصيدة يتهدد بها دقلل حامد بك ، فأنشدها بينما كان دقلل يتحادث مع محمد أبتاتنات الذى كان متوليا تربين سكان ديار دقلل(٢) فقال محمد عيون يخاطب ابنه فرج (وهو فارس مشهور) :

« فرج إجل كسول الى دعنا تبلاً » .

(يا فرج اخبر كسول (إمرأة) باشعار ما حدث) :

« أبوك ليت مك يرتوتها(٣) ولت وألا » .

---

(١) مشهورون فى القوم بطول قامتهم واعتدالها وبالشجاعة .

(٢) شعريها معتوه أو مجنون ؛ كانت أشعاره كلها فى البسالة والصلب ... يصف الوقائع ملع وصف وكذلك أخوه محمد شيك عجيل .

(٣) حرم محمد أبتاتنات محمد عيون من سوبيه لأنه مدح آل الشيخ ... من على فى قصيدة طويلة يستنجد بآل الشيخ حامد السادة المراغنة .

(٤) من أعظم ملوك السودان شهرة خصوصا بعد حروبه للمرغنى

(إن أباك يعمل مثل عماية الملك نمر أو ما يدنو منها) .

« مى نيدى جبى ؟ لنت ود عدول لدقل الصحى قتلا » .

(أم تعمل كما عمل ابن عدول الذى قتل دقلل فى الصحى) .

« مى بودى جبى ؟ حجاج جبى كانت كيليل ولى سهلا » .

(أم تعمل عملا يهز الأرجاء ونطلب من الله أن يسهله) .

« مى ينحيس جبى ؟ حجاج جبى لتكرور تدابرا » .

(أم تذهب كالحجيج إلى الطريق الذى تزوره التكارير) .

ولا بأس أن نورد قصيدته التى أنشدها يوم نقل (١) هض على الشيخ عمر ابن الشيخ محمد

« ليلوب جده(١) ودات وأويتلا »(٢) .

(أتت النجدات ليلة أمس من جده وأويتلا) .

« رجيب(٣) ودى بيت وسنب تجرا » .

إسماعيل باشا ابن الخديوى محمد على باشا ومن أراد أن يكتب تاريخه فليجمع الوثائق والمؤلفات وينقب فى بطون كتب الافرنج والعرب عن تاريخ هذا البطل فى الحرب والسياسة ، فهل نجد مؤرخا وطنيا يتطلع لتدوين حياة هذا البطل الذى قال لصموئيل بيكر «ماذا تقولون عن أهالى حينما أحرقت ابن الخديوى وجنوده : فأجابه أننا الأوربيون نعتبرها بطولة ودفاع عن الأوطان ضد المستعمر .

(١) جاء الشيخ حامد من قبره مجدة ومن أويتلا الشيخ محمود عثمان .

(٢) السيد عمر محمد على .

(٣) السيد الأمين حامد وقد سموا ابنه على الأمين ، ومن حسنتا السيد حامد الأمين حامد .

(كما جاءت السجدات من رحيب وأهل نحرا) .

« حسنا إزدهى بيت وازد بلاد » .

(وأتت السجدات من حسنا فتكاثرت الجموع) .

« شيك قدم طنج وسهدى إيه مر نحر رداء »

(الشيخ محمد بن على تلقاه من الإمام وسهدى الميرغنى من الخلف) .

« ل ديت مو قرورتبل إب نجلاء » .

(الناس يقولون إن فى يديه ورجليه قيود من الحديد جهلا بحقيقة حاله

(الشيخ عمر) .

« يدبر ما إب ما أكفيكم من تعب ؟ » .

(من الذى عاداكم فأصبحت داره عامره) .

« عد عمر من تاركيكم أدوج بلغ هذه معولها إبتكالا » .

(أما عد عمير (ابن محمود) فقد انتابته المجاعة حتى أكلوا الجلد ولم يستأنفوا إنشاء دقه عمير ثانيا (من بيت معلا) .

« عد مدين جباب من تاكيكم أرض ملحا » .

(أما عد مدين فإنه لما خاصمكم أخذته الزلة)

« عد إلوس من تاكيكم عايات كرعا » .

(أما عد إلوس لما خاصمكم فإن الوحوش قرضتهم) .

« مقو أمبل أبوك حقو إنو ملا إبتد مرا » .

(من غير أبيك ارتقى للعلا ولم يهبط منها) .

« ومَنَعُوا أَمْثَلَ أبوكَ حَقَّوه إنتم إبتشموا » .

(ومن غير أبيك تولى الزعامة ولم يعزل منها) .

وهي طويلة — تركنا أكثرها .

« دقلل حامد أود بن همد »

تولى النظارة بعد مقتل أخيه علي بكويت ، وكانت منازعات بين الذكور وإدريس موسى تُولى المشهود باسم « أو أباب » وهو فارس شجاع ، وقد عارض رقاسه دقلل حامد أود وقال لن أسمح بتوليته أو أعترف له بأي سلطة . فوقع المشايخ في حيرة شديدة من أمرهم، حتى جاءهم رجل ناصابي اسمه « عمر بن أداريكا » من حصة عد ، عامر فقال لهم ، أنا أنسهد لكم بتبليغ أوالباب كراهيتكم لتوليته فاجعلوا لي أجرا ، فرضوا شرطه [1] فتسلق عمر جبلا ونادى بأعلى صوته « يا إدريس أولهاب اسمع نصيحتي وهي أن قبائل بني عامر لا تريد أن تَخطَّرك عليها لأنك مشهور بالبطش والجبروت والقساوة في الأحكام . وقد رضوا أخاك وفضلوه عليك ومن الخوف سكتوا عنك » . فقال أولباب للسامعين « هل كلام هذا الرجل صحيح » فقالوا « نعم » . وانفضوا من حوله ، وركب فرسه وأطلق له العنان ليقتل كل من يصادفه من المشايخ . ففروا من وجهه ، وأقام ثلاث سنوات راضيا بالعدو ، ثم رحل إلى القنوب عن طريق عَنْسَبَه (عين سبأ) ، وأخضع قبائل بني عامر القنوب فأرسل دقلل إلى الشيخ عبد الله أبو الرايات الخلفى والفقيه محمد

---

(1) أن تعطى له عشر نياق .

القرنجاوى (من علماء بنى عامر) ليصلحوا بينهما فذهب المشايخ وأتباعهم إلى أوأباب وعرضوا عليه أن دقال تعهد بإعطائه ثلث إيراد القبائل فرضى، وتم لها حتى كانت وفاة دقال حامد أودى « همبولهف » بخور بركة .

« وفود ضرار »

وبينما دقال فى عيذاب جاءه الشيخ ضرار بن عجيل الملهيتكناى محمود الجعلاب والأدلندة بالسواحل بركة ، فأكرمه وأعطاه بعضا من أبقاره الخصوصية (رايى) فوبايت دقال ، وهى محترمة عندهم مثل بقرتهم (رايى) محمد ضرار التى أحضرها من القاش [١] .

ولمد إلى دقال حامد أودّ الذى امتدت سلطته إلى ما بقى من قبائل الحاسين وسواها من القبائل حتى توفى

وقبل وفاته دعا إليه المشايخ ، فلما حضروا ، قال لهم « أوصيكم بأن تولوا بعدى ابن أخى إدريس أوأباب » وخلف دقال حامد أودّ ولدا شجاعا وعاقلا اسمه محمد وهو والد الشيخ محمد حمد القبل ، ودقال هى بخيت ملك ، ودقال موسى وسنأتى على ذكرهم بما سد كل فى عصره وأيامه .

---

(١) كثيرا ما تتغنى بها شعراؤهم منذ ثلثمائة عام .

« دقل أولباب بن موسى تولى »

واسمه إدريس ، ولكن اشتهر بالاسم الأول[1] تولى نظارة بنى عامر بعد وفاة عمه حسب الوصية . ولما شب ابنه إبراهيم أولباب نزع النظارة من والده واغتصبها بمعاونة المشايخ والعربان لأنهم يكرهون أحكام والده الذى استبد بابن عمه محمد أكد ، وهذا جمع جيشاً من أنصاره وأنصار دقل وقاتل إبراهيم حتى تمكن من استرداد النظارة منه وسلمها لدقل فحفظ دقل له هذا المعروف حتى دنت وفاته ، فأرسلها إلى محمد أكد وقال لمشايخ بنى عامر « إن ابنى إبراهيم لا فائدة لحكمه فى ولايته ولو كان فيه خير لما قاتلنى . فإذا أسلمت الروح ولوا مكانى محمد أكد » وقد تركت معه النظارة ، فلما توفى عملوا بوصيته . واشتهر دقل إدريس بكثرة غزواته بين خور دَجَبْ والخرطوم وسنار ، وكان له شاعر مشهور اسمه « دُرقى » له قصائد يصف فيها الأهوال والمتاعب التى كان يقاسيها ممدوحه فى رحلاته ، ولم ينس شجاعته على خصومه واستيلائه على الغنائم والأسلاب ممن كان يغزوهم .

ودفن دقل أولباب فى مكان يقال له « جرقى » بجهة « إنكوليش » وله من الأولاد : إبراهيم ، وأكد ، والذى تزوج بنته الشيخ محمد بن الحاق الحرانى جد تاجوج الحرابية المشهورة فى السودان (٢) .

---

(١) هذا بالبجاوى ، أما بالتجراوية فيقال له : أولباب (Aulbab) ومعناه بابا الذى عربه مؤرخو العرب فى مؤلفاتهم باسم « على بابا » .

(٢) اقرأ كتابنا « حياة تاجوج والمحلق » . وقيل إنه لما خرج من بطن أمه كان قابضاً فى كفه « [illegible] » ومثله الأمير عثمان دقنه وجنكيزخان .

« دقفل محمد بن آكد بن همد »

حسب وصية سلفه تولى نظارة بني عامر وفرحت القبائل بولايته ورفض إبراهيم أولباب أن يخضع لسلطته فرفض مشاركته الخاصة بالعرباك[1] ، فتبرع له دقفل بثلث ما يجمعه من الهدايا القبلية ، ورضى إبراهيم بذلك وقضيا أيامهما في هدوء وراحة حتى توفي بابان تكريريت Bayal-Takrlrelt . ويقال إن إبراهيم أولباب زار دقفل محمد[2] عند اشتداد المرض عليه ، وضحك لما رآه يشكو من شدة الألم . فقال له دقفل لا تفرح لموتي لقد خلفت لك ابني إبراهيم فإنه لن يدعك بالنظارة — وفعلا أتعبه .

وكان لدقفل محمد شاعر اسمه « ودقبة » انتشرت قصائده في مدح دقفل محمد . وهو رجل من الحباب يزور الدقار والمشايخ أمثال كنتيباي جاويد وأخيه حداد بن فكاك والشيخ حمد آكد عامري .

واشتهر هذا الشاعر بنصيحته الشعرية (انزا) لأبناء تكليس حين جاءوا لزيارة كنتيباي جاويد الذي أعد رجالا للقضاء عليهم وهم بأكارن ، ولكنهم سلموا بسبب أشعار ودقبه .

وخلف دقفل محمد ثلاثة أطفال هم - إبراهيم وعلى بكيت وحامد .

اشتهر إبراهيم أولباب بعهوله الشريرة وعدم رغبته في السلم والاستقرار

---

(1) انفصل الشيخ محمد بن أولباب بقبيلة «سندتكباب» وأصبحت عموديتها في ذريته حتى تحريرت .

(2) في عام وفاة دقفل محمد توفي بالقتوب شيخ المشايخ الأبلندد الشيخ حنبل بن صرار وأخوه همد ، كما توفي رغم بعث محلا الشيخ ادريس حامد امدكل .

فجمع إليه ذات يوم كل أقاربه من أبناء « نولى » وقال لهم اتبعونى ، وهجم مرا على منزل دقلل محمد وسرق النقارة وأخفاها فى مكان مجهول ، وضيق الخناق على كل من يعصى أوامره ، فاستنجد دقلل محمد بأخواله[1] ، فجاءه الشيخ موسى قرقم وإخوانه وأولاد عمه حامد وراد بن على موشاى ونصور قد ميلى ، ومحمد على طاهر (أسود) ، وإدريس أكد قرنتى ، وكلهم فرسان وأعقياء ، وأخذوا معهم لفيفا من كل قبائل « حباب » وحضروا إلى دقة دقلل فى مكان يقال له « دنقع » ، فجمع موسى قرقم أفرادهم وهكذا على إبراهيم أوليلاب بأن أوعده بكر كروكان دقلل ، ووزع أقاربه بين أتباع إبراهيم ، وهددوهم بالنهب إذا لم يرجعوا إلى طاعة دقلل محمد . فامتثلوا وتفرقوا عنه وخضعوا هم ومشايخهم لدقلل . ثم سألوا إبراهيم عن محل النقارة فذكر [illegible] وإذا يجوز [illegible] بعدها ، فأخرجوها وسلموها لدقلل محمد .

فلما سمع بعنورم عليها قال « ستعودون غدا ويموت دقلل وأتولى أنا النظارة » .

(1) وهم عد [illegible] (قبائل البحر الأحمر) هل والدته هدوة بنت عامرى بن حامد .

« دقلل ابراهيم بن ادريس اولباب »

تولى النظارة بعد وفاة دقلل محمد بن أكد ، وأظهر فرحا عظيما لوفاته ، ولم يخرج لتشييع جنازته ، فاستاء منه ابنا عمه إبراهيم وعلى بكيت ورحلوا من دقه إلى قرى عد كلب [1] أما أخوهم الصغير حامد فإنه رحل إلى عده سرى بالقندوب حيث كان متزوجا منهم [2] .

أما عد كلب فإنهم أجاروا إبراهيم وعلى بكيت وناصروهما ، فسار إبراهيم محمد أكد بجيش من عد كلب وبعض القبائل التي انضمت إلى دقه دقلل ، وألقى على دقه الحصار سبعة أيام متوالية لا يسمح لأحد منهم بالخروج إلا لأخذ الماء على يده بالطاعة لنظارته . فتآمر أتباعه وأنصاره وهجموا على بيت دقلل إبراهيم في إحدى الليالي ، وانتزعوا منه النقارة ، واحتفظوا بها في قريتهم ، وصارت القبائل وكل منازل دقة دقلل خامدة ، فاستاء دقلل إبراهيم أولباب ورحل إلى الحمدوة مستجيرا بهم لينصروه ، فزعيمهم بأسره الشيخ محمد دين (ناظر الحمدوة) في ذلك الوقت لأنه كان يقاتل الجيوش التركية سنة ١٨٤١م بجهات أروما وتندلاي ، وكذلك فعل ناظر الشكرية . وبعد تمام الصلح بين الحمدوة والجيش التركي قدم دقلل إبراهيم الطاعة لأحمد باشا أبو ودان ، وأبقاه معه بكسلا زمنا ، ثم جاءه مندوب [3] من

---

(1) تزوج الشيخ محمد كلب ابنته «قويلاي» من نمل على بن دقلل اكد بن ناصح وتزوج ابنه الشيخ على مكاك ابنة نمل محمد موسى .

(2) كان متزوجا بابنة الشيخ محمد بن اكد عمدة ها سرى وهي والدة ابنه دقلل محمد بن حامد بك الذي خلف والده سنة ١٨٧٥ م .

(3) نمل ابن المحبوب كان ناصح بن ابراهيم أولباب .

إبراهيم محمد (الذى تسبب فى عزله) وطلب منه زيارة دنقلا . فامتثل إبراهيم وولى شياخة المشايخ ، وتنازل عن النظارة حتى توفى وهو شيخ كبير فى وادى عنسبة . ولم ينتظر إلا عاما واحدا .

ولما مات وقائد أمر دنقلا إبراهيم بن محمد أن ينقل النقارة إلى أمام معزله ، ثم أخبر عنده أن يضربها له ، فلما سئل عن ذلك قال هو إن إبراهيم إدريس كان يحب أن تبقى لديه حتى الممات ولم يتنازل لنا عنها إلا بعد أن قتلت أكثر فرسان بنى عامر . فسمع إبراهيم إدريس مقالته وأجابه « الدبا دول — نحن شهدنا يوم وفاة أبيك ولم نخرج فى جنازته ، والآن أنت تقاتل معنا نفس العمل الذى عملناه مع أبيك — ألا فاعلم رجال بنى عامر أننى بذلت كل جهدى فى الحصول على النظارة فلم أنجح ، وصرفت أموالا كثيرة فى ذلك أنى أعطيت لمن ظننتهم أصدقاء نحو تسعين سيفا إبريجيا (فكرى)[1] ، ونحو مائتين من حمير أبقارى (ليبي) ، ومائة من نياق (أوطات) ، وتسببت فى قتل سبعين فارسا على ظهور خيولهم فى واقعة واحدة بقيادة الشيخ محمود تيته ، وصاهرت أشهر القبائل لأستعين بهم فى رد النظارة فأبى الله ذلك » . وقد سمعت وصف واقعة محمود تيته من الشيخ على حسب ابن موسى محمد[2] ، كانت هى نفس السنة التى تقاتل فيها الحباب والنكاريب (شنقيره) . وفى أيام إبراهيم إدريس أمر الشيخ محمد دين ناظر الحمدوة ابن أخيه موسى بك إبراهيم أن يأخذ جزية من حدعشر (ابنا محمد راكب)

---

(١) السيف الذى فيه نهر أو بحر واحد لا يزيد طول نهره عن الشبر (٢٠ سنتيمترا) ولا يقل ثمنه عن عشرة جنيهات .

(٢) فى سنة ١٩٠٥ م سمعت منه هذا الوصف بالعقيق .

وهى إحدى حصص بنى عامر ، فضمها موسى بك إلى المدندوة . وقيل إنها كانت فى أيام دقلل إبراهيم بن محمد وهو أقرب إلى الصواب لأنه كان دائما يفرق الحصص على نظار ومشايخ القبائل التى يرضى عنها أو يعقد معها صداقات كى يكيد لخصومه .

وفى عصره دارت معركة عنيفة بين حزبه وحزب إبراهيم بن محمد انتصر فيها الأخير ونزع النظارة من دقلل إبراهيم الذى قتل فى الواقعة اثنان من أنجاله وجرح ثلاثة .

قيل إن السيد الأمين بن حامد حضر الواقعة ومنع إبراهيم محمد من ركوب فرسه فقال له « دع خصمك يعتلى جواده فإن جيشه مغلول » وفعلا انهزم جيشه وتشتت حزبه وتولى النظارة إبراهيم بن محمد . ورحل دقلل إبراهيم إدريس إلى كسلا محاولا أن يجد من يعينه على استرداد نظارته .

« دقلل ابراهيم بن محمد »

لما طالت غيبة سلفه ببلاد التاكا ولته القبائل النظارة وبعد توليته بأسبوع وصلت قوة من الجيش التركى بقيادة إلياس بك نائب مدير كسلا واحتل المقة والجبال الحصينة .

تفرقت قبائل بنى عامر فى أيام دقلل إبراهيم محمد ، فأعطى بعضها لنظارة المدندوة (موسى بك إبراهيم) والبعض لعوض الكريم بك أبوسن (ناظر الشكرية) ، ومنع المايتاب من معارضته أو التداخل فى شئون القبائل . وتدخل حتى فى شئون الفقهاء وأكثر من حضورهم حوله فى المقه ، وكانوا يمدحون النبى ﷺ وبعد فراغهم من المدح كان يأمرهم بمدح أبى بكر الصديق

(وضه) لأنه جد عامر بن على نابت من جهة أمه البيشكنابية عائلة قورد ، فيطيعون أمره ويستمرون فى المدنج زمنا أطول حتى توفى إلى رحمه الله سنة ١٢٥٩هـ فاحتفظ بهم خلفه ، ونشر القراءة والكتابة فى كل قبائل بنى عامر أما الياس بك باشا فإنه سار بقوة من جنده نحو القنوب ومعه دقلل إبراهيم حتى وصلوا حلاييب ، وهناك نصبوا خيامهم ، وهربت القبائل من وجه الجيش، وتفرقت فى الوادى والقفار ، وأمروا الجند بالبحث عن المواشى وإحضارها ، واستعملوا الشدة مع أصحابها ، وأخذوا إبل الشيخ محمد أحمد بن محمد عامرى (شيخ مشايخ) ووضعوها فى حدة زراف ، فسمع حفيده أحمد موسى وكان ابن اثنى عشر عاما ، فسلم نفسه لدقلل والياس بك ، وقال لهم إذا ما اعتقلتمونى عندكم فإن جدى الشيخ محمد أحمد ووالدى يحضران سريعا ويسلمان ، فاعتقلوه وأطلقوا المواشى التى أخذوها به ، فلما سمع جده الخبر أمر كل القبائل بالحضور حالا وتقديم الولاء والطاعة . وكان لدقلل سكرتير بارع من الفلاته اسمه آدم ودصالح عبد الله . وفى أواخر سنة ١٢٦٠هـ توفى دقلل إبراهيم محمد ، وله من الأولاد حامد وصالح ، وخلفه على النظارة حامد بك محمد فى سنة ١٢٦١هـ .

ذكرنا أن دقلل إبراهيم كان يردد لنظار القبائل الأخرى توزيع عربان البجة عليهم ، مثال ذلك أعطاؤه قبيلة سنكاتكناب (أصحاب سنكات) الذين طردهم باركوين المدندوى من أوكاك « سنكات » إلى الشيخ موسى بك إبراهيم (ناظر الهدندوة) ، ووهب « مُقَمّ » للشيخ عوض الكريم بك أبوسن ، وأعطى بعضا من الحُبَتْ للشيخ محمد بك إيله (ناظر الحلنقة) ، والبعض للأرتيقة ، وأعطى قرىبا كلها لمحمد على بكيت وعامرى وأحمد دواس حتى إن بعض هؤلاء المشايخ طمعوا فى النظارة .

« دقلل حامد بك محمد »

هو أشهر نظار بني عامر في القرن الماضي ، تولى في سنة ١٢٦١هـ بعد وفاة أخيه إبراهيم محمد ، وقد بذل مجهوداً جباراً تساعده مقدرته حتى استرد كل القبائل التي انتزعها سلفه (أخوه إبراهيم) عن النظار السابقين وخصوصاً قبيلة « عد شيخ » وهي من أعتى القبائل البجاوية ، وكانت قد أعطيت لموسى بك إبراهيم ، ولما استردها أنشد أبياتاً من الشعر بالبجاوية يخاطب موسى بك وهذا رد عليه بمثلها ، ولهما مساجلات شعرية لا تخلو من بعض النوادر والنكت ، وأحياناً يفتخر كل منهما بالإصلاحات التي كان يعملها في منطقته كان حامد بك صديقاً لحماد بك إيلا ، والشيخ محمد بك آدم نائب (مصوع) ، وقد توفوا جميعهم في واقعة « قوندت » (التي حدثت بين الجيش المصري والحبشي سنة ١٨٧٥م)(١) . وفي السنة الأولى من ولايته عصى نادره في مناطق « عد معلم » ولما أرسل إليهم خادمه لتحصيل الضريبة قتلوه ، فأرسل إليهم قوة من الجند الذي كان معسكراً في دقه لتأديبهم ، فعاد القائد بعد أن أخضعهم لسلطة دقلل حامد . واشتهرت شوكة قبائل بني عامر بين ... وسيتيت والقاش وبركة وسواحل البحر الأحمر وجميع القبائل المتفرقة حول على من بالقاش الشيخ يونس على سكوت ، وضم إليها عد عشيره ... عليها عدة عموديات ، فأصبحت ذات شوكة . ودقلل حامد هو الذي نظم

---

(١) سنلخصها فيما بعد نقلا عمن حضروها أو كتبوا عنها أمثال محمد ... بتلأى وكشف الستار لأحمد باشا عرابي منشور حملة الحبشي ، ومن ... حرب الكبير لمحمد باشا رفعت ؛ وتاريخ السودان لنعوم شقير والمستر ... وليلد .

مراكز اجتماع المشايخ فجعل أربعة أشهر في الشتاء (في الغروب) بجهة عد وبه وكلاديب ، وثمانية أشهر في هواشامت وكان الخديوى سعيد باشا قد أمر بأن يكون في محل إقامته الأخير مكتب تلموت له بناء خاص وجند يحميه ، وكذلك فعل في بلاد مصلحة المدندوة (موسى بك إبراهيم) وأحضر معلما من مصر لتدريس أبنائه القراءة والكتابة ، منح فيهما ابنه الأكبر (محمد) وفى أيام حقلا المذكور اقتصادت قبيلة المقدمة (بهدور) عن نظارته وسينون ذلك في قبيلة لا بهدور » .

ويوضح هذا كيف كانت الحرب بين الإمبراطور يوحنا والخديوى إسماعيل باشا . في شهر أكتوبر ١٨٧٥ م عهد إلى أرندروب[1] بقيادة حملة جديدة على الحبشة وكان بين أركان حربه ضابط أمريكي يدعى ماجور دينسون Maj. Dennison وضابط سويسري يدعى ماجور دور هولتز Maj. Dor Holtz وضابط نمساوى الكونت زيشي Count Zichi ، وكانت الحملة مؤلفة من ألفين وخمسمائة جندي من المشاة مسلحين ببنادق رمنجتون Remington ومعهم ست بطاريات من المدافع الجبلية وستة مدافع ثم قسمت الحملة إلى قسمين يقود أولاهما الكولونيل أرندروب ومعه الكونت زيشي ، والثانية أراكيل بك محافظ مصوع .

والتقت هذه العصبة بطلائع الحبشان يوم ١٨٧٥/١١/١٥ على ضفاف نهر مأرب في قندت ، ولم تستمر المعركة سوى بضع دقائق وقد خلا من جميع آثار

---

(1) كان أرندروب هذا ضابط برتبة ملازم في الجيش الدنمركي وذهب إلى مصر مستشفيا ثم دخل خدمة الحكومة المصرية ومنحته رتبة قائمقام Colonel.

الرحمة والإنسانية ، وقتل أرندروب وزيشى والى جانبهم أراكيل وكل الجنود والعربان ، ولم تبق تدفيون قوة ، فرأى الحكمة فى التقهقر وطلب السلامة بما بقى لديه من الجند .

« أسباب هذه الحروب »

تاقت نفس الخديوى إسماعيل باشا بعد احتلال بلاد خط الاستواء أن يستولى على إقليم الحماسين بحمية[1] فأرسل الحملة السابقة ، فلما علم بها الامبراطور يوحنا (الذى قتله الأنصار فى واقعة القلابات يوم ١٨٨٩/٣/٩ م) جرد جيشا عرمرما لملاقاتها فى قندت وصمد لها هناك حتى يبتعد عن السهول أميالا عديدة فيتمكن من دحرها بسهولة ، وهذا ما حدث .

كيف كان قتل نظار القبائل :

قال محمد متناى ابقلاى : حالما ابتدأ تبادل الرصاص من الجانبين أصدر أراكيل بك أمره إلى محمد بك إيله (ناظر الحلنقة) كى يهجم بفرسانه على الأحباش ، فخاض المعركة على جواده وتبعته خيل الحلنقة بفرسانها ، ثم يعودوا فاستعد دقال حامد لاقتفاء أثرهم[2] ، فجاءه أحد المشايخ وقال له انتظر حتى

---

(١) كان الملك يوحنا لايزال يحتج لدى الدول لاستيلاء موسنجر باشا حدنط مصوع على شراء بلاد عايلت وقمهوت وعسوس واحتلال سنهيت (بوغوس) ، وللخديوى امل من الاستيلاء على منابع النيل وشرق افريقيا حتى زنجبار ومصابسة ودار السلام .

(٢) قيل انه كان يلبس حجابا عمله له السيد الأمين حامد لئلا يصيبه رصاص أو اى شيء من الحديد . ولكن دقال حامد كراهيه فى الحياة اعطى الحجب لخادمه محمد متناى ابقلاى .

يخف ضغط الأحباش بسبب كثرة الرصاص المنصب عليهم من الجيش المصرى ثم اهجم بفرسانك . فأجابه « كلا وأبوك أنا لا أريد العودة إلى دقه دقلل أسير فى ساحته أو فى شوارع كسلا بعد وفاة صديقى مجد بك إيله » ثم أطلق لفرسه العنان ، وقال لجماعته اتبعونى . فتبعوه وخاض المعمعه بفرسانه وسيدوات ولقد فتك بفرسانهم أيضاً(١) ولم يسلم من بنى عامر أحد غيرى أنا (محمد نتاى) وقد أسرنى أحد أمراء الأحباش(٢) ثم عرفنى إذا كان دقلل يرسلنى إليه ، فسألنى عنه فأخبرته بوفاته ، فاستاء جداً وتأسف ، ثم أطلق سراحى وسلمت من العقاب الذى أصيب به أسرى الجيش (التطويش أى إخراج الخصيتين من كل محارب) قال عرابى باشا « إن الأحباش (قطعوا) مذاكير الأسرى »(٣) ومات فى هذه الواقعة غير المذكورين محمد آدم ناصر وسلم خادمه مثلى . وحكى لى أنه شاهد دقلل حامد لما هجم بجواده على الأحباش وسيفه مسلول فى يمناه يقطر دما ثم كر ثانيا ولكن خرج مجروحا فى رأسه ثم كر ثالثا ولم يعد بعدها فعلمت أنه قد مات . وهجم بعد دقلل حامد الشيخ محمد آدم وقال لا تطيب لى الحياة بعد دقلل فقتل حال هجومه وكذلك فعل محمد أكد جاميل .

لقد استفاد الأحباش مما غنموه من الأسلحة فى واقعة « قندت » مالوى

---

(١) كانوا برئاسة الشيخ أحمد حجاج وقد عاد من الواقعة وهو مصاب بعده جراح .

(٢) هو الراس ود دبكل .

(٣) اشتهرت قبيلة طلطال [illegible] باستعمال المقاطعة مع أسراها اذ يفتخر رجالها لدى نسائهم بجلب أعضاء تناسل الأسرى من أعدائهم ويقول رفعت بك فى حمر لكسر ن النجاشى لا يوافق على هذا العمل الشنيع .

به جيشهم في واقعة « قرع » التي حدثت بينهم وبين المصريين في يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٢٩٣ هـ الموافق ٨ مارس ١٨٧٦ م وقتل فيها إدردس أرندروب (حمدة مد ول) والشيخ أزى عد ، وقد قتل في واقعة قندت مع ذلك حيرة الضباط المصريين : أمثال البكباشي على رائف ، والبكباشي أحمد فوزى والبكباشي أحمد سعيد (قومندان الطوبجيه) ، والبكباشي عمر رشدى أركان حرب جيش المصرى الذى كان من رأيه أن تسير الفرق كلها معاً ، ولكن رئيسه الجنرال دنيسون فرقها في الجبال والأودية ، فأحاط بها الأحباش إحاطة السوار بالمعصم وأفنوهم عن آخرهم ، ومن العقائد العجيبة أن النجاشي يحب أن يكون القتال بينه وبين عدوه في يوم الثلاثاء ، وهكذا كانت واقعة قندت ، ثم قرع . ولقد بحثنا كثيراً في كتب الأقدمين — وهاهو ما وجدناه مدوناً في حيز التكدير : قال راسمت بك كانت الجواسيس توافينا كل آن بأخبار جيش الحبشان ، وكان من ضمن بلاغاتهم أن النجاشي صمم على أن يكون الهجوم في يوم الثلاثاء الذي يعد المحاربة فيه تيمناً به وتبركاً بطقسه . وقد كانت محرباته لأرندروب وغيره في اليوم المذكور فخبرونا بذلك إلى الخديوي المعظم تلغرافيا فصدر أمره بأنه وإن كان هذا الاعتقاد فاسداً لكنه كاف بسبب كونه اعتقاداً بثبات جأش الحبشة وتقوية قلوبهم ؛ ولهذا أشار علينا إلى اتخاذ الطرق المؤدية إلى منع وقوع المحاربة في اليوم المذكور . ولكن إذا تحكم القدر لاينفع الحذر إذ عادت الجواسيس في يوم الثلاثاء الموافق ١١ صفر ١٢٩٣ هـ بخبرة قيام إمبراطور الحبشة بخيله ورجله بقصد المحاربة في اليوم المذكور فكان النصر حليفه في هذه الواقعة أيضاً .

وفي سنة ١٨٧٩ م سافر الجنرال غوردون من مصر إلى مصوع لعقد صلح

بين المصريين والأحباش . فقابل النجاشي يوحنا عرض على غردون شروط الصلح الآتية :

١ — إعادة مدينة المتمة الحبشية التي كانت مقر أحفاد الملك تمر وكذلك سنهيت إلى أثيوبيا .

٢ — أن تتنازل له الحكومة المصرية عن ميناء زيلع لشدة حاجته إلى ميناء في الجنوب الشرقي وكذلك جزء من مدينة هرر .

٣ — أن تتنازل الحكومة المصرية عن ميناء مصوع وتدفع له مليون جنيه مصري . فحمل غردون هذه الشروط وسار عن طريق القلابات إلى الخرطوم وقبل وصوله إليها ألقي القبض عليه وعذب ثم أمر بالعودة عن طريق قرع ومصوع ولما وصل مصر استقال من منصبه وعاد إلى أهله[١] .

ونأتي هنا على دربة دقال حامد بك محمد لأنهم هم الذين يتولون مقارة قبائل بني عامر في السودان وإريتريا[٢] .

---

(١) تاريخ السودان لنعوم شقير .

(٢) دقلل محمد طاهر جيلاني نولي أخذوا نظارة النابعين لأن القبائل تحررت وأصبح لكل قبيلة ناظرها من لحتهم بيتها) .

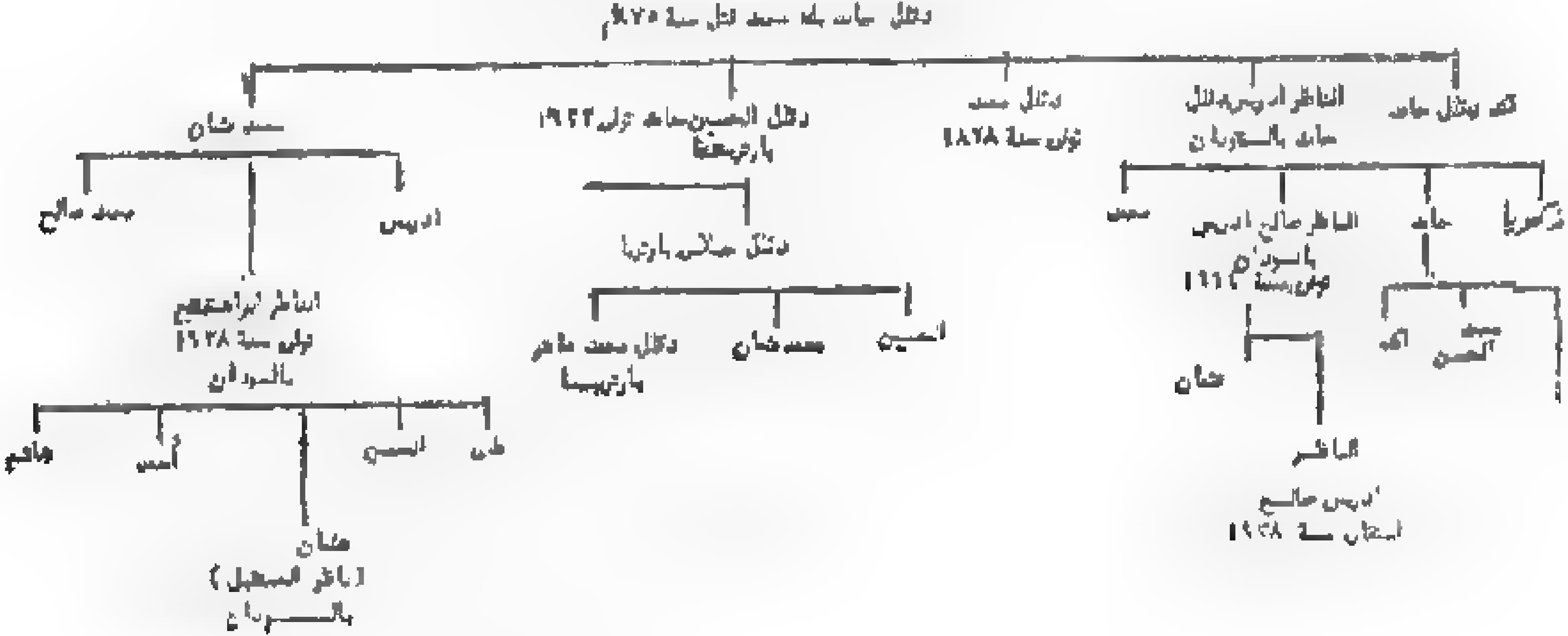

« دقلل محمد بن حامد بك »

تولى النظارة بعد دفن أبيه فى سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٥ م) وانفرد بإدارة القبيلة وأحكامها ، وجعل عمه المرحوم الكل دمزى وكرى . فاستاء منه أقاربه لعدم استشارتهم ، فتألبوا عليه مع أنه لم يتعرض عن حقوقهم التى كانت لهم فى أيام والده الأخيرة وهى أن مدير كسلا اخترع وظيفة « شيخ المشايخ » القديمة وعين فيها على بخيت بن محمد[1] وعين عمه محمد أحمد[2] فى وظيفة « شيخ القنوب » رغم إرادة المرحوم دقلل حامد بك الذى لم تبق بيده إلا سلطة نظارة دقلل فقط . أما مشايخ قبائل حور بركة فصار أمرها إلى على بخيت بك ، ومشايخ القنوب إلى ابن أخيه . واستاء دقلل حامد بك من تحديد سلطته . ولما جاء الأمر بقتال الحبشة اقترح عليه بعض المشايخ بأن يمضى فأبى ، وقال سأمتثل لأمر الخديوى إسماعيل باشا سواء قتلت أو انتصرت فسأكون أنا الفائز فى كلا الحالين لأن دمى سيحفظ لأبنائى الحق فى تولى نظارة بنى عامر . وقد تحقق ما تنبأ به — فقد تولى ابنه دقلل محمد النظارة وخشى بأسه المشايخ وقيل إنهم اتفقوا مع نائب مدير كسلا أن يتخلص منه بإسقائه سما ، وفعلا دعاه للحضور إلى سيدرات مع المشايخ ، فلما حضروا جميعا قدم لهم نائب المدير لبنا فشرب منه دقلل محمد وشعر أن طعمه غير اعتيادى ، ثم وضعه على الأرض . فقال له النائب أعطه للحاشية فأجابه دقلل محمد كلا وأبيك لا أعطيه لأى إنسان وسترى الحاشية عاقبته فى شخصى . وفعلا تورم جسمه فى الحال

---

(١) هو دقلل على بخيت فيما بعد .

(٢) هو ابن محمد اسانات (الثيران) لشدة بأس بيه واشتهاره بالجود والكرم .

واستأذن في العودة إلى بلده في هواشايت ، فلما وصل عاصمته بدأ جسمه يتساقط(1) شيئا فشيئا ولم يجد من يسعفه حتى بالإصـلاح البلدى لأن المؤثرين أشاعوا بأنه أصيب بالجدرى . وهكذا رحل دقلل محمد من الدنيا — رحمة الله عليه .

بعد وفاة دقلل محمد باثنى عشر عاما تقريبا كانت نظارة بنى عامر هكذا :
« دقلل الحسين » في إرتريا وأخوه الشيخ إدريس ناظر البنى عامر بالبحر الأحمر (العقيق) وأخوه الشيخ محمد عثمان وكيلا له بكسلا .

وكان الشيخ محمد بن على في إمبيرى يقول ليت الأيام تسمح لنا بلقاء والدنا دقلل محمد ، وهكذا لم تسمح الأيام بلقائهما . وقد رثى دقلل حامد بك بعض الشعراء أمثال جمع بن شيك عجول ومحمد أواد حداد وفايد دنكلاى بعدة قصائد .

ولم يعقب دقلل محمد .

---

(1) يذكرنا بالملك الضليل امرىء القيس ابن حجر حين يقول (لما تسمم جسمه) :

وما خفت تبريح الحياة كما أرى … تضيق ذراعى ان اقوم فألبسا
فلو انها نفس تموت جميعة … ولكنها نفس تساقط انفسا
وبدلت قرحا داميا بعد صحة … فيالك من نعمى تحولن ابؤسا

« دقلل على بكيت بك همد »

هو الناظر البخيت بك تولى منصب دقلل عقب وفاة دقلل محمد ابن حامد بك ، ولكن الحسين حامد بك محمـــــــد عارض فى تنظيره فلم تسمع معارضته . ورفع شكواه لمدير كسلا ، ظل بمنصبه ، فسافر إلى سواكن . وبمساعدة أخواله الأرتيقة توجه إلى القاهرة مطالبا بمنصب أبيه لأحقيته به بعد وفاة أخيه محمد ، فقبلت شكواه وأحسه . (ناظر) وزير الداخلية بأنه كتب بالبريد إلى مدير كسلا(1) كى يحل محل أخيه ، ويعزل دقلل على بكيت الملك حالا . فلما وصل الحسين كسلا لم يجد أثراً لعزل دقلل على بكيت ، بل كان يمارس كل سلطاته . فتدخل ناظر وأعيان المنطقة فى الموضوع واجتهدوا فى الصلح بينهما ، وعرضوا على الحسين أن يتولى منصب « شيخ المشايخ » . فأجابهم هذه وظيفة عمى على بكيت الحقيقية . أما أنا فوظيفتى هى النظارة فأصلحونا على هذا الأساس وإلا فإنى عائد لاستئناف شكواى . وسافر إلى سواكن .

أما دقلل على بكيت لم يذق طعم الراحة من أول يوم فى ولايته إذ بدأت شرارة الفتن بين قبائله وجيرانه — فى أول سنته نشبت حروب بين الأشراف والكيلاب ، فحالف الأولى ووقف بجانبها بالقوة المسلحة . وفى العام الثانى تقاتل عد عمر وعبد إبراهيم ، فانحاز للأخيرين ، ومال الشيخ أ كد موسى (عمدة عامرى) إلى صف عد عمر لأنه كان يرى عدم أحقية دقلل على بكيت للنظارة وحنيره متعصبا لحق أبناء دقلل حامد بك . وفى السنة الثالثة حدث

---

(1) عبد الرازق بك .

القتال بين عبد هاسري وبيت معلا – قال الشيخ إدريس محمد (محلة الأمهوة) زرت دقلل على بكيت قبل القتال بسنة وشكوت له من مضايقات الشيخ أ كد موسى التي ترعيج أهلي وتنهب مواشيهم ، فأجابني إن الشيخ أ كد موسى عصاني وخالفني فعامله بمثل معاملته ، فقلت له وإذا قتلت من دملا هل أغتنم[1] قال لي نعم اغتنم وانهب مالا بمالك .

واندلعت نيران الشر في كل مكان بشرق السودان . فبدء القتال بين عد عاريام ومنّتّم وجاء الأمير عثمان بن أبي بكر دقنه في صيف سنة ١٨٨٣م ورفع راية الحرية والإستقلال ونادى بالجهاد ، ودعا إليه كل رؤساء القبائل للتصالح ، وأصلح بينهم ، وأمرهم بتوحيد الصفوف أمام العدو المستعمر ، فأطاعوه ، ووزع منشورات الإمام المهدي على كل المشايخ الروحيين والدينيين والنظار . ومما يؤسف له أن كل أمور دقلل على بكيت كانت معقدة ولم يصادفه التوفيق إلا في استرداد عد كموكوى الذين استخدمهم الراس الولا إلى أمره ، إذ أرسل إليه دقلل على بكيت أموالا كثيرة من النقود وأهدى إليه فرسا جيدة ، فأمر الرأس باعادتهم إلى محلهم بجهة أقوردت من غير أن يأخذ شيئا من مواشيهم . وفي أوائل ١٨٨٤م سمع دقلل باحتلال الطليان لمصوع ، فسافر للقاء القائد الإيطالي وقدم ولاءه وأخذ منه أسلحة كثيرة ، لقتال جيش الأنصار[2] . فأعطاه أسلحة ونقوداً ومؤونة كثيرة ، وحمله على جماله إلى دقه وهناك قسمه على الشبان ، وبدأ في تعبئة الجيش ، وأرسل كثيراً من المؤونة

---

(١) كان علي معونة مقتولا بيد المصريين .

(٢) قبل المهدية كان الأمير قد أخذ عبدا من دقلل حامد بك وعلي بكيت بالبيعة متبعا سنة ١٨٧٢م بالحقيق .

إلى مدينة كسلا المحصورة بجيش الأمير مصطفى على هدل ، حتى إن المدير أحمد باشا عفت أرسل خطابا إلى وزارة الداخلية فى ٢٩ مارس ١٨٨٤ م يثنى به على دقلل على بكيت بك ويذكر مساعداته التى كان يؤديها لأهل كسلا أيام حصارها[1] ، ولم ينقطع تواصــله بها كولانها من الذخيرة وما حولها ، وكانت بين دقلل على بكيت وناظر الحلنقة على شكيلاى صداقة متينة جداً [2] حتى إنهما قتلا معا فى واقعة سودرات سنة ١٣٠١ هـ (سبتمبر ١٨٨٤م) بعد ذلك فى حوادث المهدية بكسلا .

وقد خلف دقلل على بكيت بك ولداً واحداً هو الشيخ يعقوب عمده بلدة دقلل ببنى عامر كسلا ، واشتهر بسرعة فصله فى القضايا بين المتنازعين ، ولذلك كان يتمتع بثقة الناظر والعمد لنزاهته وعدله . وإنى أشكره إذ سافر معى فى إحدى رحلاتى إلى غربات (سودرات) لمشاهدة محل الوقعة المذكورة بين جيش والده وجيش الأمير بلال السمرقندواي - سألت الشيخ يعقوب عن أسباب تخلف والده عن الفرو مع دقلل حامد بك محمد ، فقال لى إن مدير كسلا أمر والدى بالسفر ، ولـكن دقلل حامد قال لا يصح أن يقوم كلاهما وتترك القبائل بلا شيخ مشايخ (المسئول عن الضرائب والأمن) فوافق المدير وعجله بالبقاء - ولم يذق والدى الراحه بسبب الشيخ أكد موسى إذ أفسد عليه كل تدبيراته فى مقتوب كما أوجد هو وابن عمه خليفه حامد (صهر الدقلاب) خصومة بيننا وبين آل الأمير عثمان دقنه .

---

(١) يذكرنا هذا الموقف بشهامة عبد المجيد سلطان وما أتاه من جميل الفعال فى حرب الطليان سنة ١٩٤٠ م .

(٢)قيل إن الفضل فى تولى دقلل على بكيت المطارة يعود إلى على بك شكلاى الباشكاتب العوض المرضى .

فقلت له لولا أن والدك كان ابن الجانب من جهة عمدة البيت ملا لما تجرأوا على قتل ذلك العدد[1] من الحباب بسبب قتيل واحد وكثرة السرقات في المواشى بين عبد الله حمد في قتالهم مع عد إبراهيم . ثم سارت الحوادث حسب المقادير .

« دقلل موسى بن حمد »

بعد وفاة دقلل البخيت عاد الشيخ إدريس دقلل حامد بك إلى ديه وأصهم بالرجوع إلى بلاد الحبشة فنصبوا خيامهم في جبل منصوره ، وإذا بالراس الولا يصدر إليهم تعليمات كى يولوا النظارة « دقلل موسى بن حمد » (أخ دقلل على بكيت) ، فأطاعوه وسار دقلل موسى حمد مع الراس الولا أينما رحل حتى قام الراس بجيوشه إلى ملاقاة الأمير عثمان دقنه في كسلا . فتلاقى الجيشان في « كوفيت » ، وكان دقلل موسى واقفا بجانب الراس الولا ، وإذا بالأخير يقول للأول إنك الفائز في هذه الواقعة لأن انهزام الأحباش وموتهم يسرك لأنهم قتلوا ابن عمك دقلل حامد بك ، وكذلك إذا هزم الأنصار فإن في موتهم انتقاما لأخيك على بكيت . فتبسم دقلل موسى وقال إن أسى قتلى واقعة قرع أو سبدرات

أسهبنا في وصف واقعه سبدرات وكوفيت في حوادث المهدية بكسلا وبعد مضى ثلاث سنوات من واقعة كوفيت يوم ٢٣/٩/١٩٨٥م أصيب دقلل موسى بالجدرى ثم توفى وخلف ولدا واحدا هو الملقب كوكيرى « الشيخ محمد موسى حمد شيخ مشايخ بنى عامر بارتريا ، وهو في هذا المنصب

---

(١) قتل من الحباب سبعه من شيوخهم حمد بن العمدة أخ موسى .

سنة ١٩٢٨ م . ولا يزال قائما بها أحسن قيام ، وهو مسئول عن تحصيل الجزية من الصعد وتوريدها لخزينة الحكومة

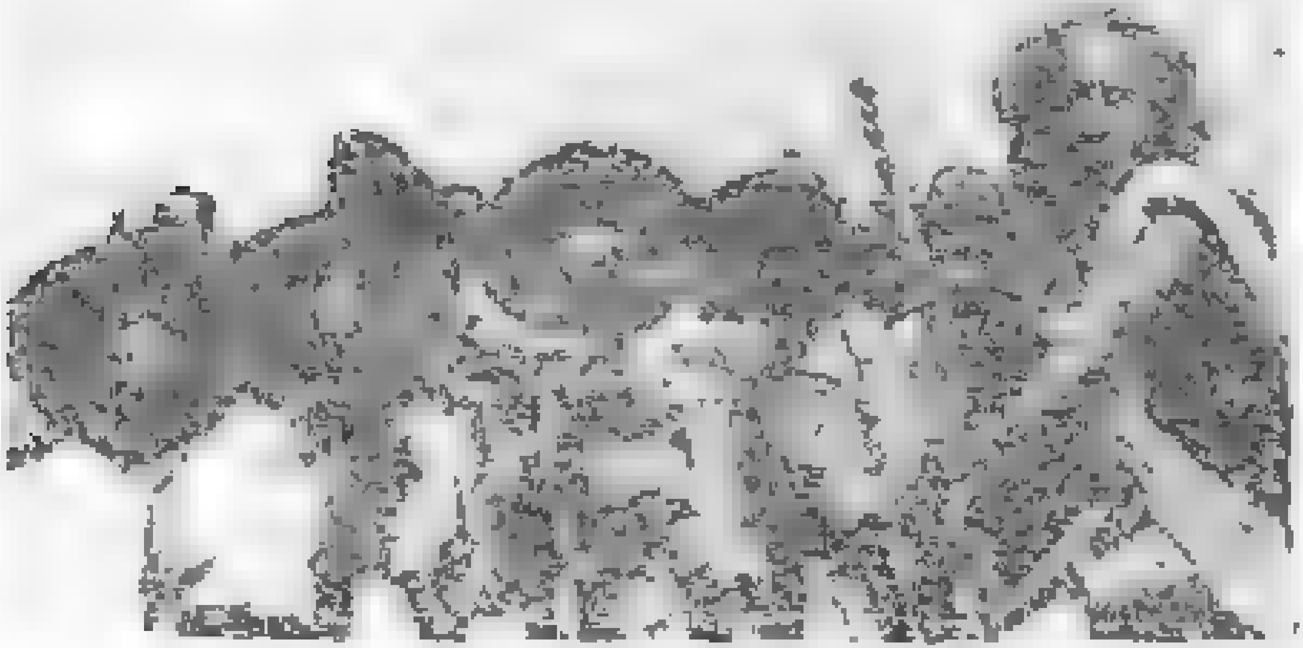

محاربون من قبائل الابجة (البجة الأصلية)
بأرض بني عامر

« دقلل همد بن محمد بن همد »

ولي نظارة بني عامر إرتريا بعد وفاة عمه دقلل موسى في جبل منصورة، وأقام حولا في حماية الرأس الولا، ثم سافر ومعه الشيخ الحسين بن دقلل حامد إلى مصوع وقدما ولاءهما لحاكمها، فقال لهما أنتما شريكان في رئاسة القبائل البني عامرية. وجعل لكل منهما مرتبا شهريا وقدره[1] مائتا ريال. فعاد إلى الدقه، ثم رحلا بالمنازل إلى جهة « قِرَ رْكَلِبْ » بقرب أغردت. فجاءتهم خيّالة من الأنصار وعليها فرسانها على حين غفلة، فقتلت دقلل همد محمد، وأما الحسين فإن مماليكه ضربوه بالعصي وكتفوه وأسروه في قار. واستاق الفرسان جميع أموال الدقه قاصدين بها مدينة كسلا وبينما هم في الطريق أدركتهم فرقة من[2] عساكر إرتريا الوطنية واستردت منهم كل ما أخذوه من دقة دقلل.

كانت بين والدي ودقلل همد محمد صداقة متينة حال تقسيم شرق السودان بين الحكم الثنائي والطليان.

---

(١) أطلق على هذه السنة « عام سواء سواء ».

(٢) كان معها دقلل الحسين سنة ١٨٩٧ م.

« دقلل الحسين بك حامد بك »

بعد مقتل دقلل حمد محمد أرسل محافظ كرن (سونيت) فى طلب الشيخ الحسين حامد والشيخ أكد بن حمد محمد ، وقال للأخير يجب أن تحل محل أبيك وتكون إدارة العربان ورئاستها بيدك وبين الحسين ، غير أنه يتولى النظارة العامة ويلقب بدقلل وأنت تلقب « بشيخ المشايخ » . فقال الشيخ أكد لا أقبل شراكة فى منصب والدى ، ولا أرضى بأى مساومة فى ذلك . فاستاء المحافظ من رده وأمر بالقبض عليه ، وأرسله إلى مدينة عصب (منفى أهل أرتريا) ، فبقى هناك ، وخلا الجو هنا لدقلل الحسين من المعارضين . وبعد مضى ستة شهور عاد أكد من عصب ، واجتمع ذات يوم هو ومحمد بك موسى (ناظر الحدندوة) ودقلل الحسين فى كرن ، وكان كل منهم ساكنا فى منزل منفصل . وإذا بصوت رصاصة تطلق من بندقية ، فجاء ضابط بوليس إيطالى للبحث والتحرى ، وإذا به يجد الرصاصة على باب منزل دقلل الحسين ، فعلم أن مؤامرة دبرت لقتله ، فأجرى تحقيقا دقيقا فى الحادث ، ثم حكم على أكد حمد بالعودة ثانيا إلى عصب ، وعلى محمد بك موسى بالسفر إلى سواكن . وقد برأ أبى محمد بك نفسه من المؤامرة أو إطلاق الرصاص ، وذكر أنه كان ضيفا عندما يترفع عن مثل هذه الصغائر ، وكذلك الشيخ أكد ، ولكن أشيع بتآمرهما على دقلل الحسين ، ولولا نزوله للسجود لأصابته الرصاصة . وكل هذا غير حقيق إذ أن الرصاصة الطائشة استقرت فى الباب ولا يعرف مطلقها أو البندقية التى أطلقت منها .

اشتهر دقلل الحسين بكثرة سفرياته إلى مصر فى طلب وظيفة والده دقلل حامد بك . وقد أقسم فى أشعاره بأن لا يطأ برجله دقة دقلل مادامت النظارة

بيد دقلل على بكيت ، وعملا أمام سوا كن حدد حده الأمير جيلانى باث أرتيقة ، ولم يصرح سوا كن إلا بعد مقتل دقلل على بكيت باث . ورفع دقلل الحسين عدة شكاوى إلى حاكم عام إرتريا كى يضم إلى نظارته مقتل عد أكذ وأفلندة وبيت معلا فقال له الوالى :

« بأن الأولى والثانية تابعتين لمحافظة كرن ، والثالثة لمصوع وأنت لأفردت ، ولذلك لايمكن أن يكونوا تابعين لك » . ولما توفى الشيخ محمود شريف عبيد ... أكد ساوى دقلل الحسين ضم القبيلة إليه ، ووافق على ضمها إليه . وقد زرت دقلل الحسين فى سنة ١٩٣٣ م ولقيت منه كل إكرام واحترام ، وقال إنه لا ينسى عرى الصداقة التى بين والده وجدى الشيخ على ضرار مجمول ، وأهدى إلى موسا بلينها ، وناقتين وخمسة من أبقاره الخاصة . وفى أيام تعيين دقلل الحسين انتخب الشيخ محمد اسماعيل (١) فى منصب شيخ مشايخ حتى توفى فخلفه الشيخ محمد موسى حمد .

« وفاة دقلل الحسين »

نشرت صحيفة الإرترية اليومية التى تصدر فى أسمرة باللغة العربية والحبشية فى عددها الثالث والثلاثين يوم ٩ فبراير ١٩٣٤م الآتى :

« توفى إلى رحمة الله بعد مرض دام طويلا فى يوم الجمعة الموافق ٢ فبراير الجارى الراند أو فتوالى الدقلل الحسين حامد بك رئيس قبائل بنى عامر .

---

(١) كان يملك سيفا جميلا قيل انه سيف الامام محمد الشافعى وقد انتزعه احد جنود الجيش الهندى الذى فتح افردت من كتف ابنه سنة ١٩٤٢م ورفض أن يعيده الى صاحبه ؛ واخذوا أسلحة اخرى من ابناء دقلل ما بين سيوف ومسدسات مهداة اليهم من حكومه ايطاليا .

ينتسب المرحوم إلى عشيرة عد موسى (فرع دقلل محمد) التى تأسس حكمها منذ زمن النورايت ، وتولى الدقلل الحسين الحكم خلفا لدقلل حمد القيل (حمد محمد) فى عام ١٨٩٠ م ، وكان ذلك شيخ مشايخ بنى عامر ، وهذه الرتبه ليس أرفع منها غير الدقلل فى قبائل بنى عامر ، ومنحته ذلك الدولة المصرية اعترافا بالخدمات الجليلة التى أداها والدم الذى بذل فى ميدان الحرب ، ووداقوردى (قندت وفرع) حيث كان قائد الخيالة المصرية الدير نظامية . كان المرحوم مخلصا للدولة الإيطالية ، وامتاز بشجاعة عظيمة فى واقعة أغوردت الثانية ضد الأنصار وفى يناير وفبراير ١٧٩٧ أثناء غزوات الأنصار على بلاد خور بركة أظهر المرحوم رغم قلة البنادق والرجال الذين كانوا تحت تصرفه فى بلدة « دقة » الثبات والهدوء والشجاعة النادرة أمام ذلك الخطر العظيم . وكان رحمه الله حكيما وذو حزم وعزم ونشاط . ومخلصا وجودا للحكومة الايطالية ، ومتحليا بالذكاء ورجحان العقل ، مراعيا دائما على حسن العلاقات مع الرؤساء المجاورين لبلاده سواء كانوا من رعايا الدولة الإيطالية أم دول أخرى المتاخمة لإرتريا ، وقد اشتهر بسداد الرأى والنصائح الصائبة حتى كان يسترشده كثير من الرؤساء والمرءوسين . واكتسب بهذه الخصال الحميدة محبة الخاص والعام ونظرا لخدماته القيمة ، وبإخلاصه الصادق ، وتفانيه فى حب الدولة ، وقيامه بأعمال باهرة فى طاعة الحكومة ووفاقية قبائله ، قد أنعم عليه صاحب الجلالة مليكنا المعظم بوسامات وأوسمة عسكرية عديدة آخرها وسام العرائد أوفيشيالى من صف النجمة الإيطالية ، وهو وسام عالى الشأن . وقد انتخبته حكومة إرتريا مع الرؤساء الذين ذهبوا إلى روما لتمثيل أهالى إرتريا فى حفلة المهرجان الذى أقيم فى عام ١٩٢٥ بمناسبة مرور خمسة وعشرون سنة لارتقاء صاحب الجلالة الملك فكتور عمانويل

الثالث على العرش الايطالى وكذا فى سنة ١٩٣٠ لحضور حفلة قران صاحب السمو امبرتو دى تيمورتس .

وعندما انتهى خبر الوفاة إلى جناب الدكتور المكاوايرى مرتيس القائم بأعمال محافظ البلاد السعلى العرقية ذهب توا إلى دار المرحوم لمشاهدة الجنازة وتقدم مراسيم أخلص العزاء بالنيابة عن الحكومة وبالاصالة عن جنابه إلى أسرة الفقيد وذويه وأهالى البركة جميعا

وتقرر نقل جثمان المرحوم إلى بلده دقه حيث دفن رحمه الله فى مقبرة أسرته النبيلة بعد أن أقيمت له حفلات التأبين اللائقة لرئيس كبير بذل مجهوداته فى صالح الدولة والأمة زمنا طويلا وقد أحدث نبأ وفاة الدقاق الحسين الذى شاع بسرعة البرق إلى كافة أنحاء المستعمرة تأثيرا عميقا فى جميع الطبقات . ونحن نتقدم إلى اقارب الفقيد وذويه وسائر قبائل البركة بمراسم أخلص العزاء لهذه الكارثة المفاجئة متمنين الصبر والسلوان ، ونبتهل إلى الله تعالى أن يجعل فى ذريته خير خلف لخير سلف .

أسمرة ٨ فبراير ١٩٣٤م

(السنة الثانية عشر للعهد الفاشستى) . ولقد نشرت جريدة حضارة السودان التى تصدر فى الخرطوم ملخص تاريخ حياته وجليل أعماله من مراسلها ببورتسودان وهو كاتب هذه الأحرف .

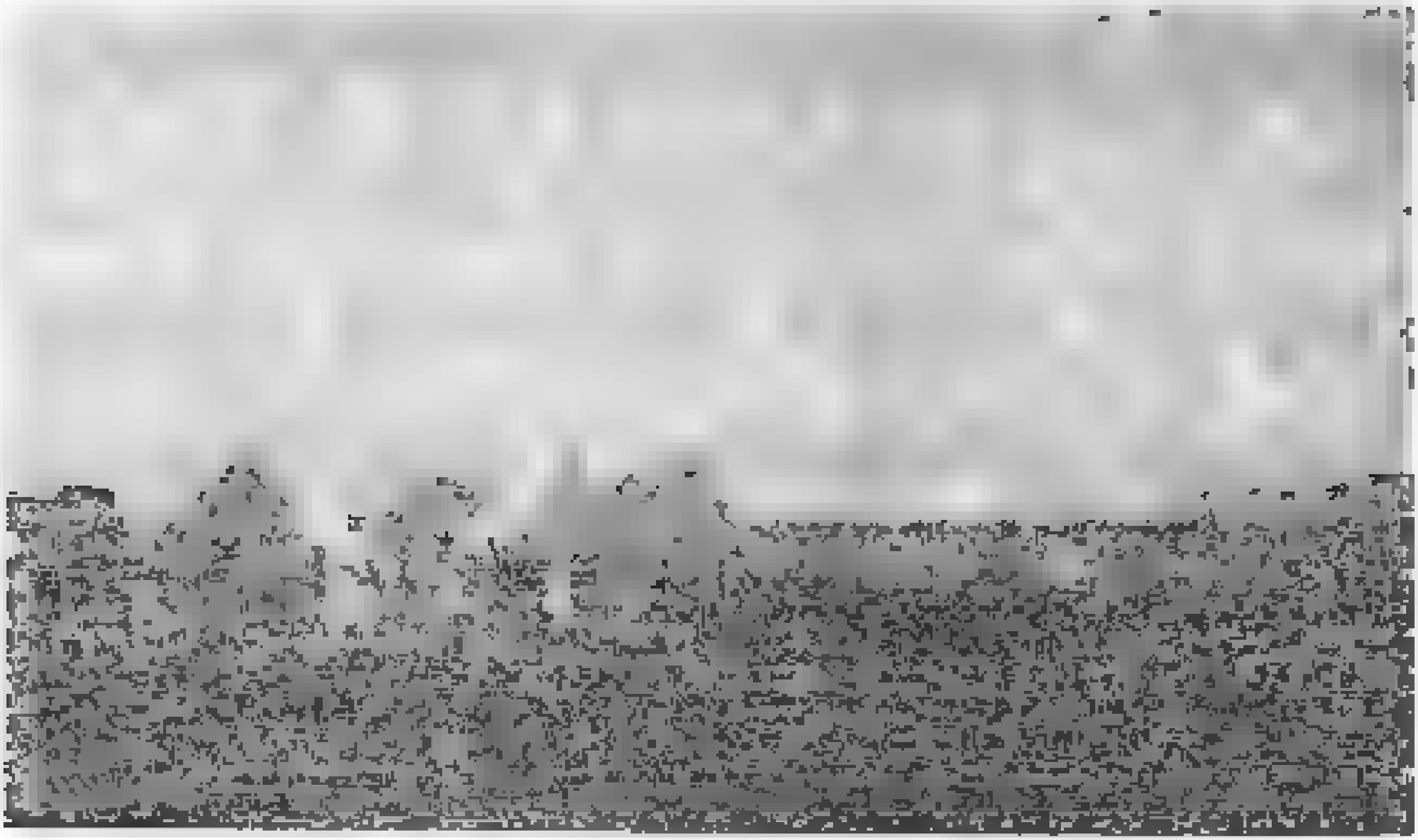

النخيل في حقله دقلل الحسين حامد بك سنة ١٩٢٣م

دقلل جيلانى بن الحسين

تولى النظارة بعد وفاة والده ، وقد أنعمت عليه الحكومة الإيطالية جرنة كوامدى اوفيشيالى ، ومرارا ما سافر إلى روما وكانت آخر سفرياته لإيطاليا سنة ١٩٣٦ لتهنئة الحكومة بروما

وفى حرب إيطاليا وانجلترا سنة ١٩٤٠ أخلص دقلل الأولى لأنه من دعاتها حتى اندحرت الجيوش الإيطالية فى كل الميادين وتم للانجليز الاستيلاء على إرتريا . واعتقله مدير كسلا المستر كنيدى كوك فى الخرطوم ، فاضطرب حبل الأمن بين بنى عامر والحدندوه وكثرت العصابات ، فلم تر الحكومة بدا من إحضاره ، فهدأت الأحوال واستتب حبل الأمن . وفى شهر فبراير ١٩٥٢ توفى دقلل جيلانى الحسين إلى رحمة مولاه ، وخلف ثلاثة أنجال هم محمد طاهر ، ومحمد عثمان ، والحسين وكلهم أخذوا قسطا كافيا فى العلوم والمعارف ، والأخير التحق بجامعة أديس أبابا

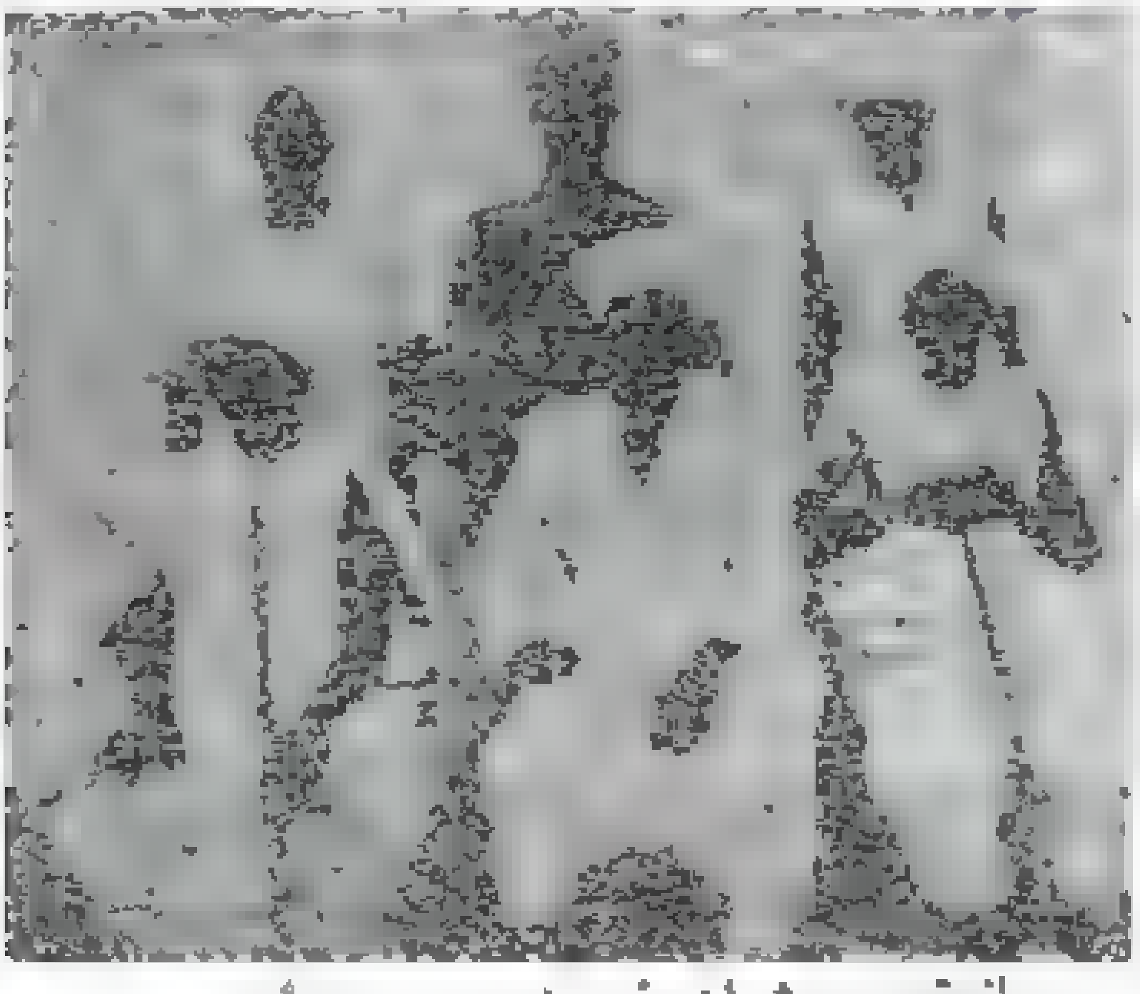

لفيف من شبان بنى عامر بمدينة أغردت

« دقلل محمد طاهر بن جيلانى »

حال وفاة والده سافر مع عمه الشيخ حامد إدريس إلى أسمرة ومعهم كل مشايخ وعمد النابتاب وأقروا نظارته أمام الحاكم العام .

أما قبائل بنى عامر التى ليست من أصول النابتاب فإنها أصبحت بنظارات منفصلة عن رئاسة دقلل نهائياً لأن تحرير القبائل أراح الحكومتين السودانية والإرترية .

ودقلل محمد طاهر حكيم جداً لا يتسرع فى أموره مهما كانت صغرى .

وتورد هنا أسماء كاملة العوائل الحاكمة لمدة دقلل بإرتريا منذ أقدم الأزمنة إلى يوم كتابة هذه الأحرف وهو سنة ١٣٥٦ والموافق سنة ١٩٤٠م .

(شموس)

هى إحدى قبائل البجة العريقة فى القدم ، واشتهر رجالها بالكبرياء والغطرسة . والمفهوم عن رجالهم إطالة شعر الرأس حتى يتدلى على الوجه ويسرحونه تسريحاً جميلاً يميزهم عن سائر قبائل البجة الذين يتسمون واسمهم إلى قسمين كا بالصورة . ويبقى اليوم من شموس عدالان إحداها فى دمد دقلل (١) والأخرى أعطاها دقلل إبراهيم إلى الشيخ محمد ضرار تأنفوءُ موسى قبيلة الحيلاب والأطفة بالسواحل وتورد بركة أما تفرقهم فقد حدث بعد زوال مملكة البلو على يد عامر بن على . قال الشيخ عمر على تيته محمد شريعاب أذكويت حسين ملاك) منهم وأمه الذى استجار بزعيم السمرأو (عمرود مدندوة) إن شنشروت من السمرأو .

---

(١) عدة عدلان .

وكانت شموس دائما في قتال مع أبناء النابتات بسبب الأنفة والكبرياء حتى انقرضوا

ناظر نابتاب بني عامر إرتريا

دقلل محمد طاهر بن جيلاني الحسين

« أنبوش »

وهذه القبيلة من بطون النبة التي لم أستدل على أصولها ، ولم يبق منها اليوم إلا عائلة صغيرة في الأملندة قد أعطاها حقلان إدريس بن أكد إلى الشيخ جمع بن عجيل حرابين عماوين بالسويت .

ويقال لهذا البطن عند عنيباى — وكانوا دائماً في قتال مستمر بشموش[1] .

« الميناب »

هم أشرف سينية اختلطوا ببني عامر غير أنهم لازموا مسكاناً واحداً وكثرت دراريهم حتى كانت المهدية فأصيبوا بالجدرى ومجاعة سنة ١٣٠٦ ه فانقرضوا وبقى منهم خمسة أشخاص انضموا إلى قبيلة كَرَبْكَاب واتقطعوا للعبادة وتعليم القرآن للأطفال .

« الحصص التابعة لبدنة دقال »

توجد عدة حصص كانت في الزمن السابق بدنات كبيرة لها عموديات ، ولكن بعد حوادث مجاعة سنة ١٣٠٦ ه والجدرى ماتت مواشيها وأهلها ولما قلوا انضموا إلى بدنة دقال .

« عدّ نور »

هم أبناء نور بن أكد بن ناصح وقد انقرضت ذريته .

---

(١) في سنة ١٩٢٢ وجد عبيد الأملنده الشيخ محمد ... على حفرة مملوءة بالسويت بقرب قرورة بضفة الشيخ ادريس بو بسف اباكلكا .

« عـد عوض الله »

هم أبناء عوض الله بن ناصح ويقال أنهم من إقد كَنْيَق وسبق أن ذكرناهم .

« عد محمد آودا »

هم أبناء محمد آودا بن آكد بن إدريس بن آكد بن ناصح ورأسهم الشيخ جيلاني علي عمر .

« عـد شاور »

هم أبناء شاور بن آكد بن ناصح وقد انقرضوا .

« عـد حامد »

هم أبناء حامد بن إدريس بن آكد ورأسهم الشيخ حامد بن محمد ابن عبد الله .

« عد رِقْموتات »

هم أبناء علي بن محمد شيك بن علي عكسه ، وقد انضمت بقاياهم إلى سائر بدنات دقلل والنابتات الأخرى مثل عد عمر محمود وعد آكد للّو Lalou

« عـد أَوْلِبَاب »

هم أبناء إدريس أولباب من موسى تولي ورأسهم الشيخ محمد علي بخيت إبراهيم إدريس .

« عـد دياب »

هم أبناء إدريس دياب بن حامد موسى وشيخهم هو الشيخ محمد دياب ابن إدريس ابن دياب .

« عِرِّي »

هم من الحماسين القاطنين ايدانة دقلل ويرأسهم الشيخ أنور بن عثمان حتجون وفي رواية أنهم من أقارب الأمنيمًا ، وهم عدة عائلات ،

« عد قوبت »

هم قرية على قوبت (نحو ستما شوكة) وهم ميالون للهنا كسة أكثر من العبابدة وذلك لقلتهم ويطمع فيها الغير مالم يقاتلوا في أمر إصابة تسعم .

في أفريقيا يسمون الدروع الصغيرة من الجلد « شرف » وهي أدنى درجة من الحصة ، وغير مستعملة في قبائل السودان ، وبذلك اعتبره كل شيوان حصة كما كان في الأزمنة السابقة وتركت الاسم الحديث لأن أكثر المشايخ يكرهون سماعه .

« عد قنّاد »

ويرأسهم الشيخ حامد محمد إبراهيم قنّاد ، ويسكنون جنوب جبل آدم كته على مسافة عشر ساعات من مدينة أمرديت ، وقد لقت معهم عمالزيارة مرة لي هناك أثناء الغت في معسكري عندما سمعت بقدومي في ثلاث الأعداد ، مزرتها وضربت بلاد الباريا ، وكان من ضحاياها السيد الأمين محمد علي . وفي سنة ١٩٥١ حدثت حوادث سلب ونهب بينهم وبين الباريا فأمرهم دقال جيلاني بالرحيل إلى قرب قرى بني عامر ، فامتثلوا . وفي سنة ١٨٨٦م وفد حامد إبراهيم قنّاد (عم الشيخ المذكور) على الأمير دنجار ذوته في سلهوت مع مشايخ بني عامر ، فعاملا شاهده عرقه وقال له « ياابن إبراهيم قناد أنا بريء من دم خالك » دقلل على بكيت إذ كانت بينهما معاهدة على أن يبايع الأمير بالشريك السعيد والي

ولكنه سمع كلام صديقه على بك شكيلانى واشترك فى قتال مع بلال والسكى عيسى الفلانى بدون إذن منى ، وقد تأخر عن موعد نجدته أحمد باشا ممتز (مدير كسلا) والشيخ أحمد حتيبو . وإنى يا حامد إبراهيم أعلم أن عائلة دقلل حامد أود كانت تنزل عندنا فى سواكن ، وأما عائلة دقلل محمد فإنها تنزل عند أحمد الأرترقه السكربابى ، فسامحنى وعوض شالكضرف وتخلفه عن نصرتنا وذلك مالم أكن أنتظره منه ـ عفى الله عنه »

انتهينا من نظارة بنى عامر إدتريا وسنأتى على مدوين من كان مجاورا لها من القبائل المتعرضة وتذكر شيئا عن تاريخها حسب ما سمعناه .

حفـــرة Hafara

هى من بطون البجة القديمة ، ويسكنون فى جهات صبدرات وأعروف وضواحى كسلا . ورأيت مقابرهم ودمنهم فى المحلات المذكورة ـ قيل إنهم كانوا أصحاب بأس وشدة تهابهم كل القبائل المجاورة لهم واشتهروا برفضهم الخضوع للسلطنة الزرقاء حتى ظهرت بنو عامر بجوارهم ، وهم الذين أزالوا ملك البلو فى سود بركة والقاش قبل هجرة العرب إلى السودان ، وبسطوا رئاستهم على من جاورهم من البجة .

ولما تكاثرت قبائل بنى عامر بدأ التحرش بينهم وبين حفرة ، ثم التراشق والمواقع الحربية التى كانت بينهما سجالا حتى تولى النظارة البنى عامرية دقلل أكد بن فاصح ، فزار سنار واتفق مع مليكها على أن يحصد من شوكة حفرة وعندما يتم إخضاعها تضم إلى نظارة دقلل . فعاد أكد بعد الاتفاقية المذكورة وجمع رجاله الصناديد لقتال حفرة التى لم يكن رئيسها أقل همة عن بنى عامر ودقلها ، وقد وصف زعيمهم بالجبروت والعناد وكان لا يماشى إلا مبارزة

بين الفريقين . وبينما هما كذلك في أحد أيام الثلاثاء[1] إذ نادى دقال أكد لمنازلة فخرج إليه دقال وكلاهما على جواديهما ، واستل دقال حسامه من غمده وكانت بيد زعيم حفرة جلان Jalan (الحربة الطويلة) ، فجالا جولة ثم طعن الحفراوى دقال بالرمح في فخذه فنفذت إلى سرج فرسه وأضلاعه وبطنه ، فجلد دقال وضرب خصمه بالسيف على رأسه فشقه نصفين . فحمل عند ذلك فرسان بنى عامر على فرسان حفرة الذين انهزموا حالما شاهدوا موت قائدهم ، فاقتفى العامريون آثارها وهي منهزمة فنهبوا أموالها وعادوا إلى أهاليهم بعد النصر . أما دقال أكد فقد أسعف بالعلاج الشاق لجرحه غير أن فرسه قد ماتت . وكتب ملك السلطنة الزرقاء فأرسل إليه هدايا كثيرة وأكثرها من السيوف والملابس ، وأيد سلطته ووافق على ضم جميع عشائر حفرة إلى نظارة بنى عامر فاستفاد من امتداد سلطانه أبناء عمومته إذ كانوا يعرفون أمره ، ورفضوا دفع الزكاة التي اعتادوا تأديتها سابقه . وبعد مضي ثلاث سنوات من هذه الغزوة اجتمعت الحفرة على قائد آخر وحاربت سلطة دقال أكد ، فأخبر ملك الفونج بعصيانهم واقترح على دقال أن يولي محمد كاسب ه أبا طه . فوافقه الملك على اقتراحه وتولى أمر حربهم الشيخ أكد بن علي بن فكاك عمه محمد كاسب ، فانتصر

---

(1) قبائل حفرة لا تقاتل إلا في أيام الثلاثاء من كل أسبوع ولذلك يقولون في بلاد البجة والحبشة) أي من أراد أن يرسل ولو عصا له للعتاب ولتهيب فليرسلها في يوم ثلاثاء . ويتشاءمون فيه من مقاتلة الحكام ، ولا يعملون شيئا حديثا أو يسافرون فيه والحبشة وهي امبراطورية كبيرة لا تغزو إلا في هذا اليوم وتنتصر .

على الحفرة وشتت شملهم ، وأنعم عليه الملك بلقب دقال وأن يكون ناظراً على كل القبائل التي تسكن حول نهر القاش[1] ، وأن يحول دقال بنى عامر وكافة كل من يسكن حول بركة . قيل إن حفرة كانت تملك سبعة آبار ، وكل بئر حولها سبعة أحواض متينة وكبيرة تشرب منها سبع مراحات من الإبل ، وكل إبل رعاتها سبعة فرسان على ظهور خيولهم[2] وأما الآبار فهي واقعة في مدينة أعرفت على مسافات بعيدة عن بعضها[3] : واحدها في « حشلة » والثاني في « درت » والثالثة في « تركينه » والرابعة في « شقلت » والخامسة في « إندرايب » ويقال لها « كلمت » والسادسة في « باقوا » والسابعة في « دقاسى » ولهم غيرها عين ينبع منها الماء واقعة في قمة جبال السلطان (هو جبل هرتوا) وأما آثار منازلهم ودمنها فهي في آدم كيشه

وكان الفارس من حفرة يملك مراحات كثيرة من الإبل يستأجرون لها الرعاة ولا يعرفونها بأنفسهم إلا بعدد الملات (انظر طوزه في قبائل الحباب) وهذه أسماء الأماكن السبعة بالإفرنجية :

Hashala, Darat, Tark ms, Sheglat, Induayce (Kelamat) Baagu, Daqasi, Hatwa

---

(1) كانت بيد حفرة نظارة القدين ، وأما قبل الاسلام فانهم يقولون إن سلطنتهم كانت ممتدة على شرقي نهر عطبره ، ولما انقرضت صارت عند كلب انضم باقيهم مع من كان تحت سلطتهم الى نظارة بني عامر .

(2) سمعت أن هذا الكلام قالته احدى بنات حفرة لما جاءتها عصبة لمودين من بني عامر أو من كلب تهديداً لهم لئلا يطمعوا في عيلتها فنجت وأهلها بهذا التمويه .

(3) لم أقف على أحدها ، قدرت المسافة من كل بئر والمدينة خمسة أيام

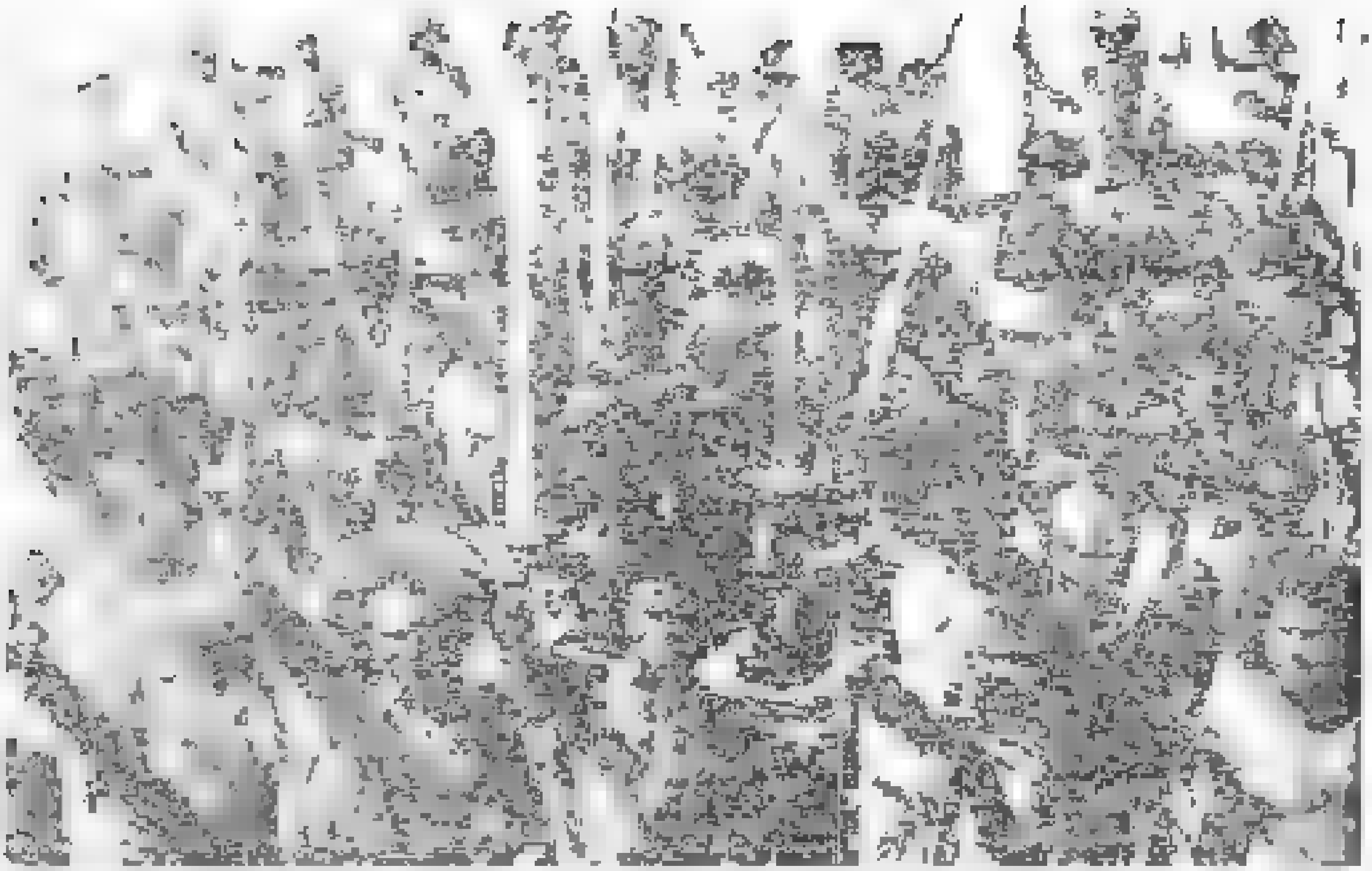

المَيُونَاب ALMAYONAB

أو عيلفون ، أو سنار المنياب تتألف منها عموديتان وهم من ذرية رجل وفد على الشيخ ناصر بن عامر يقال إنه من نسل الشريف علم الدين الأرتيقي ، فزوجه ناصر ابنته شقيقة عكسه ، فرزق منها ولدان هما « علم الدين » و « نور » ولما تزوجا أعطاهما جدهما قريتين من الجزيرة بأمرائهما — وأطلق عليهما « عيلفون » و « نور » حتى كثرت أمرائهما فانفصلا عن بعضهما ، ولا زالتا عموديتين تابعتين لعقال — وهو دقال — يلاقي هما تحت عمدة واحد سنة ١٩٣٥ .

وعين عليهما عمدا هو الشيخ محمد عثمان عبد الله (إهداء القرى المجاورة للمال والسيوف المحلاة والخيل لابن البنت عادة مستعملة في بني عامر ولكنها زالت في السنين الأخيرة من الوجود إذ عرفت الميراث) . ويوجد كثيرون من أبناء الأرتيقة في إرتريا ، وكل من ثبت منهم نسبه يحفظ بسجلة قبيلته .

وهم موفورو الكرامة يحترمهم كل من معهم لتحليهم بالكرم والشهامة . ولو لم يكن منهم فى إرتريا غير السيد عبد الله مرغنى لكفى لأن دماثة أخلاقه وحسن معشره جعلته مرموق المكانة مهاب الجانب سباق إلى الفضائل .

« مَنَّاب » Mannaab

أو مَنَّابَة ، هى قبيلة اشتهرت فى أيام مغارة بنى عامر الأولى بالظلم والاستبداد وكانت تسكن بجوار بنى عامر وحقره ا نزل عندها الشيخ على ابن البدوى [1] ، صيما بقرب جبل كسلا لم يكترثوا به وكان كلما قرأ القرآن أساءوه حتى إنه إذا أقام الصلاة لكزوه بعصيهم وأيديهم وسحبوا من تحته فروة الصلاة ، وإذا أراد الوضوء خطفوا منه الإبريق وهو صابر على أذيتهم . ولكنهم اتفقوا فيما بينهم ذات يوم على قتله ، فقتلوه ، ثم قطعوا يديه وصاروا يضربون بهما على النقارة بدلا من ضربها بالعصى .

قال صاحب طبقات ود ضيف الله عن الشيخ صالح ود بانقا « وصل إلى الشيخ إدريس (من الهدايا) شىء قط من أموال هذه القافلة إلا المقترة ملحقات المصرورات فى شملة الشيخ بدوى نارلها إياه والشيخ أعطاها لامرأة جالسة على سرير لا أدرى هل هى زوجته أو أجنبية » .

وذكر صاحب الطبقات وفود الشيخ على بدوى مع الشيخ محمد فايد إلى الشيخ إدريس محمد الأرباب ، فقال « ثم أتوني الشيخ محمد فايد وجماعته »

---

(1) قال لى حمده انهم من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى — واما قبيلة «منناب» هذه منها عبرت الى مصر عن طريق طوكر سنكات ثم السودان مع عائلة «محمد كلب الشامى» .

المحل الذي فيه حلة ولد أبو دليق وفي وقت حضر معهم الشيخ بدوي شاب صغير في السن لابس شملة رباعية ووالدته قد كانت توسلت إلى الله بالشيخ فيه ونذرت بقرة وعشرة علقات فضة فقالت لواد فايد ولدي لاينقطع منك لكثرة الخلق فإن العيد لاتسعهم الحلة ، ونزولهم عادة خارجها » . وبعد أن وقعت مقتلة من قتل الشيخ علي بن البدوي سلط الله عليهم بني كلب فقطعوا دابرهم وانقرضوا جميعهم حسدا وقد صورت مقابرهم في طريق إلى دقه دقلل ياخردت .

وفي اليوم من نسل الشيخ علي البدوي بجهة صقلا الشيخ موسى ابن شيك قد استوطن مع بقايا قبيلة حفره وله بينهم مكانة سامية واحتراما كثيراً - وتوجد في تلك مدرسة صغرى .

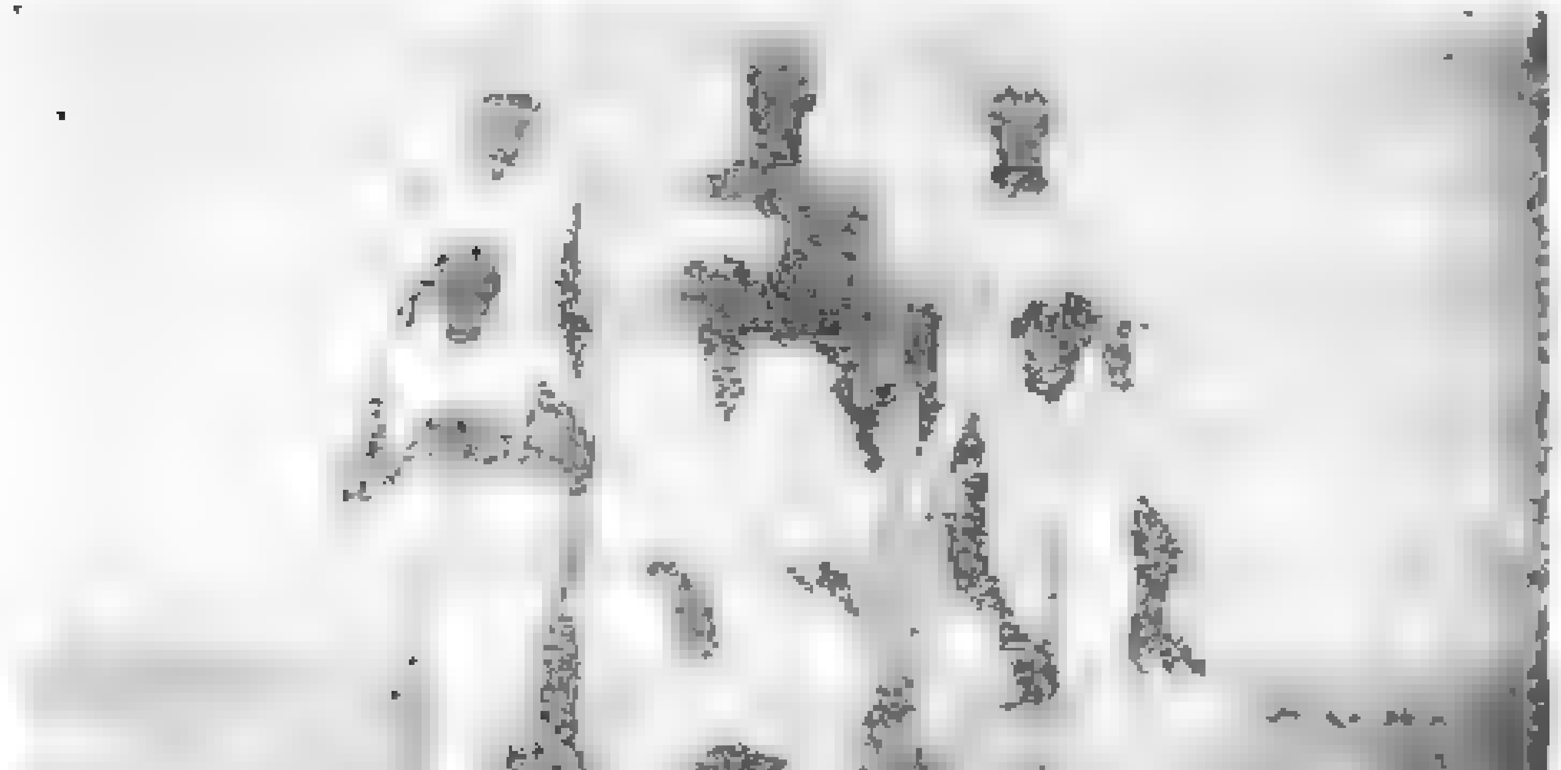

لفيف من أبناء بني عامر في دقه دقلل

« عدْ كَلِبْ »

يطلق هذا الاسم على القبائل التي أنشأها الشيخ محمد بن كلب وكان قد حضر ومعه بعض الأشخاص إلى قرية « عَلَنْدَوَة » (Alend-wa) ونزلوا ضيوفاً عند الشيخ « قوبيلاي » (قصير الأذنين)[1] ابن علي ، ومعهم كلاب صيد . فسأل قوبلاي الشيخ محمد بن كلب عن محل حضورهم ، فقال نحن جئنا من أرض الشام عن طريق الحجاز إلى السودان تجارة ، ثم جئنا منها في سواكن وكسلا (التجارة كانت تبيع من البحر والكهرمان والسوميت وسائر الخرز) وأصاب في كسلا تجارتي بعض الركود ، وضاقت بنا سبل المعيشة ، فاقتنينا الكلاب للصيد والحراسة . ورزق محمد كلب من بنت قوبلاي ولداً أسماه « على فككاك » ، ثم تزوج الأخير بابنة محمد بن موسى ورزق منها إبراهيم وإدريس ، ثم تزوج بابنة عيسى الشرلاوي من البشاريين ورزق منها أكد (الذي أنشأ قبيلة الهماب) وأما إبراهيم وإدريس فقد أنشأ قبيلة « هاشبري Hashbirri »

« على فككاك بن محمد كلب »

كان معاصراً لمقتل إدريس أولباب وقد قاتل قبيلة « عَلَوى Alawi » (وهي فرع من عمران الأرتيقة) زمناً طويلاً حتى كادوا أن يبيدوا قبيلتهم - ولكن نصره الله عليه واستولى على عقاراتهم وكذلك وسمهم[2] . المسمى باسمهم وقد انقرضوا .

---

(1) وفي رواية انه حضر ومعه خادمه .

(2) كان اسمه علوى وهذا من قبائل البجة وهو سلب العقار والاوتار من المنقرضين .

كانت مع علي سكاك نظارة أخرى وجدها والده محمد كاب في إحدى الدمن[١] ، واشتهر علي فكاك بانتصاره على اثنى عشر فارسا من سطوى هجموا عليه ففرق جمعهم قتلا وجرحا ولسان حاله يقول :

« ولقيت الأبطال في كل حرب × وهزمت الرجال في كل واد و ركت الفرسان صرعى بطعن × من سنان ويحكى رؤوس المزاد[٢]

« دقلل أكد بن علي فكاك »

هو الذي قتل ناظر حفرة الأخضر الذي سميت بعد وفاته حفرة نهائيا لسلطنة الزرقاء . واشترك دقلل أكد بن ناصح في القتال ، فلما سمع ملك التوبع بنصرهما أنعم عليهما بوظيفة « دقلل » . وكان أكد ناصح يحصل الزكاة من كل من سكن شرق بركة حتى سواحل البحر الأحمر ، وأكد علي فكاك يحصل ممن حول نهر القاش حتى حانت منيته وتوفي . ونشأت بين محمد كلب ومنعاب عداوة مستحكمة تطورت إلى حروب يومية تبدأ من شروق الشمس حتى غروبها ، ثم يتهادنون إلى الصباح كما قال محمود باشا سامي البارودي .

ووضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا : يتكلمون بألسن النيران : وكان بعض مشايخ بني عامر يضمون إليهم كل من ابتعد عن القتال ويحمونه من خصمه[٣] .

---

(١) قيل انه وجدها بترب قوميات النصاصة الى وزانه .

(٢) الراوية للماء .

(٣) ذكرنا بعض حوادثهم في دقلل موسى بن ادريس .

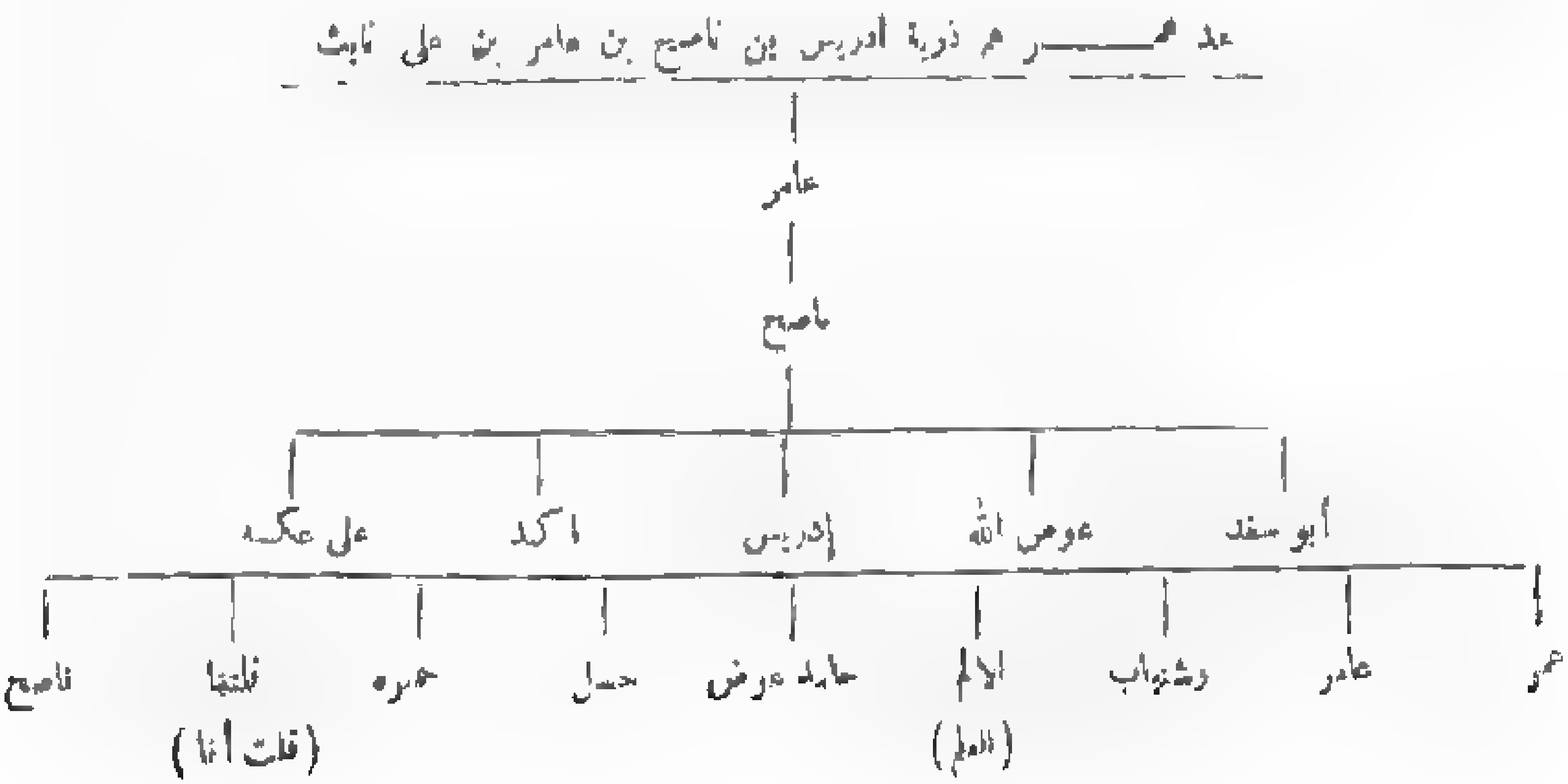
عد ـــــــ هم ذرية ادريس بن ناصح بن عامر بن علي ثابت
عامر
ناصح
أبو سعد
عوض الله
إدريس
احمد
علي عكمه
عمر
عامر
وشواب
الامام
(المعلم)
حامد عوض
محسل
حمره
فلتقا
(قلت أنا)
ناصح

[illegible] بن محمد بن اكد بن ادريس بن دقل اكد بن ناصر

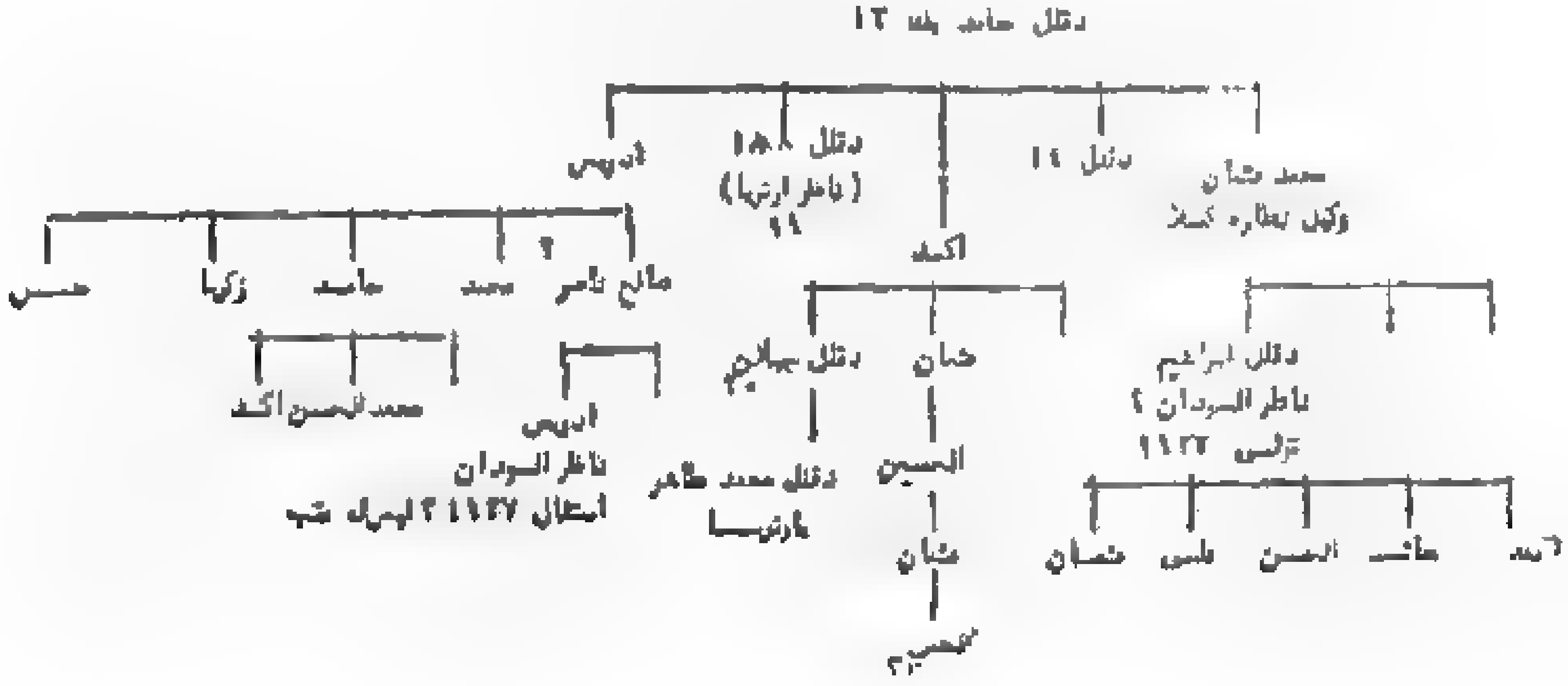

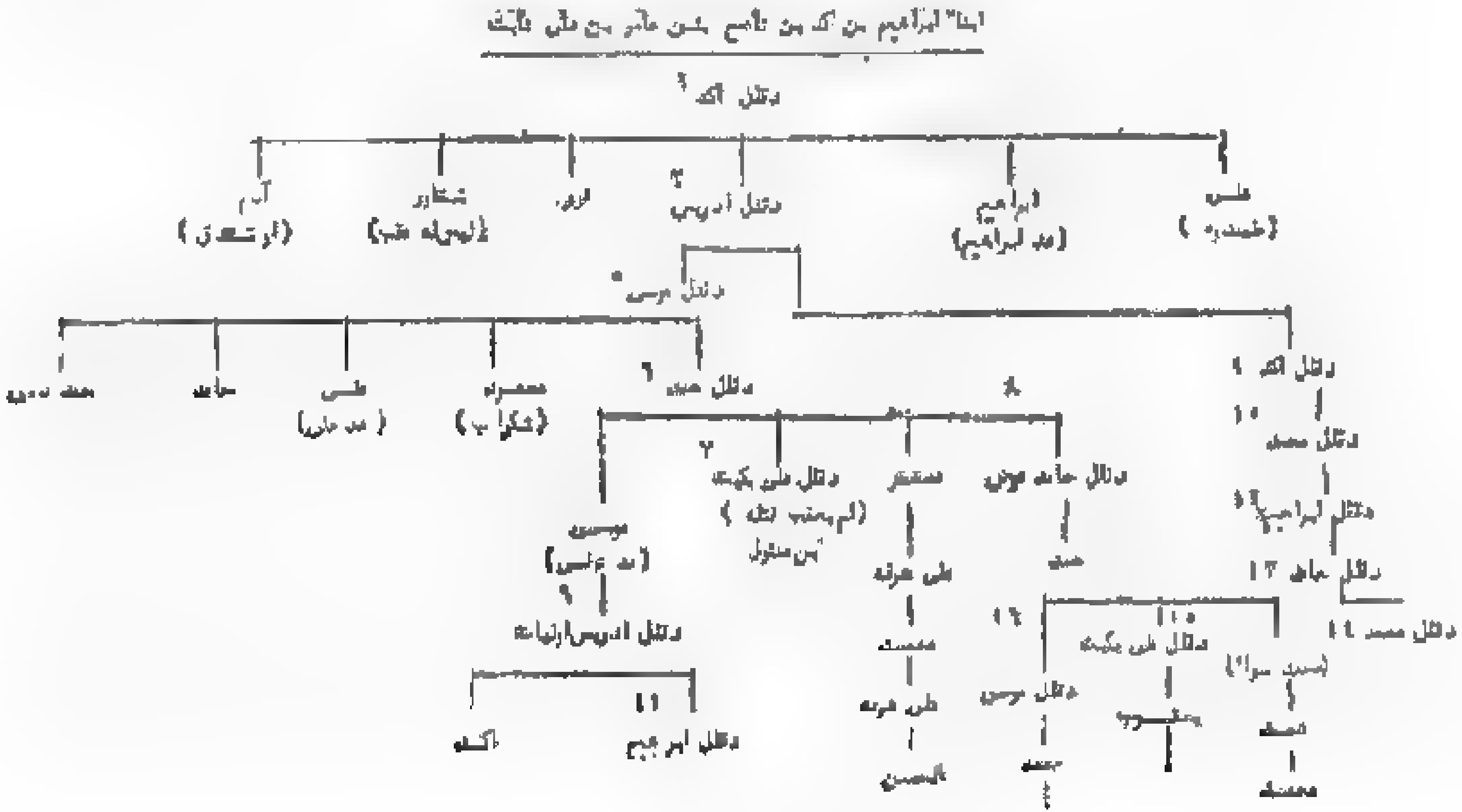

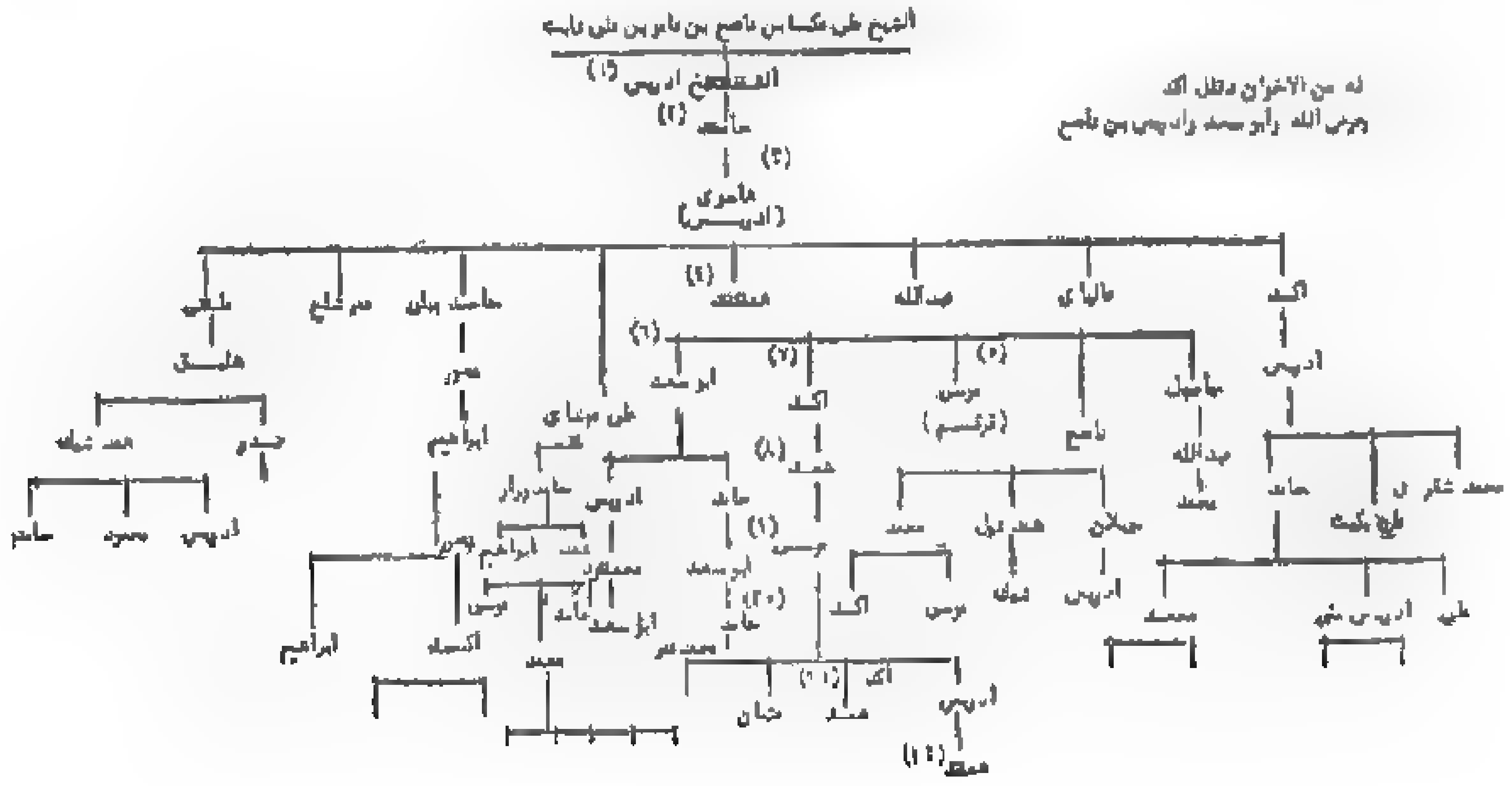

وكان آخر مشايخ عد كلب في الحكومة التركية هو الشيخ محمد بن حامد واليوم يتولى بقايا هذه القبيلة الشيخ حامد بن محمد حامد وقبل تسهيل سبل المواصلات بين القاش وسواحل البحر الأحمر يقولون لنا إن سكان القرى هم الكلاب والنساء ولا يتناسلون إلا إذا جاءتهم كلبة أنثى وقالوا إن الضيف يستقبله الكلب ويأخذ منه الجراب والسيف ويضعه في المنزل . فكنا نعجب من سماع هذه الخرافات .

إلى هنا وقد انتهينا من قبائل النابتاب بما في ذلك بيت النظارة ومعاصريهم من الأمم التي نالت الشهرة .

وأما بقية بني عامر فقد كانت مهضومة الحقوق ، ولم يكن لها أي كيان مع هذه العناصر التي تغطي على سواها . والحمد لله قد ظهرت نظارات كثيرة تفرعت من النابتاب وأخرى من الحباب وكلها تحتاج إلى تدوين حوادثها أو ماضيها القديم وحاضرها الحديث إذ لم يكن للمعمرين السابقين أية قوة أو بطولة إلا بالمآثر التي تحررت ، فهم قراة «الضيوف» وحماة الألوف ، ورجال الحرب بالسيوف - إن القليل الذي كتبته عن النظارات الآتية لا يفي بغرضنا لذا نطلب من الله أن يحقق لنا ما نريده من الإسهاب على يد أبناء الجيل الجديد .

وهاك أسماء القبائل التي عرفت فيها قبائل ونظارات كثيرة بارتريا مديرية أغردات :

أسماء القبائل	أسماء النظار : الشيخ
أبو حشيلا (أبو حشيله)	فرج إدريس

أسقدة	داود إدريس
أملمدة وعجيلاب	عبد الله محمد فريجاى
القدين	ابو بكر حامد
القنوداب	محمد على دافوت
النسمدة	عثمان عبد الرحمن
باريسا	محمد أرى مقده
بيت عوض	حامد نوراى عبد الله
خماسين	صالح على تمكوش
رقبات	محمد إبراهيم على شاطر
سيدرات	حق الدين أحمد
شكراب	محمد ودحسب الله
عد محمود	الحسين صالح حاج
عد يعقوب	آدم سليمان
كريكتاب	محمد حاج أدره
كوقاما	نايد قونمالو
لبيت (بجه)	إدريس كيرو
وليقرو (ولد سرو)	حامد على محمود
نابقاب	محمد طاهر دقال جيلانى
عتناطة	حامد محمد اسماعيل

« حَمَدْ عُمَرْ »

كما تنطلق بالبجرى وتعريبها « آل عمر »

أنشأ هذه القبيلة الشيخ عمر[1] ابن محمد بن إدريس بن ناصح بن عامر الناتتابى ، وأشهر مشايخها هو الشيخ أكد بن هرُودة[2] وسار عمر وبنوه من بعده على العادة المشهورة فى القبائل العربية وهى ضم كل طائفة أو قرية بنوح عليها الدهر بكلكله فيجد زاكرهم بعضا من تقدمه وأمته وفضل وليت وطار جبلى وسعيت وكثيرا من البجرى والحاسين والبجة ـ وينقسمون إلى ست عموديات (بدنات) كبيرة ، وكل عمودية تنقسم إلى عدة بطون[3]. ورأس الجميع اليوم الشيخ أكد بن محمد بن أكد بن هرودة .

وكانت هذه البدنات قبل المهدية يسكن معظمها بالقرب وهم :

١ — عد حامد أود وعمدتها هو الشيخ محمد كيسولاى .

٢ — عد حيره وعمدتها هو الشيخ محمد شقراى .

٣ — عد الألم وعمدتها هو الشيخ إدريس عبد الله أُعُور .

ويمتعون جزيتهم إلى دقال (ماطر بنى عامر) بعد أن يضرب خيامه فى

---

(١) لما اراد عمر الانفصال امتق مع اخيه «قاماتا» G. Hama او «قلمه اتا» وضم اليه اعمامه ناصح و عامر وتألفت من بنيه ثلاثة «حمرا وحامد عوض (أود) وعلى علم (الالم) .

(٢) قتل فى حقبة دقال بيد محمى من اتاربه وتمكن ابنه الشيخ محمد اكد من القتلة بعاقبة ابيه بعد ان انضم الى جيش المهدية .

(٣) والى وقت قريب كانت تتفرع من الخمس احراء تسمى شربمات [illegible]

حلايب أثناء شهور الشتاء ، والثلاث البدنات الآتية تسكن خور بركة والقاش وهم :

٣ — عد ناصح

٥   عد قُلعما .

٦ — حَمَل .

وهم اليوم خمس بدنات ولهذه الثلاث شيخ خط يقيم في محكمة تسمى هو الشيخ أكد بن محمد أكد هروده . واشتهرت هذه القبيلة بحب الغزو لكثرة عددها ، ومساحة أراضيهم الواسعة تساعدهم على التحدي في المشاغب وتصفهم القبائل بشدة الشكيمة ، وهم يجاورون الهدندوة من الشرق حتى نهر عطبرة وستيت ، ويرحلون على ظهور الثيران إلا مشايخهم فيمتطون الإبل والخيل ، ويقضون الشتاء في ضواحي عقيق وعدوبة والجبال المجاورة لها . ويصيفون بين كسلا وضواحيها بأرتريا ، وممثلهم القائمقام محمد إبراهيم وكلهم يعتنون بتربية الإبل والبقر والضأن والغنم — واليوم فيهم مفتش حازم في منتهى الجود والكرم هو السيد محمد ابن أكد هروده يحكم مركز سنكات وضواحيها .

وفي إحدى سنين الشتاء السابقة جاء إلى شيخهم رجل يقال له « إدريس ابن قبيح موزهو (1) » وقال له « أنا قتلت تسكليس بن كميداي أداد (أي ناظر الحباب) » . فقال له لقد أتيت بمصيبة عظيمة — لماذا قتلته ؟ فأجابه بينما أنا أبحث عن قاتل أخي إذا بي أشاهده في ركاب تسكليس ، فانتظرت حتى نزلوا

---

(1) ومعناها أقرعس من «قبيح» أحمر ومور هو «عصاه» بن ابو عصا حمراء .

بقرية حاج موسى بجوار جبل شابرى ونزلت بقربهم حتى أقام الليل ، ثم جئتهم وهم نيام ، فطعنت أحدهم ظناً كذباً أنه قاتل أخى[1] ، وإذ به يكشف عن وجهه ويحاول القبض على ، فعلمت أنه تنكاس وأننى أخطأت . فأيقظ القتيل رفاقه وجروا خلفى ، ولكنى فقدت منهم بسرعة الجرى . والآن جئت إليكم مستجيراً من الحباب لعلى بأنكم أكبر قبيلة فى بنى عامر . فهل تجيرونى أم تسلمونى للحباب ؟ وأرسل العميد فى طلب المشايخ وذكر لهم القصة . فقالوا (جميعهم) نجيره ولو أننا لانعرفه ولاهو يعرفنا . فقال له الشيخ ادخل واندمج فى رجالنا فقد أجرناك ولن يصيبك إلا ما يصيبنا . فارتاحت نفسه وعاش منهم مطمئناً .

وسمع اداد[2] خبر مقتل ابنه وهروب القاتل واستعان جداً من مشايخ عد عمر ولكنه كتم غيظه حتى انتهى فصل الشتاء وبدأوا فى الرحيل نحو بركة . فسار خلفهم بعصابة من أبناء الحباب ، فأدركهم فى خور عنسبه وقد اندمجوا فى قرى أبناء عمومتهم (عد أكد) فحاول أن يجد منهم غفلة فلم يقدر على لقاء رجل من عد عمر . وكاد يقتل أحد وجده من عد أكد . فأرسل رسولا إلى الشيخ ينوذ عملة عد أكد وطلب منه « إما أن يسلمه اثنين من أبناء عمر ليقتلهم بابنه ، أو ينبه على رجال قبيلته أن لايفارقوا منازلهم فى يوم يتفق عليه قبل طلوع الشمس . فوافق الشيخ ينوذ على الرأى الأخير وعمل به هو ورجاله . فهجم اداد بعصابته على القرى ، فوجد سلمان بن اداب (من فرسان

---

(1) كان خطأ لتكليس .

(2) كانت نظارة الحباب كنتيباى هداد بن مكاك والد اداد وهذه الحادثة كانت فى أوائل القرن التاسع عشر للميلاد .

عبد عمر) يضع السرج على فرسه فقطع اداد رأس سلطان[1] والتفت بعد ذلك إلى يمينه فوجد عدلان بن محمد لياب يريد أن يضع رجله على ركاب فرسه ، فأدركه وقطع رأسه ثم أدخل اداد سيفه في قرابه وهو يقطر دماء ، وقال إن قتل هذين القائدين يكفيان دما لي تسكاويس ولكن حياتي آخر قتل الشيخ ناصح (من رؤساء الباعتاب) .

« قتال عبد عمر وعبد إبراهيم »

هما أبناء عمومة ولكن إذا كثرت القبائل تباعد الأنساب بينهما ولا يوحدها إلا غزو قبيلة أجنبية عليهم ونذكرهما كيف في صنين الشقاء لجهة العقيق حدث هذا القتال ، فكانت إحدى قرى عبد عمر محاربة جيرانها بين وكر والعميق وعوارم قرى عبد إبراهيم . فتشاجر أبناء أسناى بن شيك بن ناصح (من عبد عمر) مع أبناء محمد حجّينا (حاج) من ذرية إبراهيم ، فذهب والد الأخيرين إلى أسناى ومعه بعض مشايخ عبد عمر ، فقال لهم يا أبناء العمومة أصلحوا بين أبنائي وأبناء أخي أسناى . فضحكوا عليه واحتقروه وتهكموا عليه كلما ازداد في الشكوى واستصغروه . فقام من مجلسهم غضبان وفي اليوم التالي تراشق الأبناء بالحجارة واشترك فيها الآباء . وأراد شيك بن أسناى أن يضرب أحد أبناء محمد حجّينا بالسيف ، فتلقاه الأخير بالدرقة ، ثم حمل عليه وقطع يده وقال له لا تجزع يا عمي شيك فإن هذا أول الشر بيننا ، وقتل رجل

---

(1) كان مع اداد بعض أقاربه أمثال «محمد جمبوري بن كسناى ادريس» ويقال انه قطع فخذ سليمان ومحمد على عقيل نصر الدين من أبناء عمدوى اشترك مع اداد في قتل عدلان اذ ضربه على جمجمته فشج رأسه .

آخر من أبناء عمر وجرح نحو اثنى عشر رجلا ، ولم يقتل من أبناء إبراهيم إلا ثلاثة منهم جرحوا ، ثم تهادنوا لحين مجيء ناظر بني عامر

وظلا حصر دقال على بيت هد وابن أخيه هد محمد فنموها من أصحاب القتال فاستقلوا ظاهراً وتواعدوا سراً على القتال في شابيت مجود بركه . ثم ارتحلوا ، وبعد شهر من رحيلهم حدث القتال بين الأشراف والكملاب كما حدث قتال بيت أستري ودلقة وفي ربيع الأول سنة ١٣٠٠ هـ حدث قتال هامري وبيت صلا

سبق أن ذكرنا إجارة أبناء عمر (حتى) أن يجهلون ، وهذا مدون لهم بمداد الفخر مثل حادث « أم ألتو » « Om-Alto » وهي امرأة من . . عند عمر كان لها ولد واحد ، فأخذ ذات يوم بقرة من أحد رعاة بني عامر من غير إذنه وذبحها . فجاءه الراعي وقال له « إنني ائتمنت على البقر من حيوانات وحشية وآدمية فيجب أن تعطيني بقرة عوضاً عنها . فقال له اذهب لتتركك لأنني بعد أكل هذه سأعود إليك لآخذ أخرى فاغتاظ الراعي وطعنه بحربة ثم جرى خلفه جماعة عند عمر حتى حصروا عليه التحويل وعجز عن الإفلات منهم ، فرأى بيتاً بعيداً عن القرية فجرى حتى دخله فوجد فيه امرأة فقال لها « أجيريني من الرجال الذين خلفي لكي يقتلوني » فأخذته . فجاء أهلها وقالوا لها سلمينا الرجل الذي دخل إليك الآن نقتله . فأقسمت أن لا تخرجه لأنه مستجار بها . فقالوا لها إنه قتل ومسمت ، فقالت وإن يكن فإني أجرته وكفى وكل من يمسه بسوء أعتبره قد . . . في وأطالبه . . . واشتهروا في قبيلتها دلالة من أنهم رجعوا منها ولم يمسوه وشرف على شهامتها .

وقد أثنى عليها كثير من شعراء الهدندوة . وأصبحت مضرب الأمثال

كالسمزان فى العرب . وقد ذكرها محمد موون بن شوك عجيل فى إحدى قصائده التى عدد فيها الأبطال الذين أجاروا النصجيرين وهو[1] ومنهم أمثال أم أشو وجلودْ الذى استجارت به إحدى قبائل النيجرى فساعدها على الحرب من الرأس الولا سنة ١٨٨٤ م وكذلك أبناء نكليس[2] الذين أجاروا كمنيباى حداد بن مكاك وأولاده بعد أن طردهم من المغاورة الحباسية حرجيس بن قربيت وولاهما لكنتيباى محمد بن جاويد

وحوالى سنة ١٨٨٧م جاء الشيخ محمد عمر كنْتولاى محمد عمر إلى الأمير عثمان دقنه وطلب منه أن يأذن لقبيلته بالعودة من حود وكة إلى شقيت (جلوب توكر) فى فصل الشتاء ، فأذن له بذلك . ولكنهم لما وصلوا د مكات تأى ، قابلتهم عصابة لصوص من بيت معلا وحباب وعامرى فقتلت منهم ثلاثة رجال ونهبت بعض الإبل والأبقار والأغنام . فشكا الشيخ كنتولاى إلى الأمير عثمان دقنه وحصر التهمة فى الشيخ أكد موسى محمدة عامرى ، وادعى أنه هو الذى حرضهم على النهب والسلب . ولكن أكد تنصل من التهمة وأحضر شهوداً ببراءته . فاستاء كنتولاى من الحكم ببراءة أكد وفارق هذه الديار نهائيا مادام فيها أكد الذى يقلق راحة جيرانه وإخوانه وهو الذى يؤلف العصابات لتكل من لا يخضع لسلطانه . ويروى أنه أرسل عصابته للحبلاب (أصهاره وجيرانه) فجرح ابنه الأول وأخوه

---

(1) قال قصيدة ... شيئا ... ودون ... رفض أن ... من الحباب .

(2) تجد ذلك فى حباب تكلس ... شنقير ، وجالود فى ... حماسين حباب .

ـراح حتى عجز عن الحركة وهو محمد إيلاَى وثلاثة آخرون واسترددوا منهم
ـ نهبوه[١] . وأرسل الثانية فى سنة ولايته العمودية .

(واقعة عَكَّات[٢] تَاف)

كانت تقيم فى هذا المكان قبيلة عدء ر وهى أقوى وأغنى قبائل الدابجات،
ـيدها قد اشترك فى مساعدة أبناء محمد حاسرى[٣] ، على الملاويين ،
ـ عاه بعصابة[٤] ، أخرى إلى جهة إعْرِقلاَدْ ، فوجدت قرية الشيخ
ـ وشوك فقتلوه ومن معه ، واستاقوا جميع المواشى التى وجدوها . فاستاء
ـامد كل دوية حمد صال (إخوانه) بيت السودية وقرروا غزو عبد
ـمكات تاف بقية السرحة جمعوا عوعوم واستنجدوا بكنتيباى حامد
ـحتى أرسل إليهم ثلاث عصابات أحداها برئاسة فوناوراى برّم بلاس
ـ ، وثانيها قوس[٥] ، وأبو قردمه . قال لى محمد ان جمع فى مداين
ـت ميربيت معلا) أرسلنا ثلاثة أشخاص برئاسة حامد كمل كَلَو اناى

ـستجار الماروين بكنتيباى حامد وأجارهم فصادفت منهم النجدة ،
ـيلسه الشيخ ضرار على .

ـسمت بعربيتها دوم وهى تيجريه . وبناء تجارية ومعناها الطمر وهو
ـسى حوله سهل .

ـرسل ثلاثة من أشجع رجاله وهم محمد سمر كسولاى ، ومحمود
ـسى ، وآخر اسمه حمد عمراى .

ـشترك فى الملاويين الا العجيلاب لان عمدتهم الشيخ ادريس محمد
ـجيل ضرار .

ـاول والثانى وفدا على الامير عثمان دقنه فى سنة ١٨٨٤ واسلما
ـعلى يداه .

ولينظروا حال القرى والمواشي وقوة رجال الدولة المتوكية، ثم صعدوا إلينا وأفهمونا أن القوم مضطربون منذ قتلهم لحامد وسوك خطأ وأهل قريته ، واجتمعوا بكل ما يملكون في محل واحد ، وأتخذوا بعضهم لمراقبة الدروب والمسالك والمضايق، فأسوروا منازلهم بزرائب من الشوك وأخفوا مواشيهم بعيدا عنها (قال محمد جم : كنا نحن الملاويين في غاية البؤس والفقر إذا استولى الماسريون على أكثر ممتلكاتنا وأصبحنا في حالة يرثى لها من الفقر المدقع ، فطمعنا فيما يملكون ولو كان قليلا) وشجعنا كلوانانى على سرعة الغزو لأن الفرصة مواتية (كان همهم الأخذ بثأر حامد وسوك) وكانت المسافة بين الفريقين ثلاث مراحل يجب على الغزاة أن يقطعوها في ليلة واحدة وإلا انكشف أمرنا لخصومنا (محمد عمر) ، وعندئذ لن نتمكن من الهجوم الخاطف الذي نريده . فقال لنا الشيخ محمد شوم بن إدريس : يجب أن تستولوا على كل شيء لأن موتكم صفر اليدين ، والحذر من قتل المواشي وأجابه كلوانانى : نحن اليوم مائة رجل مسلحين بالرصاص والسيوف والدالق والحراب وستمرك نتيجة غزوتنا هذه . فودعناه ويممنا محمد عمر ، وكلما التقينا بجماعة سألونا عن مقصدنا كنا نقول لهم إن الأمير عثمان دفنه أمرنا بالصعود إلى توككر ، حتى كان المساء أسرعنا[1] المشي وأحيانا الجري لكي نفاجئ القوم عند الفجر الباكر وصلا أخطنا بالمنازل ، وإذا بأحد العساكر يعثر فيقع وتنطلق من بندقيته الرصاصة ، ويسمع لها دوي شديد ارتاع منه أهل القرية ، وخرج كل منهم بسلاحه ، وفر الأطفال والنساء إلى التلال ، وتسلقوا جبل مكلات نأف وتركوا

(1) قال محمد كميل في قدستمه وحمى معلاي ودمقه بلش Balach وشرب وحيمر الثلاثة الأخيرة أسماء محلات — يقول قطعناها في ليلة واحدة.

كل مايملكون . فوقفت (محمد صم) على باب ربيعة ، وإذا بشاب من قابعاب « عبد قرين » ذرية كولاى في مستوى القوة والشجاعة يكر علينا وعلى من حولى ، ونحن نفر من لقائه وهو يزداد جرأة وإقداما ، ويحلف بالله أنه لن يمكننا من أحد المواشي مادام حيا ، ويقذفنا بالحجارة والعصى ، وبجانبه عروسه تمده كل مايقذفنا به من الأوتاد ، وعليها ملابس فاخرة ، وتزيده حماسا كلما ثارت قواه بقولها : اليوم يومك ياحامى الحي والنساء من السلب والنهب هجمت عليه من الأمام وأخى إدريس من خلف وقتلناه بعد أن هوجنا رأسه بالحجارة والأوتاد . فخارت قواه ، ودخلنا باب الزريبة وقتلنا كل من صادمناه وإذا بحامد كلولاى يلقى عمدة القبيلة ويقول له ألا تقر بأنك اليوم نحن جئنا لمحلك وإذا بأخيه شريف بن كامل يمسكه ويقول له ياحامد نحن أبناء كامل شعب من سفك الدماء فليقتله أحد إخوان حامد وسوك . وتنحى بأخيه ونادى به إدريس حامد وقال لهم اقتلوا هذا العمدة بأخيكم فقتلوه ، ثم خرجت بتمه زوجته بملابسها فجردها خدمهم من ملابسها[1] ، وقال لها لا تحزنى بعد ماقتلت كل عاقل أهلك يوم « عزملاو » ، وبعد الاحتفال من واقعة عزملاو تألف أنه شاعر الملاويين الشيخ محمد كيل شحيتة الضحى وتعريبها (أسد الضحى)[2] يخاطب في قصيدته عدوان عبد عمر ويصف الواقعة وكيف دار القتال وانتصار العصابات وانهزام عبد عمر وكيف شتتوا شمل ذرى شمر منذر كما في القصيدة وسنقتطف بعض أبياتها فيما بعد .

---

(١) اسمه بتماى خادم حامد وسوك .

(٢) لقب به لشجاعته وكمن عبد عمر مخرا « أم القوة » التي أصبحت مضرب الأمثال فيقال « حمد ، أم القوة » أي المستنجد بأم القوة ، وأطلق شعراء عدة قبائل في مدحها .

وزعيم أبناء عمر هو الشيخ الوقور أحمد بن محمد هرودة رأس محكمة مركز نيتي ، ويتمتع بسلطة واسعة وامتازت محكمته بالخبرة والدراية ، وله إلمام جيد بالإنجليزية والإيطالية واللغات الإثيوبية صاحب خلق عال جداً ، ويشغل وظيفة مفتش تلك المنطقة ويدعى السيد محمد أحمد هرودة ومنذ توليه هذا المنصب قطع دابر كل عابث بالأمن .

كما نريد الاكتفاء برواية محمد بك موسى (ناظر الحدندوة) في وصفه لقتال « عند عمر والويلمياب » في مقتل إبراهيم زُحَل ، وها نحن نصف ذلك هنا حسب رواية « عنـــد عمر » أنفسهم وهو ما رواه لنا الشيخ أحمد ابن هرودة[1] الذي امتدح شجاعته كثير من شعراء بني عامر .

« مقتل إبراهيم زحل (زُحَل) »

هو من ويلمياب الحدندوة — كانت له إبل كثيرة ترعى في منطقة شكيرب Shakbarb بقرب « جبل جنتيرت » زمنا طويلا ، وهذا المكان مشهور بجودة مراعي الإبل . وفي أحد الأيام سطت عصابة من شباب عند عمر (أبناء ناصح بن عمر) على الإبل المذكورة ، فسمع إبراهيم زحل بذلك ، فجمع كل الويلمياب المجاورين لحدود بني عامر لاستردادها . وبينما هم في الاستعداد امتطى جواده وسار خلف العصابة التي كانت بقيادة عمر ناصح كامنة في غابة هناك ، وإذا بإبراهيم يمر بشجرة اختفى بها عمر ، فما حاذاه طعن عمر

(١) توفى سنة ١٩٦٢ بمدينة تسنى ، واشتهر بالحزم وتزعم المصالحة بين جميع مشايخ بني عامر ، وله ابن اسمه السيد محمد أحمد ناظر عامر للغرب تسنى .

... ه إبراهيم دحل فى جنبه الأيسر نفذت من الأيمن فسقط من على جواده ... بسيفه إربا ، وركب جواده وغنم سيفه ، وذهب إلى أهله . واستاء ... إبراهيم (ناظر بنى عامر) من قتل إبراهيم دحل — وجاءت نجدة ... ب فدفنت القتيل ولم تجد أثرا للعصابة . فتجمعوا هناك — كل من ... — حتى جاء الشيخ موسى إبراهيم وعاتب الويلمياب على التجمهر ... ت ، وقال لهم : إن أبناء عمومتكم جيرانكم المستدعون ومراعيكم ... كم وإمام واحدة دون سائر بنى عامر ، فلا يصح أن يضطرب حبل ... بينكم ، ولا تنسوا أنهم فى بنى عامر مثلكم فى الهدندوة ، فإذا مات ... جل غدا تجدون من تقتلونه بثأره ، وإذا نهبت منكم إبل فها هى إبلهم ... كنكم أن تأخذوها . وأمر الهدندوة بالانفضاض والرحيل إلى ... ماعدا حليل وأخيه محمد دحل ودمتى ويلمياب الشاتيين (وهم ... كيلاب والمتو أبناء الشيخ وبل على الكبير[1] ، ووالدتهم من ... ب) ، وأقاموا فى الحدود لأخذ كل مايقع تحت أيديهم من مواشى ... .

« مقتل إبراهيم دحل »

... بعد أبناء دحل بإطلاق حبل الأمن فى حدود القبيلتين رجل من ... اسمه « محمد بن خزقم » وكان قويا وشجاعا وشريرا عاتيا ويجد ... قبيلة لا معارضة ما يطلب سواء من بنى عامر أو الهدندوة أو غيرها . ... ضرره وضجت القبائل من أذاه فقام شرير مثله من الهدندوة « أحد

---

[1] ... المدفون فى «توقوقه» قرب سنكات .

ابن موسى بذر (من والوهاب القلابْ نيوْ) ومعه صديق اسمه قليب Gileeb (من حمَرْ)[1] . فركبا ذات يوم جواديهما ونهبا مواشى محمد مرقم ، فركب جواده ولبس درعه وسار وعده خلفهما ، فلما دنا منهما برز له أحمد موسى ورماه بالحربة وطعنه فى صدره فسقط من على جواده ، فأدركه أصحابه وهو على قيد الحياة فقال لهم « قتلنى قليب »[2] ، فحملوه وعادوا به إلى القرية ، وكل من الناظرين يتمنى دائماً الخلاص من رؤساء العصابات لأنهم يعرضون حياتهم للخطر ، ويأمن القبائل للاضطراب والاستهتار بالشرائع والقوانين .

نقلنا مقتل إبراهيم وهل هنا حسب رواية من عاصر فابلتاب ، كما نقلناها فى الهدندوه من محمد بك موسى ، ولا يوجد فرق أو خلاف فى الروايتين أبدا — وهذا يدل على توخينا الصدق حتى فى الحوادث القريبة من عصرنا .

قالت شاميت بنت أدرات درجانه (بنت عمر) تخاطب كنفياى اداد بن هداد فتاك[3] :

إداد وَدْ هِداد أ كى جاوى كفْاكْ
(يا إداد بن هداد لقيت أثبت شيئا عجلا)[4]
« ستكىْ إيكونْ إبْ مِسُولْ حَقْر دِحى إتْدَمْتا »

---

(1) العمر والعتر هما من قبائل الهدندوة التى كانت تعادى بعضهما بعضا على ضفاف نهر عطبرة الشرقية وقد مررت بمقابرهم هناك .

(2) مع أن قاتله كان احمد ، ولكن لشدة بأس قليب احب ان يتخلص منه .

(3) كانت حاكمة عليه مثل كل اهليها لانه قتل ثلاثة من فرسان عد عمرهم سليمان وعدلان وثالث — احدا ثار بنه تكليس من كنفياى اداد .

(4) هروب قبيلتك .

(ليت هروبك كان بعد نهب القرى لنلتمس لك العذر)[1]

« شاوِبْ سِنَّتْ إنتَ‌إلَكْ إتْ عِدْنَا بنى عامر وإلىْ سَـكَا »

(إن شيخا في سنك عندنا في قبائل بنى عامر لا يهرب)

« على بكيت وَدْ إدريس لَ مَدْ جميتو تَمَكَّمَا مى إبـتَمَكَّمَا »

(ألم تسمع بأخبار على بخيت بن[2] إدريس)

« شلك ود عجيل إجلاً بارود أشهدا »[3]

(وهذا شيخ بن عجيل استشهد بالرصاص)

وكانت شاميت جميلة جداً يتسامر شبان عد عمر في منزلها ويتطارحون الأشعار وبحتكمون إليها بقصائدهم .

ورد على شاميت محذرب شيك عجيل مدافعا عن الحساب ومعيرا بالمابتاب قال[4] :

« دَجِيْهُمْ دَمَتْكَمْ إتْ دبيكم تَرْدُو »

(أنتم نهبتم قرام مدافعوا من قرا كم إذ هو جتم)

---

(١) كان الهروب قبل وصول الجيش .

(٢) أحد شجعان عد عمر .

(٣) هو من زعماء العجيلاب كان مختبأ مثراه في عيترية ماسمح عليه ستى بك مدير كسلا والشيخ سليمان على أبي طالب الوليعاني وكيل بـ الهدندوه بفرقه من الجيش واطلقوا الرصاص على المرق حتى يوقف حى وعرى الحساب وهربت عدة قبائل من وجه اليامى .

(٤) كان ذكره الشيخ موسى محمد عمده القبائل «عامرى» مع ال ست محمت والد محمد عيوى هذا في شعرها .

« أَكْبُدُ حَطُو دِيبْ مَحَنُو انْ دُو »

(شدوا أكبادكم وأمرضوا أهل الربابة)

« بَأسُ بدِيرْمْ زِرَابْ إيكُونْ ووضوء »

(البأس والقتال لاتظنوه مثل اتيمم بالتراب أو الوضوء) (١)

ولم يقلع محمد عن هجوه إلا بعد أن تناوله في قصيدة لها فاعتذر إليها .

وكان في العجيلاب قبل محمد عيون شاعر آخر اسمه محمد تاجي بن عجيل يكره أبناء عامري ، وقد هجا كل القبائل التي فرت من قتال الياس بك وأصيب هو بجراح شفي منها وكان هذا على بعض من أشعاره قال :

« تحذرْ إجِلْ بارْكُورِينْ (٢) قيشوناى أعلاد »

(تحضر لأجل ملاقاة أبناء باركورين قرى الأعلدة القليلة)

عد شيك ود حامد من رِكيبْ إتْ طوتي مينْ ودّا (لما فرت القبائل من وجه سليمان بك والياس بك « اضطر آل الشيخ حامد أن يتوضأوا في الأقداح بدلا من الأباريق » .

« عد عامري ود حامد لأنسه إندمُنتْ خدجا » (٣)

(آل عامري بن حامد نووا بأنفسهم وتركوا نساءهم في الدمه)

---

(١) يقصد أنكم مكثرون من الصلاة وهي ليست كالقتال الذي هو ضرب بالسيوف وقطع المفاصل والأجسام .

(٢) جد المدندوه يقصد الشاعر أن عمر قبيلته لا يتحمل الاصطدام بالمدندوه لشدة بأسهم وكثرة عددهم . واعتاد المدندوه ولاوتيعة والكملاب غزو أراضي الحماب كلما أعوزتهم الحاجة المواشي والإبل التي هي في أرض الحماب تفوق الحصر .

(٣) كانت حوادثها بين سنة ١٨٤٦م وسنة ١٨٥٠م .

وهى طويلة وهجوها غير مستطيع لنا ذكرها وكره بعض المشايخ حفظ مثل هذه القصائد لكثرة ما بها من الهجو المقذع.

« عد عمر »

بمناسبة انتصار بيت معلا في واقعة « مكَّات » بأف هوال سنة ١٨٨٥م على قبيلة عد عمر نقتطف بعض الأبيات من قصيدة شاعر المعلاويين محمد كول ابن أسد الضحى يخاطب بنات عد عمر[1].

« مَدَ كِنْ وَحِنا نَحَامِينا حِدِّمِى إِبْكُون وِصِبْر »

(لقد اختلفنا نحن وأنتم ليكن بلا إخفاء أو إفشاء)

« إِحِلْ وَلَتْ عد عمر حَارِكى إلى وأشْتِل »

(فأخبر بنت عد عمر ولا تخف وأنا لها)

« حجوياى سِبحاده أماله مِلو من إكِلْ »

(طويلة العنق كأنها عود للعقد المملوء عاليه بالذرة)

« بِرْنَاوِى حَرُوب تَحُوَّات مِلُوه مِنْ عطر »

(من جسمها اللامع وأمتاذها المملوءة بالعطر)

« سِجَادْ مِرْ بِيت شُبْيَاب لَكِين وإندى قيل »

(رقبتها كأنها ناقة (قبيلة) الشُبْياب الطول تتحرك جيئة وذهابا)

« يدى إذا مشت لا يتحرك من جسمها إلا رقبتها »

هادُوس نَاوِدْ كَرِينا دِينو جَرُوب لَبقنا إِى بِكْبِل

(١) كتبنا الشاعر في تعليق CH والجيم في تعليق G

(وضعنا على هذا الجسد الناعم جلود النمر مع أنه لا يتحمل)

(قماش البفتة الابلان)

• إقشّن جبّو مي إيقشن عرجيلاد لفجر •

(هل أخذنا بثأرنا أم لا يوم واقعة عرجيلاد صباحا)

• فجر عكات ناف باتكام إقم إب إمر •

(في فجر واقعة عكات نأتي قد تعاقدتم بالثبات)

• ديب حرنا ودينها تليسح موت إت شقر •

(فعلنا هذا أخذاً بثأر أخينا الذي قتل في وسط القرية)

• سمه حامد انت وشوك نارمو إت شكر •

(اسمه حامد مضاف إليه وزائد لاستحقاقه للزيادة)

• أذا مكن قاتلنا قالي ودوقتو إت شقر •

(قتلنا رجالكم وهم ميتون في وسط القرية)

• نابوت امكن أشكيتا يى إنكن إت إبل •

(وهرب من قتلنا شجعانكم الذين كانوا يقولون لن نهرب)

• إب أسيف رايتلهم ساديات كروب متاركل •

(ضربناهم بالسيوف الحادة القاطعة للجسم)

• واب متادوق لا كفتهم بارود لأسات لاتبحر •

(أطلقنا عليهم من البنادق بارودا تخرج منه النيران)

• إجلنْ هَلاّ إى تَيهـا أَمْبَلاّ جَانَ • حَن تَبر •

(لم نعمل حسابا للمتهقين بل كان حسابنا لمن تحت القبر)

• وصَرْهُ تِيْ نَكَه كو فيتهُوْ اجل ليموت إب ديِ •

(وهرب بعضكم إلى خود بركة وحتما سيموت بالجوع)

• إفسا كُن ءسأنا تَيلا جذحيت إى تَاسقول •

(لقد استولينا على بياقكم ، مثيلا ، لاتستحق أن تتركوها خلفكم)

• حا كن قدأنا نطرب وحلب واجل •

(أخذنا أبقاركم الوالدة منها والحامل حتى المعجول)

• أطالسيكن • تسأنا أسك تابذ وأتعل •

(أخذنا أغنامكم حتى الحاملات والمحملات)

• كرى إديتو بكير ما جلجلاى عد ءبد ءي صر •

(هذا بدء وضع اليد والصديق لايقطع الأمل من صاحبه) .

م إحدى عمرديات التابقاب مثل عد عمر وداسرى وأصكد ، غير أنهم أقل عددا من الجميع ، ولـكنهم شجعان للغاية ، ولهم ثبات وجلد على القتال مع علمهم بالأخلاق السامية ، وترفعهم عما ترتكبه القبائل الأخرى من سلب ونهب وتـكوين عصابات الخ . ولا يبالون بكثرة خصومهم وكفاهم فخرا أنهم دائما في قتال مستمر مع أبناء عمهم عـــد عمر الذين يبلغ تعدادهم نحو خمسين حصة (ست بدنات)؛ وعد ابرهيم مدفة واحدة تتفرع منها تسع حصص . سبق أن ذكرنا أن عد عمر تواعدوا للقتال في شاناييت فسبق إلى احتلالها عد أبرهيم ، وخيموا فيها واستعدوا للقتال فأدركتهم عـد عمر وبداوا القتال . فانتصر عد إبراهيم في اليوم الأول ، وفي الثاني حضر دقال على بخيت بخيله ورجله ونزل عند آل أبرهيم وأخذ منهم عهدا بأن لا يغزوا عـد عمر لحين عودته منهم . فامتثلوا ، وذهب إلى عد عمر وهددهم إذا لم يتركوا قتال عد أبرهيم فإنه سيغير عليهم بفرسانه فلم ينصتوا لـكلامه ورشقوه بالحجارة(١) . فلم يتزحزح من مكانه ، ولما رأى عميد عد عمر وقوف دقال بين الصفين خرج وأمر بعدم القتال حتى كانت الهدنة . وقتل دقال على بخيت في بدرات سنة ١٨٨٤م وجاءت عموديات التابقات إلى جهة منصورة بقرب أغـــردت شهورا ، ثم عادوا إلى جهات خور بركة والقاش ، وتولى إمارتهم الأمير مصطفى على عدكل بأمر من الأمير عثمان دقنه . اجتمعت بعمدتهم الشيخ إدريس آدم شتيا سنة ١٩٣٣م ونحن نسير على ظهور الجبل(٢) لزيارة قرى التاجات ومعنا

---

(١) كان دقال على بخيت كثير العطف على عد ابراهيم لقلة عددهـــم وبسالتهم .

(٢) كان دقال جبلاتي اصطاف فرسنا ومهرتها .

لفيف من الأصدقاء ، فوجدته صريع الغدر لحوادث البسيطة تحتو في سنة ١٩٤٣م وخلفه الشيخ محمد بن علي كرار خليفة بن إدريس آدم بن أبرهيم بن أكد ابن ناصح .

وكانت شجاعة عد أبرهيم سببا في قتالهم لإخوانهم وجيرانهم عد عمر وعدم تحملهم للضيم والحيف مع أنهم عشر عد عمر .

قيل إن حامد بن عمر جُود ومحمد بن عَبْره (عد عمر) ذهبا لقتل الشيخ شيخيا حمدة عد أبرهيم ، فقتلاه وعادا إلى بلدهما . فشكى ابنه عمر إلى دقلل ، فأرسل معه عسكريان لقتل القاتلين ، فلما إلتقوا أطلق العسكريان الرصاص على حامد عمر ومحمد موسى فقتلاهما ، فنادى منادى عد عمر بالويل والحرب ، واستعد لهم عد أبرهيم ، واستمر القتال بين الفريقين زمنا طويلا حتى اعترى القبيلتين السأم والملل . وأرسل قائد عد عمر إلى خصمه بأنه سيهجم إليهم بكل فرسانهم ، فاستعد عد أبرهيم وبدأ في عد فرسان عد عمر ، فوجدهم أضعاف أضعافهم ، فقال لرجاله ماذا ترون في كثرتهم وقلتنا . فأجابه محمد موسى « تكْ تكْ رادفْنا Tuck - Tuck - Radifna

أي فليبرز الرجل منا لرجلين منهم رفضت مثلا ، ووافقوه ، وانتصروا عليهم . ومن أمثال بني عمر أن النصر في بيت أسقدى حداب (أبناء هيس وتسكايس وعادوام) يكون حليفا لأبناء سكايس ؛ وهم مثل عد أبرهيم وعلى عيت في النابتاب ومد أبرهيم اليوم يسكنون في أومال Owmal وأحيال عد منازلهم في قنروشي Qanroeshi .

« عد أكد »

أو إكيد ، فالأولى بجاويه ، والثانية تيجرية ، وكلتاهما صواب . وهم أبناء أكد بن ناصح بن عامر (الذى تولى ملوكية بنى عامر) بعد أخيه الشيخ على عكشة . وبعد وفاة أكد تولى مملكة بنى عامر ابنه إدريس ، فانفصل عنه إخوانه بكثير من العربان وتسموا بعد « أكد » وأصبحوا عمودية واحدة برئاسة الشيخ محمد بن ادريس[1] قنع ، ولما توفى خلفه الشيخ حسب تيدْ ، ثم محمد حسب ، ثم الشيخ أشفاى تود الذى قتل أيام المهدية ، ثم خلفه أخوه الشيخ محمود شريف الذى فى أيام عموديته هربت إبل عد أكد عصابة من الحباب بقيادة « برَم بلاس كافل » وأحضرها إلى كنتيباى حامد بك حسن ، وحضر إليه خلفها من أبناء أكد الشيخ محمد عوض بن حسب بن تيدْ . فسأله كنتيباى عن أسباب حضوره فقال له جئت فى طلب إبلى ، فأمر حامد بإبله كلها إليه ، فردت ، وبعد هذا استأنف كنتيباى إرسال عصابة بقيادة « بهتا حقوس (حقوص الأبيض) » فعادت من عد أكد بإبل كثيرة جدا وأقسم كنتيباى بأن لا يردها إليهم فلما قدموا له نقودا كثيرة . دفعوها له من الريالات النمساوية ، وساعدهم السيد الأمين عمر محمد بن على[2] ، وبعد استلام كنتيباى النقود سمح لخمسة من أبناء أكد أن يذهبوا لأهليهم ،

---

(1) كان شاعرا مجيدا بالبجاويه له مساجلات مع شاعر من عليت « الأمم عد عمر » يقال له « ادرمك » وهو اسم بجاوى معربه « حمار أحمر » وهو زوج ابنه الشيخ ادريس حامد امحكل (عمدة بيت معلا فى القرن الثامن عشر للميلاد) .

(2) أعمال كنتيباى حامد هذه كانت من أكبر الأسباب التى اغضبت عليه الحكومة الايطالية (فصلنا فى مبايل الحباب) .

وحجز باقيهم عنده كرهائن فتدخل في الأمر السيد إبراهيم محمود حامد ، فقال كنتيباي إجلالا لخاطرك يا سيد لا بأس — فعادوا إلى أهلهم .

وعصبة عد أكد تسمى سبول « شرعيت » زرب وادى عقيبة (على بعد عشرين ميلا من كرن) ، واختار إسكانهم بعد قتالهم للأمير ابن الصوفي الأنصاري وهو الذي أمرهم بأن يرحلوا معه إلى كسلا ، فساروا معه غير بعيد فقاتلوا جيشه ومات منهم ثمانية عشر رجلا من حورة شيبدين عد أكد أمثال الشيخ أكد محمود ، وعمر ناصح ، وإدريس أسناي ، وثلاثة من عد إبرهيم ، وثلاثة من عد نصح ، وثلاثة من الدابتاب ، وانتهت الواقعة ، وبعدها سافر عد تهم الشيخ محمود شريف إلى مصوع وقدم الطاعة لقائد الجيش[1] الإيطالي (وكان شديد الاستياء من كنتيباي) ومن الأمير مصطفى على هدّل الأزرق الذي في سنة ١٨٨٦ م أمر عد أكد وناصح وبرهم وعمر وآل السيد الأمين ابن الشيخ حامد والفايداب وأبناء تكايس أن يجتمعوا في الجبال التي بين كرن وأغردات وسكن معهم وصار يرسل زكاة أموالهم إلى الأمير عثمان دقنة في سلهيت .

وفي أحد الأيام جاءه أمراء من الحباب باستعدادات كنتيباي حامد وجه للجيوش واستئجاره لعساكر الأورط السودانية الذين تفرقوا بعد انفصال المصريين للسودان ووزع عليهم الأسلحة النارية . وانضمام جرم ملاس كال

---

(١) تقديم الطاعة كان قبل وقوف هتل عد محمد والحسين حامد بك لدى القائد ولذلك اعتبرت حكومة الاحتلال منفصلا لمحمود شريف عن سلطة بنى عامر حتى الآن ، ومرارا ما حاول نقل الحسين إرجاعه فلم ينجح وعلى مصل الإفادة بمصوع .

ومعها حقوق بجنودهم الحبشية إليه . وكون فرقة أخرى من شبان الدباب بقيادة أخيه هذاد حسن ، وجعل الأورط السودانية بقيادة محمود محمد . وبينما كنتيباى يعبىء الجيوش ويجمعها توفى ابنه محمد بالجدرى وكان رهينة لدى الأمير عثمان دقنه فى سلمات ، وقبل وفاته استعان ببعض أصدقاء والده وهرب من الرهن إلى توكر فحال بلوغها أصيب بالجدرى .

فادعى والده بأن أنصار المهدى قتلوه ولذلك أعلن الزحف على معسكر الأمير مصطفى على هدل ، وأمر الأمراء الأربعة بالعزوف فى الحال ، وتنبه الأمير مصطفى لشكل حركات كنتيباى ، فجمع إليه رؤساء القبائل وأعيانها وقال لهم « ما رحل منكم قبل مجىء جيش كنتيباى لئلا يصيبكم منه مكروه سيئا ، واستشرت الأمراء(٢) الذين معى فوافقوا على ذلك لأن قوة جنودنا ضعيفة بالنسبة لقوتهم ، ثم رحل عنهم .

أما كنتيباى فإنه عمل استعراضا عاما واشتركت فيه كل القبائل(١) المجاورة له بعد أن تبرعت بمؤونة الجيش من الإبل والبقر ، وسارت الألوية الأربعة قاصدة معسكر الأمير مصطفى على هدل . فلما بلغ الجيش جبل بادن قرب هجر قابلهم الشيخ محمد أسناى بمواشى كثيرة وقال لهم إن الأنصار رحلوا عنا ونحن من أخلص الناس لكنتيباى ومستعدون لإعطائه زكاة أموالنا من غير أن يبعث إلينا بهذه الجيوش الجرارة — فوافق القواد

(١) ومما قالوه له ان اكثر هذه القبائل ستنضم الى جيش كنتيباى ، وخصوصا عد تكلبس والناتلاب الذين قتل اقاربهم يوم قتل واقعه ابن الصوف . وكان الشيخ محمد اسناى متفقا مع كنتيباى .

واتجهوا[1] نحو بلاد الحامين والبجة[2] التي كانت قسراما حول حجر التي ارتاعت منهم عندما سمعت إطلاق النيران واستاق الجيش[3] كل المواشي التي وجدها هناك وعادوا بها إلى كتيباي حامد في « رجب » وأعلن وفاة ابنه محمد وجلس لانتظار ومشايخ القبائل المجاورة له للعزاء . ووفدوا عليه من كل الجهات بالمواشي المساعدة في مأتم ابنه . وبعد شهرين من الوفاة مرض محكنتيباي . وكأن الرأس الولا قد وصل إلى دنقه ومعه دقال موسى تحيو شهرا فوجدوها خالية ، فاحتلوها وأرسلوا ست عصابات الى عدة جهات وأمروها باحتلال المناهل وإحضار مؤونة للجيش . فعثرت احداها على إبل السيد عمر (ال الشيخ حامد) فغنمتها ، وعثرت الثانية في وادي عطبت على مراحات كثيرة من إبل والدي الشيخ ضرار علي ضرار[4] الذي كان أخوه محمد نور ضمن رعاة الأمير عثمان دقنه ، وكذلك السيد محمد عثمان محمد وخليفة حامد موسى (مايتاب) والعصابة الثانية قتلت من رعاة بقر الوالد بالرصاص : محمد لباب ولده محمد سعيد ومحمد ضيح . وأما إبل آل الشيخ حامد فقد سلم رعاتها . والعصابة الثالثة عثرت على بقر جدي الشيخ علي بن ضرار وعلي بن عامر وقائد محمد عابد . وبقية من العصابات غزت جبل حمير وما حوله وعادت بمواشي كثيرة .

---

(1) يقال بن الذي اشار عليهم بغزو القبائل الحماسسة هو محمــــود موسى منك (بيت عوض) .

(2) وحدوا حرى سقمبيت «افلند» ولبت وبعضا من عد عمر وبيـــت قريش وهاساي وعد علي وما جاورهم .

(3) ذكر هذه الغزوة شاعر الحبل احمد محمد موال» .

(4) ارسل حمد بن محمد بن دملل عمد صديقا لوالدي تحصحر الابتار؛ ولكن والدي منعه من السفر اليه . آل سادة آل الشيخ حامد .

وبعد توطيد مركز الحكومة الإيطالية في إرتريا خصوصاً مصوع وفد الشيخ محمود شريف إلى مديرها وقدم له الطاعة ، ففرح المدير وقال إن هذا مكسب عظيم وربط له ناظر حتى توفي في سنة ١٩٣١ م ثم خلفه ابنه الشيخ علي محمود شريف واستمر منفصلاً بنظارته لمدة ثلاث سنوات ، ثم حدث خلاف بينه وبين أخيه ، وانقسم المشايخ شطرين ، ولكن وفاة الأخير أدت الحق للشيخ علي ، واستمر الخلاف بينه وبين مشايخ القبيلة حتى كانت سنة ١٩٣٣ عزل من منصبه وتوفي الرئاسة عمه الشيخ محمد أسفاي وعاد بالقبيلة تحت نظارة دقال جيلاني الحسن (ناظر عموم قبائل بني عامر) ، وأصبحت القبيلة عمودتين كبيرتين تتبعها عدة حصص وأما عددهم فكثيرون جداً بعضهم من البجه الشونجراب ونقاى قوة ، وبعضهم من الحاسين مثل بيت هلال وبيت أندول (أمهما من الملهيتكتاب عجيلاب) وبعضهم من مسلمي تجري الأحباش .

وفي سنة ١٩٣٩ م انتخب لعمودية عد أكد الشيخ محمد طه محمود شريف . وكانت قبائل عد أكد عبارة عن اثنتي عشرة حصة — كنا نود تدوينها ولكن العربان كلها تحررت من سلطة النابتاب والمجيلاب والحباب بسبب مقالات كان ينشرها المستر نادلر (بكباشي نكرة) Mr. Nadler . في مذكرات ومدونات السودان سنة ١٩٤٥ م نقلاً عن الشيخ علي محمود شريف ذكر فيها سوء المعاملة التي يعامل بها النابتاب هؤلاء العربان المساكين وهي أشياء تقشعر منها النفس بل والخلق الإسلامي . ونادى كاتب هذه الأحرف بتحرير العربان أولاً من سلطة المجيلاب ثم أي بعد ثلاث سنين تم تحريرهم في ٣ مارس سنة ١٩٤٧ . وأول من تحادث معي في طريقة التحرير هو

المستر كيرلوس السكرندرلى Mr. C. A. Lea والمستر بيتون Mr. Beaton وتم التحرير على يد المستر اندرو بول Mr. Andrew Paul مفتش مركز توكر . فرددنا كل عائلة إلى أصولها وكل الإخوان المنفصلين عن الإخوان إلى بطونهم الأصلية . واقتضى هذا العمل مجهوداً جباراً إذا خرجت من بعض العموديات عدة عموديات بل ظهرت نظارات جديدة من عدة أفخاذ وبطون . فصب الرؤساء جام غضبهم علينا ولكننا لم نكترث إذ كنا نريد الأخوة والمساواة مع أبناء قبيلتنا ووطننا العزيز ، فأصبحنا إخواناً على سرر متقابلين وأينما حلت ركابى فى هذا الإقليم كنت أجد كل إكرام وتقدير . وما دام المرء ذا عصبية قوية ينال احترام سائر القبائل . ومما أكد أكثر اهتمامهم بتربية الإبل التى ترعى مابين كرن وأسمرة وكذلك البقر .

ومما يجب إعادته المعلومات القيمة التى ذكرناها الشيخ على محمود شريف فى « السودان فى مذكرات ومدونات Sudan Notes & Records سنة ١٩٤٥ » وكلها توضح لقارئه المعاملة القاسية التى كان يلقاها هؤلاء العربان على يد رؤسائهم ، وكلها اضطهاد واستعباد كأنهم (خدم Serf) ، فلما تم تحريرهم استاء هؤلاء الأسياد خصوصاً جيراننا بالسودان (فانجاب حاسرى وأستندى حماب ، ويأمل بعض مشايخهم المرغوبين بسبب عدم النزاهة والأمانة من وظائفهم رجوع سلطتهم وسيادتهم على العربان خصوصاً أمثال حامد عثمان أكد الذى دعيت به الآمال وقال لى يوما ما ذلك فقلت له « إن الثابين إذا خرج من الشطر ان يعود أبداً . وهكذا كان تحرير العربان من سلطتكم) .

« عد صالح »(١)

يسكنون عَدايت A'dayat بقرب شقلتل بأريرو ، وقد أنشأ هذه العمودية الشيخ أبو سعد بن ناصح بن عامر إذ استولى على بعض من عربان البجـة عندما حلت الخلاف بين أخويه الشيخ على عكسه واكد .

وفي روايه أن ذرية أبو سعد هم أول من صاهر الترك وهم مشهورون بالشجاعة والبأس حتى إن الفئة القليلة منهم تقف لخصمها كأنها بنيان مرصوص ولا يعتنون إلا بتربية البقر والضأن ، ويفخرون في المجالس بأنهم لا يموتون إلا في الدفاع عن أبقارهم ، ولهم في ذلك عدة حوادث أشهرها قتالهم لقبيلتي ماريا والبلين قبيل المهدية (سنة ١٨٨١م) ، فقد اتفقت الأخيرتان على غزوهم ، وكمنوا بحدائقهما . فاستعد بعض شجعانهم أمثال آدم شادين وعيسى آدم سنى قنتاه Gabcha وعيسى قنف Garef ومحمد عمر عد صالح وآخرون ، فكانوا كل صباح يخرجون لمراقبة العصابة ولا يعودون إلا بعد الغروب (يقيمون بأعلى جبل « كُوكَن » بقرب أغردت ، ولا يمكن الوصول إلى عد صالح إلا من مضيق في كوكن . وفي أحد الأيام التقوا بخصومهم ودار بينهم قتال شديد أصيبت فيه عصابة الماريا والبلين بهزيمة منكرة — نظم فيها شعراؤهم قصائد كثيرة . وجرح في هذه الواقعة من عد صالح حامد وقدل فاندهم على قنتاه . ولما انتشرت المهدية ذهب عميدهم الشيخ إدريس عمر عد صالح إلى الراس الولا ومعه بعض أعيان قبيلته ، فقدموا له الطاعة (لم يكن الجيش الإيطالي قد بارح مصوع) ، فقال له الراس الولا « اترامو بعض الأعيان

(١) أو صلاحينوه «آل صالح» .

ليكونوا أدلاء لجيش في الطرق الوعرة والمسالك الضيقة ، فوافقه وذهب إلى أسمره حتى استولى الطليان على أغردات ، فاستقبلهم وتوفى سنة ١٩٢٠م ، وخلفه أخوه الشيخ كنته عمر الذى توفى سنة ١٩٣٠ وخلفه الشيخ محمد صالح إدريس وهو شاب ذكي يرجى منه خير للقبيلة(٢) .

« عد واس wess »

يسكنون « مقاودة Magawda » وهى إحدى مديريات تابعة إرتريا المعمورة . وقد أنشأها الشيخ أزى إدريس أزى بن إبراهيم أكد — وهي قبيلة مسالمة غير أني سمعت أن عد كوكوي يتهمون عمدتها الشيخ اسماعيل أزى بتحريض الراس الولا على غزوهم ونهب مواشيهم . ولما سئل عن سبب الإضرار بهم ادعى أن حامد دمات من أكد هو الذى سعى عند الراس الولا ضدهم بسبب ثأر قديم(١) واشتهر الراس الولا بالتحقيق في كل الوشايات لأنه أشتبه في كل ما يقال له ، واعتبره حكايات يبغضهم البعض . ومما بلغه عن عد كوكوي كان سببه عثوره على خطابات متبودلة بينهم وبين الأمير عثمان دقنه ضد أطماعهم على كل شيء في أراضي إرتريا .

ويرأس عمودية واس الشيخ محمد نعفو . وهم يعتنون بتربية الخيل

---

(٢) يتفرع من هذه العمودية خمسة خصص لها مشايخ ؛ أما الخمسوه بوص الله فقد اتخذ من النطر أكد بمعنى الأهل مرعاتها واسماها باسم إيكمتي Etkanet

(١) قيل إن الشيخ على بن محمد عجبنا تشاجر مع والد دمت أكد بسبب ناقة أراد الأخير أن يأخذها عنوة ليعطيها للشيخ أزى إبراهيم ؛ فضرب الشيخ على وأساء إلى حامد وارى ، وأسمعها ما يكرهان من الألفاظ القبيحة وكتما الإساءة حتى توفيا من الكمد .

والبقر والإبل ، مثل أبناء عمومتهم عد صالح وكلاهما معدودان من أغنى عموديات الحباب . وتوجد من رواسى حصة نامة لبدنة دقلل تسمى « البيتكت » أو البخت ، وسواراً ما طلبها الشيخ آرى أن ترد إليه لأنها من أقوى ، وتتألف من بدنة راس خمسة حصص .

« عد على بكيت »

أو على بخيت نسبة إلى مؤسس العمودية الأول الشيخ على بكيت ابن موسى إذ انفصل ببعض العربان لما يئس من النظارة (وقد وضحنا ذلك في دقلل موسى وابنيه دقلل عمد) .

وتؤلف منهم اليوم بدنة قوية وغنية جداً . ولهم عطف كبير على عد الرحيم ، وعد أكد ، وعد موسى دقلل ، ولا يميلون إلى عد حاسرى وعد عمر . ويسكنون عند منبع خور بركة في عدة محلات أشهرها « شيتل » و « شلاب » و « وادى مقاوده » ، ويجاورهم بعض القبائل الحبشية .

وتتألف عمودتهم أربع عشرة حصة .

وعند قيام المهدية في السودان استفادوا بالسلامة بسبب بعد ديارهم من حدود مديرية كسلا وسبدرات . ولما هرب دقة دقلل سار عد على بكيت خلفه إلى مدينة أسمرة ثم كرن ، وكانوا عائدين حتى قتل دقلل على بخيت في سبدرات سنة ١٨٨٥م ثم عادوا سريعة إلى هواشيت ، وسافر عميدهم الشيخ محمد أرى بيك ومعه حامد دمات وقدموا الطاعة إلى الأمير مكى حامد بكسلا ، ومكثوا معه سنة كاملة ، ثم حضرت إليهم قافلة لشراء ذرة من سوق كسلا . فقال الأمير لا أسمح للقافلة بالشراء أو العودة إلى أهلها ما لم

تحضر كل أهلها بمواشيهم وأهليهم إلى كسلا ، فقال له الشيخ محمد أرى لولا بعد المسافة ووعورة الطريق وقلة المراعى لحضرنا إلى كسلا . سمح الأمير بنصف حمولة القافلة فحملت وعادت بعد أن اقتفوا جمعهم على الهرب من كسلا ، ثم الرحيل من هواشات . ولم يبق منهم بكسلا إلا عبيدهم فقد كان يساوم أحد أمراء المهدية المدعو موسى بن البشير على شراء حصانه ، فقال العمدة أدفع له ثلثمائة ريال أبوطيره (عصاوى) .

فقال موسى إذا أردت شراءه فسلمنى أربعمائة ريال . فدفعها له الشيخ محمد أرى وركب حصانه ولحق بأهله[1] . واشتهر فى هذه القبيلة رجال اشتهروا بالكرم والشجاعة أمثال الشيخ محمد فكاك وابنه أ كد وأرى بن بيد وابنه محمد ارى وابنه الشيخ الحالى العمدة محمد صالح ، ووجدت منهم مائة من جميلاب الافاندة اسمها : موسى لى ، براهيم آدم ، وهى تابع لحصة الشيخ حسب محمد على فكاك . وأظنهم لغاية اليوم انضموا إلى أهلهم الأفاندة وسائر ملهيتكباب إرتريا .

أما دمات أكد ، وعمه حامد دمات ، ومحمد أ كد فقد هربا بعد مقتل الأخير .

« محمد على »

هم أبناء على بن دقلل إدريس بن أ كد بن ماسح ، وجدتهم هو الشيخ عمر بن على تكيت - ويغلب على خلقهم الهدوء والسلامة وهم من بدنات التابتاب الصغيرة فى إرتريا .

---

(١) رأيت كثيرا من نسل هذا الحصان فى قرى محمد على بكيت ، وكانوا دائما يسلمون لأوليه فى كل سباق الخيل خصوص معرض سنة ١٩٢٠ م .

« عد تولى »

يطلق هذا الإسم على ذرية الشيخ موسى تولى بن هد بن موسى بن إدريس ابن أكد بن ناصح ، وعمدتهم هو الشيخ هد محمد أو لُّبّاب AWALLIBAB وتتألف منهم ثلاث عموديات كبيرة :

١ — بدنة سنكات فى كلاب باترتوبا ويرأسها الشيخ عبد الله بن هد وعد ا .

٢ — وواحدة بالسودان يرأسها الشيخ محمد هد وعدا (فلما توفى فى سنة ١٩٤٤م أمرهم المستر بتون المفتش بكسلا بأن ينتخبوا عمدة من نفس السنكاتكنات بدلا من تعيين النابتاى ابن العمدة الراحل . وكان هذا أول التحرر .

٣ — هى البدنة المؤلفة من نفس عائلة تولى .

فى سنة ١٩٣٣م علمت وأنا بادية أمرت أن خمسة عشر شابا من عد تولى نزلوا ضيوفا عند رجل من عد على بكمت فأطعمهم عصيدة فى قصعة أو مناع ، مكسورها بعد أن أكلوا ما فيها جميعه . ولما أصبح الصباح سألهم الضيف أن يقيلوا حتى يذبح لهم بقرة . فقالوا له لماذا لم تفعل ذلك ليلة أمس قبل أن تكسر أمداحك ، فقال لهم وهل كسر عودها ؟ قالوا له نعم حتى لا نعود لمثلها لأن مثلك يجب أن يذبح لمثلنا . فاستاء ابنه منهم وأخذ سيفه ليقاتلهم ، فمنعه والده . وبينما هما يتماسكان هجم أحد الضيوف على الوالد وضربه بالسيف فقتله واعترفوا جميعهم بأنهم جميعهم اشتركوا فى قتله ، وكرروا هذا القول عند المحاكمة ، فوضعوا كلهم فى السجن فمات منهم عشرة قبل أن يبيعوا أموالهم

الأولى . فتدخل رجال الحسون والمشايخ لدى الحافظ الإيطالي وتنازل ابن العتيل عن ثأر أبيه فأطلق المدير سراح الخمسة الباقين .

« علي إيدو »

هم أبناء علي بن إدريس بن أكد بن ناصح .

يقول عمودية هذه القبيلة اليوم الشيخ إدريس بن أكد — وقد استقل الشيخ على بعض العائلات من البيت وأنشأ البدنة المذكورة ، وسميت باسمه . ولقلة تعدادهم عن سائر القبائل لم ينالوا شيختهم .

« عد شقلي » Shigli

يطلق هذا الإسم على البدنة التي أنشأها عدسي Dasey إبن موسى ابن إدريس بن أسكد بن ناصح . وقد انقرضت قبل الهدنة ولم يبق منهم أحد .

« عـــــد عمر »

كان أحد شعرائهم يرعى أبقاره على سواحل ممتاى بمنطقة العجولاب فرصا فى رأس كسار منخة (سنبوك) محمد بك الشناوى مر بجار سوا كن زمى عائدة من الرحلة محملة بالعجوة ، فاشترى القبطان بعرة من الراعى (خميس) ، فكانت كثيرة الشحم ، فعجب منها البحارى للصمود على مذلاى ، من الإطالة ، وجاهر برأيه فى اللحم والشحم ، فقال خميس يمدح أبقاره والمراعى العامية لها فأنشد[1] .

« دريت ولت عد عمر الأ بلاً مذلاى »

(قل يامذلاى الآن ابنت عد عمر دريت (السوداء)

« عير عريت سأدا إيب مهبو رمفواى »

(طويلة العنق ليس فيه تجاعيد أو قصر)

« حانا عروره أى ترود كيد سير يدخ رقاى »

(أبقارنا لا ترد بروره مثل أبقاركم فى زحام مع أبقار أخرى)

« وحانا قليل إى تمأ ولقروه لنبلاى »

(ولا نأكل الثمام أو عروقه المزروعة فى الأرض)

« مسكب بن تأ بها إجل تيفيد من قواى »

(نرعاها فى مكان ناء عن نهرها حتى تستفيد من المرعى)

---

(1) قولهم «بل سلا اب برق ليليت من راس ام عباى» (هذا البرق لماذا لمع من راس ام عباى؛ من جبال عد عمر) .

« د يت دربى سيكى أجل فليت وبلأى »

(يا دريت اهطى إلى السهول من الجبال حلاق لشراء الملابس والمطر) وهى قصيدة طويلة ضاع أكثرها وكان هذا الصعلوك قد كسر على الشعب فى سنة ١٣٠٠م .

فرد تدلاى على خميس وقال له : ما اسمك ؟ ابن مد عمر ؟ قال له اسمى خميس فقال له اسمع قصيدتى رداً على قصيدتك[1] .

« دريت كيهمو مشكب سلم ديب وخميس »

(حويت تسكن فى الصيف (سواكن) سلم لى عليها يا خميس)

« خميس خميس قد قوقات من دهب ملئت وسير حبت »

(فى كل من أذنيها خمسة خمسة تلالات ذهب وكلها مملوءة بالمصاغ)

« ولاذ أبعدت شحاسيس طدا رأس وأديت »

(تدهن شعور الشبان بالودك والعطر الناشف)[2]

« شانا وشاكم دبب حد عودل إيكون وخيس »

(لا يمكن التعادل بين أبقارنا وأبقاركم يا خميس)

---

(1) أولها «بل مبلا اب برق تبليت من راس حناقيت» بدا البرق يلمع ليلة رأس جبل حناقيت) .

(2) مثل المحلب والريحان هندى والصعبوك والجوز «الضريرة» وقال «كلنوبه حوجب قروماو وكلى مليح تسلبت» لها حاجبان مقرونان كما لها خدان مستويان وناعمان) .

« ... كم سابت إي نمر أمثيل دباط هردايت »

(أبقاركم لاتعرف مقاملة الطويلة غير ضربها بالخشب)

« وحاكم مهتدى بى تأمو امثل ودحى كم صليت »

(إن بقاركم لاتعرف كل المراعى طوال الليل إلا فى الضحى مثل لبنه)

« برد بيت أمحارين من راس حماقيت »

(لاح البرق فى أقحارين (سهول العتيق) من رأس جبال حماقيت)

« منمابى ضرار ود عجيلو ومنبابى أو وأب نصريت (مصره) »

(شيخى هو ضرار بن عجيل وبابه ابنه أبو نصريت أى على بن ضرار)

« ثم كرر قوله بل بملأ اب برق من راس حماقيت »

« من عن وعيلقه ومن ديوعمايت »

(وأبرقت وديان عين وعيلقه وكذا جبل عماست)

هذه المحلات تقع بين توكر والعقيق

ثم ذكر فى أشعاره شجاعة أبنا المجيلاب ودفاعهم المجيد عنها وحملهم جمهاق الصيف والحرور .

ومن شعراء عد عمر رجل اسمه « إدريس » ولقبوه اسم « أكن دول » لسوء الخلق ، كان ينقش الحجارة كثيرا من الرسومات كما يصنع اليوم الرشايدة نقش وسم إبلهم على كل حجر يرعون حوله مؤمنين ملكية ذلك المحل يوما من الأيام . وهذا مجال هام يختلطوا بالبجة وينصهروا فيهم كما فعل إخوانهم بالإندماج فى الحباب بارتريا .

واستمر الصراع بين أ تي دولى وتكوش بن مندر (سنو) زمنا طويلا ولكليهما أشعار .

« الشيخ إدريس دفال حامد بك »

استعرضنا من قبائل بني عامر التابعة لحكومة إرتريا ، والآن نبدأ بقبائل بني عامر التابعة لجمهورية السودان ، ولغاية سنة ١٨٩٦م كانت تابعة للسودان كل هذه القبائل ، بل وكل بلاد إرتريا والصومال كانت جزءا من السودان وفي أواخر سنة ١٨٧٢م عين الخديوي إسماعيل باشا منسنجر باشا السويسري حكمدارا لشرق السودان ، كما عين أحمد باشا ممتاز حكمدارا لباقي السودان فأصبح كل من الحكمدارين يتلقى تعليماته رأسا من القاهرة ، ولم يعش هذا البتر أو الانفصال أكثر من ثلاث أو أربع سنوات ، فقتل الأول في سنة ١٨٧٥م ، ومات الثاني بعد اعتقاله بسبب الرشوة حوالي سنة ١٨٧٥م[1] ، فرجع شرق السودان إلى القطر حتى كان الاحتلال الإيطالي لإرتريا سنة ١٨٨٤م فبدأت عملية بتر أوصال القطر الواحد .

وبعد أن قضت جنود الاستعمار توكر سنة ١٨٩١م[2] عين حاكم سواكن الجنرال هولد اسمث باشا الشيخ إدريس دفال حامد ناظرا على قبائل بني عامر

---

(١) كان اعتقاله سنة ١٨٧٣ ، وتوفي سنة ١٨٧٥م وفي عهد حكمداريته قسم الخديوي إسماعيل السودان قطرين « السودان والسودان الشرقي » إرضاء لخاطر منسنجر باشا حكمدار الأخير .

(٢) نقل الأمير عثمان دقنه معسكره إلى منطقة « أدارامات » على شاطئ نهر أتبره .

بشوكر وضواحي العقيق[1]، وكان معه عمدتان هما الشيخ ضرار على ضرار (عمدة العجيلاب والأملدة)، والشيخ أركد موسى عمدة عد عامرى وغيرهم. وفتحت ميناء العقيق للتجارة وانتعشت الحالة الاقتصادية ووردت المواشي بكثرة هي والحبوب من اثين، وعادت قبائل كثيرة من إرتريا وخور بركة، وكان الهدوء شاملا كل مناطق السواحل، وبعض الجهلاء لايزالون يحلمون بانفصال شرق السودان التي استقبلت لسنجر باشا وانتهت بوفاته سنة ١٨٧٥ م[2].

«الشيخ إدريس دقلل حامد»

«ناظر بني عامر السودان»

لم يكن لبني عامر منذ أيام دولة الفونج إلا لقب «دقلل» الذي استبدلته الحكومة التركية (محمد علي باشا) بلفظة «ناظر» التي كانت تطلق أيضا على «وزير» ويسمى رئيس الوزراء «ناظر نظار»، ويتولاها شخص واحد في عموم القبائل المنتمية إلى رئيس واحد مثل «شكير» (جد ناظر الشكرية) وعمَّار (جد ناظر الأمَّارأر)، ونشَّاد جد ناظر البشاريين، وعامر جد ناظر بني عامر، وهذا جد ناظر المذكورة. ولما أخلت الحكومة المصرية القطر السوداني في مايو سنة ١٨٨٥م تولى إدارته بنوه فكان أمير هذا الإقليم أمير الأمراء «عثمان أبو بكر دقنه» الذي لم يفرق شيئا في الناس أو في أصحابها، بل كان يسير كعادات القبائل، وقيد رؤساءها بعهود ومواثيق كي يكونوا يداً واحدة ويدفنوا الضغائن والأحقاد، ويستقبلوا عهداً جديداً هو عهد المودة

---

(1) كانت كسلا وضواحيها تابعة للأمير حتى احتلها الطليان.

(2) بعد هذا الحكم باحتلال انجلترا للصومال وايطاليا لارتريا ثم انضمت لاثيوبيا، واستقل السودان بشرقه وغربه وشماله وجنوبه.

والإخاء والعفو عن كل ما مضى، فلمى الدماء السالفة وصالح بين أخصامها، ومنع الخرافات والبدع والعادات المخالفة للكتاب والسنة، وجعل لكل قرية إماما للقضاء وتعليم الأهالي الفرائض والسنن [1]، فلما زالت الدولة الوطنية انقسم هذا الإقليم بين حكومتي السودان والإرتريا، وأصبحت أكثرية قبائل بني عامر الدقلي تابعة للحكومة الأخيرة وصار دقة دقلل ودقة الشيخ حامد ودق كنتيباي تابعين لارتريا بحكم تبعية أراضيهم، وبقي الجزء المنقول للسودان [2] .. وكان به الشيخ إدريس دقلل حامد بك منذ سنة ١٨٨٨م حتى كانت وفاة دقلل محمد بن محمد على يد الأنصار سنة ١٨٩٠م ووصلت البشائر إلى كسلا بانتصاراتهم على سكان دقة دقلل..

وصل الأمير عثمان دقنه من البقعة [3] في ... يوم الأنباء ... قال الشيخ إدريس دقلل «وجئت إلى الأمير وسلمت عليه، ثم طلبت منه أن يكتب لي خطابا إلى الخليفة عبد الله كي أسأله العفو عن أسر من أهلي بالدقة واستلام كل ما غنم وسلب منهم خصوصا العقارات الأثرية والمواشي» فأعطاني الأمير الخطاب وأخذت آخر من الشيخ محمد بن الطاهر المجذوب إلى الأمير ... (أخ خليفة المهدي وصاحب الراية الزرقاء)، وبحثت عن قافلة تؤم البقعة كي أسير فيها، وبينما أنا في تلك الحال جاءت أنباء أخرى من إرتريا بأن أخي دقلل الحسين أدرك جيش الأنصار بالقرو الوطنية واسترد منهم كل ما غنموه

---

(1) أهم حسنات قرى بادية البجه هي أمام راشد يرفع الأمية وينصح الأمة إلى طريق الهدى والرشاد ومحاربة الخزعبلات.

(2) استحسنت أغلبية الجيريت المجاورة للسودان مثل اغريت وكرن وتقته الانضمام إلى اثيوبيا بدلا من السودان.

(3) سماها مذلك المهدي (البقعة المباركة).

من دقة دقتال ، ورأيت ألا داعى للسفر ، وعدت إلى الأمير والشيخ محمد وسلمتهما الجوابين المدولى عن السفر . وبعد أيام دعانى الأمير إليه وأعطانى خمسين ريالا وأعطى عشرة للشيخ أحمد جقجير (١) وقال لنا قوما معى إلى توكر لأننا سننتقل المعسكر إليها وتبقى كسلا قرية صغيرة . فلما وصلنا توكر تسلمت راية بنى عامر وأرسل الأمير عدة خطابات لمشايخ بنى عامر الحاضرين لسهول وحبيب وغيرهم أمثال الشيخ ضرار على ضرار والسيد الأمين (٢) عمر محمد والشيخ أكد موسى حمد والشيخ إدريس محمد إدريس . وهذه الخطابات أرسلت مع الشيخ حامد حسن (ناظر الكميلاب) . وذكر لهم الأمير أنه أصبح صاحب السلطة المطلق التصرف فى هذا الإقليم ، وأن الأمراء الذين سببوا الخلافات عزلوا من هذه الأنحاء ورحلوا إلى جهات أخرى فى السودان لجهلهم بلهجات أصحاب البلاد وعاداتهم ، ونشأ من ذلك ارتباك فى الإدارة ، ووقع بينهم وبين القبائل قتال عنيف فضربت قبيلة همرى فى الجبال بعد سفر الأمير محمد عثمان أبو قرجه . وكانت واقعة بلادات صدمة عنيفة للأمير أبو قاقلة بن الفضل استمر بينه وبين العجيلاب ليلة كاملة بقيادة عميدها الشيخ ضرار على ضرار (٣) وأكرم المشايخ

---

(١) قال الشيخ ادريس حين وصولنا الى توكر اختفى أحمد جقجير ودخل مدينة سواكن خلسة ومنها سافر بالسنبوك الى مصوع وهناك قبض عليه وأرسل الى سجن عصب وفر منه الى داخلية الحبشة ومنها سكن وبقى وله ذرية بها .

(٢) مشايخ قبائل عجيلاب بعد الشيخ حامد هاشى بيت معلا

(٣) قيل ان السردار اوصاهم بأن لايسمعوا الامير اذا ما عاد اليهم ، فطلبوا منه اسلحه نارية ، فعطاها لهم وجعل لمشايخهم مرتبات شهرية ظلت بعد اعتقال الأمير سنة ١٩٠١ .

الشيخ حاج حسن جدا وأعطوه هدايا كثيرة وردوا على خوابات الأمير بالقبول والعودة إلى منازلهم في زمن الشتاء .

ولكن حدث ماليس في الحسبان إذ تم فتح مدينة طوكر في يناير ١٨٩١م ونقل الأمير عثمان معسكره إلى « أدارامه » بنذر أتبره وعدم أهل توكر الولاء لحكمدار السودان ، ثم أمر محمد بك عبود (مأمور العقيق) كي يهجم على عشونة التي كانت بها أسواق لتجارة الرقيق والتهريب .

وفي يوم ٢٣ فبراير ١٨٩١م طلب هولد سميث باشا (سردار الجيش المصري) كافة نظار القبائل والعمد والأعيان[1] كي يحضروا إلى سواكن لاجتماع هام في يوم ١٨٩١/٣/٨ . وسافر المحافظ ومعه الشيخ إدريس دقلل عن طريق البر[2] إلى العقيق ، فلما وصلوها وجدوا في أمر محمد بك عبود سبعة عشر تاجرا من أهل مصوع ، وبعض الحجازيين الذين كانت لهم تجارة واسعة كانوا على وشك ترحيلها إلى الأمير بتوكر[3] ، وفي ثاني يوم وصولهم عثروا

---

(١) وكان معهما ابراهيم باشا رفعت بفصيله من الفرسان المصريين .

(٢) أرسل الأمير سبعة وثلاثين جملا لترحيل البضائع .

(٣) في سنة ١٩٠٢ شاهدت محمد بك عبود ومعه قوة من البوليس خارجا من سواكن ، ثم عاد بعد أسبوع ومعه نحو مائتين من الأرقاء الذين كان يتم تهريبهم من ميناء الشيخ برغوث «بورتسودان اليوم» ، وقد هرب الصنبوك الذى أحضره النخاسون لتهريبهم الى الحجاز ، كما اختفى التجار الذين أحضروهم من داخلية السودان عن طريق بربر ثم بادية الامارار ، ثم فرقوهم كالعادة على الموظفين اذ لايوجد طريق يمكن اعادتهم منه الى أهلهم . ولم يقبض بعدها على أى رقيق الا افراد وخصوصا بعد وصول سكة حديد النيل — البحر الاحمر .

على مطيع من الرقيق يسير مجتازاً للجبال في طريقه إلى ميناء رارات (سكلاى) لتعبر به إلى الضفة الشرقية من البحر الأحمر ، وصودرت جميع هذه الأشياء واقتسم المستخدمون الرقيق بعد نقله إلى سواكن وفي سنة ١٨٩٢ عين حولد اعتقد مشا الشيخ إدريس دقلل حامد بك محمد ناظراً عاماً على كل قبائل بنى عامر محصور الشيخ ضرار على ضرار والشيخ اكد موسى محمد[1] والشيخ إدريس محمد إدريس ، فوافقوا جميعهم على نظارته ، وسارعت القبائل النائية بأدبها والجمل والجوان إلى الرقيق . وفي تلك الأيام هطلت أمطار غزيرة ، فازدادت القبائل تفاؤلا بنظارته وأخصبت السهول والجبال وسمنت المرعى واخضرت الأودية وفي سنة ١٨٩٨ م أراد الله أن لا يتمتع (بنى عامر) بهذا الناظر السعيد إذ كتب عليه أن يستشهد على يد أحد الأشقياء الذين اعظتهم بلادهم . وأبكرت جريمتهم قبائلهم حتى اختفى عن الأعين[2] .

وأما كيفية قتله فإنما نورده كما سمعناه من باوره الذى كان مرافقاً له (القسيس جيرط) قال : خرجت من الطوق مع الناظر ومعنا الشيخ محمداى ابن حاج حسين (عمدة سنكاتكنات) إلى جبل[3] شرونت الاستراحة في منازل القبيلة المذكورة شهر الآن شدة الحر وأعمال القبائل ومشاكلهم أعيت

---

(1) حضر هذى الشيخ على ضرار عجيل هذا الاجتماع معتذرا بشيخوخته وانه قد أوكل ابنه الأكبر «والدى» فقبله المدير .

(٢) هو رجل من قبيلة الحمران الأرتيقية .

(٣) في سنة ١٩٠٦ حصرت للواقعة التى دارت بين السنكاتكنات والهاسرين كان النصر فيها حليف الأولى ، ولكن بعد مجىء قبيلة الفاصلاب «عد شنل» ولم ينتصروا .

الناظر . أمضينا الليلة بالقرية ثم سمعنا أن جيش الأمير عثمان دقنة قريب منا ، فأمر الناظر كل القبائل التي حول سنكات كي تهرب حالا من وجه الغزاة . فامتثلت لأمره وهرب كل امرىء بأهله ومواشيه . ولم يبق في المنطقة[1] إلا الناظر وبقى بالجبل محيط به ، فامتطى حصانه ووقف في انتظار من يتقدم لنزاله منهم . فأطلق عليه أحد أفراد العصابة عدة رصاصات أصابته إحداها في قلبه فتوفي لساعته . ثم سلبت العصابة سيفه ودرقته . قال الياور لولا وقوع عين الناظر على امرأة مرضع عجزت عن إدراك الهاربين وصراخ طفلها لسلم من الخطر . ولكنه أدركها عند ورد فمنعته من النزول من حماره ، فقال لي إنها مسكينة ، فقلت له إن القوم أدركونا . وهممت بالفرار ، فقال لي : سلمني البندقية . فلم ألتفت لقوله ، وأطلقت رجلاي للريح حتى وصلت العتيق وبلغت خبر وفاته للشيخ إدريس ، كما أبلغت إبراهيم رئيس البوليس ، فلم يكترث لقولي لأنه لولا الحزازات القائمة بين الحاسريين وأبناء دقلل لما تأخر عن نجدته أحد ولأخذ بثأره ممن قتله .

أما العصابة فإنها بعد قتله عثرت على أغنام كثيرة ، فاستاقتها أمامها بعد أن أثخنت راعيها بعدة جراح . وذهب قسم من العصابة إلى قرية الأشراف وغنم أبقارا من عند عمير وعند عامري . وأقاما في شنبت يومين ثم سارتا

---

(1) قال لي محمود كرجب أن أهل العتيق يلامون لعصابتهم يوم وفاة الناظر إذ لم يتحرك مع ياورة إلا موالى دقلل : وهؤلاء حملوا الجثة إلى محل لقتا الأشراف حيث دفنت .

في طريق خور بركة ، فالتقى أثرها الشيخ موسى محمد محمود[1] ، والشريف محمد محمد أبو فاطمة الحسيني[2] وكل ذي مروءة ونجدة[3] ممن كان بتوكر من الشجعان ، فأدركوا العصابيين في « إلتوي » بقرب « قرنقاد » مجتمعين . وكانت هناك محطة بوليس برئاسة الشريف أوشيك أوسكول . فدار بينهما حديث على تسليم كل شيء للشريف ، فرفضت العصابة وأقسم هو على قتالها ثم تبادلا إطلاق الرصاص حتى حال الليل بينهما وهربت العصابة تحت جنح الظلام بعد أن خسرت بعض رجالها وخيلها وجمالها

كان الشيخ إدريس دقل مشهوراً بالصلاح والتقوى ، وهو شديد الورع حسن الخلق ، وهو أول ناظر (بني عامر) أدى فريضة الحج مع أخيه الشيخ محمد عثمان دقل ، وبعد عودتهما من الحجاز جعلت الحكومة مرتبا شهريا لها سنة ١٨٨٩م حتى كانت سنة ١٨٩٠م ، فأمرت الشيخ إدريس بأن يذهب إلى توكر ويمنع قبائل بني عامر من متابعة الجهاد مع الأمير عثمان دقنة ، فامتنع عن مبارحة سواكن ، ولكن فهم من الأهالي أنه سيعتقل إذا لم يخرج منها ، فخرج ووصل توكر ، وإذا به بين لفيف من الرؤساء — مقابل الأمير وقال له « أنا أرفع من أن أتجسس . ولكن حكومة سواكن كثر عليها ما تصرفه على شهريا فأقصتني عن المدينة بلطف » ، ففهمت مراده ، وفرحت ، لأن وجود

(١) عمدة عد عمر وهلبسا توكر .

(٢) هو الذي حمل الأمير محمد ماي دقنة لما سقط شهيدا من جواده يوم واقعة الشبل بسواكن ، وأوصله إلى هندوب ومعه السيد حاج يعقوب .

(٣) بعد مقتل الناظر قاتلت العصابة الشيخ حسين عبد القادر عمدة الكبلاب فهزمه وقتل ثلاثة من رجالها وغنم خيولهم .

فيلتى بين رجال جيشك لا يرتنى من التواطؤ معك ، مثق أننى لن أخون الأمانة والعهد الذى بيننا لنيل مرسب الحكومة التـــافه . وتمثل بقول الشاعر العربى :

وميت وقد جربت عثل ميى مهانا لا أخون ولا أخـــان

موثق منه الأمير وسلمه قيادة قبائل بنى عامر . وقبل الفتح بأيام أرسلت مخابرات سوا كن خطابا باسمه تقول فيه توصيك بأن تقوم بما عاهدتنا عليه من خذلان قبائل بنى عامر من مناصرة جيش الأنصار . ووقع الخطاب فى يد الأمير فاعتقل الشيخ إدريس دقلل تحت المحاكمة التى لم تتم لأن الفتح سبقها .

وكثيرون من نظار ومشايخ وعمد إقليم البجه اتهموا بمثل هذه الخطابات المزيفة التى كان يرسلها المستعمر للايقاع بين أهل البيت الواحد وتم إعدام الكثيرين بسبب هذه الوشايات من الأمارار والكميلاب والمدندوة وبنى عامر وغيرهم — وكان غرض المستعمر من تزوير هذه الخطابات إظهار هؤلاء الزعماء بمظهر الخيانة ليعدموا قبل استيلائهم على البلاد ليسيروا الوطنيين كيف شاءوا ، ويأتى جيل لم يتمتع بالحرية والاستقلال فيتمشى مع أهوائهم ويكونوا قد بذروا بذور الشقاق بين أبناء البلد الواحـــد ، وينقضون من حول أميرهم شيئا فشيئا . وهذا هو الذى حدث . وبعضهم لجأ إلى الحكومة بسوا كن واستكتبتهم خطابات لإخوانهم الذين مع الأمير(١) وبعض أهل أغردت يتهمون عموم الماسريين بالتقوب إذ لم يرسلوا عصابة خلف الذين

(١) الحقيقة هى أن المخابرات تولت ذلك بدون علم من الناس .

قتلوا إدريس (١) وهؤلاء متنصلون منها ويقولون إن الشيخ همداى حسين كان يعلم بوجود العصابة وهو الذي اتفق معهم على إخراجه من العقيق ثم قتله وحيدا ، ويزيدون على ذلك قولهم إن المستكانكتاب هي التي نقلت قتله عمه دفعا على بكوت بك . ومن مناقب الشيخ إدريس التي لا ينساها أهل العقيق كرمه الحاتمي إذ كان لا يحتفظ بشيء من النقود أو المواشي أو سائر الهدايا كالسمن والعسل وجلود النمور فقد كان يوزعها على أهل المنازل بالترتيب حتى لا يحرم من عطاياه بيت ولو صغير ، وإذا أتم المنازل استأنف الإهداء من أول منزل إلى الآخر ولذلك كان بكاء أهـــــل العقيق عليه كثيرا جدا .

ولولا أن للمنية عاجلته لما أدرك غباره أحد في التقوى والورع والجـــود والإخلاص والأمانة وسلامة الطوية رحمه الله رحمة واسعة .

وقد خلف من الأنجال الشيخ صالح إدريس وحامد ومحمد وكلهم في منتهى التقوى .

وقد أحضر الناظر ابنيه معلما أتموا الدراسة على يديه كي يعلمهم القراءة والكتابة ثم الفقه في الدين وبزوا أقرانهم في ذلك .

وهؤلاء الثلاثة كانوا ولا يزال الحي منهم في منتهى الجود والكرم

---

(١) يوجهون التهمة للشيخ أكد موسى ، ولكن هذا لما رحل الى اوربا بعد سنة ١٨٨٨ م مات جميع رجال عصابته هناك في «الحبوب» ولم يجد من يسمع كلامه «لأبو بكر فالجيهذا أجتمع بعد هذه الحوادث»ذكريا حوادثه في الحياة» .

وحماية الخلق — تكاد أن تكون هذه الأخلاق الفاضلة في عموم ذرية دقلل حامد بك محمد — ويتمتعون باحترام كل القبائل

« الشيخ صالح إدريس دقلل »

هو ثاني ناظر لقبائل بني عامر السودان بعد المهدية تحت إشراف عمه الشيخ محمد عثمان بن دقلل حامد الذى كان (محمد عثمان) مقيما بسواكن . فلما سمع بمقتل أخيه إدريس حضر إلى العقيق ومعه المستر برجيس المفتش الإنجليزى ، وبعد تحقيق قصير في أسباب مقتل الناظر إدريس تقرر أن يكون الشيخ صالح حاكما لوالده بالعقيق ، والشيخ محمد عثمان وكيلا له في كسلا . واستمر بها الأخير حتى كانت وفاته سنة ١٩١٠م ، وخلفه ابنه محمد صالح ، وهذا توفى فخلفه أخوه الشيخ إبراهيم محمد عثمان في كسلا . ولم يحدث في أيام الشيخ صالح إدريس ما يستحق الذكر إلا قتال سرويت بين قبيلته والمامريين . وتوفى الشيخ صالح إدريس في سنة ١٩٤٤م

« الشيخ إدريس بن صالح »

تولى نظارة بني عامر حسب تقاليد القبيلة بعد وفاة والده ولبث فيها حتى سنة ١٩٣٩ فقدم استقالته فقبلت . فخلت القبيلة من الناظر ، لذلك ظهر في المسرح حامد عثمان اكد مرمي ليكون محصلا لحين تعيين ناظر للقبيلة . وهذا الشيخ حامد ، ولكن للأسف ، إنه عزل ثم عزل من منصبه بعد قليل لأن يده امتدت إلى أخذ تموين القبيلة والسكر والملابس والبن ، وهذا التلاعب في تموين القبائل خصوصاً الأطعمة جلب عليه كل المصائب إذ اختنق عن أعين الناس . وتوفي الشيخ إدريس صالح بكسلا في فبراير ١٩٥٦ عليه رحمة الله .

« الشيخ إبراهيم محمد عثمان »

تولى نظارة بني عامر في مديرية كسلا عقب استقالة ابن أخيه (إدريس صالح) في سنة ١٩٣٧ . وبعد عدة محاولات لنقل النظارة من بيت دقال تمسك العمدة محمد ضرار على بأن لا يكون هناك وكيل أو غيره إلا بعد تعيين الناظر إبراهيم . وكان آخر اجتماع حضره المدير (المستر كندي كوك والمستر لي في عقيت تقرر فيه تعيينه ناظراً على عموم قبائل بني عامر كسلا والبحر الأحمر .

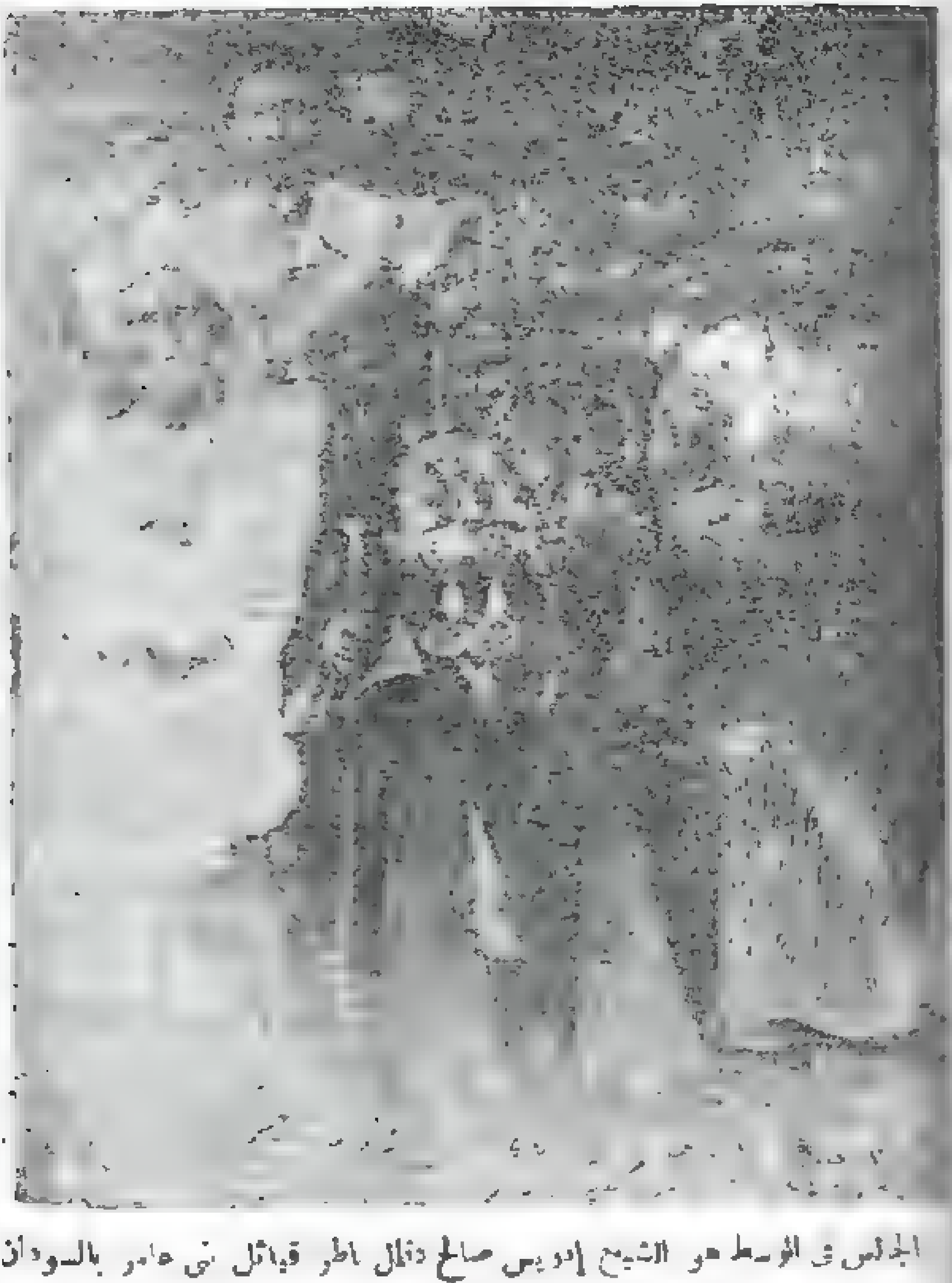

الجالس في الوسط هو الشيخ إدريس صالح دنقل ناظر قبائل بني عامر بالسودان
وهو هنا بملابسه الرسمية واكنه استقال مع موظفي الحكم الثنائي من الإداريين
الإنجليز فعفي من منصبه رسميا سنة ١٩٣٦ ، ولكن ظلت مكانته باقية في نفوس أبناء
قبيلته فقام الإنجليز بدعوته إلى أراضي بني عامر وحددت إقامته بين كسلا وبورتسودان
وسكت حتى توفي سنة ١٩٥٦م (الصورة أهديت للكتاب من الأستاذ كامل يوسف)

عـــد قاشري Hasri

(نايجاب السودان)

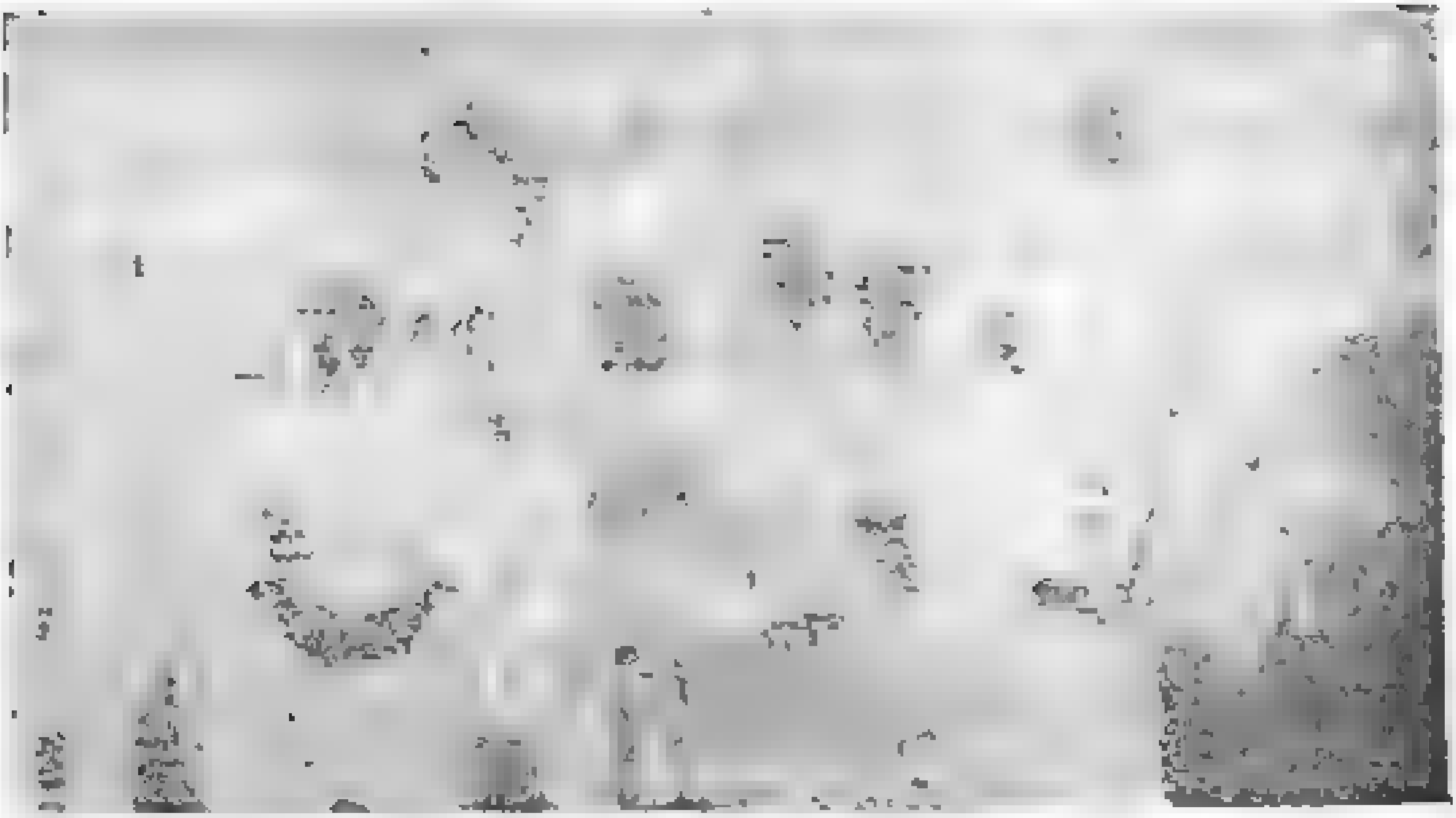

سنة ١٩٣٨ م

١ - الشيخ إبراهيم محمد عثمان دقلل حامد

٢ - السيد محمد إبراهيم عد الشيخ

٣ - الشيخ إبراهيم أبو جمل العجيلابي

٤ - الشيخ علي إدريس اكد

٥ - الشيخ عثمان موسى اكد

« عد هاشري »

أما أبناء هاشري هم ذرية الشيخ علي بن ناصح الذي جلس على كرسي نظارة بني عامر[1] (بيلك) خمسة عشر عاما ، ويلقب بالشيخ علي عكه ، وكان صارما وشديد الأحكام ، مجردا من الرأفة . وقد حكم على جميع القبائل التي تحت سلطته بأن لا تبرح مكانا يقال له « عكات نأف Akkar Naaf » لمدة سبع سنوات . وله من الإخوان أكد وإدريس وأبو سعد وعوض الله . وله من الأولاد محمد شيك (جد عد هاشري) وسلمان جد (عد حسن)[3] .

« هاشري »

(محمد شيك)

بعد زوال النظارة من علي عكه واتق دقلل على أن تكون لابنه محمد شيك عمودية التي تزوج بنت إحميد البلو في جهات العتوق يسمى الشيخ عيسى درهيب ، وقبره ظاهر بقرب مقابر المعيق ورزق منها إدريس وعالياي[2] وعمر جبور[4] .

---

(1) اقرأ نظار بني عامر فيما سبق اذ ذكرنا شيئا من اعماله .

(2) استعنا تاريخ عد هاشري وأكثر الملتقب من عمنا الشيخ عمد نود علي ضرار ، ومحمد أكد ضعور ومحمد موسى محمد .

(3) لم يعقب .

(4) له ذرية واشهر ابنه محمد بالشجاعة والشهامة وتوفي مجمة ..... وخلف ابنا اسمه موسى كان شاعرا باسلا .

إدريس محمد شيك(١)

تولى العمودية بعد وفاة والده ، وتزوج بابنة دقال أ كدين دنقل إدريس، ورزق منها ولدا واحدا هو حامد ، وله من غيرها إبراهيم الذى توجد ذريته فى عد ييلى بخور بركة — وعلى وناصح وسلطان(٢) ، ولما توفى إدريس انضم بنوه العوبان (التى هى من قدماء السجة) .

« حاسرى »

(حامد بن إدريس)

بعد وفاة إدريس ، عيّن دقال ابنه حامد خلفا لأبيه ، ولـكن حامد زهد فى الوظيفة واشتهر بالتقوى وانقطع للعبادة وترك إدارة القبيلة لابنه الشيخ حاسرى (إدريس) الذى تسميت العمودية باسمه . وتوفى الشيخ حامد بعد وبنة ولا يزال قبره ظاهرا هناك . وله من الأولاد إدريس ومحمد وناصح وحُومات Howmat(٣) .

---

(١) أصوابها شيخ ولعدم وجود حرف الخاء فى التيجرية والبجاوية متقلب ك «كاف» .

(٢) أمهم من عد عمر وليس للآخرين عقب .

(٣) مثلته قبيلة عد عمر عند جبل هود دمرا ؛ ولنسزع أخوه ادريس لبناء فقراى من عد عمر انتقاما لأخيه وهم فرع من «أسحشيـــلا» ، واليـــوم تحرروا من سيطرتهم واصبحوا مع اخوانهم عمومة كبيرة . وعاش حامـــد ادريس نحو ١٢٠ عاما .

ولد فى سنة ١٠٢٠ هـ فاهتم بشئون القبيلة لما أتى فى والده الزعادة فى الدنيا . وأمر الشيخ هاسرى كل من يقيم فى سهول عدوبة أن يكون تابعا له ولقبيلته لأنه لا يسمح لغير عشيرته أن ترعى فى بلاده فامتثل كل المقيمين لأمره وخضعوا لسلطانه حتى أصبحت قبيلته كبيرة جدا ، وتألفت منها أكثر من عشر فصص سمانى على سمائها وأسماء مشايخها فى النهاية .

وورق هاسرى ثمانية أولادهم : محمد وعبد الله وأ كد وعمر شلخ (ضعيف) وعلى وعالواى وموشاى (اسمه على الثانى) وحامد بيلى . وكان يقال إن الشيخ هاسرى هو من الأفذاذ الذين توفرت فيهم الشهامة وحب الإصلاح مع ميل لحسن السمعة الحسنة وحب السلم وهذه الخلال هى التى ساعدته لجمع العربان تحت عموديته . ومما يروى عنه أنه لما عاد من مصيفه بخور بركة وجد قرية كبيرة قد سبقته ونصبت خيامها محل مضارب خيامه فسأل عن اسمها فقيل له هؤلاء هم « جد جامع » . فأمر قبيلته أن تخيم حولها وضم إليه شيخ القبيلة . وكان من بقايا الدلو الذين هربوا بلغيف من البجا بعد واقعة « أشوتم ديرحيب » واشترط هاسرى على الشيخ جامع أن يقدم إليه صدور الذبائح بدلا من أن يأكلها (جامع) فامتثل[1] هو وأهله لذلك .

ولم تكن أيام هاسرى تخلوا من بعض مشاحنات من قساته وأبناء عمه (عد عمر) . لأن القبيلتين كانتا متجاورتين ، فلم يسلم رجالهما من المنافسة

---

(١) لم يبق من هذا الرهط اليوم أحد بل انقرضـــوا .

والشاكه . ونزع من الحماسين بعض عائلات من الجميلاب ومرشهُ وضمها لرعيته .

قال محمد أكد نصور إن الشيخ إدريس هاشرى ولد سنة ١٠٢٠ هـ وناب عن والده في سنة ١٠٥٠ هـ .

(محمد هاشرى)

عقب وفاته تولى وظيفته ابنه « محمد هاشرى حامد » ويقال إنه أول عمدة (من الدايتاب) كساه الشيخ حامد بن أحمد ناصوتاى ثوب العمودية وقدم إليه لبنا فشرب منه ثم ناوله ثلاثة حبات من الذرة كي يذوقها . وسار بنوه على أثره كلما حضروا تولية ناظر أو عمدة من بني عامر أو الجميلاب أو الحباب أو الحماسين عملوا الطقوس التي عملها جدهم الشيخ حامد .

وفي أيام الشيخ محمد المذكور قتلت قبيلة بيت معلا أخويه أكد وعبدالله وحالهما خصوصيتهُ فضم إليه بعضا من عائلات المائلين (تجد ذلك موضحا في حماسين (بيت معلا) أيام شيخهم إيقدكل بن محمد حسال) . ومن عادة الناتاب أن يستعبدوا قاتليهم من البجه أو التوبجرى أو الحماسين[1] وأما إن كان عربيا فإنهم يقتلونه بثأرهم[2] . وأقل عدد يستعبد من أهل القاتل لا يقل

---

(١) اذكر ان احد الأبدة اصاب هاشريا في كسلا بحجر سقط عليه من قومه فاصابه اجده فقتله ، فرفع القانب هاشرى قضية ضد القاتل وطالبوا تنفيذ عادتهم هذه وايدهم الناظر السابق ادريس صالح واعترض المفتش الانجليزى والمدير المستر ردا ميرن Red fern ، ولكنهما وافقا اخيرا وقفا على ولعقة الاستعباد .

(٢) وهذا حالهم مع الهدندوة لانهم عباسيون مثلهم .

من عشرة أشخاص بأهلهم وذراريهم ، وربما استعبدوا عائلة بأكلها أو قرية برجالها ونسائها ومواشيها[1] . وسمعت من الشيخ أحمد موسى يقول إن الرجل العربي إذا قتل رجلا من الهجة أو التيجري يغرم العربي نحو عشرين من الغنم ، ولذلك نجد الدية دائما في تقسيم بين أبناء الناظر[2] والعجيلاب وبيت أستدى حباب ، وبيت ملا ، والبلو وغيرهم أمثال آل الشيخ حامد والشيخ محمد قايد .

وأمر حمد عاسري كل أصحاب البقر أن يتفرقوا في المراعي لكثرتها ، وقال إنني سأسمي القرى التي تبقى معي « دقاعاسرى » وهو اسم يطلق على المنازل الكبيرة التي لا تدخلها إلا الإبل ؛ وأما الحباب فإنهم يسمون قراهم « دق كنتيباى » وهو اسم لمنازل المزارعين لحبوب ، وتدخلها الحمر والغنم والضأن ودق حباب ليس له إلا مركزين رئيسيين يمكث في أحدهما أربعة أشهر وفي الثاني ثمانية وهو محل الزراعة .

وهو أول من لقى المصيف في خور بركة واكتفى بالمصيف في جبال « أدوبحة » و « زبخ » و « خدته » و « بادن » . هذه الحال اليوم (سنة ١٩٢٥) تابعة لحكومة إرتريا ولذلك اكتفى دقيه عاسرى بالمصيف في « عربيت » و « قفت » و « هيترايه » .

والشيخ حمد بن عاسرى هو أول عمدة سافر إلى مصنار مع الشيخ محمد

---

(١) كل مواشي الأمتلي يستلمها ديته ويتحصل منهم السمن و حوائجه .

(٢) حرمت هذه العادة مع المستر اندرو بول سنة ١٩٤٧ م مفتش بوكا منجمنا . وكان أول من وافق عمدة العجلاب اخى الشيخ محمد ضرار على

ابن عجيل ، وقتل محمد بن موسى ، والشيخ حامد حسال ، واخذوا مالك الفونج يقدمونهم ولقوا إكراما كثيراً من أشياء محبوب (وزراء الفونج) وسمع محمد هامرى جماعة يضربون على الربابة وتحرين أحدهما يقال له (سبب) والثانى «بيعاى» فطلب الأول لنفسه والثانى لجمع عجيل . فوافق الملك على إعطائهما لهما وصار هذان الوتران خاصين بهاتين القبيلتين[1] ، وسنوضح ذلك فى الأوتار وبعد أن عاد محمد هامرى إلى أهله أقام زمناً فى راحة وهدوء ، ثم توفى ودفن مع والده هامرى فى « قُمْرُتَه » سنة ١٣٤٠ (Gumroute) وخلف محمد خمسة أطفالهم : موسى قرقيم[2] ، وحامد جاميل وناصح بسعدو أكد وحسن (أمهم من أبناء عمر) وتزوج من الشكراب فرزق منها صالح وعلى بخيت ومحمود ، وتزوج من الحباب (عمر حزموز) فرزق منها جيداى ونور وأزبك .

« هامرى »

(الشيخ على مرشاى)

تولى المشيخة بيده بعد دفن والده ، ولغياب أخيه موسى قرقيم لم يجد من يعارضه ولما جاء موسى من غيبته اتفق إخوانه وأبناء عمه على طرده وعزله .

وكانت مدة حكومته قصيرة جداً . قيل إنه لم يتم العام ، وقد انضمت إلى أنساء هامرى أثناء حكومة الشيخ محمد هامرى ، وهى التى استجارت به من

---

(١) لكل قبيلة فى اقليم البجه وتر خاص بها .

(٢) أمهم من الأملندة .

تبعه قتال[1] إخوانه فضل وبويذ وموشا ومعلاويت وبخشو وكبيل وناصر وملاوئ وحامين وإندول — وحصل على باقى قبائل معلا رسوما سنوية من السمن والمرفى المرعى للمصيف وفى الأفراح وغير ذلك ، وألغيت كل هذه الرسوم بعد مارس ١٩٤٧م وبعضها ألغى فى المهدية سنة ١٣٠٠ (بعد واقعة عيت) وفيها إن والده محمد حامرى كان معاصرا لدقال على بخيت بن محمد ابن موسى وكذلك ناصر دقال أولباب ودقال حامد عوض . وفى أيامه حصل قتال حامرى وبيت معلا الأول[2] .

« حامرى »

(الشيخ موسى قرقم)

تولى العمودية بعد وفاة والده ، وهو الذى سميت باسمه قرية عد موسى ، وكانت مبارطهم كثيرة جداً ، وهى أكبر حصة فى قبيلة حامرى . وبدأ خصومته مع جيرانه المحيلاب كراهية فى عمدتها الشيخ ضرار بن عجيل ، واتخذ تكروراى بن على طالب عجيل صديقا له . وكانت بينهما مصاهرة ، وصارا خاصام موسى إلى دقل لقاء دقال وطلب منه تعيين صهره تكروراى بدلا من ضرار . وتأثر دقال بقوله[3] . وانتدب من مع الشيخ تكروراى عمودية الأبلندة[4] . فلما تولاها اشترى عليه أمر تحصيل الزكاة فتطوع خدم الشيخ ضرار واسمه « حيراى » ليطلعه على الطريقة التى كان يجبى بها المال من

---

(١) مثله أعم من عشول .

(٢) ذكرنا ذلك فى تاريخ بيت معلا .

(٣) هو دقل ادريس المشهور بلقب أولباب بن موسى .

(٤) وتطلق على المحيلاب وتوابعهم .

العربان فاطمأن له تكروراى ، ولكن حيراى خذله بقوله إن العمدة يحق له أن يأخذ ابن بقرة من كل مراح أو خمسة أقدام صموبا من كل قرية ، وهذا بخلاف الزكاة التي تورد على يد دقل وكان حيراى مستعين بستة من إخوان تكروراى في تنفيذ ذلك ، فضجت الأملندة من سوء تصرفاته لأنها لم تعتد ذلك فسافر وفد مؤلف من عشرين رجلا إلى دقه دقل تشكين من استبداد تكروراى ، فعزله دقل وورد العمودية إلى الشيخ ضرار ، فاستعاء موسى قرقم وشقيقه جاميل ، وفرح أكد ، وابسمد ، وأرسل موسى رسولا إلى دقل يتوعده بالعصيان مالم يعين مرة ثانياً وقبل الإستجابة لطلبه صع السيد على ابن الأمين حامد وهو في (القينا) وكذلك الشيخ أكد محمد وهو في « قين خشكب » قرب « تبسخ » فسار كل منهما من مكانه إلى دقه وانضم إليهما محمد قناو لعدم تنفيذ رغبه موسى قرقم ، وكان ضرار عجيل جاهر بكراهيته له ومرض موسى بحصر البول فزاره ضرار وهو يلفظ النفس الأخير ، فقال موسى : سندونى لئلا تشمت بى — فدخل عليه ضرار ، ثم خرج ، وقال : رحمة الله على موسى فاحفروا قبره فإنه لا محالة ميت قبل انقضاء النهار[1] ، ثم توفى ودفن في « قينت » وأقام بعض رجال القوشل حول قبره نحو عشرة أيام ومعه ابناه محمد وحمد نوّل . وقال لهما الشيخ ضرار اذهبا إلى أهلكما لتنظروا في لوازم مأتم . فسافرا على ظهر فرسيهما إلى القرية ، وأما ضرار فإنه اتفق مع أصحابه وولى العمودية « أبسمد » أخا المتوفى ووافق السيد على الأمين[2] على ذلك فتوفى الشيخ أبسمد عميداً للقبائل .

---

(١) توفى سنة ١٢١٨ هـ .

(٢) كان المذكور يكره تكروراى وإخوانه لأنهم ضربوا رعاة أبقار السيدة وأوجعوهم جدا وطردوا الابقار من المرعى والمياه ، فموت موسى عرفهم مثل موت كتنيباى محمد جاويد .

(الشيخ أبعمد)

تولى العمودية بعد أن نيف على السبعين عاماً، وكان له ابن أخ مشهور بالحزم يدعى أكد ونزع منه السلطة التي وليها مع كل عائلات عاسري وعربانهم. فغضب الشيخ أبسعد واستنجد بكنتيباى جاويد، وانتدب لنجدته رسولاً خاصاً. فرجع الرسول ومعه قرار كنتيباى جاويد وهو موافقته على نهب أموال ومواشي عاسري عندما يصلون في رحلتهم إلى وادي عنسبه في شهور الصيف.

فلما آن الأوان أرسل كنتيباى العصابة، فالتقت برجال عاسري ومواشيهم في بئر ماء يقال لها «فلجيت». وبعد هذه الغزوة بشهر توفي أيسعد ودفن في مكان يقال له (يقَا دَحَنْدَه) بقرب «حأذا مايو». ولما قرب موعد عودتهم من عنسبه إلى عَدُوبِنَة أرسل حُمَّد أكد عصابة إلى الحباب، فنهبت أبقاراً وجدتها في جبل «عمقر» قرب جبل أقرع وارتحلوا بها إلى عدُوبِنَّة، فاجتمعوا جميعهم بسكانة قراهم ومواشيهم. فأرسل إليهم الشيخ ضرار عجيل بأن يجتمع كل أبناء عاسري في يوم معين ومعهم مشايخ الحصص لأنه سيزورهم بمشايخ حصصه، فلما تم الاجتماع قال لهم ما معناه «أنا أقرب جار إليكم، وقد اختبرتكم جميعاً، ويهمني أمركم، وعليه اقترح عليكم أن تولوا العمودية الشيخ حُمَّد بن أكد فإنه أصلح رجل للقبيلة، وقد اتفقت مع السيد علي الأمين أن يحضر بعد يومين لكي يكسوه ثوب العمودية». فوافقوا على رأيه، وحضر السيد علي، وكسا الشيخ حمد أكد، وعملت كل شعائر العمودية. ولا زال العمودية في أحفاده إلى يومنا هذا سنة ١٣٧٩=١٩٦٠م.

وانقضت أيام أسعد ، ولم تحدث فيها أي نزاع إلا ما كان في نزع السلطة من يده لكبر سنه ، ولكن الأحكام كانت تعقد باسمه والضرائب تورد للحكومة باسمه أيضاً . وكانت الحكومة التركية بدأت في إخضاع قبائل مديرية كسلا حوالي ١٨٤٠ م ، أما الرجل الوحيد الذي كان يبذل جهوده في انتزاع العمودية من أسعد فهو محمد موسى فرقم ، وقد سافر مراراً إلى سواكن وساعده أمير الارتيقة على رفع شكواه لوالي الحجاز ، فلم يجد أي تعضيد وأخيراً طلب من الأرتيقة أن يبعثوا معه عصابات يقلق بها راحة قبيلة عامري ليضطر مشايخها لطلب الاستقالة من أسعد وتولية محمد موسى . ولكن السلطة الحقيقية بيد حمد أكد الذي قبض عليها بيد من حديد ، وتحملت القبيلة كل أذى محمد موسى بصبر . ولما توفي محمد خلفه ابنه موسى في الشكوى ، فأرسل إليه كنتيباي حداد رسولاً يخبره بأن يرضى برئاسة الحصة (حد موسى) لأن والده ترك له نحو ثلث عربان قبيلة أبناء عامري والثلث مع حمد أكد والثلث الباقي لأبناء علي ، ويقال لهم « نبرتي » . فاستاء موسى من نصيحة كنتيباي واضمر له الشر في قلبه(١) . وفي أيام أسعد كثرت المصادمات التي عامرية بين نوكر وقرورة . وولد الشيخ أسعد سنة ١١٦٠ هـ ـ ١٧٤٧ م وتوفي سنة ١٢٢٤ هـ ، وخلف أربعة أنجال هم حامد وإدريس وعلي وكلمح قيل إن قلة الأمطار اضطرت ابن أخيه (حمد أكد) أن يجمع كلمة كل قبائل عامري تحت سلطته ، وأخذ من كل مراح بقرة تسمى حاج حمد ضرار (زعيم بقر) وأخبر بذلك الشيخ أسعد محرضاً إياه بالاتصال بكنتيباي جاويد

---

(١) تتفرع من كل ثلث عدة حصص وآخر إحصاء كان سنة ١٩٤٧ م لها ثلاث عشرة حصة ، تحررت منها أربع عموديات أشهرها أبحشيلا وآل فصل «فاضلاب» وولد تمو وبارقلي (Barg lli)

إن قـكاك كي ينهب مواشي محمد هامري ، وفعلا نهبتها عصابة حبابية من جهة عنسبة .

وستمر الحباب في النهب خصوصاً من مراعي « ملحمت » وبعد هـذه الغزوة شهرين وفي أبسمد في مكان يقال له « سِجَادْ حَسِّه Sigad-Hesia »
أما حمد أكد فإنه بعد أن اشتكى من مرامي الحباب عاد إلى مدوبنة وأرسل إليهم عصابة نهبت أبقار الحباب من « عمقر » قرب جبل أفرع . وكانت الأمطار كثيرة في مدوبنة أغنتهم عن أرض الحباب .

عجز محمد بن موسى قرقم من نزع العمودية من أبسمد ، ومراراً ما حاول الاستعانة بالحباب فلم ينجح . وأخيراً أخذ عصابة من أهل نوكر وغزام ونهب إبلهم وحارب ابنه موسى محمد الشيخ حمد أكد (صهره) ولكنه لم يفلح في نزع العمودية .

« هامري »

(الشيخ حمد أكد)

ولد سنة ١١٧٤ هـ ١٧٦٠ م واستولى على المشيخة بعد وفاة عمه الشيخ أبسمد سنة ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م وتوفي سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م ، وفي أيامه حضر إلياس بك مدير كسلا بجيوشه إلى العقيق ومدوبنة بعد أن عين دقلل إبراهيم ابن دقلل محمد ناظراً على عموم قبائل بني عامر وأمر الشيخ حمد كافة القبائل أن تهرب من وجه الحكومة إلى الجبال أو جهة مصوع ، فهربوا ما عدا عائلة « بيلي » كانت مجاورة للأمقدة ، وانتدبت الحكومة العساكر كي ينهبوا كل ما يقع تحت يدهم ، وعملوا زريبة لحفظ المنهوبات فيها . وبعد شهر جاء إلى

للمورق « حلايب » ولد صغير[1] لا يزيد عمره عن خمسة عشر عاما كان يسكن مع جده (لأمه) الشيخ حامد على بخيت وهو شاهد - قال للحاكم « اعتقلونى وأطلقوا سراح المواشى لأن جدى الشيخ محمد أكد إذا سمع الخبر لا يلبث أن يحضر إليكم ويقدم ولاءه » وفعلا حضر وعبر العربية التى وضعت على قبائله وأنعمت عليه الحكومة التركية بتعيينه شيخ مشايخ الهدندوه[2] . وله من الأولاد موسى وحامد . وفى أيامه سرقت إبل محمد بن بخيت من « هطيمت »[3] بواسطة محمد موسى فرقم الذى قتل فى إحدى سفرياته إلى كسلا بواسطة عصابة من الهدندوة ، كما قتل الابن الشيخ على بخيت بن إدريس شيخ جوزتى وعشرين من أصحابه ، وأخذت منهم الجمال التى كانت معهم لحمل الذرة من جهة همبول فى مكان يسمى « حبوب ود جفيرا » ، فأرسل دقلل إبراهيم من قبض على المجرمين وسلمهم للشيخ محمد أكد الذى سجنهم حتى ماتوا .

وفى إحدى السنين أغارت عصابة من عد عمر على قرى جوزتى وهدو دار يسكنون « همشكب » ، فوصلت العصابة ليلا وكان أحد أفرادها[4] قد دخل إلى حجرة شيخ هذه القرى المدعو حامد بن إدريس وقال له : « هل لك أن تحكم على بالحقة أخذ منها سفة » فعرف حامد صوته فناولها له وسأله « هل وصلت عصابتكم فرد عليه « ستصبح بكم » وذهب بالحقة . فقام الشيخ إدريس

---

(1) هو المرحوم الشيخ أكد موسى الذى نقلت عنه أكثر تاريخ هاسرى وغيرهم من الطبقات .

(2) زال هذا اللقب من حفيده بسبب أخطاء حامد عثمان أكد فى أثناء تموين الأغذية سنة ١٩٤٧ م .

(3) من هذا المكان نهب الراس الولا ابقار والدى وقتل رعاتها .

(4) يقال له مكاد أى مولع بشرب التمباك .

ونادى في أهله بالاستعداد للقاء العدو . ودارت بينهما المعركة وقتل فيها ثلاثة من نايقاب أبناء عمر[1] ، فانهزموا ، ولكنهم بعد زمن استأنفوا القتال ونهبوا أبقار هاسري من « عذارت » وقتلوا أصحابها على إدريس جاميل وابراهيم إدريس أكد إبراهيم وإدريس عثى ، وأكد نصور . فاستاء الشيخ محمد أكد من عد عمر وأرسل إليهم عصابة حيث كانوا في جبل « دبر » وقتلوا منهم « على فل » وأربعة آخرين

واستأنف عد عمر ثار قتلاهم وغزوا قرى « أتيمنحا » واستاقوا أبقار عد هاسرى ، فتعقبتهم نجدة بقيادة محمد ياقين وأخيه أحمد وامبوريت طارقيل فاستردوا بعض الأبقار[2] . وأسف الشيخ محمد على موتهم .

« واقعة عيترية »

لما سمعت بعض القبائل[3] بتعسف إلياس بك وسليمان على طالب العصابات القالمة لراحة القبائل الآمنة رحلوا من حول توكر ومصدام إلى عيترية وعيت وقرورة ـ فدعا الشيخ شيك بن عجيل (وكيل عموم الأفلندة) زعماء القبائل إليه واستشارهم في الخطة التي يجب عملها . فأجابوه « إننا لا نخالف رأيك » . فقال أرى أن يرحل الأرتيقة والسكيلاب إلى عيت حيث الجبال والغابات ، والحسناب إلى دحيب ، والأفلندة إلى قرى عيدها في قرورة . فرفض اقتراحه الأفلندة والحسناب خصوصا أخواه سجاى وعامر ، فلما سمعوا

---

(١) كانوا مع العصابة .

(٢) ولكن بعد أن قتلهم عد عمر ، وهؤلاء الثلاثة كانوا يكرهون العصابات خصوصا الأول فانه من بقايا بيت محيلاى الذين أبادهم الشيخ عجيل بن على .

(٣) وهي الأرتيقة والأفلندة والحسناب والسكيلاب .

بدنو الجيش من عدارت[١] تهيبوا خطأهم ، فقالوا لشيخهم إن العدو على الأبواب ومعه الرصاص ، فنحن نريد أن نعمل برأيك . فقال لهم معاذ الله أن نهرب بعد أن وصل العدو عدارت وسأموت أنا بين أخوالي أبناء ألاُوت Alalout ؛ وسيذهب الحطاب ضحايا الحروب هم والاغلندة بسبب حجاي وعامر[٢] . وبلغت قبيلة عامري سطوتها وثروتها في أيام هذا السيد ، وقسم كثيرا من العربان بين أقاربه ، واحتفظ لنفسه بالسهم الراجح ، فتألفت من العودية القصص الآتية :

---

(١) المسافة بين عدرات وعيترية هي عشرون ميلا .

(٢) عند أول صدام بين الجيش والاغلندة هربا الى قرورة ومعهما شرذمة ممن حالفهما .

٥ عامرى : (الشيخ محمد أكد وخلفه)

عدد	اسم مرسى الحصة	اسم شيخ الحصة
١	عد محمد	محمد إدريس أكد موسى
٢	عد موسى زرتيم	على إدريس أكد محمد
٣	عد بزعى	محمد على حامد
٤	عد يوسف	حامد أحمد
٥	عد عامرى آكد	محمد إدريس آكد عامرى
٦	عد حاميل	عبدالله محمد عبدالله جامبيل
٧	عد ود حامد	محمود حامد أبو سيده
٨	عد حسن (مدوى)	محمد حامد عوض
٩	عد إبراهيم حامد ورار	صالح إدريس أكد
١٠	عد محمد حامد ورار	محمد محمد محمد
١١	عد سى	محمد أكد نصور
١٢	عد بلع شبل [1] (Chapal)	محمد على بلع شبل
١٣	عد حامد عوض	سليمان محمد حامد
١٤	عد عبدالله	إدريس آدم عبدالله
١٥	عد محمد نول	أكد محمد موسى
١٦	عد على محيت	حسب محمد محمد سكاك
١٧	عد على عامرى	محمود محمد شيك
١٨	عد حامد إدريس	محمود سعيد
١٩	عد على	محمد على شريف

(١) بالع التراب .

وكل هؤلاء مقيمون بالسودان . أما : إدقريا فتوحد من أبناء هاسرى ثلاث عمديات تحت اسم العمدة (شرم) وإدريس محمد بدوى وفى اجتماع أم سكبان غرب الفقيق يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٤٧ حضره مدير كسلا المستر هانكوك Mr Hencock والمفتش المستر أندرو بول Mr Anerw Pnul وحضور الناظر (الشيخ إبراهيم محمد عثمان دقال وكل عمد بنى عامر وكانوا ثلاثة الشيخ محمد ضرار على ، والشيخ محمد إدريس ، كد موسى محمد ، وأخيه وكيل الناظر (1) حامد عثمان . كد فى المدير ، أنا منحت كل العربان الذين تحت عموديتى المجيلاب وسلايتاب كامل حقوقهم فى الحرية الشخصية ، وسمحت لكل عائلة أن تنضم إلى أصولها فقال الناظر : إن الشيخ محمد إدريس هو رئيس أكبر قبيلة وأكثرهم جزية فلا بأس من أخذ رأيه فلما سئل قال إننى لا أوافق على تحرير العربان من سلطتى . ثم سئل بعده عمدة الأوامتة (الشيخ محمد ضرار) فقال : أنا أوافق على التحرير ، وقد منحتهم كل حقوقهم منذ خمس سنوات . فقال الشيخ محمد إدريس إن هؤلاء العربان لم يخضعوا لسلطتنا إلا بعد أن قتلوا آباءنا وأجدادنا ، وأخذناهم بدلا من أن نقتص منهم . ومحمد ضرار وافق لأنهم لم يقتلوا أحدا من أجداده . ورد عليه الأخير : بأن الموضوع انتهى بموافقة المدير على التحرير فكلام المايزاب لا يفيد لأن العرب كالبنزين والسيادة التى يدعيها محمد هى مثل العربة التى فقدت البنزين . وصفق الحاضرون وتألفت خمس عشرة عمودية من العموديتين

---

(1) هذا الوكيل أقيل فى ديسمبر ١٩٤٧ لتلاعبه فى ملابس تموين القبيلة بسبب شكوى الشيخ محمد على محمد عمر اسعد .

ورفض أفراد عامرى دفع أى مال ضريبة على أموالهم وحملوا «الدقنية»[1] مفضلين أن ليست لهم مواشى (أنظر تقارير مدير كسلا المستر همفرى (Humphry) قبل سنة ١٩٤٧م كما خرجت قبائل الحباب بالسودان[2] وارتريا من رئاسة آل كنتيباى، وكذلك بنى عامر خور بركة. وأصبح دقلل لا يرأس إلا أهله النابتاب. وتألفت من قبائل إرتريا عدة نظارات[3]. أما قبائل الحباب الثلاثة التى كانت تابعة لكنتيباى حسين محمود (وهى رقبات وأسفدة وألمدة) فقد انضمت لنظارة بنى عامر لسوء معاملة الأول لهم. وقد صب رؤساء المتحررين جام غضبهم على آل ضرار العجيلاب ولكن رضاء الآخرين يكفينا:

«إذا رضيت على كرام عشيرتى
فلا زال غضبانا على لئامها»

ولقد طفت شرقى إرتريا والسودان والصومال بسبب هذا التحرير، ولقيت منهم إكراما واحتراما وعطفاً لا حدّ له أينما حلت ركابى، ولن يضير فى غضب أى ظالم مادمت أنا على حق ولو سمعوا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما غضبوا «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

ونحن ذكرنا التحرير هنا لأن الاستعباد بلغ ذروته فى عهد هذا العمدة ومعاصريه، ولاقى فى أيامه مصاعب كثيرة بن موسى محمد موسى (صهره)

---

(١) وهى تحصيل ريال من كل رجل بالغ.

(٢) وتحررت ألمدة واخوانها من آل الشيخ حامد ومن آل محمد فـــك [illegible].

(٣) فى جيبوتية الفرنسية سبع عشرة نظارة ومثلها فى صومالية كرن والصومالية

وأخيراً كد محمد فيد عزيا الحباب بمصابات انتقاما لأبلهم التي نهبها الحباب بقيادة إدريس محمد همد فكاك المشهور بولد ملهيت Malheet ، فأدرك موسى وأكد العصابة فبدر أموسى ولد ملهيت وضربه على ساقه بالسيف فكسرها ، فاتكأ موسى على رجليه الثانية وضرب إدريس على ساقه فقطعها ، ورمى أكد بقطعة حجارة كسرت فخذه من الأعلى ، وعاد كل من الفريقين إلى أهله بجرحاه إلا أن إبل موسى لم تعد . وبعد عام استنفر موسى محمد عصابات من توكر على ظهور الجياد وغزا الحباب حتى بلغوا (قادو) شرق أفرع فوجدوا إبل أبناء كنتيباي جاويد فكاك ، فنهبوها حتى بلغوا (قادو) شرق أفرع فوجدوا إبل أبناء كنتيباي جاويد فكاك ، فنهبوها حتى بلغوا أعدويه وإذا بكنتيباي محمد جاويد يلحقهم على فرسه التي أدركها التعب والإعياء ، فوقفت بأعلى دبة (سميت دبة ولد جاويد) ، فنزل عنها وأركبها وقتلها . وجاء محمد عالياي الحبابي (خبير العصابة) وهو أخبر أهل زمانه بأراضي ومراعي أهله الحباب[1] ، ووضع بجواره جرابا مملوءاً بالطعم وقربتين من المياه . فقال له كنتيباي اقترب مني يا محمد وأعطني أخبار من معك . فأجابه لو لم تكن بيدك « دمان »[2] ، لطلت عليك . ثم أطلق لفرسه العنان ، وأدرك أصحابه . فلما وصلوا توكر اقتسموا الإبل . وذكر الشيخ موسى محمد في شعره[3] هذه الغزوة ، ووصف الحلات وصفا دقيقا خصوصاً ما عانوه من الأتعاب في عودتهم ، ولم يسلم من

---

(1) أخذت كثيرا من هذه الحوادث عن ابنه ادريس محمد عالياي وقد أدركته وهو ابن ثمانين عاما .

(2) سيفه وهو حاد ومسموم .

(3) هو شاعر مهول وكذلك ابنه على جنب ، وهما لايملان في بلاغتهما الشعرية عن أبناء شيك من عجيلة .

شمره وتهديده صهره الشيخ محمد أكد وبسبب العمودية التي انتزعها أبسه ثم محمد أكد .

وكانت العداوة مستحكمة بين دقلل إبراهيم إدريس (أولْباب) وترحيم[1] ابن دقلل محمد . وكان الشيخ محمد أكد صديقا للأول ورفض الإعتراف بغير نظارة صديقه[2] وفي أيام محمد خضعت بقية بني عامر للحكم التركي ، وعادت إلى العقيق سنة ١٨٤٩ وقوة من جيش كسلا ومعها محمد بك محمد إيلة ، ودقلل إبراهيم محمد ، والسيد محمد إيلة أبو بكر ، وموسى محمد مرسي[3] ، والسيد الأمين علي الأمين وفرقة من العساكر لتحصيل الضريبة ، فرفض محمد ، وتوفي قبل مجيئهم بشمر الشيخ ضرار بن عجيل واشتغل بنوه بالمأتم ، ولم يعد دقلل إبراهيم من يقابله ، فعاد إلى أغردت (هواشايت) وأكرمهم الشيخ محمد شنقب بمائة وهو من عد تيوس حباب — فسأله دقلل ماذا تطلب ، فقال أن تولي صهري سكاك بن شيك على الألمدة بدلا من نور الدين ضرار . ولاه ولكن الألمدة وجيرانهم أبوا الإعتراف بسلطته .

يعول كتبياي إن اتفاق الألمدة والنابتاب ضد مصلحة كل القبائل المجاورة لهما ، فتجد العصابات الصادرة الواردة من الحباب تمر بقراهم ومنازلهم ، فإذا أطلعوا لنا حرنا وإلا فلن تهدأ حالة قبائلنا .

وعسف دقلل في أهله ثما محمد إيلة أبو بكر وموسى محمد مسارا مع فرقة

---

(١) اتولى النظارة بعد الأول .

(٢) وشحنا ذلك في دقلل ابراهيم ادريس اولباب .

(٣) كان يؤمل ان يوليه دقلل على ابنساء عاشري .

الجيش إلى كسلا ، ثم أرسلهما محمد بك إيلا الحلنقى بعد أن زاد قوة الجيش لإخضاع الهدندوة. فعلم الأخيرون بعرضهم فهجموا عليهم ليلاً في العش وهم نيام، فأوقعوا بهم القتل والطعن والذبح بالخناجر حتى أصيبوا بشلل فزيع إذ كان أكثرهم يطعن أخاه الجندي بالسيف ويطلق عليه الرصاص ، فيبيدوا أنفسهم بأيديهم فى ذلك الظلام الحالك

وانضم إلى الشيخ محمد أكد فإنه تهدد مشايخ عد عمر وأوصل إليهم عصابة وكذلك فعل أبناء عمر ونهبت كل عصابة من مواشي خصومهم

واتهم محمد بن محمد بلا[1] الشيخ محمد أكد بأنه يوقع خلافات بينه وبين أبناء عمه . وبعد مضى عامين عاد دقلل إبراهيم ثانياً لتحصيل الضرائب ، ونصب خيامه فى خلاليب فلم يحضر إليه الشيخ محمد أكد ، فبعد أولوا الرسل ، وسئل محمد أكد عن أسباب استقالته ، فقال إن دقلل إبراهيم ومحمد بك إيلا كانا يطوفان ومعهما موسى محمد رقم ومريانه بتولى عمودية عد هاسركى ؛ وأنه ولى على الأفلندة نسكاك بن شيك عجيل مع أن أبناء صرار عجيل كانوا موجودين وأحق بها منه ، فتضامنت وإياهم على عدم دفع الضريبة أو مقابلة دقلل ، ورفض الأخير الصلح ، ولكن المأمور الذى كان مع دقلل تدخل فى الموضوع وقال يجب أن يعمل انتخاب عمدة الأفلندة لجميع رجال القبيلة ، فرضوا جميعهم ذلك ، وفاز الشيخ نور الدين صرار بالرئاسة[2] ، وعزل نسكاك بعد أن تولاها ثلاث سنوات ، وسمى الشيخ محمد أكد بشيخ الندوب وأمنى أيضا

---

(١) هو الشيخ إدريس حامد إيتكلا .

(٢) أقام فيها سبع سنوات ثم توفى وخلفه عليها أخوه الشيخ على بن صرار .

بشيوخ المشايخ . وبعد هـــذا الصلح توفى حاج محمد صوار (ماعلايب) وحضر أبناؤه آدم وحامد شيوك ومعهما على بخيت إدريس هاسرى إلى دبه دنقل لشراء دوة وحمور (بروش وتسمى بالبجاوى تسكابيب) ، وفى عودتهم هاجمتهم عصابة من ليت (بجه) وسقمت وقتلتهم واحدث كل ما كان معهم ، وسمع دنقل إبراهيم محمد الخبر فأرسل فى طلب مشايخ الجرميين وعاقبهم عقاباً صارماً .

وتوفى الشيخ محمد أكد (على حسب رواية محمد أكد قصور) سنة ١٢٧٤هـ ١٨٥٧م .

« هاسرى »

(الشيخ موسى محمد)

تولى الشيخ موسى[١] . عمودية أبناء هاسرى بعد وفاة والده وحضر تولية السيد محمد بن على ، وقال لرجال القبيلة « جعله الله عمدة مباركا ميمونا على جميع القبائل » وبعد زمن قصير جاءت الأخبار من دبه دنقل بوفاة دنقل إبراهيم فسافر الشيخ موسى ومعه عمدة الأمائدة الشيخ نور الدين ضرار لتقديم التعازى بناء على دعوة وصلتهما من الشيخ[٢] حامد محمد إذ حدث خلاف بينهم (أى عائلة النظارة) على من سيخلف دنقل إبراهيم من النائب فقال الشيخ حامد للحاضرين فى الإجتماع « إن هؤلاء العمد والمشايخ جميعهم أبناء عمومة ، وكلهم يطمعون فى النظارة ، ولكن فى القتوب محمدان نرشحهما

---

(١) ولد سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م .

(٢) لم يكن قد تعين ناظرا على بنى عامر .

وبيدهما سلطة قبليتين كبيرتين أرسلت في طلبهما ليؤديا الشهادة النزيهة ثم يختارا من يشاءان للنظارة ومن أحق بها مني ومن يخالفني في الرأي . وقد أمر مدير كسلا بانتظاره . فلما وصلا قالا : لا نؤدي ضريبة لأي ناظر غير الشيخ حامد محمد . فنفذ المدير رغبتهما وعين دقلل حامد بك محمد ناظرا على كل قبائل بني عامر . فعاد العمدتان إلى أهلهما وقبيلتهما

في هذه السنة قتل رجل حبابي فرس الشيخ موسى محمد وهي حامل . فأرسل إليه كنتيباي إدريس بن هداد رسولا يعتذر له عن إساءة الحباب ويطلب حضور موسى إليهم ليدفع له قيمة الفرس حفظا لمودتهم . فحضر الشيخ موسى لاستلام القيمة فأعطاه أبقارا . ولما أظلم الليل جاء إلى موسى أحدهم (علي نور أدماني) وقال له إن العساكر وضباطها حضروا خلفك في قبيلتك وأخذوا إبلك إكراهية رهينة واتهموك بالهروب منهم — وأما كنتيباي أداد فقد صار يتهكم عليك بأشعاره التي ينشدها أمام خادمك عمر بن عافه ابن واق وحامد شريوب . فلما أصبح الصباح قام موسى غاضبا وامتطى صهوة جواده وودع كنتيباي ورحل عن الحباب وفي نفسه أشياء مما حدث له منهم . فقابل دقلل حامد في عدارت وتلاليب وعدوبنه [1] . وأمر كل القبائل أن تجتمع في المحلات السابقة ، وكانت العساكر قد توزعت في القرى لتحصيل الضريبة واستاقت بعضاً من الإبل والبقر . ولكن بعد حضور الشيخ موسى ردوها إلى أصحابها ودفع الضريبة المطلوبة منه وكذلك فعلت قبائل الحسين وسائر عموديات الفايدب (عد عمر وأبرهيم) . ولكن الأطلقة رفضت الدفع ورحلت إلى ممنوع ومعها

(1) كان دقلل حامد ساكنا مع هاسري قبل ولايته حيث كان زوجا لأخت الشيخ موسى محمد .

وبعض من عاسري . فتمم دقلل العساكر من تقديم مأقامسوا عدماً كاملا ، ثم دارت المكاتبات بين مديرية التاكا ومحافظة مصوع على اعفائهم من الضريبة عن سنتين . وطيلة مدة وجود دقلل مع موسى كان جاسوس كنتباى إدريس موجوداً بينهم ويسمع ما يحدث أو يدور فى ذلك الإجتماع لأنه كان يخشى من الشيخ موسى أن يغزوا الحباب بقوة من العساكر تضعهم لاتباع نظارة دقلل ومديرية التاكا بدلا من محافظة مصوع (تحت نظارة بريب) التى كانت تمنع عنهم قبائل من الصويبه . ولما أراد دقلل العودة طلب منه الشيخ موسى أن يترك معه فرقة صغيرة من العساكر كى يعزو بها جيرانه من الحباب[1]. فسمح له بذلك بشرط أن تكون الحباب تابعة لدقلل كسلا ، ويصبحوا عموديب بدلا من النظارة[2] ، وقاد الشيخ موسى الفرقة إلى دق حباب الذين بلغهم خبر تحركه إليهم فرحلوا بمواشيهم وأموالهم وتركوا المنازل خاوية على عروشها ولم يجد الجيش شيئاً فأحرق المنازل .

وفى هذه الواقعة أنشدت شاميت بنت أدرى[3] ، تمدح بنى عامر وتعير الحباب بالهروب ، ولكن رد عليها محمد شيك بن عجيل مدافعا عن الحباب ، عادت العساكر إلى معسكرانها وحلت بدقلل حامد فى حوشايت وانقسم الحباب إلى حزبين كبيرين بعد عودة العساكر منهم[4] ، فاستنجد إدريس

---

(1) علم الشيخ موسى بمحل جاسوس كنتباى فقبض عليه وكبله بالحديد .

(2) كل من يدفع مائة وخمسين جنيها فما فوق يعتبر عمودية ، وكل من يدفع العين جنيه له حق النظارة .

(3) هى جارية محمد عمر .

(4) كل محمد كنتباى اداد اخوانه ادريس وعجيل وعلى وابن اخيه محمد حسين عداد .

عداد و عزبه بأعطاء عامرى و كنتيباى ماقبل حامد ولكنه لم ينجح ، بخلاف عامرى الذين جاروا مع إدريس لإضعاف قوة الحباب والتقت الجموع كلها فى واقعة « تقب »[1] .

وفى أيام الشيخ موسى انتشر الجدرى فى بنى عامر والحباب ، وأصيب به العمدة المذكور ثم شفى منه وتوفى به ستة من أقاربه وهم من خيار رجالهم وعقلائهم ، وسلمت منه الأسفدة لأنها طلبت طبيبا من سواكن لتطعيم أفرادها .

وحدث خلاف بين الشيخ على ضرار (عميد الأسفدة) ورجل من عامرى اسمه « أبو سعيدة محمود » عن عرق اسمه « محمد أحمد داين » من عائلة أمور أسفدة وكثر النزاع بينهما وأقسم الثانى بأن محمد أحمد من عربانه وتألفت منهم قرية « بردو » .

وتوفى الشيخ موسى محمد سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧١م فى مقابر « حتمتا » بجوار السيد حامد لأمين حامد ، وله من الأولاد الشيخ أكد موسى محمد وإدريس آدم ومحمد وحامد وللجميع عقب طيب ، واشتهر بكراهيته للحباب خصوصا كنتيباى إداد وكان بين ولديهما (أكد ومحمد إداد) صداقة متينة تولى بعد وفاة والده وحضر توليته الشيخ الكبير السيد محمد عثمان تاج السر ، والسيد محمد عثمان بن الشيخ محمد بن على ، وكساه الثانى ثوبا عقب التولية وأما الأول فكساه جبة وعمامة ومجازية من أفخر نوع[2] .

---

(1) تجد ذلك مفصلا فى الحباب .

(2) كانت التولية فى هماقت G gall

وأشهر ماحدث في أيامه هو قتال قبيلته (هاسري) وبيت العلا وقد فصلناه في تاريخ الأخيرة بقبائل الحاسين . واشترك الشيخ أ كد في حوادث المهدية وبايع الأمير عثمان دقنه ، ولقي من جميع الدقناب عناية الإكرام بما بينهما من صلة النسب[1] ، وسافر إلى أم درمان سنة ١٨٨٨ م[2] لمقابلة الخليفة فتبعه من أقاربه صالح محمد لباب ومحمد شيك هلّيق ، فأقام بالبقعة نحو أربعة أشهر ، ثم أرسل الأمير عثمان دقنه في طلبه بإلحاح شديد ، وذكر له أن بني عامر على وشك نقض البيعة إذا لم يعد زعيمهم . فعاد مع أصحابه ومعه يعقوب حامد عوض ، ومحمد عمر كسولاى ، وعبد الله نصرود (من عد عمر) . وفي مدة غياب الشيخ أ كد بأمدرمان حدث قتال جبل عجرو ونهبت أ كثر أموال ومواشي بيت معلا[3] وأقام بعد عودته هادئا حتى كانت أيام الأمير محمد عثمان أبو قرجه الذي أصدره أمره لرحيل الشيخ أ كد وقبيلته إلى مديرية توكر فلا يهرب منه إلى ارتريا[4] ، بسبب مجاعة سنة ١٣٠٦هـ ، فامتثل لأمره وقبل تنفيذه . وحدث بين الأميرين (دقنه وأبو قرجه) خلاف اختل فيه نظام السياسة والحرب ، فانتهز الشيخ أ كد هذه الفرصة وهرب بقبيلته إلى نقفه بعد أن قاسوا أتعاباً

---

(١) كان محمد مول بن علي بك دقنه متزوجا بابنة عم الشيخ اكد .

(٢) قتل ابن احد اشراف بيت معلا وشي به عند الخليفة عبد الله بأنه رجل خطر جدا فاذا لم يعتقل او يعتقل لاتبايعه بني عامر وربما يثور على عامله بالشرق اخذا بثأر معلا علي بحيت بك في سيدرات سنة ١٨٨٥ م .

(٣) كانت هذه الواقعة بامر من كنتيباى حامد وقيادة اخيه همد كنتيباى؛ وكانت اكبر واخر واقعة كسرت فيها بيت معلا اذ استعمل فيها الرصاص من جنود كنساى والرشايدة .

(٤) بدأت القبائل البني عامرية في التسلل الى ارتريا حيث وجدوا عملا متواصلا من الطليان .

كثيرة لبعد المسافات ووعورة للمسالك التى ساروا فيها ليكونوا بعيدين عن عيون المتمردات والرقباء . وأما الشيخ أكد محمد (ابن عمه) فلم يتمكن من مبارحة عدوبنة .

ثم عاد الشيخ أكد بأهله سنة ١٨٩٦م بعد أن نقل الأمير عثمان دقنه[1] رئاسة قواته من مركزه أدار أمه Adarama بنهر عطبرة ، فوجد أبناء عامرى الشيخ إدريس دقلل حامد قد عين ناظرا على بنى عامر السودان واتخذ العتيق مقرا لاقامته . وسافر الناظر والشيخان ضرار على ضرار وأكد موسى محمد إلى سواكن وقابلا محافظها « هولد اسمث باشا » ، فأنعم عليهم بملابس وكساوى شرف وهدايا جمة وملأ لهم سفينة من المأكولات كالسمن والأرز والبن والعجوة والذرة ، فعادوا إلى العتيق واقتسموا ما أحضروه من أموال المستعمر الجديد . وفى سنة ١٨٩٩م توفى إدريس أكد موسى[2] بالجدرى ، وتوفى بعده أخوه عثمان أكد سنة ١٩١٠م وأما أخوهما الأكبر (محمد) فقد قتلته بيت معلا فى أول واقعة سنة ١٣٠٠هـ . وكان الشيخ أكد موفقا فى كل حوادث الشر ودائما يسعى لجمل العصابات تلتف حوله فيبعث منها لكل من يغضبه أو يكرمه ، كما اشتهر بالوفاء والمحافظة على العهد .

ومن محاسنه إجارة المستجير به مهما كلفه الأمر . وسألته مرة لماذا لم

---

(1) أرسل الأمير سنة ١٨٦٠ م الى كل من حلى باريريا من قبائل بنى عامر كى يعودوا الى ديارهم وانه عفا عن كل ما سلف . وعاد جمع عامرى الاقندة برئاسة الشيخ ضرار بن على قد اقتتلوا مع الحبشة ثم ركبوا سفنهم بحرا الى جزيرة ابن عباس ومعهم بعض من الخيول .

(2) والد العمدة الحالى .

وصل هو ووالدى مندوبا إلى الأمير عثمان دقنة فى أورتة بالجيلاب الترحيله لحدة تعال لى حاجتنا تمليات من مشايخ توكر ومندوب من الشيخ أبو بكر الأمين الجيلانى (حمل حامد لك سليمان) بأن نسد أنا ووالدى السنبوك فى ميناء خميس وكراى . فوجدناه وفى حرس إبراهيم عروض فى انتظاره . ونجاة لى القبض على والدى وسنبوكه ، ثم اعتقلت أنا بعده فى سنة ١٩٠٠م.

قال الشيخ أكد كنت أجير زعماء العصابات الذى أقلقوا راحة إرتريا والسودان أمثال إدريس بشير وأبو بكر قاه وغيرهم ، وكنت عن الشاع مطوف مع البوليس والحكام فى الجبال بحثا عنهم . وكثيرا وردنا مهلا أرسلها إليهم ليختفوا وقيادتنا كانت إذا عزمت على شئ يسبق سمعها تسابق فى الوقاية . وربما ظن الأمير عثمان دقنه أنى لا أحبه لأنه أقلل على عميت بك الذى كانت الخصومة بينى وبينه مشتدة (١) .

ويلتف حول الشيخ أكد موسى كثيرون من الشعراء يمدحونه ويثنون على أعماله مع خصومه ، فكان شاعره محمد بيت معلا الشيخ محمد من كنتيباى اداد ، وضد نابتات خور بركة ابن درو باى قائد يحمل الأفضلية انا بجانب العقرب (المقيق) ، والثالث هو أكد دولى من عد عمر . ولكل من هؤلاء خصم عنيد ، فمثلا أبو بكر طراى خزنزوآى من بيت معلا كال له الهجاء

(١) كان الخلاف بينهما بسبب قتال أبناء عمر وأبرهيم فالأخيرون من أقارب دقلل على بخيت والاول أبناء عم الشيخ أكد موسى «عاسرى» . ونجد نابتات خور بركة لاتعترف لنابتاب القتوب بأى زعامة عليها ، ومثل ذلك فى عد عمر ، وكل اشعار هؤلاء محفوظة بردودها لدينا كاملة .

أصابانا والدم زعافا ، واجرى للأجور الشيخ سكوش ن موسى من رؤساء بيت معشو كان مجيرة لاذعاو مسيئا لمايه .

كانت شكوى الشيخ أ كد ووالدى مرة جدا من الحديد الثقيل الذى كبلا به مع الشيخ أبوبكر والرئيسين معها[1] (إبراهيم عروض ومقى أبو فاطمة) .

وفى سنة ١٩٠٣م جىء بجميع مشايخ بنى عامر إلى سواكن ، ووضعوا فى السجن لأنهم عجزوا عن القبض على أبو بكر قام . وبعد شهر كعواين رئيس العصابة المذكور مات بسمة نعبان ، فأطلق سراحهم . ويحتفظ الشيخ أكد موسى بسيف جميل وصل إلى أجداده من أحد بقايا ملوك البجة[2] (بلو) ، أما الكتابة التى على السيف فهى من عمل السيد حامد الأمين . ولدى أبناء عامرى سيوف جيدة مثل الذى عند الشيخ مَنّى حامد (نقس) وآخر عند الشيخ إدريس أكد محمد شيخ (الأول من بزكتى والثانى عند موسى) ورابع عند محمد أوكل .

وتوفى الشيخ أكد موسى سنة ١٩٤٩م بعد أن نيف على المائة عام ، وبوفاته انتهت هيبة العنصر النابتابى فى سهول وجبال البحر الأحمر إذ انتشرت الحرية الشخصية ثم القبلية ، كما ذهب العيب الحسى . وقد ذكر المستر

---

(١) بقوا فى السجن حتى اوائل فبراير سنة ١٩٠١م اذ سافر الامير عثمان دقنه الى مصر منحوتا .

(٢) واول من نال السيف هو الشيخ محمد عامرى حمد واتصل منه الى حامد محمد . ولكن اخذوه منه وسلموه للشيخ موسى قرقم ؛ ومنه انتقل الى الشيخ محمد اكد .

ويتشاور هل تتفق من حياته الحافلة بالخير والشر عندما تمس كرامته وهيبته — وفي مجالس القبائل دائما قوله هو الفصل — ويظن الكثيرون أنه حضر واقعة جمر وما قرب منها مع أنه لو حضرها لما كان هناك إسراف في القتل الذى أتاه محمد عمر أبسمد وأبناء عمومته (١)

« عامرى »

(الشيخ محمد إدريس أكد)

تولى العمودية على عموم قبائل عامرى بعد وفاة جده أكد سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩١٩م وقد كساه السيد نافع أبو بكر والسيد محمود إبراهيم ومما امتاز به الشيخ محمد أنه حل ولايته مع عشيرته من أى عمل مشين أو تعد على جيرانه من القبائل بخلاف ما كان في عصر جده ولم يحدث في أيامه إلا خلافه مع ناظر بنى عامر (الشيخ إدريس صالح) طوال مدة نظارته ، ولم تتقدم قبائل بنى عامر في أيامها أى خطوة ، بل تزداد الهوة دائما بينهما ، وصار ما حاول نزع العمودية من آل محمد أكد وإعادتها إلى آل موسى ترقم ، ولكن الأخيرين أظهروا زهدهم في توليتها . وقيل إن المأمور المؤرخ أحمد حسن حسين باشا خليفة السيادى كاد أن ينجح في تنفيذ هذه الرغبة سنة ١٩٢٥ (٢) وكلما جاء حاكم لبنى عامر يجد التراشق بالتهم وعدم التعاون ظاهراً إلا دفع الضريبة .

---

(١) كان حوله علماء أتقياء من السادة آل نافع ابوبكر ، ومحمود ابراهيم وبعلك محمد بن علي وحسن حيوتاى وحاج أحمد ولقولته محمد وعبد الصمد الذين نشروا الدين في أبناء عامرى .

(٢) كان يتمنى تولية ادريس منتاى محمد موسى .

فلما استقال الشيخ إدريس سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م خلفه الشيخ إبراهيم محمد عثمان (الناظر الحالي) وبذلك اصبحت قبائل بني عامر عصراً جديداً وانتهت كل الحزازات

وعين العلامة المستشرق المستر كرلوس ألكزندرلي Curloss Alexander en مفتشاً لبني عامر سنة ١٩٣٩م واهتم المشايخ وأعالمهم وقد لمس بنفسه اضطهاد النابتاب والعصلاب والحباب للعربان فدرس اللغة التيجرية عهيداً لإزالة هذا الحيف الصارم(١) .

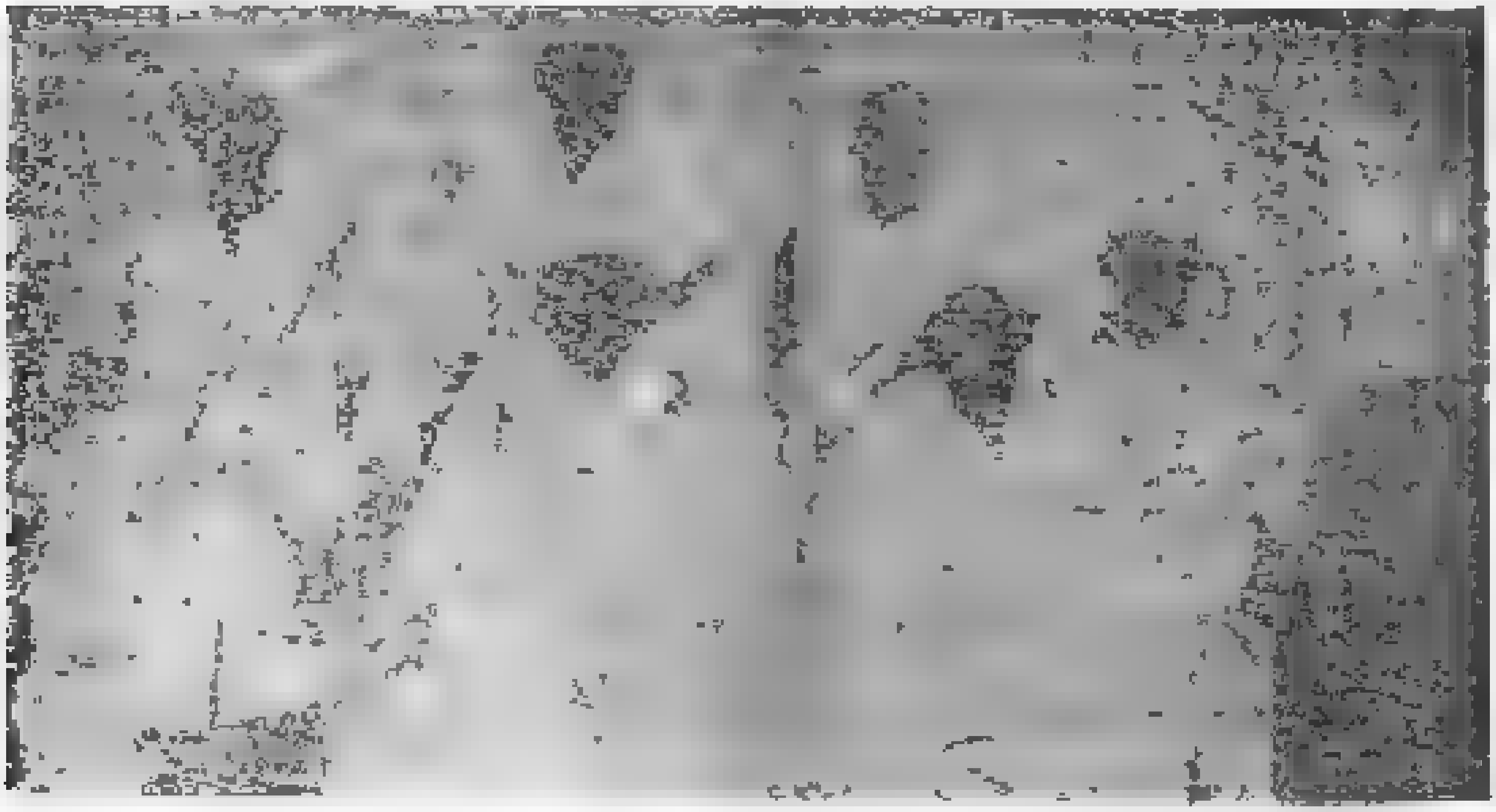

١ ـ القاسم صالح ضرار

٢ ـ محمد علي بلم

٣ ـ الشيخ محمد إدريس أ كد عدة عامري

---

(١) قتلى عليه في سنة ١٩٤٧م .

ولو وافق الشيخ محمد إدريس على حرية القول لاحتفظ بمركزه الأدبي وبمواليه الكثيرة من القاجاب الأصلية . ولكنه إلى اليوم متوسع آراءه متمشيًا به القرن يرون في دفع ضريبة أو عوائد أو رسوم قطعان حطة في قدرهم – بل بعض من حوله يحلمون بعودة العربان إلى سيطرتهم بعد أن تحرروا منهم . وسألني أحدهم عن موعد عودة تلك الأيام ، فقلت له إنها لن تعود ما لم يعد اللبن المحلوب من الضرع إلى ضرعه (أي محال)[1] .

وحدث نزاع على وكالة نظارة بني عامر بين كريبي حامد عثمان أكد (وكان يؤيده الشيخ الحسن أبو الحسن) والشيخ محمد علي محمد أبو سعد (كان ينصره مفتش بورتسودان ومفتش الزراعة) فولي الأول ثم عزل لاستيلائه على تموين القبائل وشهد عليه الثاني فخلفه على الوكالة .

وفي أثناء مأموري المقيمين بمديرية مصر على تواتر الأيام منهم موسى إدريس آدم ومحمد مرسي بدوي أحمد ومحمد أكد نصور وصالح حامد شيكاي ومحمد إدريس أكد محمد ومحمد الحسن محمود ومحمد عثمان وإدريس صالح أكد وإدريس أكد إبراهيم وإخوانه ، ولاحتفاظهم بماضيهم المجيد وعدم اختلاطهم ببقية القبائل يسيرون نحو القهقرى مثل الجلاب فإذا لم يندمجوا بمن حولهم فإنهم لا محالة يوما ما زائلون ، ولا نرى إلا مساكنهم كآثار الأمم التي لا تعدد دماء مصاهرتها – ونحن اليوم في عصر يقتضي التخلص من القيود الواهية البالية . وللشيخ إدريس أربعة أنجال هم : إدريس وموسى وعثمان وأكد .

---

(1) صرف القاجاب أموالًا طائلة للمحامين حتى يعيدوا لهم سيادتهم دون أي جدوى .

يقول المستر بول رمفتش بين عامى توكر: لو رفض الشيخ محمد بأن يكون رؤساء كل جمعة ممن تحته من « علبيت » مثل أحيانك لما وافق المدير على تحرير العربان منه ، ولكنه أصر على أن تكون سيادة النظارة على إخوانهم السودانيين وهذا ما لا تقبله الحكومة .

فهؤلاء هذه المشيخة لبقوا معه إلى اليوم لأنهم يسكنون في أرض أجداده وآبائه ، وفي أنحاء السودان الأخرى كل من يسكن أرض أى عمدة يكون تبعاً له في كل شيء خصوصاً في دفع الجزية والعوائد ، وله حق في المرعى والماء ولكن ملكية الأراضي هي للبيت العمودية وتوابعه .

« هاشم »

حافظ هنا على سلسلة من تناسل بني علي تابع فرع قبيلة هاشم الذي كانت لدى جدهم علي (عكشة) الخلافة ثم خرجت منه لصراعه لخلافة وحروب الطوائف منه تولاها أخوه دقيل الخ .

(١) قتله الملو (٢) مات من الصغر

(٣) أول من لقب بدقيل وسماها عليه او تاظر

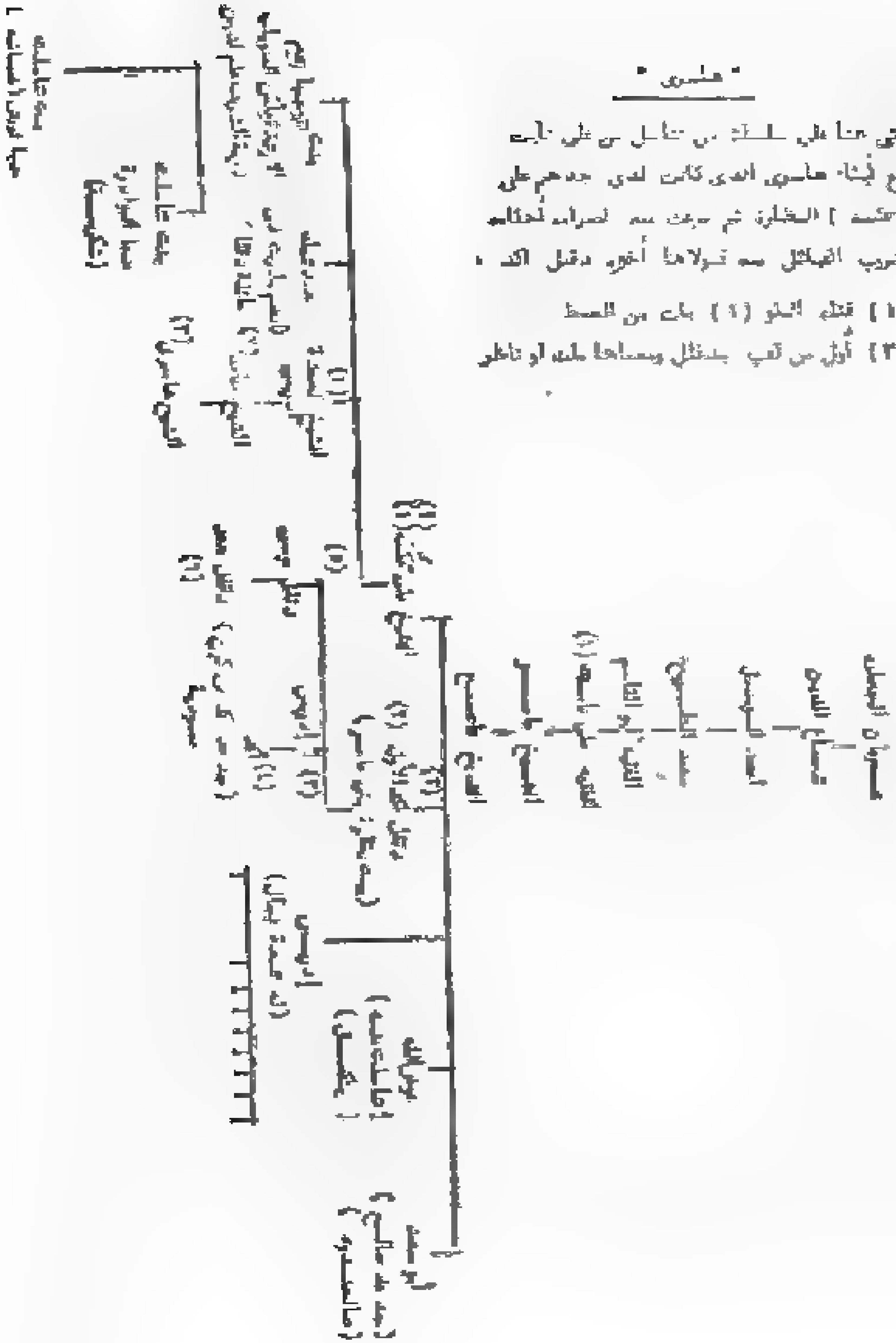

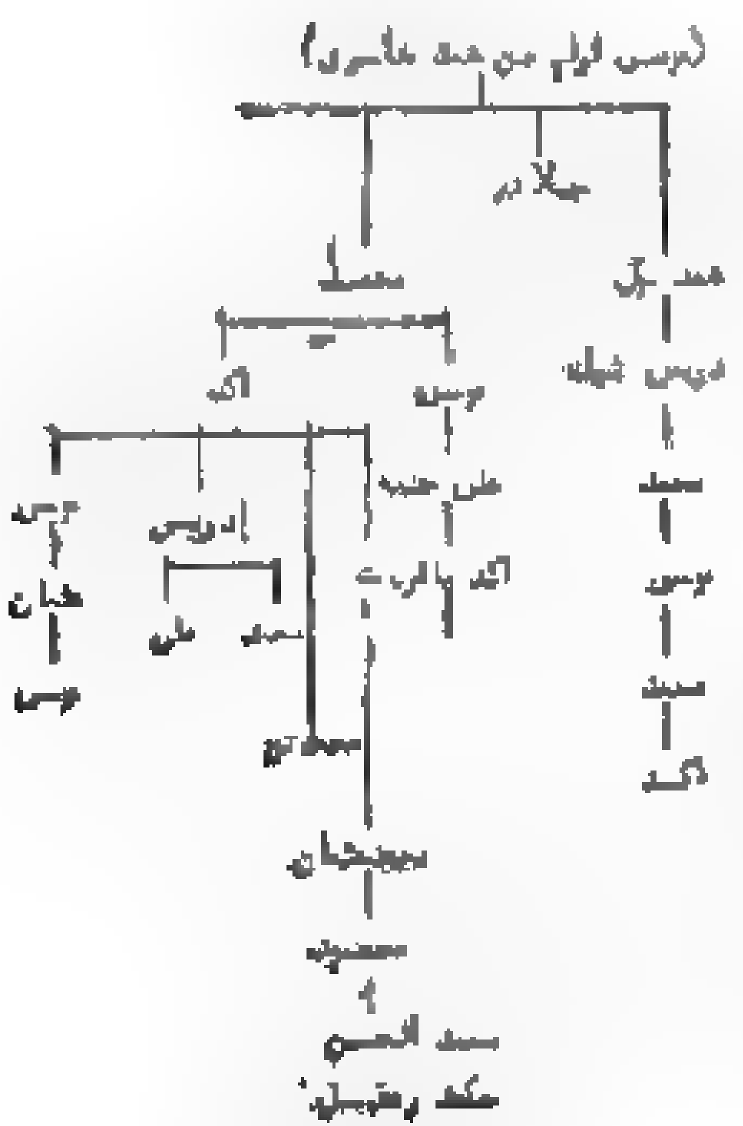

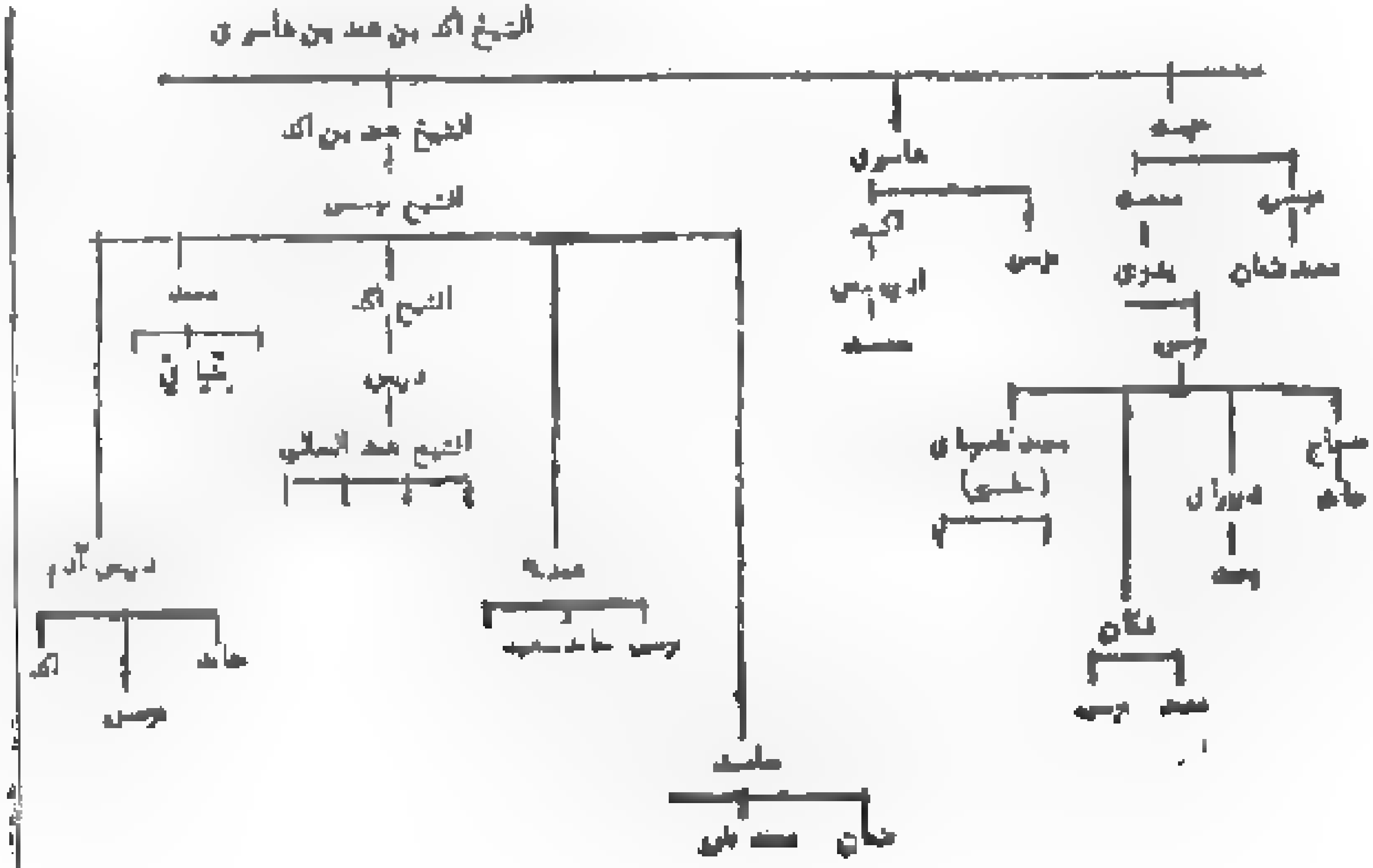

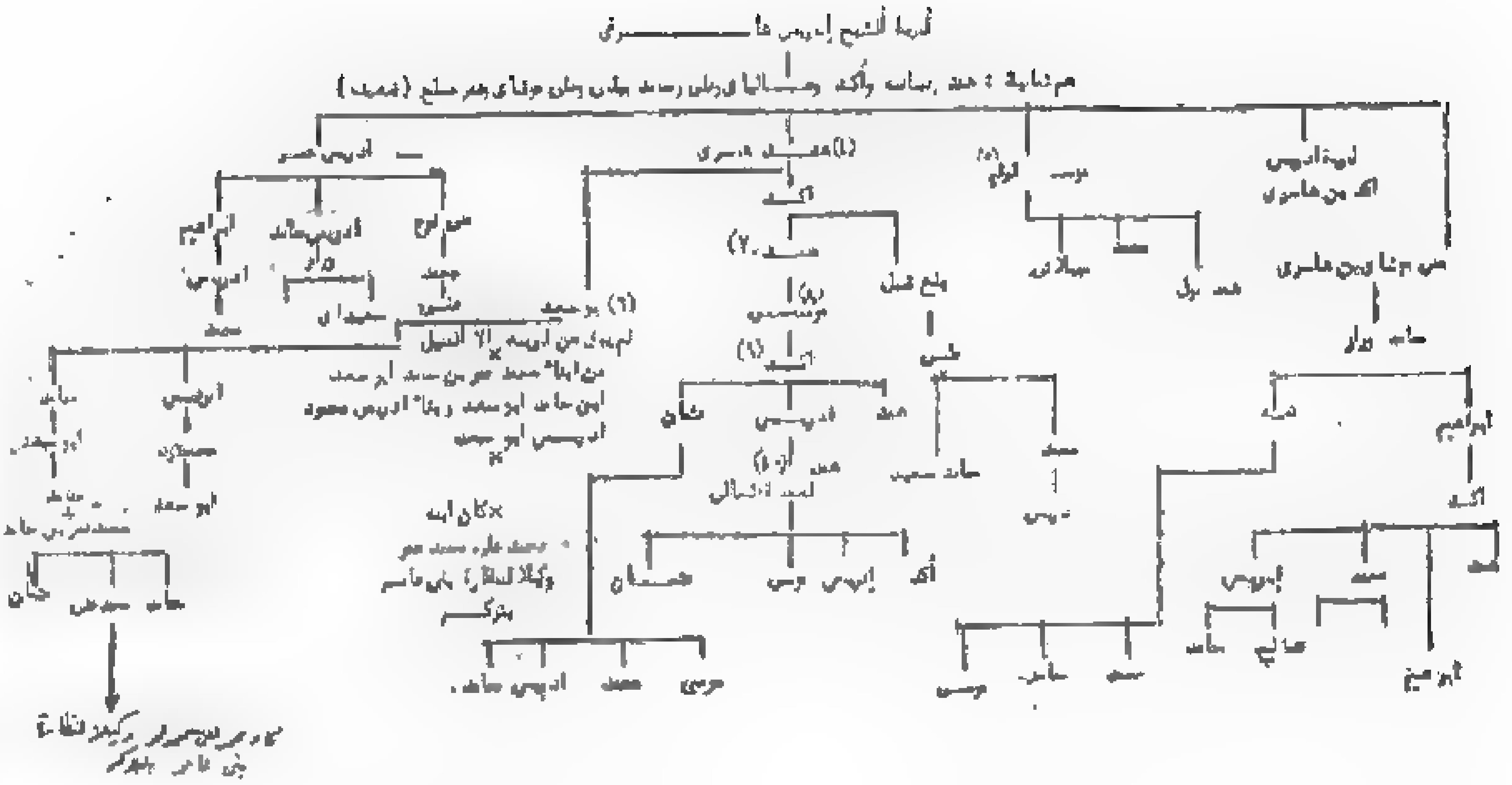

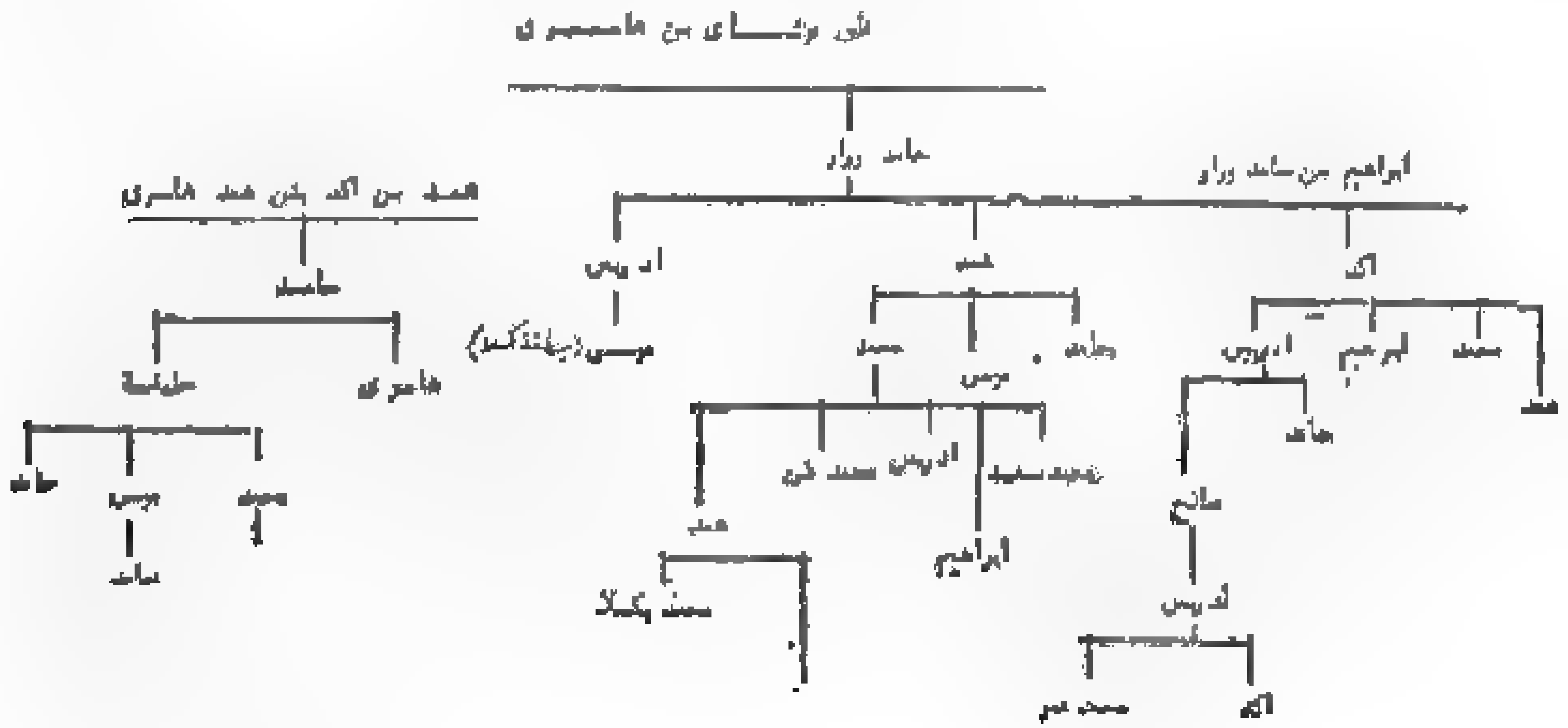

أو «عَدّ»(١) الشيخ حمد ، منذ ظهور والده الشيخ أحمد تاموتاى كانت إقامته بأرض الحباب وسهول بنى عامر ، واجتمعت حول منزله عدة قرى لأنه كان زعيما دينيا يشرح لهم تعاليم الدين الإسلامى وأركانه ، فاتخذوه إماما دينيا لهم . وكذلك سارت ذريته من بعده على منهجه القويم ، وأصبحوا مندمجين فى قبائل ألمدة (انظر كتاب الإسلام فى الحبشة بالإنجليزية) . ويؤثر عنهم أنهم ما اشتركوا يوما ما فى غزوة أو سلب لقبيلة ما من الداخلية منهم أو الخارجية لأنهم أناس قد انقطعوا لطاعة الرحمن وعبادة الديان ، وكل القبائل المنضمة إليهم كانت فى راحة واطمئنان . فلما جاء الاستعمار بالسودان وإرتريا وضع عليهم وعلى من معهم جزية رفضها أهل امبيرى(٢) ، ثم انحسر الحفظ الذى وضعها . وفى أيام السلطنة الزرقاء (الفونج) طلب دقلل من السيد أحمد تاموتاى أن يدفع له زكاة من حوله من القبائل ، فسأل عن أسباب الدفع ، وتجادلا ، وأخيراً قال دقلل إنها عوائد مرعى ، فقال له وإذا ارتحلت من أرضكم ، فقال له دقلل لا أطالبك بأى شيء . وارتحلوا من عَيذيب إلى أراضى الحباب (إرتريا) . وأهل امبيرى مشهورون بحبهم للتعليم الدينى والعصرى . وكان إمامهم الشيخ عبد القادر بن محمد بن على ، ثم ابنه الشيخ الأمين الذى يتمتع بثقة الحكومة الإيطالية ثم الحبشية . ويتولى زعامتهم اليوم الشيخ محمد على بن الأمين ، وهو حجة فى جميع العلوم العقلية والنقلية خصوصا الشرعية منها والصوفية ، فإن أبناء هذه القرية برزوا سواهم فى التعليم وكذلك الحال فى «عدّ» « الشيخ حامد » بتمام شيوا .

---

(١) أى .　　　　(٢) كانت فى عهد الشيخ الأمين عبد القادر .

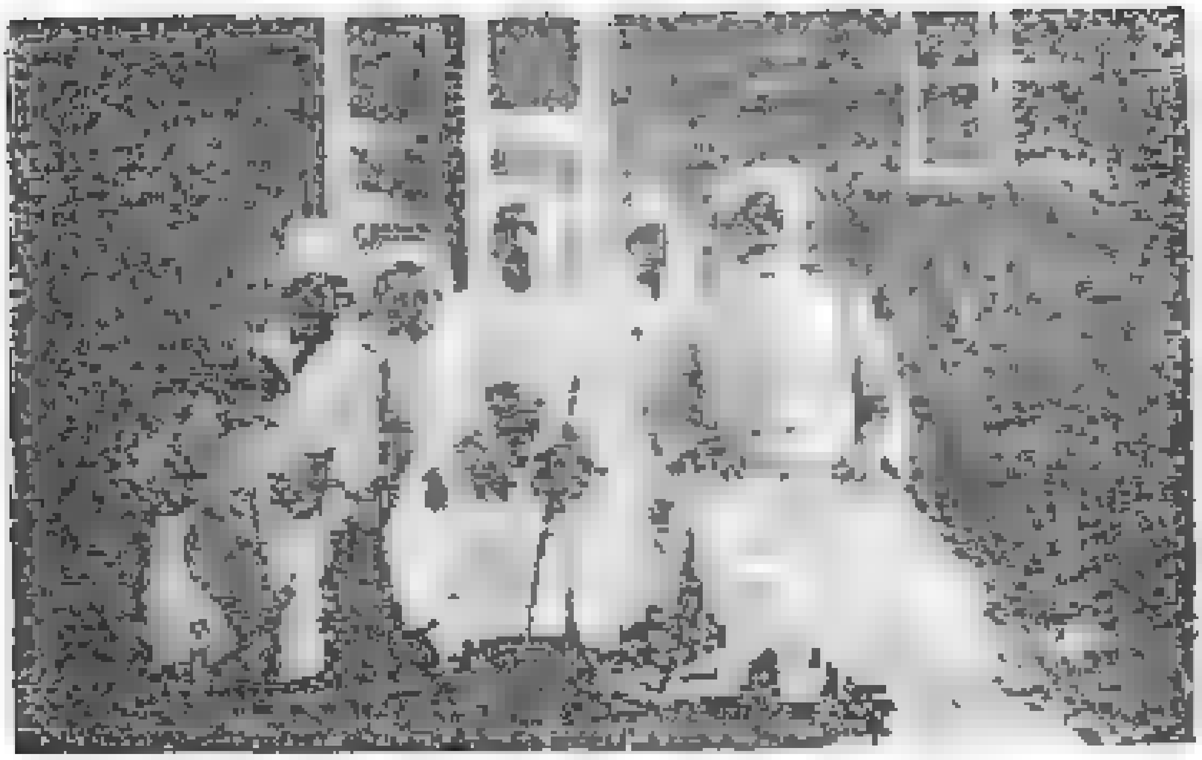

١ – سيادة مولانا الشيخ محمد على بن الشيخ الأمين عظام امبيرمى بمصوع .

٢ – أنجال محمد صالح ضرار .

٣ – الشيخ حسن محمد حمدو .

ولم يحدث من عهد الشيخ حامد أى صدام أو خطأ إلا ما كان بين جند السيد على عمر بن الشيخ محمد وجند الشيخ دقلل على بخيت فى أيام دقلل حامد إذ أصيب الشيخ على بخيت بضربة من مأمور العسكر فشج رأسه ، وجاء أحد خصوم السيد على عمر وذبح « تيسا » صغيرا وملأ منه عمامة على بخيت وذهب بها إلى دقلل وقال لهم « إن على بخيت بخطر وهذا دمه المسفوح » .
وألقوا القبض على الشيخ عمر دقلل محمد بدلا من ابنه محمد وحوكم به مسجونا إلى (هواشايت) ومنعوا الناس من الاتصال به ولكن رفيق تمابانهم محمد ابن شيك بن عجيل (أفاضبة) الشاعر المشهور وصار مواسيا له ومسليا ، وضرب الربابة المطربة ، ويشجعه على الصبر لأنهم لن يعملوا له شيئا لأن الشيخ على بخيت لم يمت وله قصائد طنانة فى هذا الموضوع ، وفيها يفخر بالعصب الطالبي على العباسي وغيره . ولولا التفرقة بين آل الشيخ محمد بن على وآل

السيد الأمين بن علي لما حدثت هذه الفتنة[1] ، وسنبدأ بكتابة نسب آل الشيخ حامد بن أحمد ناموتاى وإني أحتفظ بصداقة ووائية لهذا الرهط فإن لهم مواقف مشرقة ووقوفها معنا عند الملمات والشدائد ، ونتبادل هذا الإخلاص منذ عهد جدهم الشيخ حامد وجدنا الشيخ جمع بن عجول ابن علي وازدادت صحبة والدنا لآل إمبيرى .

« هذا نسب الشيخ حامد »

هو الشيخ حامد[2] بن الشيخ أحمد ناموتاى[3] ، بن محمود[4] بن عثمان ابن عامر بن زيد بن محمد المبارك بن مولاى الحسن بن الحسين بن عمرو بن محمد شريف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين ابن محمود بن علي بن العفيف بن مالك بن الصيف بن عيسى ابن الشيخ الحسن بن علي الهادى بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسين

---

(1) يقال ان السيد محمود الأمين بن الشيخ علي هو الذى دبر الفتن، فقال له الشيخ محمد امامات «ابن عبد دملل» ياسيدنا انت اوقعت كراهية بين آل دملل والشيخ محمد بن علي وخصوصا ان اخوالك من تابتلب آل توابى .

(2) له ثلاثة اخوان احدهما ابراهيم قتل ودفن بأعلى جبل تتحره قبل أن يتزوج ، والثاني الشيخ ادريس الفقيد ابي صاحب القبة بأرض البشاريين، وكان ينزل عنده الشيخ محمد عبد في طريقه الى الشيخ ادريس ود الارباب، والثالث الشيخ محمد الحاقة ذريته اليوم بأرض الحبشة .

(3) نقلت هذه النسبة من نسخة خطية كانت عند السيد ابو بكر بن السيد ابراهيم بن الشيخ حامد احمد ناموتاى سنة ٩٥٩ هجرية وهي محفوظة عند الشيخ محمود حامد ابراهيم .

(4) وكان يقال له «تحرا» .

ابن على بن أحمد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

ويروى أن الشيخ حامد دائما يقول « أنا من عامة الناس « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.

اشتهر الشيخ أحمد ناعمونای بالغنى فى المواشى خصوصا الإبل التى طلب من ابنه حامد أن يرعاها، فأطاع أمر والده، ولكنه كان يرعاها فى الحلات التى يكثر فيها القاموس (وهو أكبر مرض لفناء الإبل) فلما قربت على الإنقراض تركها مع الرعاة وسار إلى أبى حراز لطلب العلم عند الشيخ إدريس الأرباب، والشيخ عبد الله بن الشيخ دفع الله بن الشيخ أبو إدريس العركى، ومعه الشيخ محمد فايد والشيخ عبدالله أبو الرايات الحلنق (الشيخ ود ضيف الله لم يذكر شيئا عن الشيخ حامد لأنه قضى زمنه فى سواحل البحر الأحمر بين مصوع والمتبق والحجاز) فلما أتم هناك دراسته أذن له الأستاذ أن يتوجه مع أصحابه الثلاثة إلى أهليهم وبقى كل من أصحابه بقراها فالشيخ عبد الله فى كسلا، ومحمد فائد فى بنى عامر بخور بركة، وأما الشيخ حامد فطاف خلال ديار بنى عامر ميمما أرض السواحل، وفى كل قرية يبدأ بعمل مسجد يقال له إنه مسجده، فملأ الجبال والسهول بهذه المساجد. وكان والده مشغول البال لغيابه، لحياته وتزوج ورزق سالم وعلى، ثم تزوج أخرى ورزق منها ابنه الأمين وإبراهيم وكان يتبعه بعض الحواريين (اثنى عشر رجلا) اشتهروا بالصلاح منهم: أبو حوة محمد عيسى (رقبات) وحاج محمود (أيحشيلا) وأبو علامة الصوعى، وبدرى صاحب دافر، ومحمود عقيبه (واربه)، وحاج حامد بيج (عد تى- الملة)، ومن إحدى قصائد حاج محمود المذكور علمت

أن الشيخ حامد فى أبى حراز على الشيخ عبد الله الذى هو تلميذ الشيخ المركى الذى درس على الشيخ دمع الله ، وهو تلميذ السيد عبد القادر الجيلانى (كانوا جميعهم من الطائفة القادرية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت)[١].

والشيخ حامد كان كثير الإقامة بمسجده فى شابرى مرورتا، وذات يوم جاءه الشيخ جمع بن عجيل على (جد المحيلاب) ورئيس الأملفدة بشابرى، وطلب منه أن يزور قرى الأملفدة ويدعو لها بطيب الإقامة . فسار معه فولى رجيع محل ولده ، ثم دعا لهم ، ثم زار قرى هاسرى أيضا وولى الشيخ محمد هاسرى ، ثم ولى دقال محمد بن موسى ، وكذلك كمتيباى فى كلا تاود[٢]، وولى أيضاً أبو بكر موسى سلطان للدة ، والنائب أحمد (بصوع) ، والشيخ ناصر حليبو (أساورتا) ، كما ولى الشيخ حامد ايتد كل (بيت معلا) . ولما مرض الشيخ أحمد ناصرتاى جاءه ابنه وحضر وفاته ثم دفنه فى حلب سقلا — وقد شاهدت اسمه على حجر كبير عند رأسه مكتوب عليه « أحمد ناصرتاى » .

وللشيخ حامد وصايا لكل رئيس كان يواليه فمن ذلك قوله للشيخ جمع ابن عجيل « كن شفوقا بإخوانك وإنى أحذركم جميعا من الاعتداء على أى قبيلة بعيدة أو مجاورة لكم والاشتراك مع العصابات والغزاة ، فإن من يتجنب هذه السيئات ينتصر دائماً على خصومه . ولذلك يندر جداً إشتراك فرد من الأملفدة فى أى غزوة أو يتهم لعصابة سوء . وكان الشيخ حامد يكسو ثوباً

---

(١) ينظف الارض جيدا ثم يسورها بأحجار ، ويجعل حجر القبلة كبيرا جدا .

(٢) زعيم الحباب .

لكل من يوليه على رئاسة قبيلته . وهذه العادة لاتزال متبعة إلى اليوم .
وكان الشيخ حامد كثير الذهاب إلى أرض الحرمين ، وتوفى بجده وله قبة سماها « قبة الشيخ الأسعد » أزيلت مع سائر القباب سنة ١٩٢٥م.

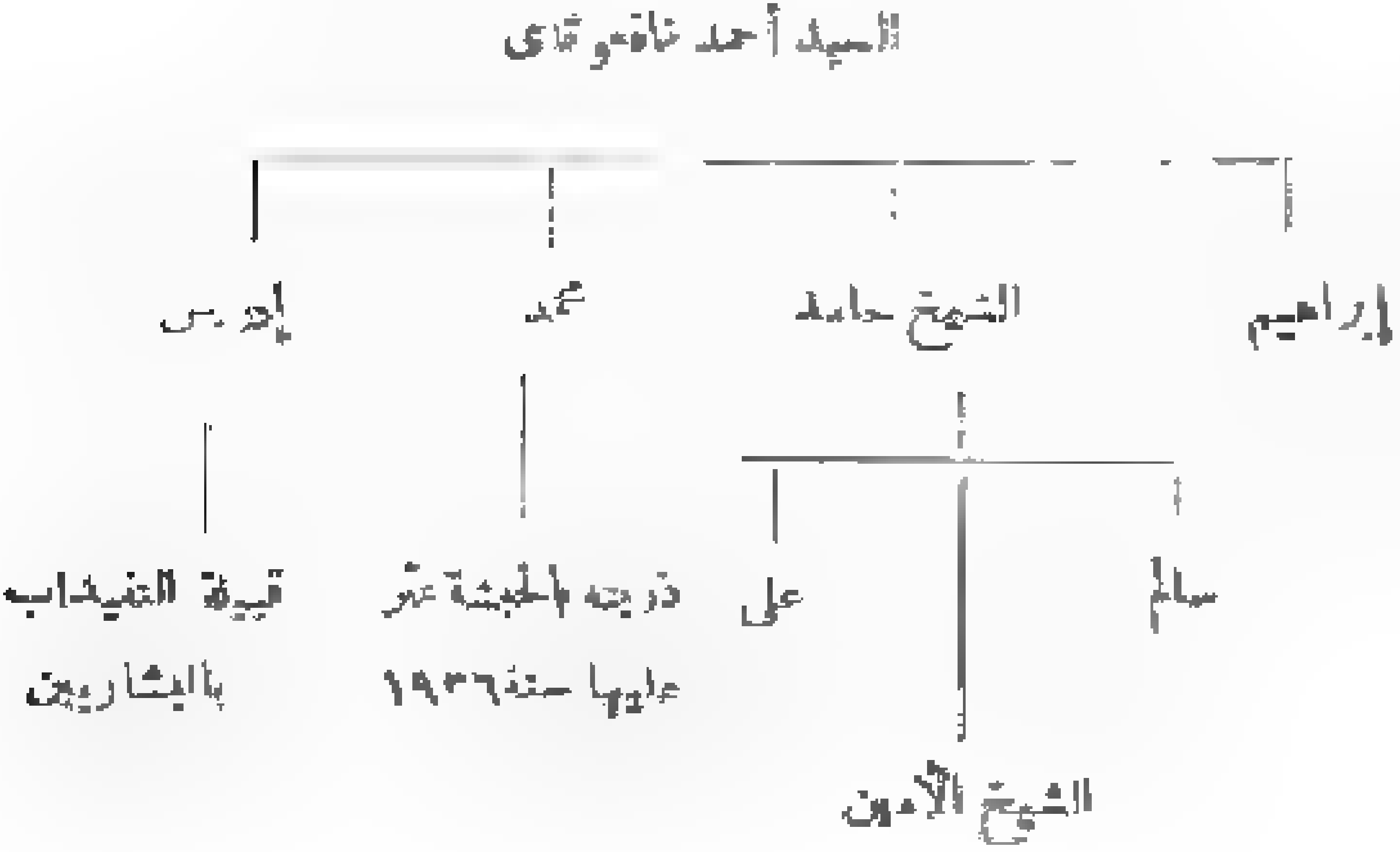

« الشيخ الأمين »

تولى خلافة آل الشيخ حامد بعد وفاة أبيه بجده .

ثم حدث بينه وبين ناظر ألمده الخلاف الذى ذكرناه فى « اللغة بالحباب » بسبب صدر الناقة (ويسمى طَقَّتْ) فرحل السيد الأمين إلى بلدة (مصوع) ورجاه نايب محافظ مصوع أن يعود فأبى وقال « إن كان ولابد من المودة فلا بأس أن تكون بحراً فأحضر نايب له سفينة نقلته من مصوع إلى جزيرة ابن عباس ، فسأل لما حاذاها عن سكانها فقيل له « عهدور » Aahdour ، فقال سبحان الله « تبغ وَدُورْ » بئس الحال (لا شيء) وقال للربان لاتدخلها هنا وأنزلنا فى البر الغربى لها فنزلوا فى أرض عدوبنة ثم اتجه نحو الغرب حتى وصل مكاناً فى خور بركة يقال له « دبه » Deebah ، فاقتص أثره بعض المشايخ ورجوه أن يعود معهم إلى أهله فعاد معهم إلى وادى رحيب ، وقرر أن يستقل بأهله عن كل شيء ، وأن لا يساكنهم - فتبعه حواره الدهو فقيه عمر بأهله وعشيرته ، وقال « لا تهمنى سلطة ناظر ألمدة ، بل رضاء شيخى أم فتدى معه ولو قطعونى إرباً إرباً » - فدعا له الشيخ الأمين بكل خير ، وكان مستجاب الدعاء كثير الكرامات . وجاءته والدة عجيل جمع وقالت له إن ابنى عاقر ، فقال لها كلا بل سيرزق سبعة عشر ولداً ، وكذلك محمد حاسرى وأنا . فصح قوله وهؤلاء هم أولاده : على ومحمود عبد القادر وحامد وأبو بكر وطه ومحمد وإدريس وحسين وحسن وإسماعيل وعبد الله وعيسى وعامر وعثمان وعمر والأمين - ولما توفى الشيخ الأمين دفن فى رحوب (قبر الشيخ) .

« الشيخ علي بن الأمين »

تولى الخلافة بعد والده وازدادت القرى المجاورة له وفي أيامه سميت « دقه الشيخ حامد » لهذه الزيادة

واشتهر عصره بتأمين الناس من السلب والنهب ، واعتمد بعض الفرسان على خيولهم لمراقبة المناهل والدروب الضيقة ، وتحصل على بنادقيين وبعض الرصاص فخشيه اللصوص . وللشيخ علي عدة أنجال هم : محمد والأمين وسليمان وإسماعيل وعبد القادر وحسن وحسنين وحسين ومحمد وعثمان وحامد ومحمود .

وفي أيام الشيخ علي حضر السيد محمد عثمان مير الختم إلى كسلا ، فزاره الشيخ علي وأخذ عليه الطريقة الختمية . وعاد إلى أهله ، ثم جاء السيد بعد أن زار دقه وقلل وكل أراضي بني عامر ودق كنتيباي ثم سافر إلى مصوع وكان الشيخ محمد بن علي دليلا للسيد وحاشيته في طوافهم بأراضي ارتريا ثم وصلوا مصوع .

وكان كنتيباي جاويد يريد التخلص بأي وسيلة من الشيخ علي لئلا يزاحمه على السلطة أو ملكية الأرض . ولكن جاءت مصاهراتهما لبعض فقضت على كل الشائعات والريب . وتوفي الشيخ علي ودفن في « أرتقلا » .

« بعد وفاة الشيخ على »

حدث خلاف بين الأمين ومحمد (أبناء الشيخ على) بسبب ميراث مخلفات والدهما وأهمها الإبل . وأعان الأمين أعمامه . فغضب الشيخ محمد ورحل عنهم بأمه وأخواله ومن رضيه وترك أبناءه عمر ومحمد عثمان فى فارو وسكن والدهم فى أميدى ودنقو . وأما الشيخ الأمين بن على فرحل بأهله إلى تمرا . وفى إحدى السنين بينما كان الأمين فى دقه وقال هجم السيد على بن الشيخ عمر محمد وعمه محمد على محمود حامد بالعساكر التركية التى كانت تطوف معهم لتحصيل الجزية من ضواحى محافظة مصوع ، وأمر السيد على كل من فى دقه الأمين أن يرحل حالا إلى قرية الشيخ عمر بن محمد على . فرحلوا ثلاثة أرباع المنازل ، ثم كروا ثانيا ، ورحلوا نصف الهيالى قوة واقتدارا . فحضر السيد الأمين ضمن دقة دقال ومعه الشيخ على بخيت عند بمصاكر أيضا من كسلا ، وملتزم السيد على بعساكره ، وكادا أن يقتتلا ، ولكن الشيخ على بخيت استعمل الحكمة معه وأخذ معه الأمين والشيخ عمر إلى كسلا ، فطلب دقال حامد محمد (ناظر بنى عامر) من مدير كسلا (عبد الرزاق باشا) أن يجعل مرجع أحكام الشيخ حامد أن تكون محافظة مصوع نهائيا . فوافق المدير وحاكم محافظ مصوع بذلك ، فقبل أن يحتكموا إليه ، فحكم عليهم بأن يبقى كل منهم بما لديه من العربان . فرضوا بحكمه، وما زالوا إلى اليوم . فدقه الشيخ عمر مؤلف من ألتده وألتده ، ورقبات . وأما دقه الأمين فهم دائما يجمرون حول قبر الشيخ على فى تمرا ، لا يرحلون منها أبدا ومعهم جماعة من شفده وال أب عوض ، وبعد مجىء الطليان سنة ١٨٨٤ م اجتهد حامد بن الشيخ محمد على أن يعمل قرية منفصلة عنهما . وقد نجح بمساعدة ابن الأمين

وسمى قراء ، دقه الشيخ حامد محمد ، ومقرها ، قرابت ، بين أمروت وكرن. ويتولى زعامة آل الشيخ حامد الأمين حفيده ، الشيخ عامر بن الشيخ الأمين ابن عمر محمد بن على وقد زرتهم فى سنة ١٩٢٥ فلقيت منهم كل إكرام ومودة .

« دقه الشيخ حامد محمد حفيده السيد محمد الأمين حامد وهو أيضا من أفاضل آل الشيخ حامد .

ويتولى مشيخة « دقه الشيخ الأمين بن على حفيده السيد حامد بن محمد على ابن السيد الأمين .

« الشيخ محمد بن على »

بعد مفارقته لإخوانه ترك أبناءه يتنقلون بين أدهرا وبارو[1] ، واتخذ امبيرى موطنا له ، فالتفت حول منزله عدة قبائل بعنازلها . فكانت يوما ما أكثر من أربعمائة منزل ولما توفى سيادته سنة ١٢٩٤ ه تولى مكانه فى الخلافة الشيخ عبد القادر محمد بن على ، ثم خلفه عليها الشيخ الأمين عبد القادر ، واليوم بها الشيخ محمد على بن الأمين . ولهذا الرهط مكانة مرموقة عند المسلمين والحبشة . والشيخ محمد بن على قبة فيها جثمانه الطاهر وتقام له حولية فى كل عام يوم ١٢ صفر الخير — وللشيخ محمد بن على من الأنجال : السادة : عمر ومحمد عثمان ، ومحمد على ، وإبراهيم وأبو بكر ومالك ومحمد ومحمود وحامد الأمين ، وعبد القادر ، ومحمد إدريس ، ومحمد صالح ، وأحمد وحامد (الثانى) وعلى .

---

(1) والمنطقة بينهما كنتيباى حجليد بن عكالك .

وبينا الشيخ محمد بن على فى دمنو فتار أهلها على الحافظ مصر بإطلاق الرصاص عليهم باصقتنا ، محل مضروس فيه علم الشيخ محمد بن على ، ولكنه أصيب من مجهول مطلق نارى فى بطنه كأنه جرح سكين ، وذهب خادمه ... إلى نايب والحافظ(١) وذكر لهم إصابة الشيخ فأوقفوا إطلاق النيران حالا وجاء الطبيب ليعالجه ، وبعد شفائه رحل إلى امبيدى وفيها انتقل إلى جوار ربه . وحضر وفاته ابنه الشيخ عمر الذى خلفه ثم الشيخ الأمين ثم الشيخ عامر ولما نال الشيخ محمد بن على عهد الختمية كان خصومه على القادرية .

« آل الشيخ حامد والهدية آل الدقناب »

كانت بينهما صداقات ومودة وراثية خصوصا آل القاضى عبد القادر حسين وآل الشيخ محمد بن على ، وكانت الزيارات والمواصلات الكتابية بين الدقناب وأهل مصوع طيبة جدا . ولما أعلن الإمام المهدى الجهاد انضم تحت لواء الأمير كثيرون من مشاهير زعماء البادية أمثال السيد حاج يعقوب والسيد عبد الرحيم حامد محمد . وكان الأول فى دقه دقاق له إبل وأبقار كثيرة جمعها كلها وباعها وأخبر نساءه بأنه سيقوم للجهاد وربما لا يعود ، وطلقهن . وكذلك فعل السيد عبد الرحيم . فلما جاء الأول إلى الأمير عثمان فرح بقدومه وأرسله بخطاب أثنى فيه عليه لدى الخليفة عبد الله ، وأقام بالبقعة حتى سنة ١٨٨٨م . ثم عاد مع الأمير عثمان عند مجيئه لزيارة الخليفة واشترك فى كل الوقائع التى

---

(١) هو اسماعيل بك اذ انهم اتهموا ثابت محمد بانه تواطأ مع الاحباش؛ والحقيقة انه سافر لامضاء معاهدة بين مصوع والراس كنتوش لئلا يغزوها كأمر والى النجار .

كانت حول سواكن . ثم اشترك في وقائع الميت وأنبره وكروه التي جرح فيها وتخلف في ام درمان ، فلما شفى من جراحه عاد إلى كسلا ثم أفرج عنه .
فلما عاد إلى أهله طلبه المحافظ الطلياني وسأله عن أسباب عودته ، فقال له : أنا عائد إلى أهلي في دقه الشيخ حامد . فسأله إذا فارقتهم أولا ، فاجابه : فقت انصرة الدين الإسلامي .

س : إن الحكومة الطليانية تريد أن تكافئك على شجاعتك .

ج : لا أريد منها أي مكافأة ـ وليست لي بها أي علاقة .

س : إذاً لا داعى لذهابك إلى دقه .

ج : إن ذهابي إليه ضروري جداً لأنني منذ سنين لم أرهم وهم إخواني وأبناء أعمامي وكلهم مشتاقون لرؤيتي وكذلك أنا

س : إني سأتصل بالوالي كي يعمل لك مرتبا حتى تعيش معهم عيشة هنيئة

ج : لا أريد منكم شيئاً الآن ، فقط اسمحوا لي بالذهاب ثم الإقامة بينهم .

س : عاهدني بأنك لا تحرك ساكنا أو توقد حركة ضد الحكومة الإيطالية .

ج : أنا فرد فكيف ترون أني أقدر على قتال دولة كبيرة . إني أصدقك القول بأني إذا سمعت منادياً للجهاد سأتبعه مهما كلفني ذلك الأمر .

س : تفضل واذهب إلى دقه واترك عنك الجهاد لأن الناس تعبت منه .

ج : ولكنني لم أتعب . وخرج منه .

وكان السيد حاج يعقوب رئيس رابة تحتها كثير من الأشراف ـ أمثال

محمد حسين ومحمد نور عبدالله الأمين ، ولما جاء فى دقة الشيخ نصحوه بأن يترك تعاليم المهدية والراتب أو وصف معارك القتال ، ثم يكترث لأقوالهم بل بق محافظا على عهده مخلصا لبيعته حتى انتقل إلى جوار ربه . وحافظت ذريته على البيعة والعهد إلى يومنا هذا ثابتين على مبادئهم القويمة .

ويتولى زعامة عد « الشيخ حامد » فى « دقه » قام شيوا الشيخ الأمين ابن محمد بن الشيخ عامر بن الأمين بن الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن على بن الأمين بن الشيخ حامد بن أحمد ناسوتاى .

وهم كما أسلفنا أبعد الناس من التدخل فى شئون الغير إلا ما كان للصالح العام — ولم يصاهروا سوى رؤساء ألمده والحباب والمجيلاب والنابتاب والابشاريين (تفيدلب) والحلنقة .

الفــايداب

ـــ الشيخ فايد ـــ

يطلق هذا الاسم على ذرية الشيخ محمد بن فايد من الأشراف الحسنية. وقد جمعنا تاريخه من بعض الكتب والشيوخ ، وسنأتي على بيان ذلك فيما بعد . وهو كغيره من الصالحين تولى الزعامة الدينية على القبائل الأموية مثل الماريا (سرعي) وولديهو (وليهو) المو معاوية . واشتهرت هذه القبيلة بعدم تحملها للضيم حتى إنها كانت من أوائل القبائل المتحررة من سلطة الناجاب ، وأنشأت نظارة منفصلة في إرتريا وعمودية كبيرة بالسودان[1] . ومن فحول هذه القبيلة السيد حامد فرج حامد رئيس مجلس نواب إرتريا ، وهو يتحلى بمزايا خاصة بينها المدل والدراية التامة بحقيقة مطالب بلاده وأهلها ، ويكفيه أنه متمتع بثقة أهل وطنه سواء منهم المسلمون والمسيحيون ، ولقد اجتمعت به كثيرا فهو لن يفيه هذا القلم حقه من الوفاء والإجلال .

وكانت للفايداب سلطة مذهبية على بعض القبائل التي تحررت من سلطتهم جميعها إلا جماعة صغيرة من الدنا كل كانت تحت سلطة العجيلاب اختيار رئيسها أن ينتقل إلى الشيخ الحسن أبو الحسن[2] بالسودان بجهة العقيق ، أما دنا كل كلا فرفضوا أن يكونوا تحت الفايداب لذا تجدهم في غاية الارتياح والحرية . والفايداب اشتركوا في كل حوادث شرق السودان ، واليوم منهم علماء أعلام يشار إليهم بالبنان أمثال الشريف محمد عثمان بن الأمين ، ومحمد

---

(1) سنكتب عن رؤسائها في بني عامر .

(2) خضعوا للفايدابه سنة ١٩٤٨م .

شيك بن أبو الحسن بن الحسين ، ومحمد عثمان بن سيه آدم وإخوانه ، ومحمد صالح الحسن أبو الحسن وغيرهم من أعضاء الشريف مصطفى حسن وآل حيوتاى .

وفي القانداب لم تسلم من شرور عصابات الحباب وكان في القانداب رجل مشهور بالشجاعة والإقدام اسمه موسى بن عزيز (عديد) من قبيلة ولهو فقد كانت له عدة حوادث مع الأشقياء دفاعا عنها .

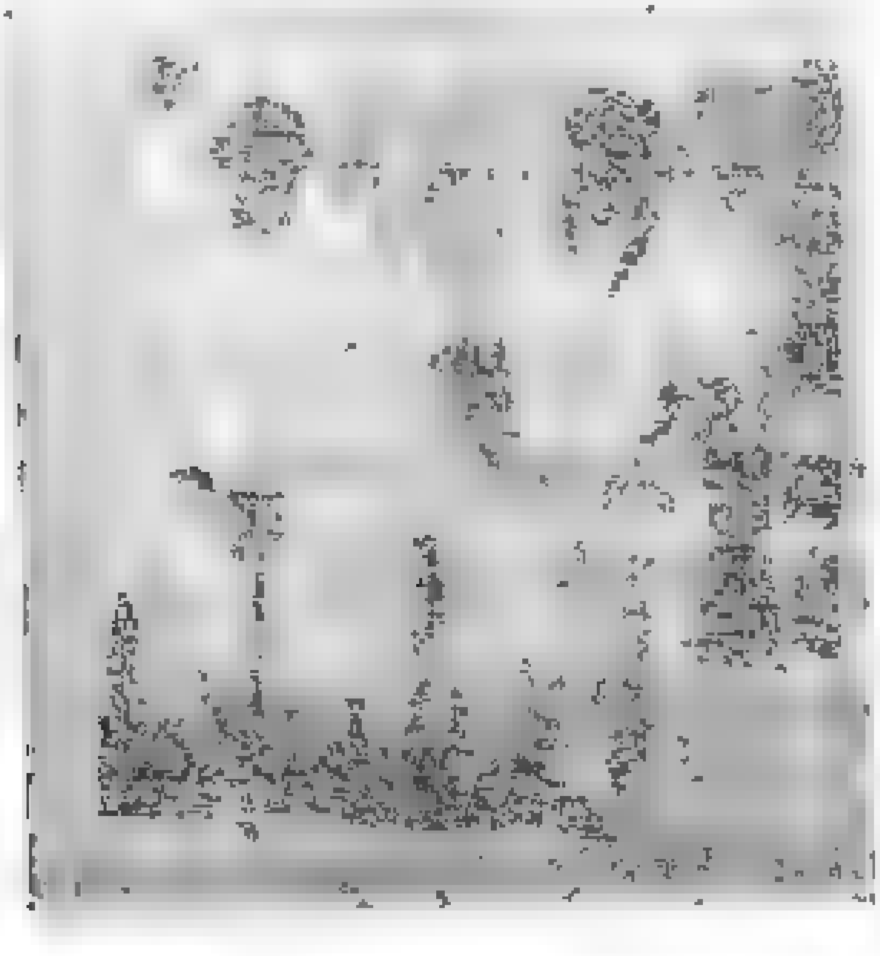

رئيس محكمة توكر الأهلية

(١) الشيخ الحسن أبو الحسن

(٢) الشيخ أبو الحسن الحسين

وفي إحدى السنين اجتمع الحماسين وبيت معلا على القلايدب ، وبعثوا بعصابة من رؤسائهم(1) إلى جبل عريرب حيث كان القلايدب يصطافون ، ومعهم موسى عزيز بمؤامرتهم ؛ وقيل لأهله إما أن تهربوا بالمنازل والدالولات ، أو المواشي ، باختيار الشبان الهروب بالمواشي . فساروا بالمنازل(2) وسارت العصابة خلف المواشي وطاردت الشبان . فلجأوا إلى موسى وأخبروه بقوة العصابة ، فتقدم لقتالهم ، فبرز إليه رجل من سفلاه وآخر محمد عيسى سماك (بيت محايلاى)) فقتلهما ، وجرحه الأخير ، فتفرقت عنه العصابة وانشقت على بعضها ، وأقسم جرجيس أن لا يعطى أبناء هداد من المواشي مالم يبارزوه ورفضوا ، وأخيرا صرعه على هداد ، فطلب إعادة المصارعة ولكن على قال كفاني فخرا أني صرعته ، وتنازل إخوانه عن حصتهم(3) . أما موسى عزيز فقد كانت إصابته في رأسه وقد وضع عليها الشيخ على إبراهيم إدريس بعض أوراق من شجرة هناك كان بها شفاؤه بعد ثلاثة أشهر .

وقتل موسى بيد عصابة من الويلعليب وقد قامت من هلاك لأخذ ثأر أبرهيم زكل ، وقتل معه رجل شجاع اسمه « طاهرا حامد عوض » من شجعان أبناء عمر (الذين قتلوا أبراهيم زكل ، وهذان الشجاعان حالا دون أخذ المعدوة لمواشيهما وإبلهما التي عادت إلى قرية « شاميت بنت أدرات » الشاعرة

---

(1) كانت العصابة مؤلفة من أبناء كنتيباى هداد من مكال ابن أحمد جرجيس قريشت وادريس حامد ايتكل «عميد بيت معلا» .

(2) لاتقل عن ثلثمائة عائلة .

(3) كان مقتل جرجيس على يد أبناء عمه هداد وطمع الزيس أن يعوموا معه لنهب مواشي الحماسين ومعلا عادوا منها ببعض الأبقار .

المشهورة بهجو الحباب ومدح شجعان المجيلاب وأبناء عمر بقصائده الطويلة .

ومن ير المسافة بين ملك ومحمانات قرب هقيداى ليعجب كيف قطع الوائليباب هذه المسافات الشاسعه ولكن من يعرف الثارات لايستبعدها

« نسب النايداب »

وقد وجدت مخطوطا عند الشريف الحسيب النسيب رئيس محكمة توكر الأهليه الشيخ الحسن بن الشريف أبو الحسن بن سليمان بن على بن إبراهيم بن إدريس بن الشريف محمد شيخ بن الشريف حامد شيخى بن الشريف محمد بن قايد بن قايد بن محمد بن حامد بن أحمد المزوارى بن محمد بن حامد بن حسن بن حسن بن الشريف الحسيب ذو النسبين الطاهرتين الجسدية (١) والروحية المحمدى العلوى الحسنى الفاطمى أبو الحسن على الشاذلى (٢) بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن احمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم — وكان الشاذلى يلقب بسيدى الشيخ أبا الحسن رضى الله عنه « أبو المشايخ والمواهب » ، وهو قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل العيان ، حجة الصوفية ، علم المهتدين ، زين العارفين ، أستاذ الأكابر زمزم الأسرار ، ومعدن الأنوار ، القطب الغوث الجامع أبو الحسن على الشاذلى رضى الله عنه لم يدخل فى طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة فى العلوم

---

(١) نقلا عن كتاب نور الأبصار .

(٢) نسبة الى « شاذلة » قرية بقرب مدينة تونس .

الظاهرة ، وقد توفى فى « حُميثرى » بصحراء عيذاب فى إحدى حجاته ، وكان يقول قبل وفاته بقليل « فى حميثرى » سوف ترى .

وصل إلى سواكن من مكة المكرمة سنة ١٠٧٦ هـ الشيخ محمد بن قايد ، وكان يتقاضى مرتبا سنويا من نائب شريف مكة المكرمة المقيم بمدينة سواكن ، وقد كان لدى الشيخ محمد قايد وثيقة تثبت هذا الحق له ولذريته من بعده ، وجاء فى هذه الوثيقة (المحفوظة اليوم عند الشيخ الحسن أبو الحسن عميد عموم القايدياب) بعد المقدمة :

« رجا مكيتك طاقية وعمامة ستة عشر ذراعا ، وقميص بيق ، وثوب جوخ ، وعلجة ، وقفطان ، وجبة خضراء ، وسراويل تركى ، وهذا أمر من السلطان وحاكمية أجواتكم أصحاب الشريعة والطريقة والحقيقة . وأما كساوى حريتكم وأولادكم فى كل عام أربعين أشرف ، وعشرة فوط من صابون ودابول وخمسة عشر ثياب منورات لكم من السلطان إلى عند الحرمين الشريفين السيد زيد بن محسن كنز الفقراء ، ولما كين بهذه الحاكمية ويشهد القرشى والفقراء كلهم أجمعين ، هذا والسلام .

وكانت ذرية الشيخ محمد قايد يستلمون حقوقهم هذه من محافظ سواكن ومصوع حتى احتلت انجلترا سواكن ، وإيطاليا مصوع سنة ١٨٨٤ م .

ومثل هذه المرتبات ربما تكون مدونة فى سجلات أوقاف الشيخ أبو الحسن الشاذلى ، والشيخ أبو العباس المرسى بالإسكندرية ـ فعلى القايدياب أن يرسلوا هذه الوثائق إلى من يهمهم أمر أوقاف المشايخ المذكورين .

وللشيخ محمد بن قايد ثمانية أنجال هم : عبد القادر وعلى[1] وأبو بكر

---

(١) هو جد أشراف العميراب بالهدندوة .

وبركات وإدريس وإبراهيم وأحمد النقش وحامد شبحاى (أمه بنت قاطر بنى عامر « دقلل إدريس) جاء فى « طبقات ولد ضيف الله » : حدثنا الفقيه صغيرون الشقلاوى تلميذ الشيخ إدريس محمد الأرباب قال : إن الشيخ محمد ولد عايد تلميذ الشيخ يقدم فى كل عام لزيارة الشيخ من البحر المالح (الأحمر) ويحضر معه قبائل الشرق وعرب أكد[1] (عاصمة نظر بنى عامر) وعرب التاكه (كسلا وبادية القاش وسهول نهر عطبرة الذى يقال له بالبحرية « تاكا أو تاكاز ») وغيرهم يأتون دائرين مثل قبائل جهينة : منهم من حديقة الرمل ومنهم من حديقة القاش ، ومنهم من معه الرقيق كل أحد على قدرته ، يمرون أولا على ود الصيداوى[2] ، ثم يأتون الحل الذى هو حلة ولد أبو دليق ، وفى وقت حضر معهم الشيخ بدوى[3] شاب صغير السن لابس شملة رباعية ، ووالدته قد كانت توسلت إلى الله بالشيخ فيه ونذرت بقرة وعشرة محلقات ، وقال لولد عايد ولدى لا يقطع منك لكثرة الخلق فإن البقر لا تسعهم الحلة ، وتركوهم عادة خارجها ، وطالبوا النزال يأتون إليه من جبيل أم على ، ومن أربجى (الأول هو جبل أم على بأرض الجعليين ، والثانية عاصمة العبد اللاب) والشرق والعرب ينتظرون قدوم الشيخ محمد ولد عايد إلى الشيخ إدريس ، وهم يدخلون

---

(1) فى الصيف يكون المصيف « هوشايت » وفى الشتاء فى « عيسحد » جنوب توكر .

(2) هو السيد ادريس بن السيد أحمد تنقعوتاى الذى اختلف مع أخيه السيد حامد فى عيذب عندما حكم الثانى على أخيهما محمود بالقصاص ، وسكن ادريس مع قبيله الشمارنين وهو صاحب القبة المشهورة بعطبرة .

(3) تعتبه قبائل « ماملكها الله على يد آل كلب » ، وكلاهم تحت نظارة بنى عامر . واليوم ذرية الشيخ بدوى مع حفرة بكسلا وهى قبيلة صغيرة تدعى ...

عليه طائفة طائفة بعد الأخرى نهاراً . ويقول ولد فايد بأن آباء هؤلاء الفلاتيون وهذه زياراتهم من سمن وعسل ورقيق وقماش وإبل صهب . وفي العشية كذلك والقدام يأخذون كلما يدخل ومواب الشيخ إدريس في إدخال المال عليه ثلاثة وهو يقسمها على الناس حتى تكمل هذه الأموال بأجناسها . قال الشيخ صالح ودبانقا (بان النقا) ما وصل إلى الشيخ شيء قط من أموال هذه القافلة إلا العشر محلقات المصرودات في شملة الشيخ بدوى ناولها إياى .

« الفايداب »

هذه صورة من نسب الفايداب أعطاها إياى زعيمهم الشيخ الحسن أبو الحسن رئيس محكمة تركر الأهلية ، وهى مطابقة بنسخة التى عند الشريف مصطفى بن حسن فى جهة أعردت رأيتها عند زيارتى له فى سنة ١٩٩٣ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله على من لا نبي بعده

الحمد لله وحده — والسلام التام أبداً والتحية والإكرام ، مادامت الليالى والأيام ، وتكرر الشهور والأعوام ، سلام ألذ من القهوة ، وأبرد من النسيم ، وأحلى من العافية للسقيم . سلام قولاً من رب رحيم — وروح وريحان ، وجنة نعيم . أما بعد فالسلام من عند السيد المرشد المشرع لطريق « الشريف زيد ابن الشريف محسن كنز الفقراء والمساكين والضعفاء والأرامل ، المعتق فى الرقاب ، المجاهد فى سبيل الله ، الموفق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى الشيخ الكامل العامل محمد بن السيد فايد بن السيد محمد بن السيد الشيخ حامد بن السيد أحمد الزاوورى بن السيد محمد بن السيد حامد بن السيد حسن

ابن السيد حسين بن السيد الأجل القطب العارف المحقق الربانى ، صاحب الإشارات العلية ، والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، الشريف الحسيب النسيب ذى النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية ، والسلالتين الطيبتين الغيبية والشهادية ، الحسنى الفاطمى ، فحل الفحول ، إمام السالكين على الشاذلى أبو الحسن بن عبدالله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز ابن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ولد أبو الحسن الشاذلى سنة ١٥٥ هـ وهو ضرير ، وتوفى بصحراء عيذاب عند قرية « حميثرى » وكان قبل وفاته يقول « فى حميثرى » سوف ترى .

الحمداب بالسودان وارتريا

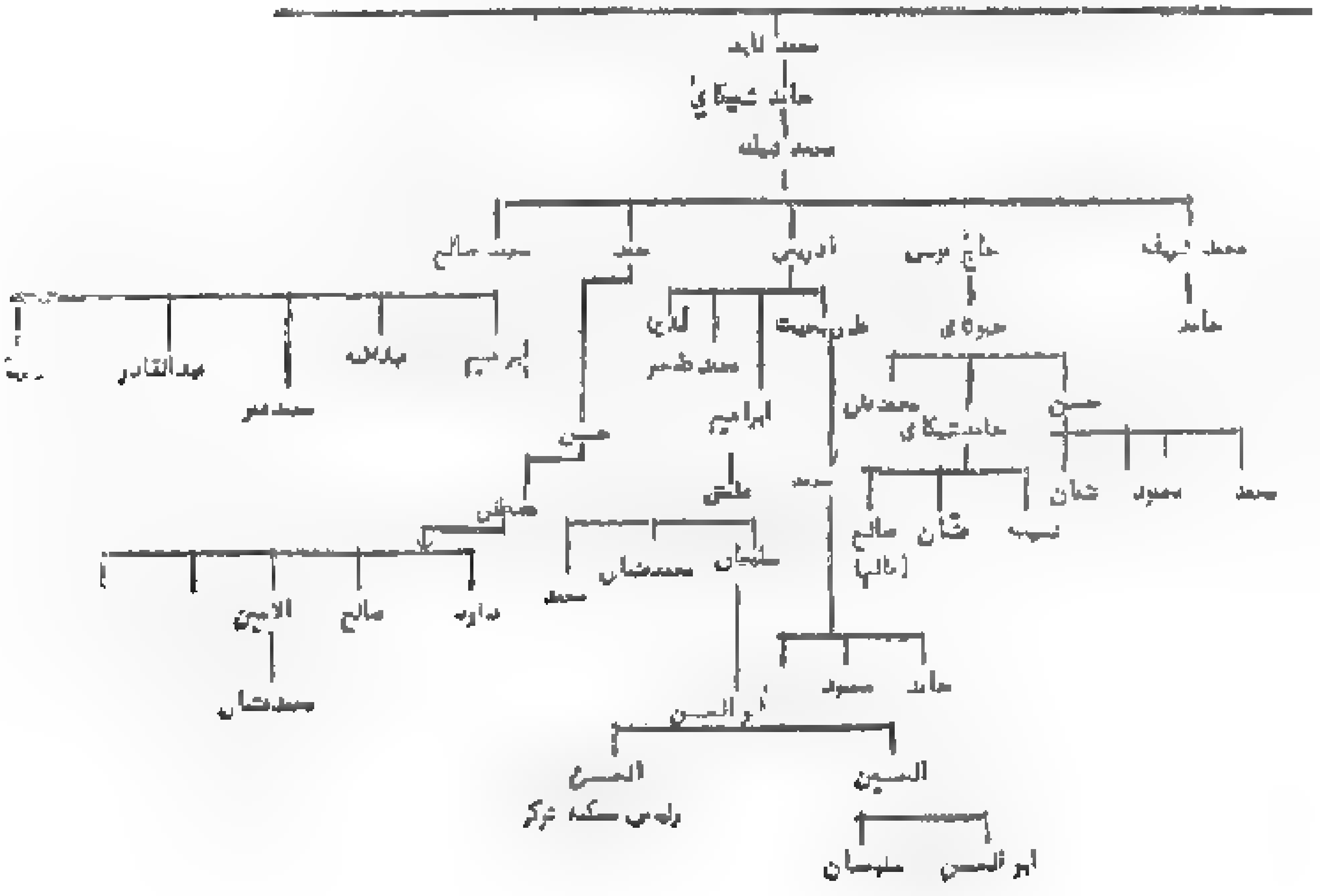

قبائل بنى عامر

بيت معلا

« السيد أحمد معلا »

سنبدأ بذكر القبائل العربية التي ورثت أراضى وجبال قبائل حماسين الأحباش فنقول إن كل كتب المؤرخين السابقين ستبدعموم القبائل التي تسكن حول الجبال الواقعة غرب العقيق وتوورة من الأحباش إذ أطلق على بعضها اسم حماسين ، وهذا خطأ لأن حماسين الأحباش لم يبق منهم بالسودان إلا أقلية نادرة فى بعض القبائل ، وليست لها أى سلطة أو زعامة ، إذ أن السلطة محصورة فى العنصر العربى وهو السائد فى أقليم البجة منذ ظهور « البلو » (بلويت) . وأول من ظهر بالجبال من سلالة العرب هو أحمد معلا « جد عموم قبائل بيت معلا » وسنوضح أصولها بعد فراغنا من « بيت معلا » وهذا الاسم يطلق على إحدى قبائل بنى عامر الكبيرة التي ترأس عليها ابن بنتها المسمى « أحمد مَعْلاَ »(1) ، وعميدها الحالى الشيخ محمد ابن إدريس حامد الملقب باسم « إنقدَّأل » ، وهو مثل اللقب التجارى المستعمل « ماتادول » وتعريبها « لايصطلح » . وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين هما بيت المشيخة وهم ذرية محمد ابن محمود، وقليت « أتباع » وهم الذين يضمهم الشيخ إلى قبيلته من القبائل التى تتعرض عائلات رؤسائها ، أو بقل تعدادها ، أو تفنى مواشيها ، فتستجير بجيرانها ، ويحسنون إليها ، ـــــا ورزقهم الله حتى تحسن

(1) تطلق معلى على من يطلغ الزبدة بكثرة ، وهو اسم للبروة التى تحفظ الزبدة فيها .

حالتها تتفرق وتندمج فيهم بالمصاهرة وغيرها . والشيخ محمد إدريس المذكور من العلماء الأتقياء درس القراءة والكتابة في دقة د الشيخ حامد[1] وكان يراقبه الشيخ الأمين بن عمر بعين رعايته ويشمله بعطفه ، ويقول إن هذا الولد الصغير[2] ، سيكثر وتعمر بيت معلا في أيامه ، وتشتد شوكتها كما كانت في أيام جده الشيخ إدريس حامد . وكان يستمعون يرددون في أقواله لأن القبيلة بعد قتالها للماسريين تفرقت في السهول والجبال وتشتت باقيها في أيام المهدية .

وتصديقا لقول الشيخ الأمين اجتمعت تحت شياخة محمد عقب إنهاء المهدية من ساحل البحر الأحمر « ١٨٩١م » فنصبت خيامها كالسابق في عاصمتها « تبيح Tabih » ذي المراعي الخصبة والطقس المعتدل صيفا وشتاء ، وتربتها وإليه تهاجر قبائل بني عامر السواحل في الصيف منذ أقدم الأزمنة ، ولتشيخهم رسوم خاصة يقتاضاها من الرعاة ، وقد جاء ذكره في قصائد بعض شعرائهم . وأول من حمى رعاية تبيح هو الشيخ إدريس حامد ، ثم الشيخ محمد « والد المذكور » ومنه حظر رعاية تبيح على الماسريين ككليب وائل التغلبي في الجاهلية . ومن أشهر الأمثال في القبائل « عزة ذي الحمى كليب وائل » ومن الأمثال العربية « فلان أعز من كليب » لأنه كان عزيزا عظيم المهابة ، فكانت لا توقد نار مع ناره « للضيوف » ، ولا ترد إبل الماء قبل أن ترد إبله . وكان يحمي المراعي فلا يقربها أحد . ويحمي الصيد فلا يصاد وكان لا يتكلم أحد

---

(١) فقه عند الشيخ أستاذه الشيخ عمر محمد علي من بقايا المدة واستفاده .

(٢) ولد الشيخ محمد ادريس سنة ١٢٦٤ هـ وتوفي سنة ١٣٢١ ، كف بصره بالماء ، سنة ١٩٠٣ م .

فى مجلسه حتى يسأله ، ولا يجلس حتى يأمره . فيتهيب فى جلوسه متأدبا ، والصفات الأخيرة شائعة فى الحجاب إذا كانوا فى حضرة كنتيباى أى حتى أنهم لا يبتسمون إلا إذا ابتسم . وقد نشبت حرب شعواء بسبب حماية كليب للمرعى مكثت أربعين عاما بسبب ناقة جار لامرأة تسمى البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس ابن مرة « أخو جليلة زوجة كليب » . وكان الجار من بنى جرم يقال له سعد بن مشمر جلبت ناقة اسمها سراب دعيت مع ابل جساس ترعى فى المرعى المحظور (١) فنظر إليها كليب فأنكرها ، فرماها بسهم أصاب ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يقطر دما ولبنا . فلما رآها صاحبها صاح صيحة عظيمة خرجت لها البسوس وشاهدت الناقة ، وضربت يدها على رأسها وقالت « وا ذلاه » ثم أنشدت :

لعمرك لو أصبحت فى دار منقذ لما ضيم سعد وهو جار لأبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غربة متى يعدو فيها الذئب يعد على شاتى

فيا سعد لاتغرر بنفسك وارتحل فإنك فى قوم عن الجار أموات

فلما سمع جساس قولها أسكتها وقال لها : ليقتلن غــــدا جمل أعظم من ناقتك(٢) فلما سمع كليب ذلك ظن أنه يقصد جمله عليان ، فقال دون عليان خرط القتاد فى الليلة الظلماء .

فتمكن جساس من كليب منفردا فطعنه وألقاه قتيلا . وفر جساس إلى أهله وقال لهم « طعنته طعنة تهتز لها العرب » فأجابه والده « هل قتلت

---

(١) لم تكن ترعى مع ابل كليب الا ابل جساس اجلالا لخاطر جليله .
(٢) يقصد كليبا بن وائل .

كليبا » قال « نعم » . فقال له « بئسما جنيت علينا » وطرد التغلبيون جليلة « زوجة كليب » أخت جساس وهي حامل ، ثم ولدت عند أهلها وأسمته « هجرس » وكان يدعوه بأبي . فلما كبر تشاجر مع أحد أبناء الحي وعرف من أمه الحقيقة . وذات يوم تمكن من غفلة خاله جساس فطعنه بالرمح وثنى عليه بالسيف وامتطى جواده وفر إلى أعمامه التغلبيين ، ثم صلح بين الحيين عمرو ابن هند ملك العرب .

وفي أيامنا هذه حدثا حدثوه الشيخ محمد ضرار على وحظر المراعي حول عقيتاي على النابتاب والحباب فقط في سنة ١٩٢٥ م ، فتحالفا ضد قبيلة العجيلاب وعند أول مصادمة فر المتعدون إلى خلنقتثو بقرب عيتربة . وفي اليوم التالي حضر الرجل الصالح السيد محمود إبراهيم حامد والشيخ حسن كنتيباي ، فمنع الأول الحامريين من الدنو من المراعي[1] ، ومما قاله إنك سمعت كلام الحامريين وتريد قتال العجيلاب في أراضيهم مع أنك تعلم أنهم ورثوها من بيت تحابلاي . وجاء الناظر « إدريس صالح » ومعه المستر اسكوت (مفتش طوكر) وحققوا في الدعوى ، وثبت خطأ الحباب والحامريين[2] ، وجعلوا حدودا بين العجيلاب والحامريين هي خط سير اللواري إلى قرورة بأن كل ما كان شرق الطريق أراضي عجيلابيه ، وكل ما كان غربها حامرية[3] .

---

(١) يستفيد من مثل هذه الخلافات الرشايدة ، فقد هربوا إلى الفريقين المتحاربين كثيرا من البنادق الرصاصي ، وكانوا يبيعون البندقية ومائة رصاصة ببقرة أو بعير أو سبع نعاج .

(٢) في صيف سنة ١٩٢٤ م اتفقا على نصب خيامهم في منطقة عقيتاي وكان سفراء السوء ينقلون التهديدات للفريقين وخصوصا الرصاص .

(٣) لا يزال هذا الحد محترما بين الفريقين . وقالة دخلت بين مضلن الله

ولم يكن الشيخ إدريس محمد أقل همة من كايب إن لم يكن أكثر يقظة منه، وأبعد همة، حتى إنه كان لا يهمل أبداً. وتراه يسيء الظن بأقرب الناس إليه. وقد سمعت بأخبار شجعان كثيرين في هذا الإقليم فكانت شجاعة إدريس ومرحه ضرباته بالسيف وقفزاته إلى الأمام أو الخلف فوق الوصف. ثم إن أولاد الشجعان من بعده تزيده رفعة في نظري. وقضى حياته من دون أن يتمكن خصومه (وهم كثر) من اغتياله أو الاحتيال على غفلته. وسابقى على حماية صراعي تبيح عند ذكر أيامه.

وبيت عنقي هي القبيلة الوحيدة التي لم تعتد عليها، مغاربة بيت تقشو، وهم الذين ضموا بأمر ملك النوبة تحت نظارتهم كل قبائل بني عامر الحماسينية بعد القضاء على بيت نحاتلاي الذين شتت الدجيلاب شملهم، وورثوا أملاكهم وأراضيهم الحالية.

بيت الشيخة

قال لي الشيخ محمد بن ادريس محمد عمدة بيت معلا السابق إن جدهم من ذرية الحسن السبط يقال له الشريف محمد، حضر من أرض الحجاز سنة ١٤٦٩م ونزل من سفينة في ميناء العقيق بتجارة بسيطة، وفي تلك البادية قبيلة ... زقيلي فيسع (الحمراء وهي فرع من الحدة[1])، وكان رئيس القبيلة ابنة

... بعنا لكم البنادق والرصاص وعلمناكم استعماله ليقتل بعضكم البعض ... أراضيكم بسهولة.

(1) تنقسم الى عائلتين يقال لاحداهما «طارقيلي سبع» و«طارقيلي طلام» ... طارقيلي الحمراء والسوداء.

اسمها «ملوك» رفض أن يزوجها والدها حتى جاء هذا الشريف فخطبها وتزوجها ورزق منها ولدا سماه «أحمد بن الشريف محمد»[1] . وبعد زمن عاد والده إلى مكة المكرمة ، ثم مرض وتوفي بها بعد أن أوصى ابن عمه بأنه ترك ابنا له ببادية العقيق مع «طارقيي فسبح» .

فسافر العم واسمه «يس» إلى سواكن ثم منها إلى العقيق حتى عثر بالطارقي الحمراء ، فتزوج أرملة الشريف ، واعتنى بتربية ابنه أحمد معلا ، ورزق منها ولدا أيضا سماه محمد على ابن عمه المتوفى . ولصغر جسم الولد سموه[2] «دحشيلة» أي صغير ، كالشبل والاسم الأخير أيضا من الأسماء القرشية .

هذا وقد تحققت بأن كل ما كنت أسمعه من شيوخ بيت معلا أمثال «عبدالله حسين ، وسليمان ، وإبراهيم أبو تاور ، وصالح حامد كنوتاي ، ومحمد قرتين ، وعلي سعد» وغيرهم حقيقة لا مراء فيها . وفي سنة ١٩٢٥ م رأيت خطابين عند الشيخ صالح علي سعد أحدهما من السيد أحمد الميرغني ، والثاني من السيد محمد علي بن محمود إبراهيم حامد ، وكلاهما معنونان من الداخل والخارج بالآتي :

«الحسيب النسيب السيد صالح علي سعد»

وكلا السيدين من زعماء الشرق المعروفين . وفي إحدى السنين حدث خلاف بين طارقيي الحمراء والسوداء ، وأرادت كل منهما أن ترأس الأخرى .

---

(1) قيل إنه من بني شيبة القرشيين الذين بيدهم مفاتيح الكعبة .

(2) قيل إن والدته أخت الشريف محمد ، وهم مشهورون بالصلاح .

« أرسلت وفداً لمقابلة ملك الفونج ، وتبعهم السيد أحمد معلى مع خاله . ولما وصلوا نزلوا بدار الضيافة . فأرسل إليهم الملك سريراً صغيراً ، فجلس عليه أحمد معلى ، وجلس رجال الوفد تحته . ثم أرسل إليهم ثوباً من الدمور ، فأخذه معلى من حامله ولبسه ، والوفد يعجب من أعماله التي هي عبارة عن خطف كل ما يراه حتى في إناء الطعام يختار الأكل . فقال أحد رجال طارفين ظلام ، احتموا ابنكم من جرأته هذه فإننا ضيوف وأصحاب حمية » . فأرسل إليهم الملك سيفاً قصيراً فأخذه أيضاً معلى

وبعد أسابيع دعاهم الملك إلى مقابلته . فلما حضروا سألهم من جلس على السرير ولبس الثوب وأخذ السيف . فقالوا له أخذه هذا (وأشاروا إلى معلى) وهو ابن بنتنا ، ووالده مكاوى فقال لهم « لقد أخبرتكم جميعاً جيداً لم أجد من يستحق فيكم الرئاسة إلا هذا الغلام .

وقد اخترته لكم وارتضيته ، فأطيعوا أمره ولا تخالفوه . وسلموه زكاة أموالكم » . فرضوا جميعهم وعادوا إلى أهلهم .

الشيخ محمود أبو مَكَرْنَه (١)

كل ما لدينا من المعلومات عن مشايخ بيت معلا يبتدأ من أول الشيخ أبو مَكَرْنَه الذى اشتهر بأمره الصادر على كل القبائل الخاضعة لسلطته ، أو المجاورة له كى تحفر خندقاً عريضاً بين العقيق وعلوبنة مبتدأ من ساحل البحر الأحمر متجهاً نحو الغرب حتى يصل حذاء جبل « عنقاء » أو (عنقا) ، ثم يتجه شمالاً نحو جبل « تَقَدَرَه » ثم ينعطف نحو الشرق حتى يصل شاطئ البحر

---

(١) ويسمى محمود ابو المكر .

فتكون العقيق وهرباب ونَبتْ وما يليها داخلة في هذه الجزيرة التي كان الغرض من حفر الخليج حولها أن يكون أبو مكره وأتباعه محتمين من غزو البجة وسواهم . فاستمر أبو مكره ساهراً على تنفيذ خطته ومراقباً لسير العمل حتى كاد أن ينتهي .

وبينما هو يفكر ذات ليلة في طريقة لسرعة إنجاز عمله لسعته حية (ثعبان) في رجله ، فقضت عليه ، ولم يتم من الخندق إلا نصفه

لقد لاقت العربان مشاقاً كثيرة في الحفر خصوصاً طارقيلي طلام لأنها حوربت لما كثرت عليها الأتعاب والأحكام الصارمة فأمر أبو مكره عصابة بأن تطاردها ونهلا عادت العصابة ومعها إبل خاصة بالصدة . فخافت طارقيلي أن تستأنف العصابة غزوها ، ولذلك جاءت إلى جهة تُهر (مصوع) وتفرقت هذه القبيلة « طارقيلي طلام » ، وفي كل رحلة تبقى منها جماعة بالمسافة الشاسعة بين العقيق ومصوع . وتفرعت القبائل الآتية من ذرية محمود أبو مكره :

(١) صـل ، (٢) بريعر ، (٣) تتلاديت ، (٤) هل كامل ، (٥) كبيل ، (٦) رحيمر .

أما القبائل الأجنبية التي تحبّ رئاسة الشيخ محمد إدريس منذ أقدم الأزمنة فهي :

رِقْبات — طارقيلي — أقْدُوبْ — أسْقَدة — كِنان — إمْريد — يرْعَدَى — بَيْل إحِلْ (وتعريبها صاحب أو راعي العجول وهم فرع من أسقدة) — وأبناء عِرَاي[١] ، وأبناء اسماعيل وشُوشا وأبناء سعد الدين

---

(١) قيل أنه من بقايا بيت بحليلاى أو اخوانهم من الاحميس .

- كل هؤلاء خضعوا لسلطة بيت معلا لأنها اضطرت لسكنى معها . وهذا حال كل أجنبي يساكن الوطنيين فإما أن يخضع لسلطتهم أو يفارقهم إلى أهله . وكل هذه العائلات عادت إلى أصولها سواء في إريتريا أو السودان بعد حميات ١٩٤٧م .

أما الذين تفرعوا من بيت الرئاسة فأولهم « إندريسكنا » وأولاده هو « حسب النبي » الذي رزق عمر وهذا له محمود الملقب بأبي السبعة (أب سَبِعْ) وهم :

محمد - كِرِدّايْ - ناصر - سدّايْ - عمر - كامل[1] ، كبيل - وقال لهم « عد محمد محمود كبيل فمن ذوبته عائلة أبناء أزربش الدين وقصوا الإشتراك في قتال بيت معلا وعد عاسري سنة ١٣٠٠هـ . فلما أسلم الشيخ إدريس محمد عميد للملا وحملوا معه إلى الشيخ أكد موسى عمدة عاسري مستجيرين به . وبينما هم في الطريق إليه تلقتهم جماعة من أبناء أبتمد وعاسري فرحبوا بهم ، فلما اطمأنوا غدروا بهم واستأصلوا ، فاستاء الشيخ أكد لما سمع بالغدر[2] من عمل العاسريين ، وجاء إلى محل الحادث ، ومنع قتل بقية المستجيرين ، وأساء إلى محمد عمر أبعد ، (ولكن بعد أن سبق السيف العذل) .

لم أعثر على من له إلمام تام بصحة أنساب وأسماء رؤسائها أو حوادث

---

(١) يقال ان معلا يتنا تفرعت منه ، وكذلك عد حسب بن شيخ ، وعد إلما ، وعد كروفا .

(٢) أكثر قتلى النائباب كان بعد هدنى العائلتين ولذلك كانوا يقتلون كل من يلقونه من الملاويين .

ذراريها قبل ولاية الشيخ محمد جمال ، ولذلك اعتذر لأبنائهم في عدم الإسهاب وكل معلوماتي عنهم استقيتها من السيد الشيخ محمد إدريس ، وعمر محمد نور على ضرار ، والسيد مشقا بن جيراي ابن ترنزواي ، (وهو رجل في منتهى التقوى والصلاح منذ نشأته) الذى يتمتع بثقة عموم قبائل بني عامر وخصوصا أهل الجبال .

قال إن محمد جمال بن عامر (هَرُودَة) ابن علي بن عمر بن محمد بن محمد ابن عمر بن حسب النبي بن انديكنا بن أبو بكر بن معلا المسمى بأحمد معى ابن الشريف محمد بن علي بن عبد القادر بن حسين بن صالح بن عبد الرزاق ابن محمد بن سليمان بن صالح بن محمد بن زيد بن شملول بن محمد ابن شعبان .

انتهى ما حصلنا عليه من نسب بيت معلا . ولم يبق إلا ثلاثة أو أربعة أجداد ينتهى بهم نسبهم القرشى إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(الشيخ محمد بن محمود)

كل ما لدينا من المعلومات عن الشيخ محمد هو أنه رزق أربعة أولاد أكبرهم : عمر ثم موسى ثم كامل ثم حامد ولكل من هؤلاء ذرية طيبة تعرف باسمه[1] .

---

(١) اذا اضيفت كلمة «عد» أو بيت قبل أى اسم من القبائل البجاوية «التيجرية» التابعة لنظارة بني عامر لسهل معرفة العائلة أو الجد الذى تنحدر منه .

(الشيخ عمر بن حمد)

لم يخلف إلا ولداً واحداً اسمه علي تولى رئاسة قبيلة بيت معلا بعد وفاة والده .

(الشيخ علي بن عمر)

لم يرزق إلا ولداً واحداً هو « عامر » .

(الشيخ عامر)

هو الذي اشتهر باسم « هرودة » ، وخلف خمسة أنجال هم :

موسى — حمد حسال — حمد — تمرة — وعلي المشهور بلقب « قمري »

ولكل من هؤلاء الخمسة ذرية كثيرة .

(الشيخ موسى بن هرودة)

تولى العمودية بعد وفاة والده ولكن لم تمتد به الأيام فمات بعد ثلاث سنوات .

(الشيخ حمد حسال)

تولى رئاسة بيت معلا بعد وفاة أخيه موسى بن هروده ، وتكاثرت القبيلة في عهده وازدادت مواشيها . وازدهر عصره بالرخاء وكثرة الأمطار ، وانتشرت المصارعة بين الشبان بالسيوف والتلقي بالرماح . وتاقت نفس هؤلاء الشبان الشجعان بالتحدث عن الإنتقام من القبائل التي كانت تضغط عليهم مدة ظلمهم ، فكلف الشيخ حمد حسال إرسال عصابة من أشجع الفتيان إلى الشرق ، وقبل عودتهم أو معرفة أخبارهم يرسل أخرى إلى الغرب ، ويأمر الثالثة بأن

تكون على استعداد لنجدة إحدى المتحاربتين . كما وأنه أول شيخ يأمر أولاده الصغار باستعمال سيوف العُشَر المبارزة .

سافر الشيخ حمد حصال مع الشيخ رجيع بن عجيل بن على والدَّغْفَلْ محمد ابن موسى ، والشيخ محمد بن عامرى إلى مدينة صنعاء لزيارة مالك الفوج لتوريد زكاة مواشى قبائلهم ، وإزالة أى خلاف بين دغفل وأبناء عمومته . وقال دغفل لملك : ليعد ديار هؤلاء المشايخ بالبحر المالح أنا استلم عموم الزكاة وأحضرها بمعرفتى إلى صنعاء فوافق الملك . ومنذ ذلك الحين انضمت بيت معلا إلى نظارة بنى عامر . وكانت هى أقوى وأغنى قبيلة بالجنوب لجودة مراعيها وحسن تربيتها للمواشى والناس .

أما الشيخ رجيع بن عجيل فقد تعهد بالأقمشة التى يحضرها من السفن التى ترسو بالسواحل . وكان أيضاً مثل العامريين[1] يسلمه لدغفل . ولم يكن هناك مقدار معلوم يدفعه كل عدة إلا بعد فتح الترك لكمالا ووفاة دغفل (بعد سنة ١٨٤٦م) .

واستاء كامل بن حمد بن حصال من قبول أبيه الانضمام إلى نظارة بنى عامر ومات من الغيظ كما غضب « ملادن بن موسى هروده » ، وقال لا نخضع لقابتاب بعاتنا بل نورد زكاتنا بأنفسنا منفصلين عنهم ولو مع سائر إخواننا حسين الجبال وأبيات حمر وسود[2] فطرده ومات مكموداً واستمرت

---

(١) كانوا يدفعون زكاتهم من الإبل والبقر والسمن والعسل لشدة غناهم

(٢) أنشأ شوم عمار نظارة على العمليس المتاخمة لجبال البحر الأحمر وكانت له رسوم على الإبل .

بيت معلا تحت نظارة بني عامر سنين عديدة حتى ظهرت المهدية وانفصل الفتوب عن بركة . ثم انفصلت أرتريا عن السودان

وحوالي سنة ١٨٩٨ جاء دور تخطيط الحدود بين حكومتي السودان وإرتريا فأصبحت كل أراضي بيت معلا ضمن حدود إرتريا ، كما تسلمهم محافظ كرن عن بني عامر أغردت ، وكذلك فعل محافظ مصوع إذ فصل الأصاعدة والعجيلاب عن نظارة دقلل أغردت ووافق حاكم عام إرتريا بأن تقيم كل قبيلة مقر محافظتها فاستقال دقلل الحسين وزاد استقلاله بعد فصل نحو آكد معه أيضاً برئاسة الشيخ محمود شريف(١) .

أما في السودان فبقيت الحالة على ما كانت عليه ، غير أن معلا السودان أصبحت أقلية . ولكنها محترمة ومحبوبة عند كل ذي مروءة وشهامة خصوصاً عند العجيلاب فإن رؤساءهم من أمهات عجيلابيات . وقد انفصلت عن نظارة بني عامر سنة ١٩٢٥ م في عهد عميدهم الشيخ صالح علي محمد من الناظر الشيخ إدريس بسبب تحيزه لأقاربه نابتاب عامري عيترب . ومن النوادر الطريفة أن هؤلاء طلبوا الانفصال عن أخيهم الناظر فقال لهم مدير البحر الأحمر (مستر نيقس) إن الناظر ابن عمكم فلا يصح فصل الجسد عن بعضه . وهنا قال الشيخ محمد بن ضرار زعلي « إن هذا بتر وتقطيع لأوصال قبيلة كبيرة » فقال له المدير وأنت إذا لم يعجبك هذا فأفصلك عن هذا الناظر ، وأضمك إلى قبائل توكر في العام القادم . فقال له الشيخ محمد ضرار ، في ضمنا إلى توكر مضيعة لاسم بني عامر إذ ربما يأتي يوم تنصهر فيه قبائل تلك المديرية وتصبح

(١) بعد وفاته انتسب الصموتية الى نظارة دقلل بني عامر ارتريا .

لا حضريين ولا بدويين وفي ذلك خطورة على وحدتنا القبلية (بنى عامر) .
واعمض الاجتماع باستغلال الملاويين من نظارة دقلل العتيقة .

وبقى الشيخ إدريس صالح مريضاً بالمستشفى ، فلما شفى بعد سنة احتجم في ومعه وثيقة رسمية (باللغة العربية) يطلب منه أن يوقع هو والعمد والمشايخ عليها ومضمونها (إن حكام السودان كانوا من الأتراك ولم يكونوا يوماً من المصريين ولذلك نحن الموقعين في هـــذا الصك راضون بالحكم الحالى) الثنائى اسميا والانجليزى حقيقة[٢] (فعليا) وملخص الشروط البريطانية في ثلاث مواد، إذا لم تنفذ في الحال فإن الانجليز يحتلون جمرك الاسكندرية (وقد تم ذلك) ، لأن دولة رئيس الوزراء سعد باشا زغلول لم يقبل إلا المادة الأولى فقط ، ثم أقصى عن الحكم بالقوة الحربية والضغط على الملك أحمد فؤاد :

١ — دفع نصف مليون جنيه مصرى دية القتيل السيرلى استاك باشا حاكم السودان وسردار الجيش المصرى .

٢ - إخراج المصريين الحربيين والمدنيين من السودان .

٣ — ألا تتقيد حكومة السودان بالثلاثمائة ألف فدان لرى أرض الجزيرة من خزان مكوار ، (وهذه الفقرة هاجمتها صحافة الأمم الحرة والمعارضة الانجليزية ووصفوها بأنها وضعت لتشفى وخنق مصر بالعطش) . فنفذ الجميع زيور باشا وحل البرلمان المصرى وألغى الحياة النيابية .

---

(١) بعد مقتل استاك باشا «حاكم عام السودان» أخرج الانجليز كل الموظفين وكذلك الاورط المصرية من السودان بأمر اصدره دولة احمد زيور باشا رئيس الانقلاب الذى خلف سعد باشا زغلول .

استشارنى الشيخ إدريس صالح الناظر فى توقيع الوثيقة ، فأخذت منه قسما على المصحف على الكتمان ، ثم قلت له : مادمت أنت مختلف مع المستر رجس بتوكر وصدرت منك جملة نابية[1] استاء لها كل الانجليز وأيدو عمل « الموت معلا عنك » ، فاعتذر بأن كلامك غير محترمة أو مسموعة . وحشيه من افتضاح السر لا يمكنك عرضها عليهم ، ملو أعيدت إلىّ البيت معلا لمحاولات التوقيعات . وفعلا قال ذلك لنائب مدير البحر الأحمر ، ولزم الفراش سنتين يفتقل بوثيقته بين المفتش وتوكر وبورتسودان ، والخصومة بينه وبين المفتش تزداد ، والود مفقود ، والجو فى السودان ومصر ولندن مكهرب ومكفهر ، حتى تولى منصب مفتش توكر المستر اسكوت المستشرق (نائب مدير المعارف) ، فأمر الشيخ صالح على سعيد أن يرجع لنظارة بنى عامر ، فرفض وفضل الاستقالة من العمودية التى تولاها عمه الشيخ إبراهيم ابو فارو . ثم تم التوقيع على الوثيقة ، كما تم التوقيع على وثيقة مماثلة لها تطلب خروج الانجليز من السودان (بيد أحد الموظفين المصريين)[2] .

لما أراد المستر سكوت[3] المناقشة فى موضوع الناظر والعمدة صالح بيدأ قوله « إن سعادة المدير أمرنى بعمل هذه الجلسة حقا فى الحقوق لكل المشايخ حتى يشهدوا أنه وافق على عودة البيت معلا لنظارة ابنى عامر به وتعيين مرتبات شهرية لكل العمد والنظار[4] » .

---

(١) اثناء تحقيق المفتش فى قصة سرقه بين الملاويين والنلتقاء قال للشيخ ادريس «ان مكتبك ما هو الا حانة » .

(٢) الكتاب الابيض الانجليزى .

(٣) هو اول من قد تحرمه الطلبة فى تفكيرهم الأدبى والاجتماعى والسياسى كما انه اول رئيس لجامعه الخرطوم .

(٤) قيل ان هذه المرتبات كانت من ارباح دبة استاك التى رفضت زوجه وابنته استلامها .

بعد وفاة أبو ناروا تولى عمودية بيت معلا بالسودان الشيخ محمد حامد وشوك ، وهو من بيت الزعامة له ابن يسمى « محمد الحسن » ذو همة عالية وخبرة بالعادات القبلية .

ولنعد إلى حوادث الشيخ محمد حسال[1] وهو كان معاصراً للشيخ جمع ابن عجيل (عميد العجيلاب) ، وكنتيباى ناود بن أداد (ناظر العباب) ، وكنتيباى قربلت (ناظر عاربام) ، والشيخ محمد هاسرى عميد الهاسريين

أما فى إرتريا فإن البيت معلا كانوا يعيشون فى هدوء وأمان ، والتفوا حول عميدهم بإخلاص ، واعتنوا بتربية المواشى والزراعة ، وتكاثر عددهم حتى نالوا ألوفا مؤلفة وعاد إليهم احترامهم القديم .

(قتال العجيلاب وبيت معلا)

فى عصر محمد حسال حدث أول قتال بين العجيلاب وبيت معلا فى مكان يقال له « عنكلت عجيل »[2] . روى أن سبب هذا القتال هو أن رجلا من معلا اسمه « حبيب » كان صديقاً للشيخ جمع ابن عجيل ، وكان يزوره فى الشتاء بأبقاره لجودة مراعى الأطلندة ، ويمكث معه نحو أربعة أشهر سنوياً . فتحرش به الشيخ عجيل وأبناؤه (ماعدا جمع) وطلبوا منه أن يسابقهم بأبقاره . فرفض حبيب وقال إن جمع صديقى اشترط على أن أسابقكم ، فألحوا عليه حتى أرغموه على السباق . فسبقت أبقار حبيب ، وذاع خبر سبقها بين القبائل

---

(١) هى كلمة تجرية معناها « رسن الجمل » وبالبجاوية يقال للرسن « هسال » .

(٢) تقع غرب وادى رحيب (جنوب قرورة) ، ومعناها « تل عجيل » .

فاستاء عجيل ، وقال سنرتاح منهما قريبا . وأرسل مندوبا إلى الأرتيقة والكوبلاب في توكر وطلب منهما إرسال عصابة مكونة من مندوبيه دليلها لتنهب أبقاراً كثيرة لا حامي لها ، فوصلت العصابة واستولت على كل أبقار حبيب ما عدا ناظر جمع[1] من عمل والده وإخوانه ، وقال لهم إنكم غدرتم بضيفي وجاري واتفق مع حبيب على أن يزوده بعصابة من سكان قبجر ومجاوريها على أن يستولوا على بقر أبيه وإخوانه ، ووعده بالتمهيد للانتقام . واقتفى شباب الأرتيقة «موقعة الأملدوي»[2] مدعيا أن الهدندوة نهبوا إبل الأرتيقة من الساحل البحري ، فاتهموه ما عدا أخاه نور الدين ووالده فإنهما تخلفا . ثم جاء حبيب وعصابته واستولوا على أبقار عجيل وأولاده . وفوق التل المذكور وجدوا عجيل بن علي مقتولا[3] . ثم جاء الشيخ جمع [illegible] وقطع جمجمته ، ومسح بها وجهه ورأسه وهو يقول «عسى الله أن يعطيني عمرا مثل عمرك وسعدا مثل سعدك وذرية مثل ذريتك ، وأن أكون ميمونا وموفقا مثلك في كل أموري» . ولما سئل لماذا فعل هكذا أجاب أن والدي عروة أوصاني بذلك . أما الشيخ جمع فإنه عاد ووجد والده مقتولا ومعه بعض الرعاة وعلم أن حبيبا عاد إلى أهله بعدده ومواشيه فغضب ، ولكن ماذا يجديه ذلك لأن كل الذي حدث كان بموافقته . وأخذ معه الشباب وسار خلف العصابة فلم يدركها ، ووجد أبقارا في «أدوكا» الكبرى والصغرى . (لم يتمكن أصحابها من تهريبها منهم) ، فنهبها كلها وعاد بها إلى أهله وقسمها بين من فقدوا مواشيهم . وبعد سنين انتابت الأرتيقة مجاعة واضطرهم للرحيل فجاء

---

(١) كان غائبا عن القرية يوم مجيء العصابة .

(٢) نمرته حروب بيت معلا وقلة الأمطار في عصر الشيخ جمع .

(٣) كان في سن الشيخوخة .

وبينما هم في هذه الحالة السيئة جاءهم إنذار من حمد حسال[1] بتقدمه ، فاستجار الشيخ جمع عجيل بكنفيباى نارو بن أداد فلم يجره[2] .

ورحل منه إلى كنفيباى فريلت (ناظر أبناء نمار فام) ، فتلقاه بالبشر والترحاب ، وأنزله أحسن منزلة ، وأقطعه أفضل المراعي وهي سهول « شرب » الخصبة (يسكنها اليوم العجولاب والأطمندة بلا نزاع) . وأما الشيخ حمد حسال فإنه غزا ديار العجيلاب ومعه أمثال بيت فريش ، ولبت ، ولبس ، ورشحت وكل جيرانه ولكنه عاد من غير أي فائدة إذ وجد الديار خالية من سكانها من أهلها بسبب المجاعة وترك عصابته حول رحيب تنتظر عودة الأطمندة

وبعد سنين عاد جمع إلى دياره فلاقته عصابة رحيب وانتصر عليها[3] ، فلما عادوا ذبح للقادمين من أبقاره وقال لهم اجعلوا الأثافي من جماجمهم نظير تمثيلهم بجثة والدي .

مرارا ما حاول نور الدين قتل الشيخ حمد حسال ، ولكنه لم يتمكن ، فأوكل أمر قتله لخادمه المسمى « محمد نور بن كساب » ، وقال له اذهب واسكن مع البيت معلا حتى يطمئنوا إليك ، فإذا وجدت فرصة أو غفلة من الشيخ حمد حسال فاقتله لأنه قاتل أبي . فوجد محمد نور كساب فرصة مواتية ، فطعن الشيخ

---

(1) جمع جموعا كثيرة من كل الحماسيين لإبادتهم عن آخرهم .

(2) كان معاصرا لسعد بمشو الشيركاتوا رؤساء الحماسيين « سكان هجر وما حولها » .

(3) قبل القتال ربط الأطمندة الشيخ جمع بالحديد في القرية وتعهدوا على النساء أن لايطلقنه إلا بعد موتهم أو انهزامهم ، وهي عادة قديمة حتى لايقتل رئيسهم .

حمد حسال فى صدره برمح طويل نفذ من ظهره ، فهجم عليه ثلاثة من شباب معلا وقطعوه إربا إربا بسيوفهم .

ويعجب للمرء إذا علم أن والدة الشيخ حمد حسال هى من بولاب المجيلاب (أى أخت الشيخ عجيل)[٢] ، والبولاب هم إحدى بطون التلميتكناب ويسكنون مع بنى عامر إرتريا .

وللشيخ حمد حسال من الأنجال « كيديل » المشهور بلقب إيقد كل[٣] « لا يصطلح » وبالبجاوية « بانأديل » .

بين معلا وماريا

نهب الشيخ حمد حسال أبقار عبيدة مريا السودا من « إزوتا » بقرب حلحل ، و« تمبلى » بسبب مناقشة حادة دارت بينه وبين بعض مشايخ ماريا ، إذ قال لهم ما رأيكم فى من يضرب تمبلى بالسيف فقالوا هيهات للسيف أن يقطع حملا . ثم تمادوا وأخبروا زعيمهم بقوله ، فقال لهم امرحوا قبل أن يغزوكم فأطاعته جماعة منهم وخالفه آخرون ، فنهبت عصابة المعلاويين أبقار المخالفين .

ومن طباع المعلاويين الغريزية أنهم إذا هموا بشىء نفذوه فى الحال من غير أن يتبصروا فى عواقب الأمور ، ولذلك تجد تاريخهم حافلا بانتصاراتهم فى الموقعة الأولى .

---

(١) كان حمد حسال يدعو عجيل « بخالى » .

(٢) هذا لقب منحه الشيخ حمد موسى عمدة نمر العرب .

(الشيخ إيدكل)

فى آخر أيام الشيخ حمد حسال[1] كان مقتل عبد الله وأكد وأختهما وأربعين رجلا من جماعتهم بيد الملاويين فلم يكترث عمدة الماسريين لقتلهم. وبدأ فى جمع العصابات والرجال الأشداء استعدادا للقتال . وأرسل إنذارا إلى الشيخ إيدكل ، وهذا كان يقابله فى كل شيء بالمثل بل بأعنف وأشد من تهديداته ولا بأس أن نورد هنا كيف بدأ الشر بينهما

كان أكد بن عامرى وأخوه عبدالله وأختهما « هُبُو سيت » ورجل من قبيلة « رقيات » اسمه « خليباى » وآخرون يسكنون بجوار الملاويين فى مكان يقال له « أدوبتا » ، فطالبوا ثيرانا من رعاة أبقار بيت مملا فرفض الملاويين الطلب وأرسلوا مندوبا إلى إيدكل بذلك ، وأخبروه بأنهم ربما اقتتلوا فنصح الشيخ ايدكل لادراكهم ، ولكنهم كانوا قد انتهوا منهم بالقتل ، فاستاء جدا من عملهم وقال لهم « كيف تقتلون ضيوفا يطلبون منكم طعاما وما أكثره لدينا . لقد أفسدتم على رأيى وتدابيرى ، وهدمتم آمالى العظيمة فى المستقبل. فقالوا له نحن لا نرى الثيرى ضيافة لهؤلاء الشبان بل هو ضريبة أو أتاوة أصبحوا يطلبونها منا فى كل صيف ، فقال لهم إن العواقب كلها ستقف ضدنا بما فى ذلك ناظر بنى عامر (ابن عمهم) ، فاستعدوا للرحيل إلى سمهر (مصوع) لنستجير منهم بباب مصوع البلوى لأن كل من حولنا سيكون محاربا لنا . وفعلا رحلت بيت مملا بعضها وفضيعها إلى اقليم سمهر .

---

(1) اعتزل الشيخ حمد حسال من الشيخوخة والقيت المسئولية على ابنه «ايدكل» . الذى كان بيده ادارة شئون القبيلة ، والحوادث المذكورة اعتبرناها من عصر ابنه ايدكل .

قال لى الشيخ محمد بن إدريس العبطة سنة ١٣٥٧هـ إن جده الشيخ إيقدكل أقسم يوم ولايته أن لا يسفك دما قبيلته أو يشترك فى قتل أحد أو نهب أى مواشى ، ولكن من جراء هذا الحادث أصيب بصدمة عنيفة بسبب هذا الحادث ولم يحدث فى مدة ولايته أى سوء إلا هذا . وقال لى عن مقتل أحمد وجماعته أن رجلا أشاع بين الملاويين أن عبد الله وأخاه أحمد قد قتلا سلطان بن قرى ، وهو من مشاهير شجعان الملاويين ، فقال له إيقدكل أقسم لى على ذلك ، فأقسم بأن قص ضفيرة من شعر رأس الشيخ إيقدكل فقتلت الجماعة ثم جاء سلطان سالما وصدق ، لم يقتل ، إلى إيقدكل ومعه مطلوبين من حمر فتعجب من الإشاعة الكاذبة واستعد للقتال الطويل الأمد . أما الشيخ محمد هاشرى فإنه استعد للانتقام . وأرسل العصابات من كل قبيلة خلفهم ، كما أرسل بعض المصلحين فى أثرهم عارضا عليهم الصلح والعودة إلى ديارهم فاغتر جماعة منهم بكلامه وعادوا وضمهم إلى عربانه . ووصلت بيت ملا أرض مسيحى واستجار الشيخ إيقدكل بنايب أحمد فى دخنو . فأجارهم وأكرمهم جدا ، وعين فرقة من العساكر كى تعسكر معهم لحمايتهم من كل اعتداء (١) .

وبعد ثلاثة أعوام أرسل الشيخ محمد هاشرى أخاه حامد بيلى (٢) إلى نايب أحمد فى دخنو بهدايا كثيرة وأغراه بطرد بيت ملا من حمر إلى ديارها .

---

(١) أهدوا إلى النايب أبقار كثيرة .

(٢) أقاموا فى دخنو ستة شهور كان أثناءها يحرض نايبه على الملاويين ... ومما كان يقوله «أنا جئتك مستجيرا من قوم قتلوا إخوانى ولحقوا بك فأنا أطلب العون من الله ومنك» وفى كل توسلاته لم يذكر حامد أنه من ...سريين» .

فأجابه أن اتباع كلامك سيلوث سمعتي بين القبائل ومصرى. وكان أول عمل أتاه سحب الفرقة العسكرية. فتحقق الشيخ إيتدكل أن فى الأمر شيئا، لهذا استعد للرحيل. وفجأة ظهر بين القرى شبان من دمتو يحملون السلاح ومعهم حامد بلى يأمر بتقويض المنازل والرحيل حالا، ونهبوا بعض مواشى المدجورين بهم، فرحل الشيخ إيتدكل من مفارقة الغادرين بعشيرتهم حتى وصل تزووة (حدود السودان الحالية). فوفد الشيخ إيتدكل ومعه ابن عمه منذر إلى الشيخ محمد حامرى ووصلا عليه وقابلهم أحسن مقابلة وتسامحا وعفوا عن دماء القتلى، وعقدا صلحا وعهدا على أن يعيشا بسلام وأمان كما ابتدءوا وحدا المراعى والمناهل.

ومنذ ذلك الحين علمت قبيلة العامريين أن لا راحة لها مع خلاويين مهما تباعدتا أو اتفقتا. وكان محمد حامرى يوقع بين رؤساء بيت معلا الخلافات، ثم إنهم لا يحتملون الضيم أو الإساءة لأنهم شجعان

(الشيخ حامد إيتدكل)

تولى العمودية بعد وفاة أبيه، وحضر كسوته يوم الولاية الشيخ حامد ابن السيد أحمد تافقورتاى وقد اتفقت كلمة بيت معلا على رئاسته. وتزوج الشيخ حامد ياسة نصر الدين بن قلايدوس [1]. ورزق منها ثلاثة أطفال هم: إدريس، وكامل، وعامر. وأهم ما حدث فى أيامه هو حصوله على سيف بيت معلا المشهور باسم « وَدْ دَلشاى ».

---

(1) من رؤساء عد تكلس، وجدتها هى مصلوبة بنت عجيل بن على.

(دَلَاشَاى)

هو اسم لسيف اشتهر بجودة فرنده ، ومضاء حده ، وجمال منظره . في كل من صفحتيه مجران متوازيان طولهما شبر ، وبأعلاها صورة حد لوجه ورأس متجه نحو اليمين [1] .

أما كيفية الحصول عليه ، فيقال إن خادما اسمه دلاشاى ، من قرية عد مدين (حباب) كان يعمل بمصوع ، وهناك اشترى سيفا من سوقها [2] . ثم عاد إلى أهله . وبينما هو في الطريق مع أحد القوافل تصدى لهم أسد في وادي « أَوْعَرَا » [3] (وهذا التصدى حدث لي أيضا ولكن الله سلم) ، وهجم على الخادم دلاشاى الذي ضربه بالسيف على رجليه الأماميتين فقطعهما ، وسقط الأسد مضرجا بدمائه . ثم ثنى عليه فقطع الخلفيتين . فذاعت بين كل القبائل شجاعة الخادم وجودة السيف ، وتناقلت الركبان هذه الحادثة حتى طرقت مسامع الشيخ حامد ايتد كل ، فامتطى جمله من « تبح » (عاصمته) وسار حتى بلغ قرية عد مدين (أقاربه) ، فلما وسلهم تلقاه « هاكين بن على نود ابن مدين » (ابن خالة الشيخ حامد) ، وطلب منه أن يذبح جمله وينزل من على

---

(1) لدى المؤلف مثل هذا السيف بالضبط غير ان ما علاه صورة لكفه يد يمنى بدلا من الوجه . وفي كل من المجريين نقوش فارسية جميلة جدا متقنة الصنع والرونق .

(2) في هذا العصر قال هوسكنز المؤرخ الانجليزى «١٨٣٥م» عادت الى مصوع خمسمائة سيف جديدة من الهند ، لم تجد من يشتريها فبيعت هناك . واكثر سيوف الجبلاب والامنقدة والمهدور من هذه السوق ، وهي غاية في المتانة والجمال الى اليوم .

(3) هناك نفق في جبل للاسود .

ظهره ، فقال الشيخ حامد « إن لى إليكم حاجة ، ولن أنزل إلا إذا وعدتمونى بإنجازها » وبينما هما فى الكلام اشترك محمد نور على نور فى الحديث ، وقال للشيخ حامد « اطمئن إننا مستعدون لتنفيذ رغبتك خصوصا وأنت جئتنا من دار بعيدة » ، فأجابهما بأن طلبه سهل المنال ، فقالا له وإن يكن ، فنزل من على حصانه مرتاحا ؛ ولما أراد العودة إلى أهله سألوه عن طلبه ، فقال أعطونى السيف الذى عند خادمكم « دلشاى » . فأعطوه له فى الحال ثم عاد به إلى أهله وهذا السيف لا يزال يتوارثه مشايخهم كابرا عن كابر ، وهو من السيوف النادرة جدا ، ومرارا ما خشيت الشجعان اتجاه حامد . وكان مع محمد شوم بن إدريس حامد يوم مقتل أبناء حسان ويعتقل ، وأخيه كامل بن حامد (أيام عمودية الشيخ محمد بن إدريس) .

ولما توفى حامد ايجد كل ترك من أولاده أربعة هم :

إدريس ، وكامل ، وعامر ، وجبل .

(الشيخ إدريس حامد)

تولى المشيخة بعد وفاة والده ، واشتهر هذا الشيخ بالصرامة فى أحكامه ، والقسوة فى كل أعماله . ومرارا ما شن الغارات على مجاوريه ، وقل من سلم من أذى الشيخ إدريس الذى لم يكتف بالمصائب التى يوقعها من الملاوبين بل كانت له عصبيات من العباب وسواهم ، بل وأحيانا تصل به الحالة إلى أن يتعب نفس أهله الملاوبين ولو كانوا من أقاربه ، حتى كرهوه فى أيامه الأخيرة ، ومقتوا رئاسته غير أنهم كانوا لا يجسرون على مجابهته بالعزل أو تعيين خلف له . فقرروا الرحيل من جواره والتفرق فى القبائل الأخرى . حتى إنه مرض مرضا شديدا وليس بجواره أحد منهم . وقد نصحه دقلل محمد بن

أكد نظرتي عامر باستعمال الرفق واللين ، ولكن الشيخ إدريس حامد كان شاعرا مجيدا وقد نظم كثيرا من حوادثه .

ولنذكر الحوادث التي كانت في عهد عموديته .

واقعة أت أوحن(١)

كانت هذه الواقعة بين العجيلاب والملاويين في المكان السابق ذكره . وأما أسبابها فهي أن عصابة من الحباب(٢) نهبت أبقار كامل والقرى المجاورة لمنازله (تحت حمايته) وكان كامل غائبا عن القرى ، فلما حضر وعلم بحادث النهب اتهم الشيخ إدريس بتحريضهم ، فجمع عصابة ونهب أبقار أخيه إدريس وكل من جاوره ، مقتصا منه مثله ، ثم عاد إلى وراءه وأخذ كل من تبعه ورحل من هناك بيت معلا واستجار بالشيخ ضرار بن عجيل (عميد العجيلاب والأملدة) فأجارهم وكل من حضروا معه من مشاهير الملاويين أمثال حسين محمد عودد (أمور وأخته هزنزقاي ، وعمرة بن محمد حب) فاقتفى الشيخ حامد أثر كامل وجماعته ، فلما أدركهم طلب من الشيخ ضرار أن يسلمهم إليه . فأجابه أنتم حضرتم إلينا مع الغروب فانزلوا عندنا الليلة وفي الصباح ننظر في جميع مطالبكم . (مقول حدى الشيخ على ضرار أن حرض والده كان اطمئنانهم وللبيوت حتى إذا ناموا كان عازما على القضاء عليهم ، ولكن ابنه عجيل ضرار تسرع ولفظ بعدة كلمات نابية ، ثم قال لإدريس دعك من كلام والدي فأني أقسمت ألا أسلمهم إليكم إلا وأنا ميت ثم أخذ سلاحه وهجم عليهم . فلاقاه

---

(١) تقع غربية قرون داخل حدود ارتريا .

(٢) قيل انها تألفت بإيعاز من الشيخ ادريس حامد ايدكل حيث كانت بينه وبين أخيه كامل «صهر الشيخ ضرار من عجيل» خصومة .

سمرة بن كسلا (قائد العصابة) وضرب كل منهما صاحبه بالسيف ، فتبا سيف جميل وأصاب عجيل سمرة مثقلا من جميل وأخذه بالجراح ، فمات جميل وجرح محمد ضرار فى ساقه ، وكذلك عجيل ضرار[1] ثم جاء محمد بن عمار (شمادة) وأطلق حربته على صدر سمرة فقتله وهجم رجلان على الشيخ ضرار أحدهما من الحلف (واسمه أكد بن محمد دار) من قبيلة عامر الأوليقية وأحد من ثابحاب محمد عمر ، وضربه فى كتفه ، والثانى هو على من كتيوباى كذلك ضرب ضرار أيضا على يديه بالسيف ، وتمكن كامل حامد وسمره محمد من قتل رجلين من العصابة ، ثم جاء شيك بن عجيل وابنه فتمكن فقتل كل منهما رجلا ، ثم تكاثر العجلاب وانهزمت العصابة فساروا خلفها نحو أربعة أميال ، ثم عادوا ظنا منهم أنها لن تعود اليوم ، ولكن الشيخ إدريس سار إلى طوى مراعى إبل العجلاب فقتلوا رعاتها[2] ، واستاقوها أمامه إلى تبيح

وقد جاء وصف هذه الواقعة فى أشعار رجال القبيلتين خصوصا قول الشيخ كسلا يرثى ابنه :

لقد يبح جميل ود ضرار لدارنا أبدى ودارو[5]

قاتل الله جميل بن ضرار فإنه خرب دارنا وداره

أبوه جميل إن إبل بريد أبى لأمرازو .

---

(1) قتل منها محمود محمد شياربس «اللوت» وطروى بن اب عايلاى «الفرد» ومحمد شنكهاى «سليو مرساى» ، ولما وصلوا أهلهم ذبحوا الإبل تقطع وطلها أولا .

(2) يتحسر على من ماتوا من القبيلتين .

(أبوه كان يقول جميل ولم تبرد أعصابه)[1] .

« وأمه جميل إنْ نيلْ أبهو تمساب وسالوا »

(وكانت أمه تفخر بآبائه وأخواله) .

« تسيفو إلدو خالتيو إى تخلصو لعماو »

(خاله سيفه لم يتمكن من نيل وطره) .

فرد عليه محمد بن شيك بن عجيل قائلا :

« خلا دبيت إلا جميل وإناس إنْ عادل » .

(إنها لمصيبة كبرى أن تقارن بين جميل وأحد الناس) .

« إنْ دبرْ أقيْ ابتو وفارسو إنْ أفلاول »

(إذا مشى في الجبل ظننته يمشي في السهل كأنه فارس في السهل)

وبعد مضي ثلاث سنوات من هذه الواقعة حضر دفال محمد بن أكد من خوز بركة إلى الفتوب ، وطلب من الشيخ ضرار بن عجيل مقابلته ، فامتنع كسائر مشايخ المنطقة . وبعد مداولات اجتمع به وسأله عن أسباب عدم حضوره فقال الشيخ ضرار تأخرت عنك لأنى سمعت لأن عصابات من الحبـ ـاب وبيت معلا قتلت ابنى وإخوانى وحرحوف وبقية أولادى ونهبوا نياقى ، فإن كنت حقيقة ناظرى فابعث معى عصابة انتقم بها لنفسى ، أو اسمح لى بأن أعود إلى أهلى الحدندوه . فقال ده دفال هذه رغبة بسيطة ، وأرسل معه عصابة مؤلفة من البوليس وبعض شباب المجيلاب ، وهجموا على ديار بيت معلا ثم

---

(1) هي بنت الشيخ على بن البنوى — ولعض سجميل اى عيب .

يجدوا بها أحداً إذ هجموا بغير العصابة، فـأخذت أغنامهم ومواشيهم وفى عودة العصابة قابلتهم ثلاث مراحات من أبقار مملا فأخذتها لنفسه . وكان هذا آخر خلاف وقتال بينهما، إذ انقلب الشيخ إدريس لغزو الحلاب وحامرى وبعض أقربه حتى إن للملاويين ارتحلوا إلى كنف أخيه كامل حامد . وسكن الشيخ إدريس فى مكان يقال له « قِنْ حَشْكيب » (بقرب وادى فلْكت)[1] . وقضى الشيخ إدريس كل أيامه فى عراك مع عدة قبائل وغيرها مثل سد عمر ، ومارطا[2] .

واشتهر الشيخ إدريس بحبه لضرب الربابة (إبسَنْكُوب أو مَسَنْقو) حتى إنه كان يستعملها وهو على ظهر جملة فى رحلاته ، كما وأنه هو الذى اخترع قبيلتا « وتر يسمى عِنْدِر » ، وعمل فيه حفيده الشيخ إدريس محمد إدريس بعض تحسينات حتى أصبح من أحسن الأوتار مثـــل بطاى الحجيلاب ، ومَنبَ الحامريين ، وسير الجمال للنابداب . وكان شاعراً مجيـداً كثير الهجو لنابتاب . وليس لـكل هـذه القبائل شاعر إلا الذى عند دقيل فى إرتريا .

وخلف إدريس من الأولاد : محمد ، ومحمد شوم ، وهرُودة ، (عامر) ، وحامد شمقب ، وكيل ومحمود جِيَاد ، ونُونجاى ، وعلى .

قيل إن شيك بن عجيل هجم بعصابة على إبل ليلا مدعيا ظنا منهم أنها ملك بيت معلا ، ولـكن ظهرت أنها لأبناء عمهم (عمير) فغرموا غنيمتها .

---

(1) أمر نقال الشيخ كامل بجمع الركاة من القبيلة علمتاء الشـــيخ ادريس وتنحى عن الرئاسة .
(2) تجد ذلك موضحا فى محله .

الشيخ كامل حامد

تولى مشيخة بيت معلا فى أيام أخيه الشيخ إدريس الأخيرة[1] وسار فيهم بأحسن المعاملة ، كما تحبب إلى جيرانه من القبائل . وأما الشيخ إدريس فقد رحل بأعماله إلى أروب قرية حمايته ، ومنها بدأ فى إرسال المصابات إلى بيت معلا وغيرها . وأما أهله الملاويون فقد التزموا الهدوء والدعاع

وتزوج الشيخ كامل بابنة ضرار بن عجيل ورزق منها خمسة أطفال هم : إبراهيم وشريف وضرار وعجيل وحامد كلوانى

الشيخ محمد إدريس

بعد أربع سنين تقريباً من شياخة الشيخ كامل حامد رفع أبناء الشيخ إدريس حامد شكوى لناظر بنى عامر وطالبوه برد عموديتهم إليهم . فجمع الناظر كل مشايخ بنى عامر واستشارهم فيمن هو أحق بالعمودية فاختاروا جميعهم الشيخ محمد بن إدريس[2] ، واتحدت كلمة أبناء سمرة وعرودة وهمد عوّور وأبناء تمرى على معاضدة الشيخ محمد إدريس فى منصبه الجديد ، واكتسب عطف الأقارب والأباعد ، وصاهر العجيلات بزواجه بابنة عجيل ابن ضرار ورزق منها ولدا واحدا هو « إدريس » الذى خلفه على العمودية بعد وفاته واشتهرت أيام الشيخ محمد باليمن والسعادة ، ومرارا ما دفع من ماله الخاص غرامات الخربين من الملاويين ، إلا إذا استثنينا حادثا يسيطا

---

(١) لصغر أنجال ادريس حلت الرئاسة للشيخ كامل .

(٢) بدلا من الشيخ كامل حامد واستقاء اخوه همد شوه لانهم لم يرشحوه للعمودية مع انه أكبر اخوانه ويتحلى بخلق والده (شدة البأس وقوه الشكيمة والصرامه . وهذه الشراسة ابعدته عن الناس وعشرتهم) .

لا تسلم منه أى قبيلة . وأما الخلاف مكان بين إبراهيم كامل وابن عمه هرودة ابن إدريس بسبب رواية خاطئة اضطر هرودة أن يستل حسامه ويضرب به ابراهيم ، فتلقاه بالدرقة ، وقال لو ضربتنى أنا ضربتك ، فثنى عليه هرودة الضربة ، ثم ثلث ، وابراهيم ملتزم الدفاع . وفى الرابعة أصيب إبراهيم فى ساقه ، فشعر بالألم ، وضرب هرودة بالسيف فى فخذه الأيسر فقطعه ، ثم مات هرودة لساعته . ورحل إبراهيم وأمه وإخوانه إلى أخواله العجيلاب ، وأجاروه مكانك بن شيك عجيل[1] وبعد شهور جاء القبطان مهدى محمد أحمد أبو بكر (ابن خالة المتجيرين) ، وأخذهم فى سفينته إلى جزيرة أبو عباس (يهدو) . وبعد سنة سافروا إلى موضع (فى أمبيرمى) عند الشيخ محمد بن عدى ، ثم رحلوا منها إلى قبيرو (أبناء تكليس) وهم أخوالهم أيضا ، ولقوا من الشيخ المشهور أداد ابن حميل (اكراما) ثم رحلوا إلى أغردت ونزلوا عند الشيخ أدى بن بيض (عمدة آل على بخيت) وهذا أوصلهم إلى دقال حامد محمد ناظر بنى عامر ، فأقام معه فى الدقة حين ذهابه إلى القنبرب الجزيرة . ولما قام دقال أحضرهم معه بأرض الملاويين ، وهناك طلب من الشيخ محمد ابن إدريس أن يصلح بينهم وبين إخوانه . فرفض بعد أن أثبت لدقال أن ابراهيم رجل خطر وشرير ، وقد قتل قبل هرودة ثلاثة من الملاويين وقطع يدى رجلين آخرين من أقاربه ، وكلهم يريدون أخذ ثأرهم بأيديهم مع أنى دفعت الديات والتعويضات اللازمة فعادوا إلى قريتهم بتبيح وكان ابراهيم يسير دائما مسلحا[2] ، فعقد أبناء إدريس حامد اجتماعا لقتل ابراهيم واتفقوا

---

(1) ولما أراد اخوان هروده اللحاق بهم منعهم الشيخ محمد ادريس مستشهدا بعده حوادث فى الاستجاره بالعجيلاب .

(2) أذكر أن رجال القرى بمقيدى كانوا يمشون دائما مسلحين خوفا من هجوم مفاجىء لكثرة المشاكل فى المهدية .

على عرض الفكرة لعملة الشيخ محمد[1]. ووافقوهم على الإنتقام فقال له كميل: إنا مرتدون في كلامك هذا وإن كنت صادقا فأعطنا سيفك « داشاى » فأعطاه لهم. ثم اتفق كميل مع أخويه حامد شقب وإدريس فو تحرى على قتله وهو نائم، وترقبوه ذات ليلة وإذا به يخرج لقضاء الحاجة بسلاحه. وانتظروه حتى عاد ونام. وهجموا عليه وإذا به يقبض إدريس من شعره حتى حق رقبته فأغاثه حامد وقطع يدى ابراهيم. وجاء كميل فضربه بداشاى فقطع ظهره. فقال لهم: لله دركم لقد أخذتم ثأركم، أدركونى بالماء فسقوه حتى ارتوى ثم مات. واستاء أخوه حامد كلوانائى وقال لقد ذالب على أخى كل أبناء عمى، وما كيد لهم المكائد مع القبائل. وفعلا كانت حروب الملاويين مع الطامر بين سببه. وكان رأسا لتكل عصابة بين الفريقين.

واشتهر الشيخ محمد إدريس بالتعقل وحب الخير والسلامة. وكانت أيامه صحيفة بيضاء فى تاريخ قبيلته حتى توفى إلى رحمة مولاه[2]. وخلفه على المشيخة ابنه ادريس، وهو ابن عشرين عاما. وكان مشايخ الملاويين يحتفظون بالحجاب كان قد عمله السيد حامد أحمد نازموتاى لشيخ أحمد حسال، ولما أخيرا تولية الشيخ محمد كان الحجاب والسيف (داشاى) عند أخيه محمدشوم فطلب إدريس محمد قروب منهما للشيخ محمد إدريس لأنهما شعار العمودية.

---

(1) قتل ابراهيم احد مشاهير الملاويين وكان لمقتل ... شجاع اشترك ... ابراهيم مع أبناء ادريس واشتهر ابراهيم بقزح أى سلاح جميل ... سيفه.

(2) توفى سنة ١٢٩٤ هـ وهى التى ولد فيها حفيده محمد ادريس المتوفى ... سنة ١٢٧٢ هـ.

واحضرها هدشوم وسلمها لأخيه العمدة محمد . ولما توفى أخذ ابنه الشيخ ادريس جميع مخلفاته .

وكان الشيخ محمد ادريس يقول الشعر الذى لا يكاد يخلو من الفخر او الحماس إذ أن مدحه للحلم والعفو عن الناس كثير جدا ، بخلاف أشعار أخيه هدشوم التى يتوالد منها الشر المستطير ، وكأن قلبه قد من حديد[1] . فمن شعره يخاطب أخاه الشيخ محمد ادريس .

« دبا دِمْأنَا إسَاتْ مُوبَأتْ وَجَرْسا »[2] .

(نحن غضبنا كالنار المتوقدة فى حطب الطرف والجرسا)

« تَما تُومُو إتْ إدَىْ كَمُوتا إبْلُو وتَرْشا » .

(كما يقلب الطاهى العجين فيحول ثم وقت طبخه) .

وهى قصيدة طويلة أجابه عليها الشيخ محمد بقوله :

« حِينْ وِطْنا يُرى إ كَلْتْ وجَرْسا »

(أما نحن فسالمون ولا نحصد إلا الذرة والتمر) .

---

(١) قال شريف كامل ، لم أر اشجع من هذا الرجل خصوصا يوم قتل أبناء الماتناب ونحن مستجيرون بهم (من قبل القتال) ، ونخشى أن يغدروا بنا لأن اخوانه قتلوا عشرة من اخوانهم . ثم أرسل لنا عمدهم الشيخ أحمد موسى العشاء فأبينا أن نأكل معه إلا هدشوم فإنه أكل العشاء وقال لن يبعث الجوع قتلاهم ، وإن أرادوا الانتقام منا فخير لنا أن نقاتلهم وبطوننا مملوءة .

(٢) تهب النيران فى هذين النوعين سريعا .

« هيم لاتو تمايبوُ حَلمجَايوكمْ ملسكاَ » .

(ترق اليتيم حتى يدرك سن الرشد) .

« وبايت لاتو تأددرُو إبْ حَوُريكمْ طَرَقاء » .

(سيشبع الجائع إن جاءنا بأثاثه « عمور ») .

« وعاقبْ لاتو تانيرُو من دَمْ أدَامْ لَعَدَماَ » .

(وتتأر من الجاني الذي يشبع من سفك الدماء وغيره) .

« همدْ شوم دِمَلُو كِيتَلْ طَبَعَبْ إنْ شكاَ » .

(أما همد شوم فإنه يعمى ثاراته إذا شبعت بطنه) .

ونكتفي بهذا العدد من أشعار الآخرين .

كان همد شوم إذا سئل عن إخوانه يقول « إنهم لا يتمعون ولا يصلحون للرئاسة » خذ مثلا الشيخ محمد ادريس وهو عمدة القبيلة تجده وحيد أمه ليس له شقيق يأتمنه أو يثق به . وكذلك كمل فإنه أعمى لا يتحرك من محله ، وهذا موته خير من حياته . وأما حامد شنقب فهو فقير لا يملك شيئا . لهذه الأسباب الواهية كان اخوان همد شوم محل احتقاره .

الشيخ ادريس محمد

بعد أن تولى العمودية بخمس سنين اشتبك مع المصريين في حرب العصابات ثم القتال العنيف الذي جلب للقبيلتين كل خراب ودمار . قيل أن سلمان باشا نيازي (حكمدار شرق السودان في سنة ١٨٨٣) م عارض في عموديته ، وقال إنه سكن يجب أن يكون له مجلس وصاية لأن كثرة تعداد القبيلة التي تركها له والده وكثرة مواشيها ، وحسن مراعيها ، وشجاعة رجالها ،

وشدة شكيمتهم ، كل هذه تتطلب رجلا صبورا حازما لا يتساهل مع الشبان. وكيف يكون الحالة إذا كان هو أحدهم لاسيما وأنهم جميعا كانوا يتمرنون على المصارعة والرماية والقفز واستعمال الدرق والسيوف . ومثل هؤلاء الشبان لا يقيمون وزنا للحياة ولا يعرفون سبيلا إلى الجبن أو الخوف ، وكلهم يعشون الخيلاء عندما يتدرعون بأسلحتهم في الحل والترحال[1] ، ولا يرتاب المرء في أنهم يحتقرون غيرهم[2] ممن لا يجارونهم في ضروبهم هذه خصوصا الذين يتجردونها من نزق الشباب. وهي عدم التبصر في نتائج الحروب الضارة خصوصا المرتجل منها

وإن الكهول في القبائل يتجنبون القتال والمصادمات لأنهم عركوا الدهر وعركهم ، فخرجوا منه بعظات أهمها أن السلم خير من الحرب التي فيها هلاك المال والولد .

سبق أن أتينا على نتف من حوادث الشيخ ادريس في عدة مقالات سابقة.

قبل سنة ١٩٤٧ م كانت قبيلة بيت معلا تتألف من العائلات الآتية[3]:
رِفَيات — طَازَوِيلِ — أَفَدُوبْ — أَبَدَه — كَمَانْ — أَفْرِيد — بَرْعَدَى — بَعَلْ إِجِلْ — عوزاى — أَبَهُوشَة — اسماعيل — سعد الدين — مَعَلايِتْ

---

(١) السيف والخنجر والحربة والدرقة والعصا المطبلة .

(٢) كان في العاصرين أمثال هؤلاء الفتيان ، وكل من الفريقين يرى نفسه أشجع وادرى بضروب القتال من الآخر ؛ ويتهافتون على شراء كل سلاح جديد

(٣) اكثر هذه العائلات نالت حريتها وعاد كل اخ الى أخيه . وبقيت بيت معلا بقسمها لأن من كان منهم عند الندم طمع في حسن ارادتهم أو انقراض ذويهم .

— ممّلا قطّان — . والعائلات الثــانية لأولى لم تخلص فى قتالها مع الملاويين ضد الهاسريين . ولذلك أعلن رئيس عد هاسرى بأنه لايقاتل إلا ذرية « أحمد معلى » ، فاطمأن الأول ومنحلوا السلامة والنجاة ، فكان لهم ما أرادوا .

قبل البدء فى سرد قتال الملاويين والهاسريين نود أن نذكر للقراء بأن أكثر رواتنا كانوا من المحايدين وممن ليست لهم أى أعراض فى الدعاية أو الشهرة وقد أدركنا أكثر المشتركين فى هــذه الوقائع من رجال القبيلتين وبعض رجال القبائل المجاورة لها مثل الميجيلاب والحَبَاب والرشايدة وآل الشيخ حامد وغيرهم .

وأول عمل أتاه الشيخ إدريس محمد هو منعه للهاسريين من مراعى بيت معلا فى زمن الخريف إلى جبل تبيع وضواحيه . وأمر بطرد مواشيهم منها . وكان خصمه الشيخ أكد موسى يرى أن لا حق له لأن الأراضى بكلهــا[1] تابعة لنظارة واحدة (بنى عامر) وهى ثلاثة قبائل فى القنوب (ميجيلاب وهاسرى وممّلا) . ولم يكترث الشيخ إدريس برأى الشيخ أكد ، إذ كان فى صفه كل شباب بيت معلا ، كما كان مؤيداً له بعض أبناء عمومة الشيخ أكد أمثال الشيخ أكد محمد ، والشيخ محمد بن موسى ، وحامد إبراهيم قنّاد[2] ، وكل هؤلاء كانت كلمتهم مسموعة فى ذويهم الهاسريين . كما كان جماعة من

---

(١) يقول الشيخ محمد ادريس المذكور أن اكد كــان يحــاول لجعــل الملاويين تحت سلطته كما حدث فى ايام حمد حــال الاخيرة وهاسرى .

(٢) كان حاضرا مع الشيخ ادريس يوم جاءه شبان الملاويين بسيوف وبقية أسلاب الهاسريين .

الملاويين ضد إدريس مع أكد يوم حامد مقتل أبناء الهاسريين ، وأولهم حمد حمدشوم إذ تشاجر إخوانه مع أبناء الشيخ حسين محمد غرور (هما حمد جمع والحاج عبدالله حسين) ، فكانت بينهم جراح خطيرة . وانضم إلى الهاسريين شريف بن كامل . فاشتدت بين القبيلتين حرب العصابات ، فاضطر الشيخ إدريس رفع شكوى للناظر دقلل على بكيت من أعمال الشيخ أكد الذى كان سوء التفاهم بينه وبين دقلل مستحكما فى قتال أبناء عمر وأبناء إبراهيم (تابتاب) ، وأخيرا علم إدريس أن دقلل سيكون محايدا وزاد السلب والنهب بين العصابات .

قتال أجنقة

وهو منزل فى تبيج تشاجر فيه محمد حاشريب الملاوى ، ومحمد على إبراهيم (هاسراوى) ، وهجما على بعضهما ، فتمكن الأول من ضرب الثانى فى كتفه الأيسر ، وضرب الأول خصمه فى ذراعه اليسرى ، وحال المصلحون بينهما ، وذهب كل فريق بجريحه . ثم تهادنا حتى مجىء الناظر ، فتأخر وانتدب ابن أخيه (حمد محمد) بدله . وهكذا حضر لابيت معلا وأصلح بين الشيخ إدريس وأقاربه فتبيج ووحد كلمتهم [1] ، ثم ذهب للهاسريين ولكن للأسف رفض الشيخ أكد وساطته . فعاد الشيخ حمد محمد إلى [illegible] فى أفرودت وذكر له كل ما عمله من الصلح [2] . فانقضت الهدنة وعاد السلب والنهب بين الفريقين بشدة .

---

(1) اجتمعت به فى سواكن سنة ١٩١٧م وأخذت عنه كثيرا . وكان الشيخ أكد موسى يقول بعد مقتل ابنه حمد «إذا لم يمت أحد ابنى حسين حمد غرور أو العمدة ادريس فإننى لم آخذ ثأرى» .

(2) بسبب هذه الخلافات يتهم الهاسريون عموم آل مقلل بالتواطؤ مع الملاويين الى اليوم .

(غزوة قنبجار)

في جبل « دَرْبَع » بقرب وادي عَشْنَبِيَة كانت تقيم قرية أبناء قنبجار ، فأتتها عصابة من الخاسريين سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢م) فلقيت كل إكرام وضيافة مع أن القلوب كانت مبتدئة في الضغائن والحقد الدفين ، تتروع الشر في كل لحظة فقام إدريس عيس (خادم الخاسريين) وأخذ غنمه سمينة قصيرة الأذنين (١) « قُولَايِتْ » وقال أعطونا هذه الغنمة . فضربه أحد الملاويين بعصا في يده فانقطعت منه الغنمة ولحقت بأخواتها . وجاء رئيس القرية (جِيِع قِنْبَجَار) وضرب بسيفه محمد إدريس أ كد فجرحه في فخذه ، ثم التفت إلى يمينه ، فرأى حامد أبو سعيدة يستعد لضربه ، فسبقه وضربه على يده أيضاً فدفعها عن القتال . فاستغاث إدريس أ كد موسى (ابن العمدة والد العمدة الحالي سنة ١٩٥٠م) وقال اهجموا كلكم على جيع واضربوه واقتلوا . فلم يتمكنوا إلا من جرحه وجرح اثنين من أقاربه ، ثم حملوا جرحاهم واستاقوا كل أغنام القرية ، فتقام العمدة أ كد موسى ، ووبخ ابنه وعنفه على عمله وسوء تصرفه وجزائه السيء بعد الكرم والضيافة ، وقال كان يجب أن يقتلوا الملوك إدريس محمد . وأمرهم برد الأغنام وكل ما أخذوه من القرية إلى أصحابها آل قنبجار .

---

(١) يتشاءم البجة من الغنمة او النعجة « القولايت » .

قتال سروتات

تشاجر صالح أكد إدريس حاسري وعلي بن سَقُوتة الملاوي أثناء رحيل القرية من سرُوتَتْ فضرب الثاني الأول بالسيف فجرحه، وضرب رجلا آخر من موسَى اسمه إدريس محمد شمكحاى (١) فقتله. وبجاة نادى صالح بفتا من الحاسريين كي يدركه بسيفه، فأتاه به (حافية بلاه من الناس)، فأخذ منه سيفه وضرب به على سقوتة على فخذه فقطعها. فتفرق سكان القرية، ورحل كل فريق إلى قبيلته. وتوفي علي سقوتة، واستعدت كل من القبيلتين للقتال، وانتشر الخبر بين القبائل، وأمر كل عمدة قبيلته أن يجتمع حول قريته بمواشيها وأن تتجنب الشكوى مع أحد الفريقين المتقاتلين. وكانت أنباء ظهور الإمام محمد أحمد المهدي تطوي البيد والفيافي شرقا وغربا بل في كل أنحاء المعمورة خصوصا بعد واقعتي «الجزيرة أبا» و«جبل قدير». فطارت انتصارات المهدي فيهما سنة ١٨٨١م.

ولم تسلم قبائل إقليم البجة بالشرق من مناوشات وغزو ومنازعات.

فاجتمعت قبائل حاسري في تيَتّ وعَدُوبَنَه (٢)، وبيت معلا حول جبل نُبيعْ ومَجَرْ، وبدأ كل فريق في إعداد آلة حربه وسنها وتنظيفها.

فأمر الشيخ أكد ابنه محمد بأن يكون على رأس الحاسريين وقيادتها لكي

---

(١) كان صديقا لصالح ادريس واشتهر بشجاعته لأقاربه الملاويين حبا لصداقة المذكور، وإذا وردت عليه أبقار الملاويين حرمها من الماء وضربها ضربا شديدا.

(٢) كلتاهما في السهول.

تراقب طرق جبال عيّت إلى السهول ، كما كانت عصابة ابن عمه الشيخ أكد محمد تراقب مضيق عدارت إلى عدوبنة . وأسند الشيخ إدريس محمد رئاسة عصابة العلاويين إلى « محمد جمع بن حسب » كي تغزو هامرى (١) مروبت . فكانت كل من العصابات على أتم استعداد في القسوة للعقوبة وبأيديها السيوف الجيدة والحراب والخناجر والدرق . ولم يكن فيهم إلا من أخذ تمرينا كاملا في استعمال هذه الأسلحة (٢) . وأشهر أفراد عصابة محمد جمع هم : حامد كامل كنونافاى ومحمد على كميل ، وعلى رعد بيش M lico ، وداير مسمر ، وإدريس هوديك محمد حمراى ، وعثمان دود محمد تيرواى ، وعمر ضرار شريقاى . وغيرهم . أما عصابة الهامريين فكان أشهرها : محمد أكد موسى ، وعمر محمد موسى محمد ، وعلى بخيت أبسعد ، وأخويه حامد ومحمد على وعمر محمد ليباب . وعلى مرج إدريس عمر ، وحامد إدريس أبسعد ، وأبو سعيدة محمود ، ومحمد حمطسعيد ، ورشيد محمد إدريس شيك ، وغيرهم وكان أشد الناس كراهية للعلاويين أبناء أبسعد فإنهم كانوا أقوياء وشجعان للغاية حتى إن ثلاثة من (٣) أشد العلاويين قوة استصغروا الشيخ محمود إدريس أبسعد ، فأخذ منهم أسلحتهم وأحسن استقبالهم كما هى العادة ، ثم أوعز لشبان

---

(١) كان الشيخ أكد عمر واثق من عربانه اذ كانت من أكثرهم والعلاويين مراة خصومة « آل نفل وأب حشيلة وبلى وكل الحماسين » وكان يتزعمهم الشيخ على بن شاكر وهو خصم عنيد للنابتاب ، فسجنه في بيته لئلا يهرب الى العلاويين .

(٢) أول من حمل من الشبان السيف والحربة والدرقة والخنجر والعصا عند العامر هرب بن فكاك العجلاني . فاستعملها كلها في يوم معركة .

(٣) كان غرض محمود أبسعد أن يحتفظ بهم كرهائن عندما يحدث صدام بين القبيلتين . ولما لم تحدث أى مشاجرات أطلق سراحهما .

الماسريين وأوثقوهم بالحبال والسلاسل فى أرجلهم وأيديهم ، وألحق كل واحد منهم عمل بعيد عن الآخر . وصار يرحل بهم كلما رحل وفده حاسرى . ولا يطعمونهم شيئا فى النهار وقليلا من الماء وفى الليل يطعمهم قليلا من العجين ، وحرم عليهم اللحم واللبن ، ويقول لهم كلوا من أجسامكم كما جعتم . وحقيقة إن الماسريين والملاويين كانوا فى قمة حتى تولى رئاسة الملاويين الشيخ إدريس محمد .

يعجب المرء كيف أن مثل هؤلاء الأقوياء الناجعين أحسن سلاح يستسلمون لأكبر خصم لهم ويثقون فيه . وأغرب من هذا أن أهليهم لم يعرفوا محل وجودهم [1] وفجأة عادوا إلى تومبج وكأنهم بعثوا من قبورهم وهم مرضى ، ولولا أن صديقا للشيخ أكد سأل عنهم لما اعترفوا بهم [2] .

وبعد شهور توفوا من التغذية السيئة ، وأصبح أبناء أبسعد مسئولين عن موتهم وإذا نظرت إلى من قتلوا من الملاويين تجد أكثرهم من أبناء قنرى (Qanri) فمنهم ذاير وحواى وهرديه وهم الذين ضربوا أبسعد بالسيوف فى وجوههم حتى ماتوا يوم (عيت) إذ خذلتهم سيوفهم ، فكان محمد عمر أبسعد رجلا جبارا وقاهرا . وكذلك العمدة بأنه كان يأمر ويعوض لقتل كل من يعثر عليه من دورة ، محمد عوفور ، لأن أحمد حواى ، ومحمد جمع قتلا أباه ، وطعنه أولهم طعنة [3] بالحربة عثمان دود (ابن أخت محمد جمع) ،

---

(1) من ذريته أرى بن عمر شيك .

(2) هذه الحادثة زادت نيران الفتنة .

(3) لما سئل عثمان فى الأيام الأخيرة اقسم لى أنه لم يطعن محمد لأنه كان صغيرا لا يقدر على حمل السلاح بل كان يحمل اناء الطعام فى ذلك اليوم . وأكثر الروايات تتهم حواى .

ولذلك كان القتلى من جانب العائلتين كثيرين وما عدا غيرهم كان موته من غير قصد . وبعد دفن أبيه، أرَيَّ بن عمر شيك بأسبوع دخل قتال القبيلتين فى الشدة ثم بدأ بينهما قتال عيت فى باب حافولي ، كما تواعد رجال العصابتين (وقد حدث فيه قتال كبير فى سنة ١٨٦٠ م بين المجيلاب قتل فيه عبد القادر حرب ، وحامد عَنَّاد ، وجرح منهم عشرون وقد قتل فيه أيضاً إدريس حامد قرار بيد بيت معلا ، وأبناء أرَيَّ قتلهم الماسريون فى عيت بعد واقعة باب حافولى) .

قتال عَيْت

كان فى ربيع الأول سنة ١٣٠٠ هـ . قيل أن الشيخ إدريس محمد أمر محمد رجيم أزمزو قرية بهرتي ماسرى (وهى القومات فيها على شقوتة بمرويت) وقال له : « اقتل منهم أى رجل تصادفه من نابتاب ماسرى وانهب كل مواشيهم » . فقاموا متيممين مرويت ، ولكن لأمر أراده الله اضطروا لأن يقيلوا فى جبل عَيْت ، وقالوا عندما يظلم الليل نذهب إلى جبال (طِقّت Tiggat) وبينما هم فى القيلولة وعلى وشك الرحيل إلى طِقّت شاهدتهم عصابة الماسريين[1] وهى تسير فى الطريق الضيق الذى يوصلها إلى عصابة الملاويين الكامنة . وفجأة خرجوا من مكامنهم وحومت طيور بيضاء (نحو مائة) على الملاويين ومائة أخرى سوداء على الماسريين ، متفاءل الأوائل وتشاءم الأواخر[2] . ولزمت كل عصابة محلها ، وتنابذوا بأقبح السباب . فأراد

---

(1) كانت عصابة أخرى من الماسريين تراقب مواشى أصحابها فى آيلو قرورة .

(2) هذه رواية محمد موسى حمد .

حامد[١] أبسعد أن يتسلق الهم الجبل ، فمنعه محمد أكد من ذلك قائلا دعهم يحضروا إلينا في السهل (أسفل الجبـــل) . فقال : كلا نحن أقوى منهم ولا يجسرون على قتالنا . وإذا بالملاويين يتسابقون إليهم من أعلى الجبل ، فحمى الصدام بين الفريقين ، فكنت ترى سيوف الملاويين تقطع اللحم ، وتكسر العظم ، وتقطع الرقاب من الرؤوس ، بخلاف سيوف الهامريين فإنها كانت تنبوا ولا تقطع أى شيء ، وكذلك كان الحال في الحراب وكأنهم كانوا يضربون في حديد بارد ، وكأن حالة الاعاق الحديد عن عمل أى تأثير في الملاويين وكأن بالهامريين يتمثلون بقول شاعر النيل محمد حافظ إبراهيم :

لا تلمْ كفّي إذا السيف نبا ... صحّ منّي العزمُ والدهرُ أبى

فسقط الهامريون في مكانهم بين قتيل وجريح لا يعي شيئا مما حوله ، وقد لطخت وجوههم بالدماء من كثرة الضرب بالصوارم ولولا تعفف الملاويين من قتل خصومهم لأجهزوا على الجرحى . ولم يمت أحد من الملاويين . أما قتلى خصومهم فهم أكد موسى ، ومحمد محمد موسى (لم يمت) ولكن عاش وهو مقطع الأوصال مكسور العظام لا يوجد شبر في جسمه سليم من ضربات السيوف ، وقتل أبناء أبسعد الثلاثة (حامد وعلى ونجيت ومحمد على) ، قيل

---

(١) قال لي حاج محمد ضرار ان محمد على ابسعد اخا حامد كان اقوى رجل في رجال العصالقين واخبرهم بضرب السيف ومسك الحربة ، وكان له سيف اسمه "البحر وارد" وهو غير مجروح ، فأصاب به كل من اعترضه حتى قتل الجبل وهو يطاردهم ، فقال انهم قعد تجمع اعدائه بالحجارة فقذفوه حتى اغمى عليه فقتلوه .

إن إدريس محمد محمد قيت معلا أوصى - له حامد كلوانای كامل [1] بأن يلقى القبض على أبناء خالاته وهم الأول والثلاثة الأخيرين ، وبتر محمد تكروش بن محمد إبهامه ، وسوى موسى بن إدريس ، ومن تقطعت أعصابهم وعاشوا نصف أحياء : محمد آكد عامري ، وأبو سعيدة محمود ، ومحمد حمد سعيد ، ورشيد محمد إدريس شيك . فيا خطه هؤلاء القتلى عند الآخر موقف الشجاعة والبسالة حتى سقطوا جميعهم في مكان واحد ، ولم يقع الضرب إلا في وجوههم ونحورهم مقابلين القدر المحتوم برباطة جأش وثبات ، حيث خانت آمالهم في أسلحتهم سواء السيوف أو الحراب ، وقد غنمها خصومهم [2] .

يحدث كثيراً في قبائل بني عامر والحباب عمل السحر والطلاسم على أسلحة العدو ، ومن عادتهم لهم خبرة بهذه الأعمال يتولونها ، وكل قبيلة لا تغزو ما لم يضمن الساحر الذي يعقد العقد ، ويتلو أشياء بلسانه ، وهي عدة أنواع ، بل بعضهم يعمل طلسماً وحجاباً لا يعمل فيه الحديد أو الرصاص . واستعان العلاويون برجل من أفندوب (أرتدة) يدعى « عمر طوم » أي عمر الحلو طلبوا منه أن يعمل لهم طلسماً قبل الغزو حتى يضمنوا السلامة والنصر ، فطلب ثوراً أسود كبيراً ، ثم ذبحه وتلا عليه كلمات ، ثم أمرهم بأن يمروا من فوقه وهم آخذين من

(1) الثلاثة الأخيرون أمهم بنت محمد حجيل ضرار ، ومحمد أمه بنت نور الدين ضرار ، وأسعيدة أمه بنت محجيل ضرار ، وأمه كلوانای عمته بنت ضرار من محجيل « من المجيلاب » ولهذه الأسباب وقعت هذه الدائرة على الحماد القائم في قتال هاتين القبيلتين .

(2) قبل القتال بسنين كانوا يتواعدون على محل الواقعة الفاصلة بينهما في « باب جلمولي » وقد تم ذلك .

ثلاثين ، فتخطاهم واحداً واحداً ، ثم قال لهم اذهبوا إليهم ، فإن أسلحتهم لن تؤثر فيكم . فلما عادوا أخرجوا له المكافأة .

ولما عادت العصابة إلى « إيتايلى »[1] Ei, eilel احتفى كل سيفه وافتخر بالنصر والثأر الذى أخذه . ثم جاءوا بالأسلاب إلى الشيخ ادريس محمد ، وكان الوقت ليلا ، فأوقد النار ثم شاهد سيف حمد آ كد ، فقال لهم : ماهذا ، ألم أقل لكم لا تقتلوه . ثم استقل آخر فوجده سيف على بخيت ، فكرر قوله . وإذا بوالدته تصيح ، وتبكى على أبناء أخواتها ، فقال لها : لا تحزنى ولا تتلفظى ببعض بكلامك لا يهلك إدريس لأنه لا يحب الميت[2] . ثم قال لخاله حامد كلو اماى[3] ألم تدافع عنهم . فأجابه حمد على كيل : ما رأيك ما هذه القرابات من الموقف كان موقف عصبة أبناء عمومة لاخؤولة فنحن أخذنا بثأر ابن عمنا (على صقوته) ، ولكن ليس لنا بعدنا من يأخذ بثأرنا . ولذلك احتمنا للسابق واللاحق . فأجابه العمدة : أنا أرسلتكم إلى بيوت عاسرى ، سبب لقتل واحد وإذا بكم تقتلون عشرة . فأجابه حمد جمع نحن لبسنا أكسفانا واعتبرنا أنفسنا ميتين ، وحلقنا وصايانا ، والقينا العاسريين مستعدين لقتلنا ، ودخلنا المعمعة ولم نكن

---

(1) يطلق على القرى التى تسكنها بيت معلا مع عبدنيت وهذا الاسم خلص بتراهم ، ومعربها «لاسين او لاتخبر» من كثرة المنازل وهو ترجمة سلاست الذى غنى عنه الشيخ ادريس حامد .

(2) قيل انها كانت تنديبهم قبل القتال سلاث مسين لأنها كانت متيقنة من قتلهم .

(3) عرض كلواناى امام منزله وقال : ان الملاويين قتلوا اخى ابراهيم وهو بمنزلة عشرة رجال عندى ، ولذلك تسبب فى قتل عشرة من العاسريين بيد الجوبين لئلا تنطفىء نيران حروبهم . وقد تحقق مراده .

نسمع أو نرى غير قعقعة السيوف ، وطعن الرماح ، وأشلاء تطير هنا وهناك ، ودماء تسيل أنهاراً ، ونحن في وسطها غائصون لم نستفق إلا بعد القضاء على آخر رجل من خصومنا . فلولا الطلسم لما رجعنا إليكم ، فهذه منها تخطىء وتصيب فلا تكثر علينا من العتاب والتثريب ، وتمثل بأبيات قالها جميل بن معمر على وتيرة بيت من أشعار الخنساء[1]

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

ثم التفت العمدة إلى دايرو وهو محمد وقال له : كنت أظن أنكما أعقل من في العصابة ولكن خاب ظني بعملكم هذا نحن لم نكن نقصدهم ولكن عثرنا على بعضهم فجأة في باب حانوت فجأة ومن غير قصد وهذا أمر الله ولولا سفههم وبذاءة ألفاظهم لما اصطدمنا معهم وهم الذين طلبوا إلينا النزول من أعلى الجبل مرارًا ولو وجدنا غيرهم لقاتلناهم لأنهم ان يبقوا على أحد منا بعد الآن . فقال له حالة كلو اناى : لا نضيع الوقت علينا في الكلام فلنأخذ حذرنا ولنستعد لقتال الطامعين ومن يناصرهم ويحالفهم ، وسيؤلبون علينا كل القبائل التي لها معهم قرابة أو صداقة وأولهم حلفاؤنا بالأمس هذه موسى ورئيسهم الشيخ أكد محمد[2] ، والحساب وآل الشيخ حامد ، بل وكل قبائل جبال أرتريا ، فالرأى

---

(1) تماضر التي كانت تبكي أخويها صخرا ومعاوية أربعين عاما خصوصا صخرا الذي قالت فيه :

وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

ولولا الاطالة لذكرنا شيئا من رثاء أحمد هيد على كميل المقرنة لان شعرها في أخيه حمد على مؤثر جدا .

(2) وفعلا قد نحقفت فراسته اذ عدم الشيخ أكد محمد من درجته في عذ

معنى أن نقوم بهجوم خاطف على دقة « هاسرى » ونقتل كل من نجده ، ثم نغزو غلوبنة ، ثم صروبت ، ونقضى على البقية الباقية منهم ، فإن لم نفعل ذلك فسيجمعون الجموع ضدنا . فقال له العمدة : إنى أخشى أن يبدأوا القتل بأخويك شريف وضرار ، وعمى محمد شوم لأنهم فى حوار هاسوى (أكد موسى[1]) فقال لهم حامد إبراهيم قتا لن يمسهم سوء مادام أكد موسى حيا . فقال الشيخ إدريس سندبر أمورنا غداً إنشاء الله ، وافترقوا

اما الشيخ أكد محمد فعاد بعد ثلاثة أيام الى الرشايدة فى عيذب وقال لهم « المروءة والنجدة ، فإن الملاويين قتلوا أبناءنا وأنتم حلفاؤنا فاسعفونا بأسلحتكم النارية » ، فأرسل معه الشيخ عبد الله ثلاثين شابا على جمالهم ، ومع كل منهم رديفا ، فأصبحوا ستين شابا ؛ من الدنيات عشرون ومثلهم من الجرانا ومثلهم من البراطيخ .

ولنعد إلى القتلى فى هيت ، فإن الشيخ أكد حضر موسى ومعه جمع غفير من الناس لدفن القتلى وحمل الجرحى إلى دقة هاسرى[2] ، بعد الفراغ من الدفن ،

وبعثه الى عيذب ومعه السيد عمر ابراهيم الأمين حيث كانت هناك قبائل الرشايدة ، واجتمع بالشيخ عبد الله امبارك «ناظرهم» وعقد معه محالفه ، وقسم كل منهما على المصحف لمعاونة أخيه . ولم تكن الرشايدة قد سمعت بموت الهاسريين بيد الملاويين .

(1) قال لى شريفة كامل «لما جاءنا خبر مقتل الهاسريين تحيرنا فى أمرنا ، فأرسل الينا الشيخ أكد العشاء ، ثم قال الحقوا بأهليكم فى ظرف أسبوع الا لن تغزو قبيله . وفعلا تم ذلك ولم أر أوفى منه .

(2) الذين شفوا من الجراح كانوا بمثابة أحياء لكثرة جراحهم .

ونادى مناديه فى القبائل بالحضور وكان الشيخ أكد محمد أول من حضر بالرشايدة بقيادة عامر بن عيد. فلما استكمل الشيخ أكد[1]، استعداداته خشى أن يصيبهم ما أصاب أمامهم من الطلاسم ولذلك أرسل في طلب رجل من الحباب اسمه إدريس بن دار (من أندوب) فلما حضر أمره بعمل سحر أو طلاسم يبطلون به من كيد ساحر الملاويين فحفر الساحر حفرتين وتلا فى كل منهما بعض الألفاظ وقذف فيهما بعض الأعشاب وأوراق الشجر ثم أوقف فى كل حفرة رجلا وقال للشيخ أكد موسى مر أنت أمام الجيش بين هذين الرجلين، فسار وتبعه الناس حتى آخر رجل وتوجهوا نحو الملاويين (كان يوم ثلاثاء) فوجدوهم وهم على أتم استعداد لقتالهم فى وادى دلك Dilik[2].

ولنأت على وصف واقعة دلك :

واقعة دلك

فلما وصل الناصريون أسفل وادى دلك بجموعهم شاهدوا الملاويين بأعلى الجبل. فجلست كل جماعة فى ركن تحت الأشجار، وكان مع الشيخ أكد لفيف من الرشايدة، فأمرهم بإطلاق الرصاص. فلما سمع الشيخ إدريس صوت

---

(1) بعد الدفن قاد الشيخ محمد عمر ابسعد عصابة الناصريين وسار خلف الملاويين فتلقاهم اسعد مالك بن محمد على وهو على جواد ابيض فقال لهم «أعجلوا من اقتفاء آثارهم اليوم وبعدها لن يموت منكم رجل وانتم منصورون» فامتثلوا وعادوا.

(2) قال والدى أرسل الينا أكد كى نحضر موعدناه ووصلنا بعد أن صفوا حسابهم مع بعض وتعمدنا ذلك لأن قرابتنا للفريقين لاتسمح لنا إلا بالحياد الدقيق.

الرصاص مع رجاله من الهبوط من الجبل إذ لم يكن يظن أن هناك رشايدة ورصاص، إذ كان يظن أن المسألة سلاح أبيض يمكن به تصفية حساب القبيلتين مخالف أمر العمدة داير بن مسمر الذى قال :

طلمت كم أميال وتتبركم قادم

(أى عندى الظلام مثل النهار والجبل مثل السهل) ، وهبط إلى عدوه ومعه ابن عمه هرديد يقول (مائة مش كسكش Mit Gicil Kakich) » أصد مائة فارس وأقف فى محرم وأمتصور الحركة »(١) ، واتجها إلى الشيخ أكد موسى ، وأكد محمد ، وجاءتهم وسيفاهما فى يمينهما والدرقتان على كتفيهما فلما شاهدوهما استعدوا لقائهما فلما دنيا منهم قال السيد محمود عثمان محمد لخادمه ، وكان جنديا قديما ببندقيته : (لكف إلكف Lokaff Itlakkaff » (أرم رماك الله) » أى أطلق عليهما الرصاص قاتلك الله » ، فأطلق الجندى رصاصة على داير مسمر أصابت جبهته ، فتطاير مخه فى الجو ، فسقط ميتا أمام أكد محمد وأما هرديد فإنه قصد العمدة أكد موسى ، فلما دنا منه أصابه فقذف بحربته فى جبينه لتخرج من الآخر ورصاصة من رشيدى فى صدره كانت القاضية(٢) ووقف بين الصفين محمد على كيلا بسيفه ودرقته ينادى هل

---

(١) قال والدى إنهما كانا واثقين من قتل كل من جاء لمقابلتهما بسبب السحر الذى أحرزوه فى واقعة عيت ولم يدر فى خلدهما أن هناك رصاصا ، ولولاه فى ذلك اليوم لانتصر الملاويون .

(٢) وهب أكد موسى سيفه هرديد لقاتله التيبى . ويروى عن هرديد فى واقعة عيت لما ضرب محمد أكد وعمه محمد موسى قال : أنا وأبوى نعسن ؟؟ أى أخذت بثأر نفسى وأبى .

من مبارز فخرج إليه محمد عمر كسولاي (عبد عمر)[1] ، فهجم عليه همد وإذا بكسولاي يزوغ منه ويطلق عليه حربة أصابت صدره ، ورصاصة من رشيدي أصابت جبهته فمات لساعته[2] .

وأصيب عنيس (عطيل) ابن جبيل برصاصة من عيسى بن حسان (من رشايده ذو عمرو) ثم برز حامد كلواناي ونادى عامر حويت (حوية) من ذوي ناصري إذ كان دائما يطلب قتاله فبرز له عامر فكانت بينهما جولات عنيفة تمكن في نهايتها كلواناي من قطع فخذ عامر حامد حويت ثم ثنى عليه وقطع رقبته وسلب منه سلاحه[3]

انتهت واقعة ذلك اليوم بعد عيت ، وجاءت بيت معلا إلى جبل تبج . وفي واقعة ذلك لم يفر من الملاويين إلا كلواناي الذي قتل في واقعة عيت «محمد تكوش» الذي كان العامريون يمتون بشجاعته ، فضربه كلواناي في وجهه فقطع أنفه ولسانه وفكيه ، وأما علي فروج فقد ضربه في وجهه ورجليه محمد آدم محمر وأخيه فرجات ، وأما أبناء أحمد فقد قتلهم «داير» وهرديد وهمد علي كيل ولم يبق إلا أحمد أ كد قد رفض داير قتاله ، وهرب منه قائلا له «أن غيري سيبارزك» وفعلا حصرت تهمة قتله في همد حمع حسين وابن أخيه . وإذا

---

(1) كان قائدا لنجدة عد عمر للعامريين . وقد انتهبت منهم بيت معلا في واقعة «عكات نانة» اقرأ «عد عمر» .

(2) أطلقها عليه عتيق بن سعدي «من المرازيق» .

(3) كان منادي الشيخ ادريس يقول : لا تقاتلوهم لأن عندهم رصاصا متهقرت بيت معلا وحلمت حلقة الحبل ؛ فادركهم كلواناي ومعه والدة همد على سلاح ولده وبيدها فأس كانت تدافع به عن سلب سلاحه . وقد أثنى عليها الشعراء ومنع الشيخ أكد موسى من مسها بسوء . «التنعم الأم» .

أردت أن نحصر عدد القتلى من الفريقين نجده متساويا بعد واقعة ذلك ، فقتل في عيت أيضا « الشيخ إدريس حامد ورار » وإذا بابنه الشيخ موسى إدريس يؤلف عصابة ، فقتل الشيخ أكد يأسنا من قتل العمدة إدريس وخاله حامد كواداي . فابحث عن أحد أبناء محمد ، وكان بيد موسى مسدس اشتراه لهذا الغرض فجمعتهما الأيام في مضيق وفجأة انتضى محمد سيفه وإذا بموسى يطلق عليه كل الرصاصات التي في مسدسه فسقط ميتاً[1] . وبموته كان عدد الملاويين الذين قتلوا بيد قابدات الماسريين رجلين[2] . فقط هما محمد على كيل (قتله عمرابي) وهذا ، أما بقية قتلى الملاويين فكانوا بأيدي عصابات وقبائل متفرقة ومرتزقة وكان اعتماد الماسريين على أولئك الشبان الشجعان الذين قتلوا في واقعة عيت . إذ لم يبق لهم بعد مقتلهم من يعتمدون عليه ، والجرحى من الماسريين أقل من أضعاف الأحياء .

قال والدي إن الشيخ أكد موسى أرسل لنا محمد جمع بن موسى دبوي (من أسفدة) كي يخبرنا بوفاة أبنائه . فحضرنا بعد ظهر يوم واقعة ذلك وإذا فنا نشاهد بأعلى جبل « تكل عاوافه » الشيخ إدريس محمد يحمل الشيخ على كرار محمد نور (من رنبات) والشيخ حامد على مندر (من بتشو[3]) . وإذا

---

(1) وقتلت العصابة معه ابن أخته محمد على مخيت ولما جاء موسى بعد قتل محمد جمع أجلسه الشيخ اكد موسى مكانه على السرير ويقصد بهما انك أحق منى بهذا المكان (الرئاسة) » .

(2) الأول حسن والدى ؛ والثانى سهر عمى حامد على ضرار . وكلاهما زعيم فى قبيلته ؛ ومرارا ما حاول اكد موسى قتلهما فلم يستطع له ذلك فتركهما .

(3) الثالث هو على مسقوتة الذى بسببه كان القتال .

محمود إدريس أبسعد وأكد ناصح بقولان لناد يا عجيلاب أدركوا إدريس قاتل أبناء عمكم » فقلت له « إنه أيضا ابن عمه » فقال أكد : صدقت كلهم عندكم سيان، واستاء بقية الماسريين من ردي ولذلك حرمونا من العشاء فتذرعنا بذلك وعدنا إلى أهلنا محتجين .

أما الشيخ إدريس محمد فقد نزل من الجبل وعجز عن السير فحملوه بالتناوب حتى وصلوا « دق » كنتيباي حباب « (حامد بك حسن) . فجاء حامد على منذر وسلم عليه ، ثم قال « جئتك بالشيخ إدريس محمد عميد قبائل بيت معلا مستجيرا بك من الماسريين » فصمت قليلا ثم قال « إني قبلت أن أجيره وأخبره بأن لا يخشى شيئا » وأيده أخوه محمد كنتيباي ، وخالفهما أخوهما محمد حسين وقال : إذا أجرناه نعتبر شريكين في قتل أبناء الماسريين . فقال له كنتيباي : هل بقي لديهم من يقتله وهو في جواري . ونادى خادمه وقال له أخرج النقاره (النحاس) واضربها ، فلما ضربت جاءته أدمة لجوكات نظامية بأسلحتها النارية ، وتوافد شبان الحباب من كل صوب وحدب فلما تكاملوا قال لهم : يا قبائل الحباب أنا أجرت الشيخ إدريس محمد زعيم بيت معلا ، فأجابوه : هذا شرف عظيم ، كلنا نحميه وندافع عنه احتراما لساحتنا ومنازلنا وكرامتنا . وظلا بقي في حمايتهم زمنا ليس بالقصير .

اقطعوا يد إدريس

وأتوا بها إلينا هذه كي تضرب بها الطار والكُبُّور Kubbour (عبارة عن قرعة توضع فوق طست من الماء . أو طبلة كبيرة تستعمل عند الوفاة لها صوت خاص ترقص عليه النساء بالقدم أو باليد) . هذا ما قاله بنسات

الحاضرين . قال السيد إبراهيم محمد حامد[1] كنت أستغرق فى الضحك كلما سمعتهن يقلن ذلك . وفى أحد الأيام سألنى بعض رجالهم عن سر ضحكى فأجبتهم إنه حوارى وتلميذى يحترمنى جداً ويكرمنى فخشيت عليه من أعدائه (السيمة) وهو وحيد أبويه ، فكتبت له حجاباً يقيه من الحديد والرصاص ، ولذلك لن يموت لهم إلا حتف أنفه[2] ، ثم إن الحجاب مكتوب منذ عشر سنين أى فى سنة ١٨٧٣ م . فاستاءوا من كلامى ثم ذهب بعض الحاضرين إلى أبهارى فى القرى وقتلوها كلها[3] .

حوالى أكتوبر ١٨٨٣ م سمع الشيخ إدريس محمد (عمدة بيت معلا) أن كنتيباى حامد وأخاه حداد والشيخ ضرار على ضرار (عمدة العجيلاب والأفلندة) والشيخ أكد موسى (عمدة هاسرى) أمرتهم الحكومة أن يحضروا إلى سواكن فى الباخرة جعفرية التى أرسلتها إليهم الحكومة إلى ميناء العقيق ، فحضروا بعد ثلاثة أسابيع من الطلب[4] ، فوجدوا سليمان باشا نيازى حكمدار شرق السودان الجديد ، فوزع عليهم عدة كساوى فاخرة ، ومنحهم كميات كبيرة من الذرة والسكر والسمن والعجوة والبن والأرز ، وطلب منهم عدم الانضمام إلى المهدية . ثم عاد المشايخ بزوارقهم إلى العقيق وذهب كل منهم بنصيبه إلى أهله .

---

(1) كان مساكناً بأهله مع الهاسريين .

(2) سنمشى على محاولات قتله وكيف كانت منيته .

(3) قالوا له أعمل حجاب آخر لمواشيك . فسكت وردتت قولى المس .. فصلوا الى يد ادريس مهما أوتدلم من قوة» .

(4) كانت الواقعة الأولى بين أمير الساحل عبد الله حامد محمود ومحمود باشا طاهر قد انتهت بانهزام الثانى يوم ١٦/١١/١٨٨٣ م .

أما الشيخ إدريس محمد فإنه سافر إلى توكر(1) وبايع أميرها الخضر بن علي، وأعطاه بعضاً من البنادق وكمية كبيرة من الرصاص (التي غنمها الأنصار في وقائع « القيب » (إنْدَتِيب) وذهب بأسلحته إلى تبع ووزعها بين رجاله. وانتشر خبر تسلحهم هذا بين قبائل بني عامر والحباب، فخشي كنتيباي حامد من بأسهم مع أنه كانت عنده عدة عساكر من الباشبزق وبقايا رديف الحكومة المصرية وبعض من عبيده المجندين كان يصرف لهم مرتبات شهرية في مواعيدها مما كان يتحصله من جمرك مصوع وتكلاي.

فأرسل كنتيباي حامد إلى الشيخ إدريس محمد كي يرسل إليه الأسلحة النارية ليحفظها لديه، فاعتذر عن إرسالها إليه. ولكن كنتيباي لم يقطع الطمع منه فبحث عن رسول آخر ينتدبه إلى الشيخ إدريس، فلم يجد من يتطوع لرسالته إلا حامد شيك بن سليمان تاجر من عامر اب بيت أسفدى حباب. وكان هذا يود أن يوقع بين كنتيباي والشيخ إدريس حتى ينحاز الأول إلى الشيخ أكد موسى، وقد نجح في مهمته. إذ ذهب إلى الشيخ إدريس محمد وهدده بكنتيباي حامد وجنوده حتى استفزه، فرد عليه الشيخ إدريس بلهجة شديدة قائلاً « يا حامد شيك أخبر كنتيباي بأنني أصبحت أميراً على كل جبال بني عامر بأمر من الأمير عثمان دقنة فإذا لم يحضر كنتيباي سريعاً ليبايعني وينقض عهده مع أمة الحبشي الرأس ألولا سأغزوه بجيوش لا قبل له بها » فاستاء كنتيباي حامد من وعيد المهدويين وأمر بضرب النحاس وحشدت جيوش الحباب من كل مكان، وأرسل الشيخ إدريس أيضاً أناساً

---

(1) التي سقطت بيد الأمير خضر بن علي الحسناسي المصري القرشي.

يدعون أن كنتيباى مال مع المسيحيين ضد المسلمين ، ولجأ العلاويون إلى جبل هجر واستلم محمد كنتيباى القيادة لعزو هجر وسنأتى عليهما فيما بعد .

رحلت قبيلة بيت معلا بعد واقعة ذلك إلى جبل « زهيد » . فأرسل لهم الشيخ أكد عصابة ضد هذا تعقب الجبل رجلان من شجعانهم هما « محمد شيك على عالياى » ومحمد موسى أحمد عجيل ، وقتل كل منهما رجلا من الزرقة ، ثم قدمتهما العصابة بالحجارة حتى ماتا . وكانت العصابة تحت رئاسة على ابراهيم ورار[1] .

لما وصل العلاويون قرعد وجدوا عصابة أخرى قد سبقتهم من الأمام[2]، فأقاموا بجبل قرعد وإذا بالشيخ إدريس محمد حياة فى قرعد ويجلس مع أهله . فأتته ذات يوم عصابة من الحباب بقيادة فكاك بن كنتيباى حسن ومعهم حامد كلواناى وأخوه شريف كامل وجماعة من مشايخ بنى عامر وقالوا إنهم مصالحون . فرد عليهم الشيخ ادريس إنكم ما جئتم إلا لتدبير مكائد لتفرقتنا وتمزيق وحدتنا فقالوا[3] نحن سفراء صلح لكل من قابلهم ، ودعوا للقتال والحرب . فاقتحمت المنازل من حول المسجد ، فانفطر هو ومن بقى معه من أمثال محمد جمع وأخوانهم أن يستجيروا بالكنتيباى حامد ، فأجارهم وأكرمهم . وإذا برسول من دقال على بكيت أتى الكنتيباى

---

(1) اشتهرت هذه العصابة بالشجاعة وحسن البلاء ولم يقتل علاوى إلا على يد رجالها .

(2) كانت مختبئة فى قمع .

(3) لولا حركة هذه العصابة لاحتفلت بيت معلا بوحدتها المتضامنة .

والشيخ إدريس يقول لهم إن دقل يريد مقابلة عمدة وزعماء بيوت معز وزقان. فحضروا وتباحثوا في شروط الصلح. وعتب دقل على الملاويين قتل كل شبان الهاسريين. وقال لهم أدركوني في «قرن حشكيب» (قرب أدوبحا)،[1] فاستشاروا كتيباي في إدراكه، فقال لهم إنه يريد أن يصل حدود بلاده فيلقي القبض عليكم. فسمعوا نصحه وعاد الرسول إلى دقل معتذرا بالنيابة عنهم بعدم أمانة الطريق من خصومهم[2]. فسافر دقل مسرعا إلى أهله لأن ثورة الإمام المهدي بلغت ضواحي كسلا

... شهور عاد الشيخ إدريس بجماعته وأهله إلى عاصمته «سبع» وعادت إليه القبيلة من كل مكان، غير أنه استاء لما سمع أن جماعة من الهاسريين أسروا الملاويين ثم غدروا بهم أمثال[3] أبناء أوتيب وآل هرودة الذين كانوا يقيمون بقرب جبل هجر ودهمتهم عصابة الهاسريين فقتلت محمد هرودة وحامد بن درغ وعلي عقيباي، وحامد محمد جلال، وجرحوا أحمد أزاب. وفقدت العصابة بعض رجالها وكلهم مرتزقة. فأرسل الشيخ إدريس محمد عصمة إلى الهاسريين وقاتلها بقيادة حامد كلواي ومعه جماعة من أبناء قنري، فقتلوها جميعها ولم يتركوا إلا كل جواد جريح[4]. وكان منظرها

---

(١) كان رسول دقل رجل صادق هو الشيخ شكوش بن موسى الترو ي «عمدة بيت بعشيو» وهو أرفع من أن يغش أو ينغش.

(٢) كان الود بين دقل وآل موسى مفقودا بسبب حوادث عد عمر وعد أبراهيم.

(٣) استقى الشيخ أكد من محمد عمر السعد وغيره لهذه الحقائق.

(٤) أكثرها كان ملكا لهاسري بن أكد.

جوعا جدا وتوافدت إلى أكلها العصابات من كل جهة تأكل فيها نحو ثلاثة شهور .

وأرسل الشيخ إدريس عصابة الأحمد بدار أبيه أدريب من عد موسى وطارديلي . فقتلت العصابة حامد أنفوش وأولاده وذبحت ألف ناقة من إبل الشيخ أكد محمد (عد موسى) لم يتركوا منها إلا بعيرا واحدا لأنه هو الذى كان مساعدا للشيخ ادريس فخانه بإحضار الرشايدة[1] وأشد عصابات الملاويين صرامة وقسوة هى التى كان يقودها أبو بكر محمد حمراى (أخو هردبد)[2] .

وفى سنة ١٨٨٤ م جاءت تعليمات من الأمير عثمان دقنه لكل مشايخ بنى عامر والحباب كى يحضروا لمقابلته ، فامتثلوا[3] وأخذوا البيعة . وعاد كل منهم إلى أهله إلا الشيخ أكد موسى فإنه بقى معه وأخيرا أرسله الأمير إلى أم درمان .

وتذكر كتيبات أن الشيخ إدريس لا يزال يحتفظ بالأسلحة المصرية التى ليس له أناس يعرفون استعمالها . وأقام الشيخ إدريس فى قبيح بقبيلته بعد رجوعه من قوكر وعلم من الجواسيس أن كنتيباى حامد يعد العدة للقتال

---

(١) كان الشيخ ادريس يأوى الى اكد محمد فى اهله بعد ونقة وحسدا يحميه من كل سوء ؛ وهذا دأب الشيوخ القدماء .

(٢) أعدمه الطليان فى مصوع بسبب العصابات التى كان يقوم بها ارتريا .

(٣) الا كنتيباى حامد فقد ارسل اخاه محمد كنتيباى بهدايا ومؤن ومتعددة لجيش الانصار تحملها قافلة مؤلفة من مائتى جمل .

الملاويس فرحل الأخدوى إلى جبل هجر وجمعوا جموعهم وعصاباتهم هناك لقتال جنود كنتيباى النظامية وعصابات الماسريين والمرتزقة

واقعـــة هجر

زحف الشيخ محمد كنتيباى بجنوده من وقّ حباب حتى التقى بموسى إدريس حامد ودار[1] فالتقوا جميعهم تحت جبل هجر ، وكان الشيخ إدريس قد أخبر أهله باتفاق الخصمين على حربه بسبب الأسلحة النارية ، فقالوا له نحن مستعدون لقتالهم ، فقال لهم أرى غير هذا الرأى وهو أن أبقى أنا وعصابة هنا ، ونرسل كلو ادى بعصابة إلى هيقرية لتقتل باقى أبناء الماسريين ، وعصابة أبو بكر حفواى لتقتل محمد موسى فى عدوبة ، والثالثة تذهب إلى عنت وتأتيا بأبقارهم . فردوا عليه نحن قتلنا ابن عميد القوم ولا نرضى أن تموت أنت بيدهم أو بيد الحباب لأنهم يعرفون قتالك . وما هى إلا دقائق حتى هجموا عليه وربطوه وحملوه إلى مكان بعيد واستعدوا للقتال[2] بعد أن أرسلوا العصابات الثلاثة كما أمرهم ، ولم يبق إلا الأطفال والنساء وقليل من الرجال . دارت بين الفريقين مناوشات بالرصاص وقال لهم أحد الرشايدة لن ننتصر على (الملاويس ماداموا بأعلى الجبل) فقال له الشيخ محمد على جيوتاى الحايدابى أنا أقدر على تلاوة أحجبة على الرصاصة فأشتت جمعهم . فأعطوه رصاصة تلا عليها عدة كلمات وأعطاها لعامر بن عيد ، وهذا أسلمها إلى حنفور ت تنصر من عائلة دو وتيق[3]

---

(١) كان الشيخ أكد بالحرمان وحل ادعاء بمه حسن واقعة هجر غير صحيح .

(٢) وحملوا به الى قرية لاشرافه عند احمد محمد همد ابو فطامـه الحمـ ... فأكرمهم وقال ادافع عن الشيخ ادريس كما ادافع عن امى وولدى .

(٣) قتله ابو بكر مالع من رقبات الحيتف سنة ١٩٠٢ م .

فوضعها في بندقيته وضبط فيشانه وأطلقها على من بالجبل فأصابت محرث ضرار ابن شريعالي وعلت دويًّا كصوت المدفع ، فتفرق الناس في الأودية والقفار ، ونهب الجيش كل ما بالمنازل ، وممن قاتلن في هذه الواقعة بنت قبيل والدة محمد على كيدي بفأسها ، وفر الرجال من قتالها إلا رجلا واحدا هو « على تكيت حامد[1] جنقليب » . وجرح من فرسان عصابات القساليين محمد « تيناى » و « قوى صرت » ، وصادروا كل ما وجدوه (النصف الكنيباى والنصف للمناقلين) وبهذا انتهت واقعة هجر .

أما العصابات الثلاث فكما أسلفنا ذهبت إحداها إلى حوت وقتلت إدريس حامد ودار[2] ، والثانية قصدت إبل محمد موسى ورعتها ، والثالثة قادها كواماى إلى ديار الهاسريين فاستقبلها رجل مسلم من الدقة[3] واختلى بقائدها وعمه على عهد وأفهمه أن القرية خالية من الرجال إلا جرحى واقعة « باب مارولى » وإدريس أكد موسى المريض[4] وأخيه الصغير عثمان وهما ابنا بنت خالات(نور الدين ضرار) ، أما كماك فقالت له من إخوانها (أبناء العجيلابيات) أليس لك والدة حقل - إني هنا قد أقسمت أن أدافع عن كل القرية لحين عودة الشيخ أكد . وأخذا في الكلام ، فجاءها رجل ثالث[5] ووقف مؤيدا

---

(1) قيل انه حضر الى توكر فى المهدية وسمع الامير حضر بن على مائة قتله امرأة فى واقعة هجر فلمزها باحضاره وسأله ماعرف بحرابه ؟ فنسقه وتهب أبقاره .

(2) ونهب أبقار الهاسريين .

(3) هو شريف كامل ، وكان أكد موسى لايزال بالبيعة .

(4) هو عمى محمد نور على ضرار .

(5) قيل ان اخاه شريف قال له اهجموا عليها لان فيها رجالا شجعانا .

الشرف وقال لهما أنا سأموت قبلهما مدمماً . وعلا صوته فذهب كراداي بعصابته إلى قرية « جردو »(١) لنهب أبقارهم ، فقال لهم حمد نور أنهم جماعتنا « أملندة » . فذهبوا إلى أسراي وهناك سمعوا بوجود أبناء نور الدين ضرار الخمسة ، فعادوا إلى قرية جردو وقتلوا قايد حمد ابواب ، وابنه محمد ، وحمد ، وعلى شيملة ، ومحمد قايد إدريس وحمد حشكيش(٢) ، ونور عيسى عتمية وكلهم من الأملندة إذ هرب البقية من أهل القرية واستولت عصابة كراداي على المواشي . ولو انضموا إلى قبيلتهم كسائر الناس لما ذهبوا ضحية لدماء أناس ليسوا من أهليهم .

ولما قتلت إبل أبناء أكد بن هاسري قتل فيها بكمت يوسف ، وحامد محمد عمر شيك وإدريس عمار مقدر وحامد آدم عمر ششموتاي(٣) .

وعزت عصابة من الناس بين « قرّيرى » فقتلت غلاما من حلة « قدّبو » (حمد عؤود) .

وانتشرت عصابات الملاربين في كل محل من عد عمرة وجلال وقنزي وعد حسال وهدعوور ، وأوقعوا الرعب في القرى . ومن المؤسف أن كمتيباي حامد سيد المجيلاب بالغزو ولم يشتركوا في وقعة هجر ، ونفضوا ، وأبناء الحباب والهمبريون إلا الشيخ أكد بن هاسري فأرسل إلى والده بعدم الحضور . وآخر من قتل من الملاربين هو موسى بن طنّم .

---

(١) تعريبها أعرج .

(٢) كانت ترعى في قرقرت Girgirret

(٣) كانت فيها خمسون من نياق المجيلاب أخذها أصحابها قبل القتل بأسبوع .

وانتشرت المهدية في سواحل البحر الأحمر محيت دون غزو العصابات ولغت كل الدماء السابقة وتعاهدت القبائل على الصلح والمسالمة والصفح عما سلف واعتبر الأمير عثمان دقنة كل ما سبق المهدية موضوع « ملغى » .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

محاولة اغتيال الشيخ إدريس محمد

حوالى سنة ١٨٩٢ م سافر الشيخ إدريس محمد إلى مصوع ثم اشترى من هناك فرس حامد دمات بن آكد . وكان معه صديقاه على مُسْتَقْ جلال وموسى محمد كيلي وبعد أسابيع عادوا ، وحالما وصلوا قروره قال الشيخ إدريس وصلنا إلى أرض العدو فاحترسوا من أن يسمع أحد بحضورنا حتى نصل توكو لأن آكد موسى له عيون تراقبنا[1] . فعبروا الحدود ليلا حتى وصلوا « تمدو سنيب » فأناخوا للاستجمام والراحة فأراد صاحبه أن يوقدا نارا فقال لهما إنها ترشد العدو على محلنا ولا يوجد بيننا وبين آكد موسى عهد أو ميثاق[2] . فخالفاه وأوقدا النار ، وبعد ثلاث ساعات من وقودها داهمتهم عصابة الهاصريين وكانت مكونة من شاوك بن عقيل ، وعثمان على شيك ، وعلى محمد لباب ، وإبراهيم طرّاى وعلى عجيل إدريس ، ومحمود محمد شاشول (عاقلة

---

(١) قيل إن آكد موسى جاءه جاسوس وأخبره بأن ادريس وصل وحبيب على بعد عشرة أميال جنوب قروره » فحشد عصابة كي يقاتلهم في قروره .

(٢) كان الأمير عثمان دقنة قد أصلح بينهما ولكن آكد قال عندما سمع لن اترك ادريس محمد قاتل ابنى لا في التركية ولا في المهدية . فاشتكاه ادريس ولكنه لم يجد شهودا ضده .

فضل جميعهم) ، وحمد من آمنة من مواليده ، وقال لهم أن كد أدركوا إدريس في قَرْوَرَة فلما عبر ساروا خلفه فصاحوه وهو جالس على فروه وسيفه في يده. فوقفوا على بعد عشر ياردات منه وسلموا عليه فرد عليهم السلام. فقال له شلوك نحن من عائلة فضل . فقال لهم أهلا بكم أيها الإخوان وأبناء العمومة . فقال شلوك نعم نحن إخوان أبناء رجل واحد ولكن إذا طلب منا رئيسنا أن نغدر ونخون عشيرتنا فلا نقدر على مخالفة أمره(1) . وبينما هم في أحاديثهم جاء من الخلف حمد آمنة واستل سيفه فشاهد إدريس ضوء السيف وظله ، فهوى به حمد على إدريس ، وهذا تلقاه بسيفه وقال « أنا إدريس فارس الفرسان »(2) ، وحمل على حمد آمنة ففر منه ولم يدركه(3) وأصيب على مستوى في يده أثناء قفزات إدريس خلف حمد .

قال حمد آمنة قابلت كثيرين ولكني لم أر أسرع ضربة أو قفزة من الشيخ إدريس محمد ، ولو كان معه « دلشاى » لما سلمت منه ، لأن يده اعتادت على استعماله كثيرا(4) ، وما أظن أن ابن أنثى يقدر على قتل إدريس محمد بالسلاح الأبيض .

---

(1) وكان غرضهم أن يتعبه ويفهم أنهم رفضوا تعليمات أكد موسى ولو أن ابنه المقتول من جدة ماسلابية هي بنت حامد حمد ضرار .

(2) لم يكن معه دلشاى بل كان سيفه «النسقريب» «قاطع الجلود» .

(3) شاهدت حمد هذا وكان قويا وشديدا يصفونه بالشجاعة ولكن وجد من هو أشجع منه ، ولم ينقذه إلا الفرار والجري . ولما ضربه إدريس بسيفه تلقاه حمد بسيفه الذي اشتراه من جدة مطلية طويلة لأن سيف إدريس أجود من سيف حمد .

(4) منذ بدء القتال ترك دلشاى وابنه محمد مع والدته العجلابية في أهلهما خوفا عليهما .

واختفى أفراد العصابة ورحل إدريس بجماعته إلى جبل « دَمبُو بايت » غرب فرورة ، فوجدوا عصابة من الملاويين ، فأقاموا معهم أسبوعاً ثم سافر قاصداً توكر ، فلما وصل عيقربة لاحت له عصابة من العامريين فى الصباح ، فناداهم وقال لهم : « هأنا إدريس محمد طلابكم ، فقالوا أقدموا فنأخذوا متوانكم نهاراً ليست معى عصابة ولا أبناء عمومه وخصوصاً أنت يا محمد آمنة ذات سيدك أ كد معك ومحمد عمر أبسعد حتى نختمكم بأبنائكم وإخوانكم . وهاهو حرى « تنأرب » بيدى (اشتراه إدروس من محمود مفذر مَعْشو) ، وسأسير أمامكم حتى أصل عدو وبنة . فرد عليه على حمد لباب « لاشأن لنا بك فعليك السلامة من يريدك من خصومك سيلحق بك ، أما نحن فلن نسير خلفك » . فنزل فى عد وبنة عند خصمه الشيخ أ كد محمد وأقام معه أسبوعاً ، ثم سافر معه إدريس أ كد إبراهيم ورار عاطفاً عليه حتى أوصله إلى عيلب ، فوجد فيها عصابة من الملاويين أقام معهم أياماً وجاء جماعة من الشَّنَاياب فأكرموه وأهدوا إليه أشياء كثيرة ، وبقى متنقلاً فى « مقدام » مع عصابته ، ثم رحلوا إلى منطقة « دقيتاى » لمشاهدة والدته ، فطمأنه الوالد وأكرمه هو وعصابته ، وطلبوا كسوة لكل رجل منهم وزاداً فأعطوه أبقاراً وعشرة جمالاً محملة بالدخن ، وسافر معهم رجل من كل عائلة حتى وصلوا رحيب ، ثم نمع ، ثم مضوع ، حتى كانت السنة التى توفى فيها ، فقام من نبيح إلى توكر ولما جاء العيد ازدانت المدينة وأقيم احتفال وسباق بين الجمال والخيول كان فرسه الأول فى كل السباقات . وذات يوم كبا به الفرس فسقط الشيخ إدريس من ظهره فأصيب برضوض شديدة كانت هى السبب فى وفاته رحمه الله رحمة واسعة .

وبموته حسمت سيرة بطـــل مثل الفتوة الهاشمية أحسن تمثيل والشجاعة الطالبية . معجز للقلم عن وصفها فنال تقييات الحرية والمساواة بعد الحسام . وتكافأت دماء الفريقين ، وقد رثاه كثيرون من الشعراء أشهرهم محمد أحمد سِتُّوى ، التي مطلعها :

« دمْل تَعَلا وَدْ مُحَمَّدْ نو سَقادَ كَيدَا كَدَقّا » .

(الشهامة صاحبها ابن محمد داس على رقابها وجلس) .

« سيفْ خَرُوطْ إنْتَ مِنتو تَطَبَطكا » .

« أنت صارم مصقول من الذى يجروء على مسكك » .

« إنْت إدريس مِن جَبْى وَكَيْن أنا إناسكا » .

(أنت إدريس وكيف تسكون حالك إذا كثرت من مدحك)

وهى قصيدة طويلة .

ذكرنا كيف أن الشيخ إدريس محمد لم يقتل بالحديد بل وافاه أجله المحتوم وهو على صهوة جواده والآن نأتى على وفاة .

الشيخ حامد كلواناى

بعد أن كبر سنه رحل من تيح إلى ديار أبناء تكليس [1] ، فى هَرَو وسكن بأهله معهم ، فأكرموه حـــدا وأصيب بالجدرى وهو معهم ثم مات به .

قيل إنه لما سمع بموت أبناء النابتاب بالسيوف ونجاة كل من كان خريجا

(1) جنتهم هى نلطية بنت عجيل بن على محمد صرار «المرأ تاريخهم فى الصباب» .

فيهم من الموت عجيب جداً ، وقال سبحان الله كل الذين ولدوا في حلتى ضرار ابن عجيل قتلوا بالسيوف ، أما الذين ولدوا منهم في السيد حامد ناقدوتي فقد نجوا من أن جروحهم كانت أكثر من جروح من ماتوا منهم حتى من طعنوا بالحراب في أمعائهم أنقذوا من الموت . انظر إلى محمد موسى حمد ، وأبو سعيدة محمود وغيرهم فلا يوجد في جسمهم مكان سليم من ضربات السيوف ، ولكن الأعمار بيد الله . وقالوا إن كابراناى كان عنده حجاب من رجل أقدوبى انلا يقتل بالحديد وهو الوحيد الذى كان يقتل هامرا في كل واقعة على الأقل (حتى في واقعة دلالة) . وحتك بشجمان ردو ولولا أخوه شريف لقضى على البقية الباقية من الهامريين في عقر دارهم « دفة هامرى »[1]

عدّ الشيخ سليمان

هم أصحاب الزعامة الدينية في عموم قبائل الحماسين والعلاويين . قيل إنهم أناس من الصالحين هاجروا أقدوب وسكنوا في جبال « ديرة » . ووفد عليهم رجل عالم من شيخات المدندوة ، فسألوه عن مهنته ، فقال لهم إنه ينشر تعاليم الدين الإسلامي ودراسة القرآن . فطلبوا منه أن يفتح خلوة ويدرس أبناءهم القرآن ويصلي بهم الخمسة أوقات . فطلب الزواج فزوجوه منهم ، وكثرت ذريته ، وانتشر حفاظ القرآن فصار يبعث بهم إلى القرى . وأخيرا انضموا إلى العلاويين وسكنوا معهم ، وهم أناس قد انقطعوا للعبادة إلى يومنا هذا .

(1) كان كلوى في يوم معه أخيه ابراهيم تيدد السعت ممثلا نفسه بجلب عليهم الشرور من كل مكان حتى سفكوا الدماء ثم سفك دماؤهم في النهاية وقد تم له ما أراد .

ويتزعمهم العمدة محمد بن الشيخ عثمان من ذرية الشيخ سليمان الشيخاني . ولهم إحترام خاص عند عموم بني عامر

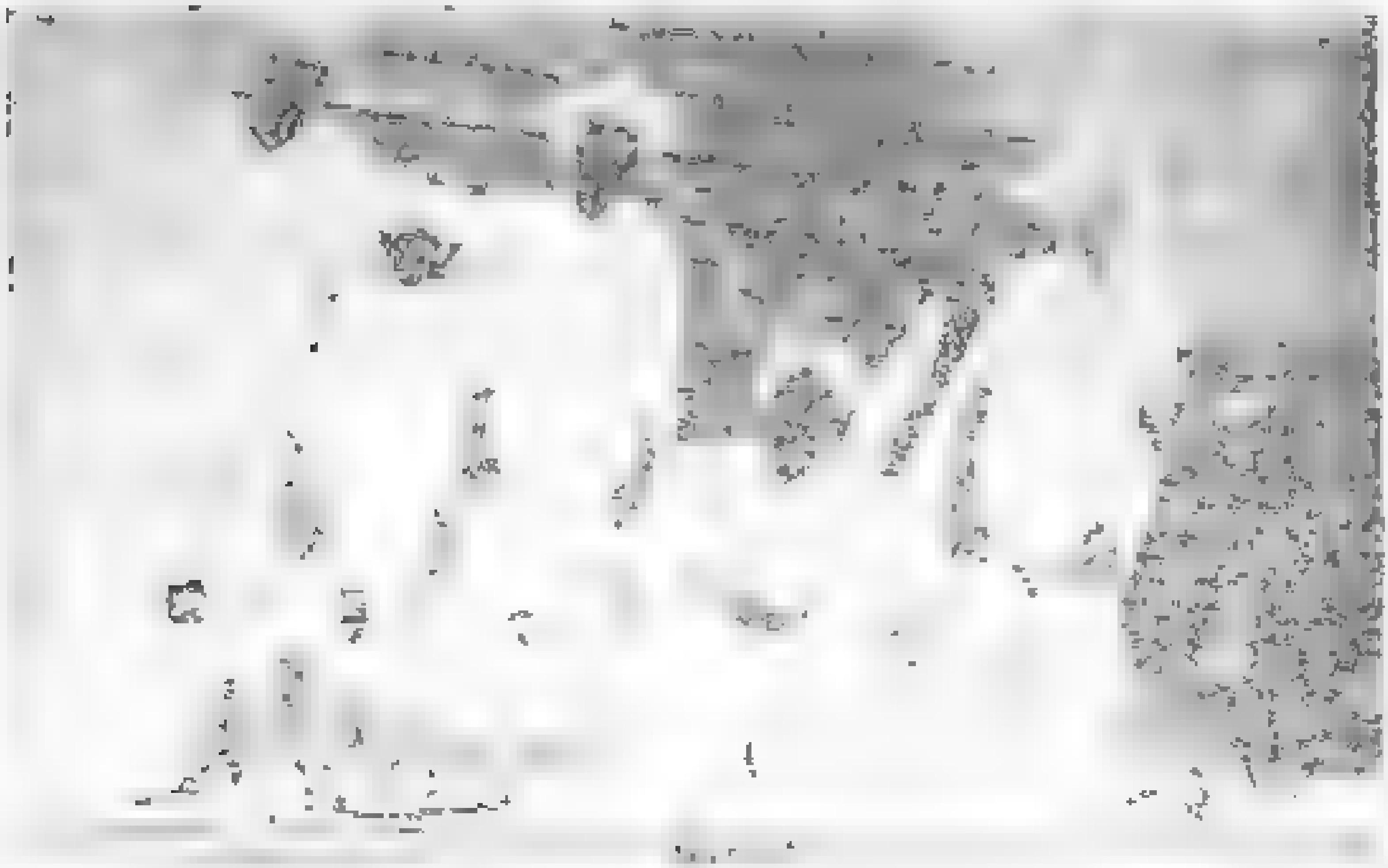

١ الشيخ محمد إدريس محمد عمدة بيت « معلا »

٢ — محمود محمد (الابن الثاني للعمدة)

٣ — إدريس حامد (ابن أخ العمدة) .

٤ — محمد كميل ضرار (ابن عم العمدة)

٥ أحد أفراد الحاشية .

٦ — نور الدين صالح ضرار .

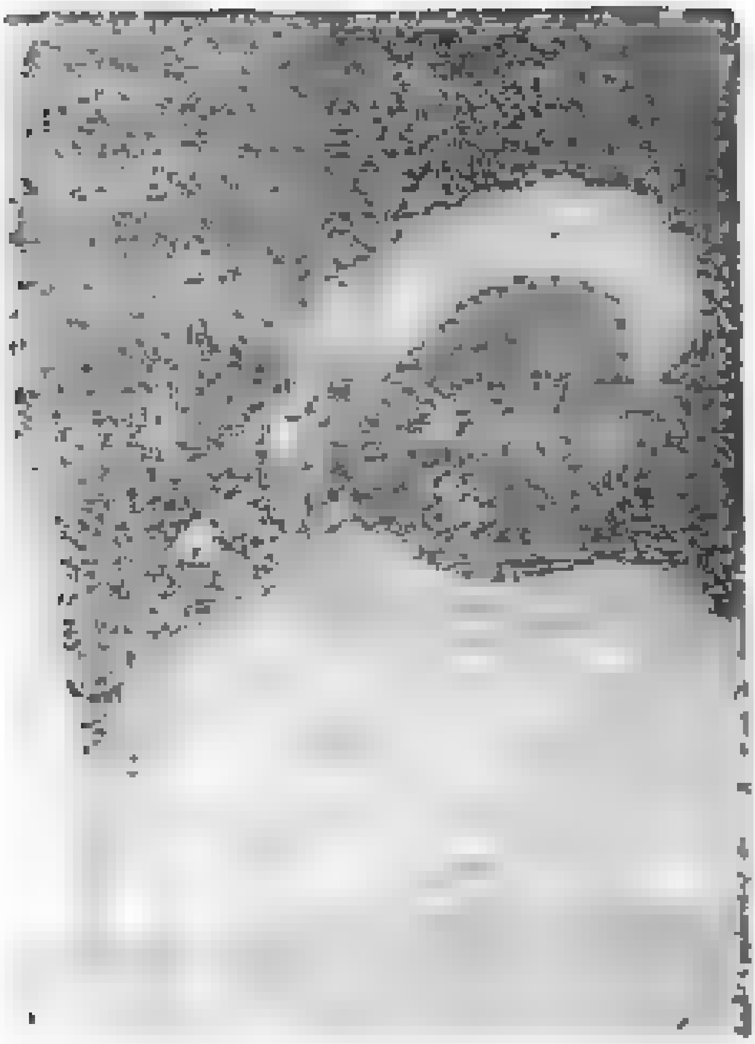

الشيخ إدريس محمد إدريس

ناظر عموم قبائل بيت معلا – إرتريا

الشيخ محمد بن إدريس

ولد سنة ١٢٩٤ هـ ، ولما نشب القتال بين العلاويين والهاشميين أرسله والده هو ووالدته بيت عمدي ضرار إلى عقيتاى يوم واقعة ذلك ، فسمع أكد موسى بالخبر ، فأرسل في طلب حامد نور الدين كي يوصلهما إلى عقيتاى حتى يكونوا بمأمن من كل سوء [illegible] حتى استتب الأمن في السودان وإرتريا باحتلال الجيوش الأجنبية [illegible] ، وخططت الحدود بين الحكومتين وأصبحت [illegible] تابعة لإرتريا . فذهب الشيخ شريف كاتل إلى دقلل الحسين حامد [illegible] ومعه الشيخ محمد بن إدريس ، وطلب منه أن [illegible] عهدا على كل العلاويين [illegible] حافظا [illegible]

الذى أيد تعيينه واعترف به ثم سافر إلى السودان وحضر فى عيتريه لمقابلة الشيخ أكد موسى ومعهما جماعة من أهلهما وطلبوا منه أن يؤيد عمودية الشيخ محمد إدريس فوافق وأرسل فى طلب السيد نافع أبو بكر (زعيم دينى) والسيد محمود إبراهيم وطلبهما أكد أن يعملا مراسيم التعيين للعمودية وتعبيره الشخصى ، فكسوه كساوى جديدة وعادوا به إلى أهلهم فى تبيح وحافظ الشيخ محمد على علاقات حسن الجوار وكان طيب الأخلاق حلو الحديث وكان ضعيف البصر إذ امتلأت عيناه بالماء حتى توفى سنة ١٩٥٢م .

ومن وقائع حضوره إلى دقة بعد وفاة الشيخ أكد موسى وإحضاره إلى القرائن ، وأشياء كثيرة وسلمها لحفيده الشيخ محمد إدريس ، وأصبحت بيت معلا من أغنى قبائل بنى عامر وأكثرها ماشية

الشيخ إدريس محمد الثانى

بعد احتلال الإنجليز لأرتريا سمحوا لكل قبيلة تدفع جزية أكثر من خمسمائة جنيه أن تكون نظارة فأصبحت بيت معلا نظارة لها عموديات وحصص ، فكان الشيخ إدريس ناظرا بعد وفاة والده فروشهم وكريم وشجاع جدا . وفى إحدى الليالى أطلقت عليه رصاصة من مجهول فى منزله ، فاتهمت بيت معلا أحد الماسريين ، وقالت لا بد من غزوهم ثانيا ، وإذا بالشيخ شفا بن طراى بن عمر زرقان يحضر ويقول « لقد أقسمت لأطلق نسائى الثلاث إذا لم تضعوا السلاح وتصنعوا السلم ، ولا يلحق الحكومتين بعملكم هذا . ولأقاتلنكم مع الماسريين » فوضعوا سلاحهم وعادوا إلى منازلهم . وبعد أيام علموا أن أحد جواسيس دقلل جيلانى قام من تلقاء

خلف الشيخ إدريس محمد ، وأطلق الرصاص عليه ، فأجرى دقلل تحقيقا دقيقا في الموضوع كانت نتيجته أنها رصاصة طائشة من مجهول

وأصبحت البيت مملايا السودان وهي أقلية وأغلبيتها في إريتريا. وتولى عمودية السودان سنة ١٨٩١م الشيخ علي محمد فلما توفي خلفه ابنه الشيخ صالح علي محمد ثم الشيخ إبراهيم أبو نارو ، فلما توفي خلفه الشيخ محمد بن حامد ومسؤليته على عمودية كل الملاويين .

لفيف من محاربي باريا — اغاسا

جبهة بارنتو

ABHASHEILA أبحشيلة

لما اندمجت بيت معلا فى القبائل التى وجدتها بجبال البحر الأحمر تفرعت منها عدة قبائل تتصل بها فى أحسابها وأنسابها . فمن ذلك قبيلة «أبحشيلة» ، وينتهى نسبها إلى رجل صالح من بنى شيبة هاجـــر من مكة المكرمة إلى السودان قائلا أنه خال السيد محمد والد أحمد مفلى ، وتزوج بأرملة أخيه ثم رزق منها ولدا تناسلت منه قبيلة أبحشيلة المشهورة بالتقوى حتى ظهرت مملكة بنى عامر وبدأت فى تحصيل الزكاة فانقسمت أبحشيلة حسب مساكنها إلى أربعة أقسام قسم منها بالحباب ويسمى كنكنة (Kunkana) وتآلف مع عد عمر ويسمى عد فقيرآى لتوام ، وقد انتزعهم الشيخ إدريس هامرى من آل عمر لأنهم قتلوا أخاه ذومات عند جبل «وذدهرا» ، وبقى قسم ثالث مع دقلل (ناظر بنى عامر) ، والقسم الرابع بقى ضمن بيت معلا ، ولما تحررت القبائل سنة ١٩٤٧م أنشأ زعماؤهم نظارة فى إريتريا وعمودية فى السودان وعميدهم بالسودان هو الشيخ محمد حاج بن إدريس بن محمود بن محمد بن محمود بن حامد راوى بن محمود موسى ويكنى «سعد الله» ابن حامد ـ حسب الله ـ حامد ـ ابن حسب الله ـ محمود ـ حسب النبى ـ محمود ـ عمر ـ ابن محمد الشيبى المكى الملكى بأبحشيلة . هذا ما جمعناه من مذكرة الشيخ محمد حاج وقد اشتهر جده حاج محمود بالصلاح بعد أن كان زعيما للعصابات قيل إنه بات بإحدى عصاباته ليلة بجوار السيد حامد أحمد نافورتاى فى قرورة ، فدنا منه محمود حاج ، فقال له السيد حامد بالتجرى «مرحبا ود حاج راوى يوم ممنه فقرآ ، وبدير مغيه كوارى» ونعربها «أهلا بابن حاج راوى ، اليوم أنت شيخ الفقهاء ، وبالأمس رئيس العصابات» . ثم قال «مرحبا بود راوى ... حادم ديباتو ود راوى» .

(مرحبا بابن راوى العازم على إجهاد نفسه لتقوى) .

فتقدم إليه محمود وسلم عليه ، وأخذ منه الطريقة القادرية[1] وتعهد محمود راوى على ترك النهب وجاء بجماعته فأخذوا منه العهد وذهب كل منهم إلى أهله ، وبقى معه محمود فى خدمته وانصرفوا إلى أداء الفريضة ، ثم غدا وبلاً بادة من عاص من المساجد . وكان يسمى بالشيخ « الأسد » .

قال السيد إبراهيم محمود حامد للهامرودين ، وكان ما كنا مع الشيخ أكد موسى « إنى رأيت فى المنام الشيخ محمد محمود حامد علاً دلوا من السماء (دما أحمر) ثم بعثره على كل الحاضرين وبيوتهم حمانا الله وإياكم من هذا الدم » وبعد أسبوع جاءت عصابة هد أكد موسى ونهبت[2] أبقار محمد محمود حامد المذكور فقتلت طفيلاً دلوا آخر . فخرج إليهم الشيخ أكد وشتم ابنه ووبخه وقال لهم لاتدخلوها وبقى أبعدوها عنى أنا لا أقرب أموال الصالحين فأطلكم الله ، فأكلوا منها بقرة وردوها لصاحبها فى قرى بيت معلا[3] واشتهرت فى أغشيله عائلة « جيد » بالشجاعة والكرم ، ولهم مراع ومناهل طيبة شلحتى (chahiai) . وناظر أغشيله فى ارتريا هو الشيخ فرج إدريس وهو ذو مزايا طيبة .

---

(1) كان فى أواسط القرن السابع عشر للميلاد «تاريخ الشيخ ... وطبقات ود ضيف الله — عصر الشايع محمد حامد وأبو الرايات

(2) كانت عصابة هد مؤلفة من أمثال محمد موسى حمد والعريس إبراهيم شيخ أبو الحمر أشم) ومحمد حمد دابيدي .

(3) لم يشتركوا فى اى قتال . الشيخ حمد محمود ... بالأبيجرى يذكر فيها تلاميذ الشيخ ادريس ود الأرباب ويمدح المذكور .

عجيـــــب

هو الشيخ عجيب بن محمود بن عمر بن حسب النبي بن إدريكنا . ويطلق هذا الاسم على القبيلة التي أنشأها الشيخ قلاني بن عجيب وهي من بطون تماسين الجبال والسهول ، وأقربهم رحما صاحب مملا . وكان قلاني تابعا لرئاستهم حتى اشتدت شوكته بمصادرة قبيلتي ، تمسكيك ، المدندوة وعجيلاب الأفلندة [1] . وكانت سلطة سواحل ما بين توكر ومصوع بيد العجيلاب ثم الحباب والمنقوميكال ، وبهذه المناحوة أمن قلاني شر قبائل السواحل [2] وكانوا يعتنون كثيرا بتربية الإبل ولذلك استطابوا السكن في ضواحي سواكن وتوكر والعيق وانتشرت نياقهم حتى ملأت كل هذه النواحي وضرب المثل بكثرتها وكثرة أصحابها . ومن شيوخهم المشهورين بالصرامة في الأحكام الشيخ محمود بن داود بأنه مدع رد أي ناقة أو بقرة ضالة إلى صاحبها . وكان إذا جاء صاحب الضالة ، يطلب منه أن يأتي بأدلة ويسألونه ويعطيه باعطائه ضعف ضالته . فسكنت معه عدة قبائل مختلفة الأصول . وجاء ذات يوم السيد الأمين حامد (جد الشيخ حامد) باحثا عن إبل فقدت منه ، فطلب إليه أن يسكن معه إذا كان حقيقة يريد إبله ، فاعتذر له وتركها .

قيل إن بعد وفاة الشيخ محمود أصابت القبيلة مجاعة بسبب قلة المطر فتشتت

---

(1) تزوج الشيخ جمع بن عجيل ابنه علاني ورزق منها ابنه جميل ، وبنته الثانية تزوجها حامد فطين بن ابو بكر بن موسى بن سلطان نظر عموم عموم قبائل المدة .

(2) قيل ان أحد شبان السمدة عزا عند ضمير من حبل روره وهم حول شمت اشتاته وطلبت مصاهرتهم ، فرفضوا معتذرين ببعد ديارهم .

على الأخضر واليابس ، وفتكت بالناس والمواشى ، فاضطروا لسكنى توكر وزراعة خور بركة[1] أيام عمدهم الشيخ جمع بن جميل بن قلاتى عمودهم . وهم أقدم أمة سكنت توكر ، وسموها باسمها فقال « قاما كر » أى توكر . وجاورهم من الأطلقة كتكاب وتشدق Chiddag ومن الحدندوة « توأشاب » . واشتغلوا معهم بالزراعة وبيع المحصول بسواكن وعقيق حتى كانت سنة ١٨٣٥ م توفدت عليهم عدة قبائل وانضمت إليهم خصوصا بيت معلا وأخواتها والارتيقية والحسانى والإشراف والكميلاب وفى السنين الأخيرة وفد عليهم رجل من عمد ... (ابن عمهم) بعد ... حمد بن أبو احمد فولوه رئاستهم إذ كان شجاعا ومصلحا فصار الشيخ حمد عميد التوكر ومن فيها هادئا وفى انتشرت المهدية حتى كانت سنة ١٨٩١ م فخلفه ابنه الشيخ موسى حمد عميدا على كل بنى عامر الساكنة بتوكر من أصل « مملاوى » . وعلمت منه أن اسم « داما أو حاماه »[2] جاءهم مع قبيلة قديمة من البجة كانت تسكن بسواكن بهذا الاسم .

وتوفى الشيخ موسى حمد سنة ١٩٣٢ م بعد أن نيف على الثمانين[3] ، وخلفه ابن أخيه الشيخ أبو محمد محمود حمد بتوكر والعقيق ، أما فى كسلا فالعمودية بيد أخيه الشيخ حامد أزكة . أما الشيخ موسى حمد فقد اشترك فى جميع حركات المهدية بتوكر .

---

(١) ذكر الشيخ محمد عبوين بن شدك العجيلابى فى قصيدة له كل ما أصابهم من البؤس والنصب .

(٢) المسعودى «كتاب مروج الذهب» وخطط المقريزى .

(٣) قتل الشيخ موسى حمد العصابة التى قتلت الناظر ادريس حتال حامد ولم يظفر بالقاتل بل بمصاحبه قتل اثنين من العصابة .

مَعْلاَبْ

تطلق على العائلات التى تناسلت من صلب الأخوين (كامل وكبل) وهما من أحفاد الشيخ محمود أبو بكر.

تسكن معلابت أو غالبيتها فى إرتريا وارقاسة فى دربة كبل، والعمدة اليوم بإرتريا وهو الشيخ إدريس حسب شيخ. ويميلون دائماً للهدوء والاعتناء بتربيه للمواشى وفى ارتريا أيضاً معلا «قطان» «دويمة أو الصغيرة» وكان لها ولمعلابت صيت وسمعة وشهرة طيبة وقد أنهكتها الحروب القبلية.

واشتهر فى معلابت رجل اسمه «أبى أمو» وتعريبها (ليس عندهم)[1] وكان مهوى بنتاً من أسفدة اسمها «تكة Takka» بنت دوحد، ثم تزوجها واشترط عليه أهلها أن يساكنهم، فقبل ولما بخوالنها يقتلون أخاه (حامد) وأخذوا ابقاره فلم يكترث لمقتله أو يهتم بثأره. وبقى متلذذا مع عروسه يبادلها كؤوس الغرام ويكره الاجتماع بالناس لئلا يحسدوا عليه حبيبه أو يحرضوه بكلمات تذكره الثأر والانتقام، حتى قيل أنه تناسى أو نسى ثأره، وصار فهيد دار تكة. فهو حزين وهو فى نعيمه وغرامه. وفى أحد الأيام تكلمت نساء الحى معها فى سيرته وعدم اهتمامه بثأر أخيه، وقلن لها: يا تكة أما يفكر زوجك فى أخذ ثأر أخيه حامد من أخوالك. فردت عليهم قائلة أخذكن تكة فعدت بتغذيها على الثأر ولن يحاول الانتقام أبداً. فسمع أف أبو هذا بتهى فتذكر وعظم همه ونامومه، وعليها جالت فى مخيلته أشياء كثيرة[2].

---

[1] وقيل ليس له اسنان وهو اقرب الحقيقة.

[2] كان شاعرا مجيدا واشعره كلب حكم وعبر لايبهمها الا من جد للتجربة.

تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

ولما أرخى الليل سدوله جلس بجوار النار لكى يستدفىء من شدة برد الشتاء القارص ، فقالت « نكة » : ادخل من البرد . فلم يرد عليها ، فقالت له ثم تمكر(1) ، إن البرد شديد ، تعال ونم فى سريرك . فأجابها أنى اليوم كثير التفكير وأحسكم ودا لا يطاق (وعلمت أنه يذكر وسمع كل شىء) فقدمت له فروة بقرب النار وقالت له إذا كنت لا تريد دخول البيت فاجلس على فروتك بدلا من الأرض ، فخاطبها بالأبيات التالية :

« كوى نكة أم برود قوو دتو إلى ما ركون »

(يا ناس نكة (ذات الريق البارد) إن البرد شديد فى أرضكن)(2) .

« إفرز هلبكو انزز إسات يى إى اشحين » .

(إن بى رعشة من شدة البرد والرتعش من البرد يستدفىء بالنار) .

(طلب منها أن تمهله حتى يدفأ جسمه ويهدأ) .

« إجومم هليكر طنجيى أيك إملن » .

(بى وجوم فأمهلينى حتى أفطن لأمرى) .

فتحققت أنه ينوى شرا بأخوانها ولكن الوقت ليل فأمهلها وأخذ حربته(3) ، فى تلك الليلة المظلمة وسار حتى لقى أخاها داود بن دويد يحلب أبقاره

---

(1) شعرت نكة أنه سمع حديثهن .

(2) وجه الحديث اليها والى صويحباتها .

(3) لم تكن السيوف الحالية معروفة عندنا الا بعد الحروب الصليبية .

أمام بيته فسلم عليه، فقال له «داود»: ما الباعث لك للسير في هذا البرد والظلام فقال أريد أن أرى حالة أبقاري. فقدم له «داود» اللبن لكي يشرب وطعاما بحرية مقابله. ثم سار «أف أبو» إلى خيمة الثاني («كوروب») في جهة فقال لها «دقاق». ولما وصله تظاهر بالارتعاش الشديد من البرد فقال له «كوروب»: ماذا بك؟ قال له «برد شديد». فوقد «كوروب» النار وجلب الأخشاب من من أشجار بقي منه (بيت مملا)، فلم ترمح نفس أف أبو لتكسير الأخشاب من الأشجار، فقال له: «يا كوروب إن مودتنا هي التي تمنعنا من معارضتك في قطع أخشابنا فكف عن ذلك». فعرف «كوروب» أن الرجل قد ثار وأنه يريد شرا، وقام ليحضر حربته ولكن بادره أف أبو بطعنة بحربة قضت عليه، وأخذ أبقاره وأبقار أخيه حامد من أبقار كوروب وذهب إلى أهله، ونظم قصيدة مملوءة بالحكم والأمثال وهي طويلة.

أما «تكة» فإنها سمعت بمقتل أخويها فقالت لقد صبر أف أبو على ثأر أخيه حتى هيجناه ونبهناه ثم أنشدت:

« مشكيهاي أف أبو حارو مجرا كجيسا »

(مسكين أف أبو فقد صبر ثم ذهب).

« خوه حامد قاقدا اسكدوز طيبته » .

(تذكر أخاه حامد صاحب الشفة البيضاء) .

« وحامو لميكات قاقدا كايه حير يغينا » .

(وتذكر أبقاره آل لعيتات[1] الجياد المنظر) .

« إبْ يذْو تذأ أنهوْ صَهْ إيكون وحيفا » .

(تركناه يذهب وحيداً من غير صاحب أو زاد) .

ونورد هنا بعض أبيات من قصيدة أب ألبو :

قال أفْ ألبو وهو من صلايت :

« لِيليت أدُوبِنا[2] إنْتقْ جِيت كَرائو » .

(لقد كان عواء صاع أدوبنا (مكان) عاليا حدا ليلة الأمس) .

« حِيرمْ مِلِيرْ بيت مَعقبْ سُوزْ بِبْ حِذْنو ضَنْقَايو » .

(حرم هو من مساكن بيت معقب (بيت صلا) وهم دائما فى حروب)

« إبْ مَهَالاتْ جابِيوْ كوروب دقق تقشايو » .

(على مهلك يا كوروب فى إيقاد النيران بأغصان دقق) .

« متوكُمْ حيكون سَمَرهُ كُلُوْ وَمَايُو » .

(إنهم يحيرونكم وإلا لمنعوكم من مراعيه ومناهله) (كلام)

ثم قال :

« وداْبْ ألبو قِزازْ خارِذنو إ ثمايُو » .

(من ليس له ابن عم فهو كذبة الطين التى يجرفها أقل سيل) .

---

(1) هى ابقار عزيزة عند من يمسكها ويسميها شرحلة فى وسط انعيسا اليمنى - واليوم هى عند الطلبة لاستقراطه فى قبائل اقليم المجا .

(2) محل مقتل اخيه حامد ومقتل كوروب .

« حُوَقَذْ ألبوات عد جَنْدِل فَاملابُو » .

(من ليس له ابن أم يتبعثر قاتله فى الحى ويحتى الثيلاء) .

« ودرِجِم ألبولبٌ من قَرَّيْتو وارثابُو » .

(من ليس له ابن من صلبه يقولون من أقرب الناس لوراثته) .

« حِياً ألبومن لاَ مُوُو بِكَابُو » .

(من ليست له زوجه من يرثيه أو يذكر محاسنه) .

« تَوَاىْ ألبو أحيد أَلّى فابِرابُو » .

(من ليست له مواشى فإن حامل جنازته يعودون سريعا)[1] . نكتفى بهذا القدر .

---

(1) أن صاحب المواشى مانه يذبح منها للجالسين حول القبر ثلاثة ايام لئلا تنبشه الوحوش .

قنيفرو GANIFRO

كل كتب المؤرخين السابقين من العرب والأفرنج تعتبر عموم القبائل التي تسكن حول الجبال الواقعة غرب ميناء العقيق من أصول حبشية، وتطلق عليها اسم «حماسين»، وهذا خطأ لأن حماسين الأحباش لم يبق منها إلا أقلية ضئيلة في كل قبيلة، وليست لها رئاسة أو سلطة ـ التي إنما هي في العنصر العربي، وهو السائد في إقليم العيدا منذ ظهور البلو ـ وأول من ظهر بالجبال من سلالة العرب هو السيد أحمد مُفلا، وقد تناسلت من حفيده (محمود أبو مكر) كل عائلات الحماسين (بني عامر) من أحد أبنائه المدعو (حماسداي)[1] إذ رزق ثمانية أولاد هم: ١ - حامد ولقب باسم كَلُب[2]، ٢ - وأحمد[3] لقبه (كَلَبُوي)، وأمهما من اللايتما[4]، ٣ — وحسن[5]، ٤ — وحسين[6] شقيقان وأمهما من طارقلي[7]، ٥ - وهلال[8]، ٦ — وآقوراي[9]، ٧ — وشوروم[10] choroum، ٨ — إندول[11] وهؤلاء الأربعة أشقاء

---

(١) قيل انه كان حواراً للشيخ محمد بن فايد وزار مساجد العركيين.

(٢) تناسلت من قبيلة قنيفرو Ganifro

(٣) ذريته هي بيت بعشو.

(٤) وقيل انها البلو.

(٥) عد او بيت حسن.

(٦) عد حسـان.

(٧) امهما بنت آب جنجب.

(٨) تفرعت منه عد هلال.

(٩) ذريته هم لبتاء أقوراى.

(١٠) ذريته عد تشوروم.

(١١) هم بيت تدول واغلبية الأربعة الأخيرة.

وأممهم من كريكتاب « عائلة بازوقاب »[1] .

وفتيمسرو تسكن فى « مَيْدِقَ » (قرب هَجَر) . وعميدها الشيخ محمد محمود حاج ، وهم يذكرون عميدهم الأول الشيخ حاج أبو بكر الذى كان مشهورا بالصلاح وحب السلم خصوصا مع جيرانه . وخلف أحسن ذكرى . ولما توفى حل محله ابنه محمد حاج ، فتقفى أثره ، فأحبته كل القبائل إلا بيت معلا إذ حدث أن قتل أحد رجالها أخاه محمود خطأ ، وكان يدعى حامد سقوته[2] إذ أنهم أخذوا بقرة هذا الولد ولم يكونوا يتوقعون أن يدركهم فى وادى بهلة بعد أن أكلوها ، وكان محمد أداد أول من هجم عليه ، فصعد له الولد ، ولكن حامد سقوته جاءه من الخلف فقطع صلبه ، وسرقت عصابة من الحباب حمير قبيلة محمد حاج فسافر إلى كنتيباى حسن بجبل « عَدَّ » فسأله عن مقصده فعلم كنتيباى أن العصابة سارت إلى مدعريام ، فأمر بأدراكها وإعادتها إلى صاحبها فعاد بها إلى أهله .

ولما توفى كنتيباى حسن ذهب الشيخ محمد حاج إلى دقى حباب للتعزية ، وبينما هو عائد إلى أهله قابله محمد سقوته[3] فى وادى رحيب ، فلم يبالات العمدة

---

(1) مسكن بازتربا والاربع السابقة مقسمة بين السودان وارتريا . كل قبائل الحمسين مجاورة لبعضها حول جبل همر ويقال لها « بيـــــات حلنج » « أسود » والتى تسكن منها فى السهول يقال لها ابيات قيح حمرا اى العائلات الحمراء والسوداء .

(2) كان زعيما لعصابة مؤلفة من «حمد حواى» (أصغر) ، ومحمد اداد المشهور بأبو البر وغيرهما .

(3) أخو حامد سقوتة .

شوره وانتضى سيفه وضربه بعده فقتله بأخيه وران ما كان بين القبيلتين من الجفاء . ولما توفى خلفه ابن أخيه الشيخ محمد محمود

اا بدأت الحرب الاستقلالية « المهدية » سنة ١٨٨٣م بشرق السودان عين الأمير عثمان دقنه الشيخ موسى إدريس وكانوا مخيمين فى جهة « عبدالله أرى » وأبلوا أحسن بلاء واستشهد منهم ومن الأملتة كثيرون فى سهول « إندرتيب » ولهم أشعار بالبجاوية والتيجرية فى حروب جيوش الاستعمار (١) ، ولقد سمعت من الشيخ شرب كثيرا من أشعارهم الحماسية (٢) .

بيت بعشو

ويسكنون جبل « قمبوبة Gammouhab » بين ديار الحدندوة والبلين والأمت . وهنا فى ارتريا عشيرة برئاسة الشيخ صالح على نسكوش بن منفدر بن موسى أقوزاى ، وهى تنقسم إلى عائلتين « عد عمر شوم » وتتألف منهم أكثرية القبيلة ، وهم لايسمعون الصيم ، و « عد ديناى » فكانت فى يوم من الأيام القبائل الحباسينية تحت رئاسة الناظر عمر بن شوم عمار وهو ممن وفدوا على ملك الفونج بسنار وقدم له الهدايا وزكاة الحباسين فأكرمه الملك وأنعم عليه بطاقية من الذهب وكرسى للحكم وعصا (٣) و « نقارة » دفنها أحد

(١) كان فى القرن الماضى شاعر اسمه جوبج زنابل يثنى على الشيخ محمد الله وغيره .

(٢) اشتهر هذا الرجل بالوفاء لأصدقائه .

٣ يقال إن المدفونة هى النقارة الكبرى وأما الصغرى فقد أخذها أحد مشايخهم الى الهدور سنة ١٨٧٠م وتركها ودفعة عند الشيخ ابراهيم حامد ورار ، وهذا باعها للأمير جيلانى ملك ارتيمه بسمو تك ، وما زالت معهم حتى اليـــوم .

أحفاده « ويدعى عمر شوم (سمى عامه) » فى واد يقال له « قبر عمّار » خوفاً من عائلة هدى أبناء حسن مرمى هاسرى .

وشلعت من الحامين بارتريا نظارة بأغوردت ، ومن مشاهير بشو الشيخ حمم بن هدين بن تشقراى Chageer ابن هالياى بن عمر شوم فى القرن الماضى إذ سافر إلى القاهرة شاكياً من مشايخ بنى عامر لأنهم اقتسموا قبيلته وبعض القبائل التى كانت تحت سلطانه ، ولم تنجح شكواه ، واقتصرت الثورة المهدية فى السودان ، ولما احتلت إيطاليا إرتريا سنة ١٨٨٤م رفع شكواه لمحافظ مصوع فأنصفه ورد إليه كل من كان منه .

أبناء بشو مشهورون بالجود والشجاعة فمن مشاهيرهم منفر مرمى ومحمد تكوش ، وهتوى ومحمود وأخوه هد شوم وعلى بن منفر المشهور بمعاتبته لناظر بنى عامر دقلل على بخيت وقد توعده بالرحيل من نظارته إلى أخرى[1]

فقبض عليه دقلل وسجنه فى جميه تعلابيب (قرب عدوبنة)، وكان له صديق اسمه هد محمد إسانات طلب من عمه أن يطلق سراحه فأطلق . ورؤساء هذه القبيلة مشهورون بالكرم واقتناء السيوف الجيدة ويكثرون فيها من الفضة بخلاف بقية أقاربهم وجيرانهم إذ لا يهتمون بذلك .

---

(١) وله فى ذلك قصائد طويلة أشهرها التى يقول فيها سلموا لى على دقلل على بخيت الطيب السلام .

بيت بعشو وعد حاسري

قيل إن أحد أولاد بعشو[1] قتل رجلا من الحاسريين «عددي» فاشتكى أخو القتيل إلى عمدة حاسري ، فقال له اتركهم وانتظرني . فلما جاء الصيف أدركهم الشيخ حاسري بقواربه وأحاط بمنازلهم فاستعدوا لقتاله ، فقال لهم أنا رجل مسالم أعطوني رهائن[2] حتى رأى الشتاء وفصل في دماء المتوالين فأعطوه ثلاثة من شبابهم فسجنهم في جزيرة باكياكي - شرق الفشق - ولم يبق منهم إلا « دار شيخ بن دامو » وهو جد أبناء بحراي بن صديق المدعجة دوبقه اليوم بالقارية (بهدر) ، ويمتاز ذرية دار شيخ في معرفة مواني البحر الأحمر خصوصا الريس محمد إدريس نور ومحمد صالح حسن بحراي . واشتهر الشاعر الحباني من حوابشو (عمر بن ناشتير)[3] بمدحه للشيخ عمر شوم حتى قيل أن من يحفظ له عشر قصائد يكون سعيدا في حياته ونحن نحفظ هذا القدر[4] .

حوالي سنة ١٨٧٠م طرد رعاة موشي بيت بعشو أبقار أبناء على بن عقيل شاشة هيتولاي (اد د) من أكد ، فأخذ سلاحه وخادمه (همد باندق) وبعض أفراد حصته ، وقاموا إلى بيت بعشو . فتلقاهم تكوش بن موسى وأولاده فجرح تكوش وهيتولاي بعضهما وكذلك قتلاي « محمد تكوش »

---

(١) القاتل اسمه «شاكا» وقد قتل رجلين من عددي وسكنوا مثل ابن عددي الا ما كان منها ابن عشار .

(٢) طلبه أن يكونوا من فرحة عمر شوم .

(٣) جمعنا كثيرا من الشعره القولية .

(٤) لو قالوا أن من يحفظها يجيد لغته للتجربة لكان أصوب .

جرح محمد بالبندق ، وهذا ضربه بالسيف مرتين فجرحا ، وضرب على أبو بن نكوش بالبندق ، فسقطوا جميعهم . فقال نكوش لأبنائه أوقفوا الضرب وداء أهل الفريقين فحملوا الجرحى ولم يشفوا إلا بعد خمس سنين . ووصف نكوش هذه الوقعة فى قصائده وأشهر قصائده هى التى يهجو فيها عبد حر نابتاب ردا على شاعرهم تسمى « أكَى دُولى » وأولها هو :

« أ كَى دولى طى خولة تكَتَلْ مى إيتَكَتَلْ » .

(أ كى دولى « أنا أخوك » لماذا الأخبار تستحى) .

« أبوى يَاَمْ وسَق و أبوك شدح وخمز » .

(أبوى يأ كل ويشرب واخوك يضعف ويجوع)

« نابتاب سَنِّيت وا تياشيا إيكون نابتاب توسَلْ »[1] .

(نحن نقاتل النابتات الأصلية لا نابتات توسل) وهى طويلة .

ويقول الحباب أن محمد كابوى تزوج من بيت أسفدى حباب بابنته « إتِّي » بنت كنتيباى ناود مسكاك ولذلك غزوا معه عد تكليس فكوه من استرداد نحاسه . وحفظ لهم الحباب هذه المساعدة ولما تضعضعت حالة بيت بشو تفرقت بعض عائلاتها فى القبائل الكبيرة مثل بيت هلال انضمت إلى أبناء أ كد ، وبيت أندول إلى الأفاندة ، وانضم أ كثرها إلى المعلاويين أبناء كيل الأول . ولكن اليوم سنة ١٩٤٧م كل أخ انضم إلى أخيه وذهبت تلك السيادة المستعارة .

---

(1) هو مقصد نابتاب رسه الحضارة لا النابتيب التى تتوسل بالصالحين أمثالكم ويقصد أبناء عمر وعامرى .

دقة بمشو

كان رؤساؤها الاقسمون مغتنون بتربية الإبل حتى كثرت عندهم وصارت منها مؤونتهم ، فكانت تسمى قرام « دقة بمشو » . وكان كل من أبناء حاسبين له دقة لا تقل مقاديره عن الألف . وكلها انقرضت أشهرها « دقة عمر شوم ودقة علي شوم وآخر باسم محمد شوم وحسن شوم وحسين شوم وحمد شوم ومحمود شوم » فلما دالت أيامهم وانقرضت إبلهم اعتنوا بتربية البقر والغنم واتخذوا منازلهم حول « قمر عمار » في شرق خور طفت الشرق وكانت مقاوتهم قبل بمشو في بيت محايلاى التي ورثت أراضيها في هجر بيت بمشو ، وفي السهول للعجيلاب بعد قتال استمر ربع قرن .

وكانت بمشو في حروب مع أسعدة أيام زعيمها « سعيد بن أسعداى بن تامع بن يوسف بن رشيد » وتحتفظ بيت بمشو بسيوف غاية في الجودة ومضاء الحد أشهرها[1] .

١ - واحد عند إدراى بن حمد شنجور ، ٢ - عند جمع محمد دين شقراى ، ٣ - ثلاثة عند الناظر صالح على تكروش ، ٤ - عند أبناء حبيب تكليس ، ٥ - عند حمد على مندر ، ٦ - عند أبناء إدريس آدم محمد قرقاء ، ٧ - عند عقوى موسى قرراى ، ٨ - عند أبناء حمد إباى .

وهذه السيوف غنموها مثل العجيلاب من بيت محايلاى بعد واقعة هجر التي حرموهم فيها من حصد زراعتهم .

ومن مشايخهم بالسودان الشيخ محمد آدم حنجور

---

(١) بسبب التيمه البكرى الذي فيتهما .

عَدْ فَضْـــل

هم إحدى قبائل بنى عامر التى كانت تحت نير الناصريين بل هى يدهم اليمنى فى كل مصيبة تؤمهم إلا فى تظلم المصلاويين فإنها لزمت الحياد التـــام بين القبيلتين وكانت تخرج زكاتها للشيخ حمد حسان ، فلما هاجر إلى مصوع(1) بعد مقتل عبدالله وأكد رفضت قبيلة فضل الرحيل معه وبقيت فى تسع(2). فلما تم الصلح بين القبيلتين عامل الشيخ إخوة كل أخوة من تخلفوا عن الهجرة وهم لم يكترثوا لذلك وبقوا معززين مكرمين ثم صار كلهم لا يؤدون إلا القليل من الضريبة لأنهم كانوا حماة الناصريين من كل محارب ومقاتل حتى كانت سنة ١٩٤٧م وطلب الشيخ عبد القادر محمد ضرار الانفصال عن الناصريين واستقل بسودية كل أقاربه من سلطانهم

وتتألف قبيلة عد فضل من العائلات الآتية :

١ — حمصة ٢ قرعاب ٢ — حمة عزل ٣ — ناصر ٤ — حتير أو شراف ٥ — طرح ٦ — كاف وغيرهم من العائلات وفى الســودان انضمت إليهم عائلة موسى وبرير وهم كانوا قبل بنى عامر يسكنون بالسودان وإرتريا . ومن مشاهير هذه القبيلة فى القرن الماضى المصلح الورع المتقى الشيخ حاج محمد ضرار(3) .

---

(1) لولا أن قبائل النابتاب ثابت على المصلاويين لما اضطر حمد حسان لمبارحة وطنه مصوع .

(2) عقلى النابتاب وأتباعهم لا يقلون عن الثلاثين .

(3) تزوج ابنته ابن شيخ تور سدس ضرار عجيل وكان حاج غنى جدا وذا عصبية كثيرة أفادت العجيلاب فى عدة مواقع ، وأكثر أهل عقندى من أبناء بقته .

وفي سنة ١٨٧٢م حدث قتال بين البِهْدُور في مدوبة والجهلاب، (الأولى بقيادة القبطان مهدي محمد أحمد أبو بكر، والثانية بقيادة عيسى دهيت الشاعر[1]، ضربت عصابة الجهلاب على إبقار أبناء شاكر (عائلة عَقَاماي) في جبه أيْسَخَب "وستاقتها أمامها آخذة طريق المضيق، وكان أصحابها كامنين هناك" فضرب لها أحد الشبان الدرقة وناداها. ولكن الجهلاب غيروا اتجاهها إلى السهل وهناك لقوا البهدور على أتم استعداد لقتالهم، وجاءتهم نجدة من الأملندة بقيادة «حامد نصر الدين»[2] وابن عم هد بخيت مردوه[3] واشترك معهم على شاكر[4].

اني شخصياً معجب جداً بالشيخ عبد القادر محمد ضرار لأنه ناضل وأكثر من الشكوى لمفتش توكر المستشرق «المستر أندرو بول (Andrew Paul) حتى أقنعه بشهود ووقائع ملموسة أنه مهضوم الحقوق. فسأله المفتش هل أنت مستعد لخصومة وعداوة الناصريين لك ولقبيلتك؟ قال له نحن كالمذرين وهم كالسيارة فهل لسيارتك أن تسير من غير بنزين. فقال له كلا إنهم ضعاف عند مفارقتهم بنا.

وعموما آل حاج محمد ضرار اشتهروا بالصلاح والقرءة والكتابة.

وفي سنة ١٩٠٩م حدث بينهم وبين قبيلة سكانكناب خلاف نشأت

---

(١) غرا من عمائل سو حل لمضيق ح عد وبيه وهي مسافة بعيدة جدا.

(٢) قتلت أمه ... تم تحمله من الأمدد.

(٣) أدركتهما وأنقذت عمهما.

(٤) مات ثلاثة من أخواله في المضيق.

من تأثيره عدة عصابات اصطرت على أثرها الأخيرة ترك جبال الحقيق لقبيلة عدد فضل[1] .

وللشيخ حاج محمد ضرار أشعار كثيرة أشهرها قصيدته التي يرثي فيها ابنه وقد قتلته إحدى قبائل الحباب فعزم على الصيام ثم استل حسامه وجلس للحساب في المضيق حتى عثر بقاتل ابنه فقتله وأنشد :

« أنا إبكون إدأيت نهقت ديب ولدا » .

(معنى أنا مثل الحمارة نهقت من الحنين على ولدها[2] .

« نعدت وسافنت كيد عد حد إبكيدا » .

(إذا جد السير فإن البهيمة العطشانة لا تقدر أن تسير كالشاربة) .

« نعدت حط ديب كدنت وسانيت حط ويت تدا » .

(والعطشانة تسير في الخلاء تضل ، والشاربة تعود إلى أهلها) .

وله أشعار أخرى في التقوى ونصائح الناس .

عد علي عاما

كثرت حولهم الأقاويل ونحن اعتمدنا قولها من الثقة . وأول من حاولهم هو رجل من سكان توكر يقال له « علي عاما » من قريبه ثم ترأس عليهم ودرسوا القرآن علماء وبعد سنة ١٣٠٦هـ انضموا إلى بيت قريش لأن الجماعة

---

(١) لقصر الشيخ الأكد موسى للفضل والعاطر صالح ادريس تسلط المستكاتكتاب .

(٢) كان الناس يقولون له اعف عن قاتل ابنك فلا يرد عليهم .

حكمت بجج في تلك السنة . وكان عميدهم في المهدية الشيخ حامد علي الذي نزع المشيخة من عمير في أيام والده ، ولما توفي حامد خلفه ابنه الشيخ أونور .

واتفق الحامريون والعلاويون على غزو عد علي حامد[1] ، وهم في مهجر بأمر من الأمير محمد طاهر ابن بك دقنة[2] ، إذا أمر بمطاردة عد علي حامد ، فسارت خلفهم عصابة برئاسة محمد إدريس أبسطقصمدوا لقتال العلاويين والحامريين[3] حتى خسر الحامريون حسن حامري محمد ، وحامد شريف علي ، وكلاهما من النابغين ، وجرح بعضهم ، فرجعوا منهزمين ، فأرسل الأمير محمد طاهر في طلب الشيخ ضرار علي لأخذ رأيه في غسل عار الهزيمة ، فقال له والدي : إن الانتقام من هؤلاء صعب جداً لوعورة المسالك وكثرة مغاور الجبال وخباياها التي لا يجيد معرفتها إلا موسى إدريس حامد ورار ، إذ أنه يحفظ بعصابة تؤدي غرض الأمير . ووافقه الشيخ أركا موسى على ذلك ، فأحضروا موسى إدريس[4] ، وتسلم قيادة العصابة ، فأدرك بعضها مقيما في قرية عد عمر فهجم عليهم فلما فروا منه تعقبهم حتى قطع دابرهم نهائيا .

وقد حصرت بين سطور في حروب هذه العصابات بعضا من مشاهير رؤسائها

---

(١) رفضوا دفع الزكاة .

(٢) كان يقيم في «عد أرب» قرب «عد وبنة» .

(٣) ظن الحامريون أن حلفاءهم العلاويين لم يشتركوا في القتال .

(٤) لم أر في الحامريين أعنف وأشجع من هذا البطل ، وقد توفي بكسلا سنة ١٩٥٠ م بعد أن نيف على المائة .

أمثال حامد محمود وإدريس حمد ، وإدريس محمود ، وكلهم من نسل الشيخ إدريس حامد ايتدكل .

محمد حسن

هم أقلية ضئيلة من ذرية حاسيناى بالسودان أما فى إرتريا فإنهم يكونون عمودية تامة .

محمد حسان

هو ابن حسين حاسيناى ، أنشأ قبيلة وسميت باسمه ، وسكنوا بقرب جبل « حِقّاق » ، واشتهروا بالشرور وغزو كل من جاورهم أمثال بيت معلا : وكان منهم فى القرن الماضى « أبناء أبـ ها تأمة » ، ورئيسهم حامد شِلُو وأخوانه الأشقاء (محمد ومحمد) قيل إن الشيخ إدريس حامد ايتدكل قتل كثيرا من رجالهم ولذلك تجدهم يبحثون عن ثأراتهم ، فقام بعض من شبان حسان للبحث عن أبناء إدريس حامد ، وكانوا منعزلين عن قبيلتهم بزعامة أخيهم الأكبر « محمد شُرْم إدريس » ، وكان عمره خمسة وعشرين عاما ، وأخوانه السبعة الباقون كانوا أصغر منه ، ومعهم والدتهم وعبيدهم « أشُوشَاى » وأروفى » ، ومعهم جمالهم وهم يعيشون تحت سفح جبل ، فيختبئون بالليل فى كهف يقفلون بابه بصخرة كبيرة ويتركون جمالهم فى زريبة محصنة جيدا من الشوك خوفا من الوحوش فجاءهم ذات ليلة أبناء حسان ، ولم يجدوهم ، فقتلوا الجمل ثم استرقوا السمع ، ودقوا عليهم ، فأحضروا حطباً فى فم الكهف وأوقدوا فيه النيران . فشعرت والدتهم بذلك وأيقظتهم وقالت لكبيرهم « محمد شوم » اقوت « السلاح الأبيض خير من الاحتراق بالنار » فخرج سيقت وأشاى وقتلهم ، ومرس ، فخرج

رجله وخرج إليهم نفر ، وبعد ذلك طعنه محمد وأخوه أحمد حسانى طعنتين بالحراب (فى يده وظهره) فقام محمد من عثرته وضرب محمد بالسيف فقتله ، أحمد فى يده وقطعها ، فتسممت ومات منها أحمد ، وخرج خلفه العبدان فقتلا الثالث وطم شيوخ طيب مسالم هو الشيخ محمد محمود أبو بكر بالسودان وفى إرتريا ج أسمهم الشيخ عمر موسى بحيت ولما توفى خلفه الشيخ سعيد محمد أبو بكر ، وسكن معهم بجوكر الشيخ حمد بن أبو حمد فاتخبوه (بنى عامر توكر) رئيسا لهم حوالى سنة ١٨٠٠ م ثم خلفه ابنه الشيخ موسى حمد .

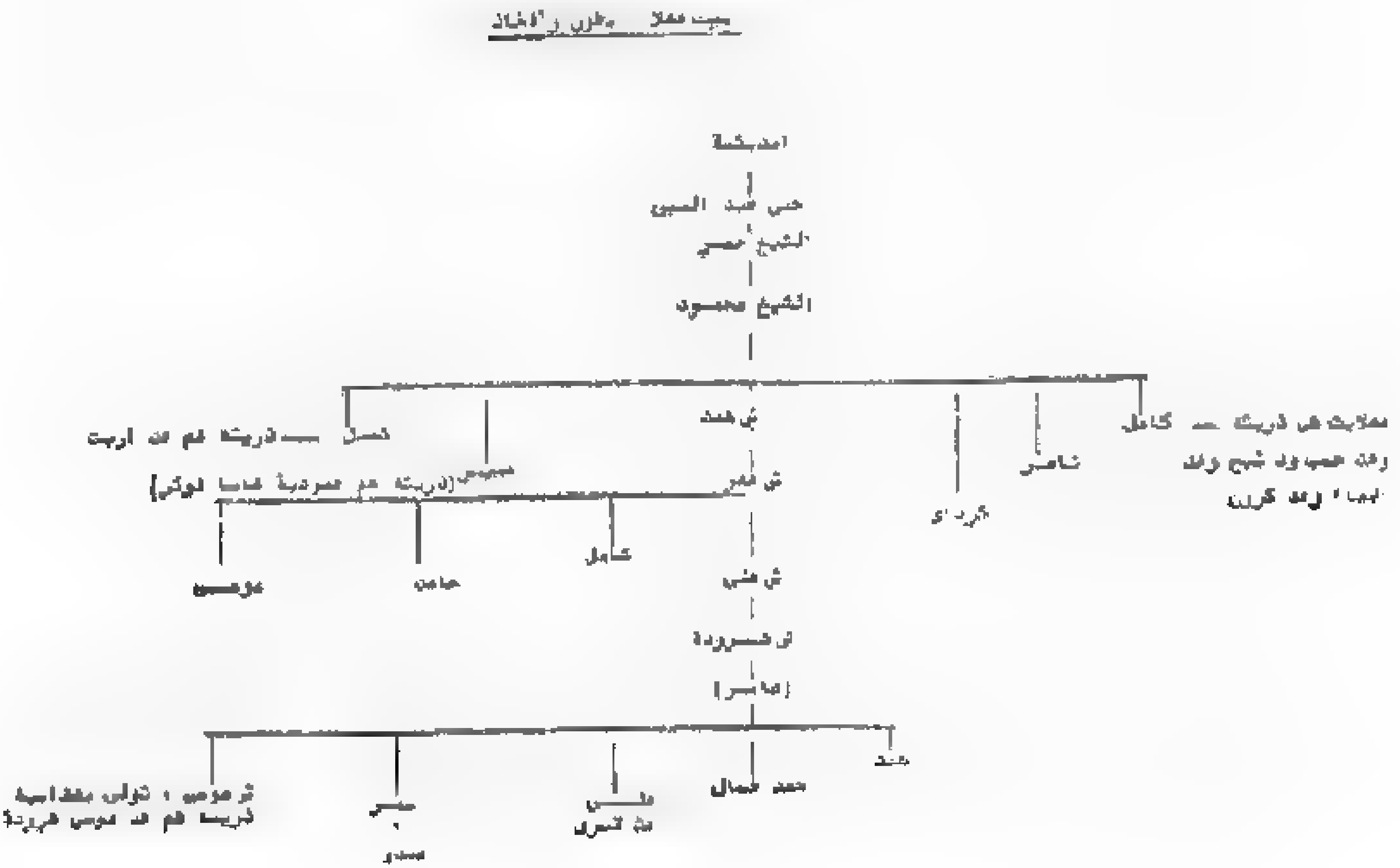
الشيخ محمود
كامل
حامد
محمد جمال

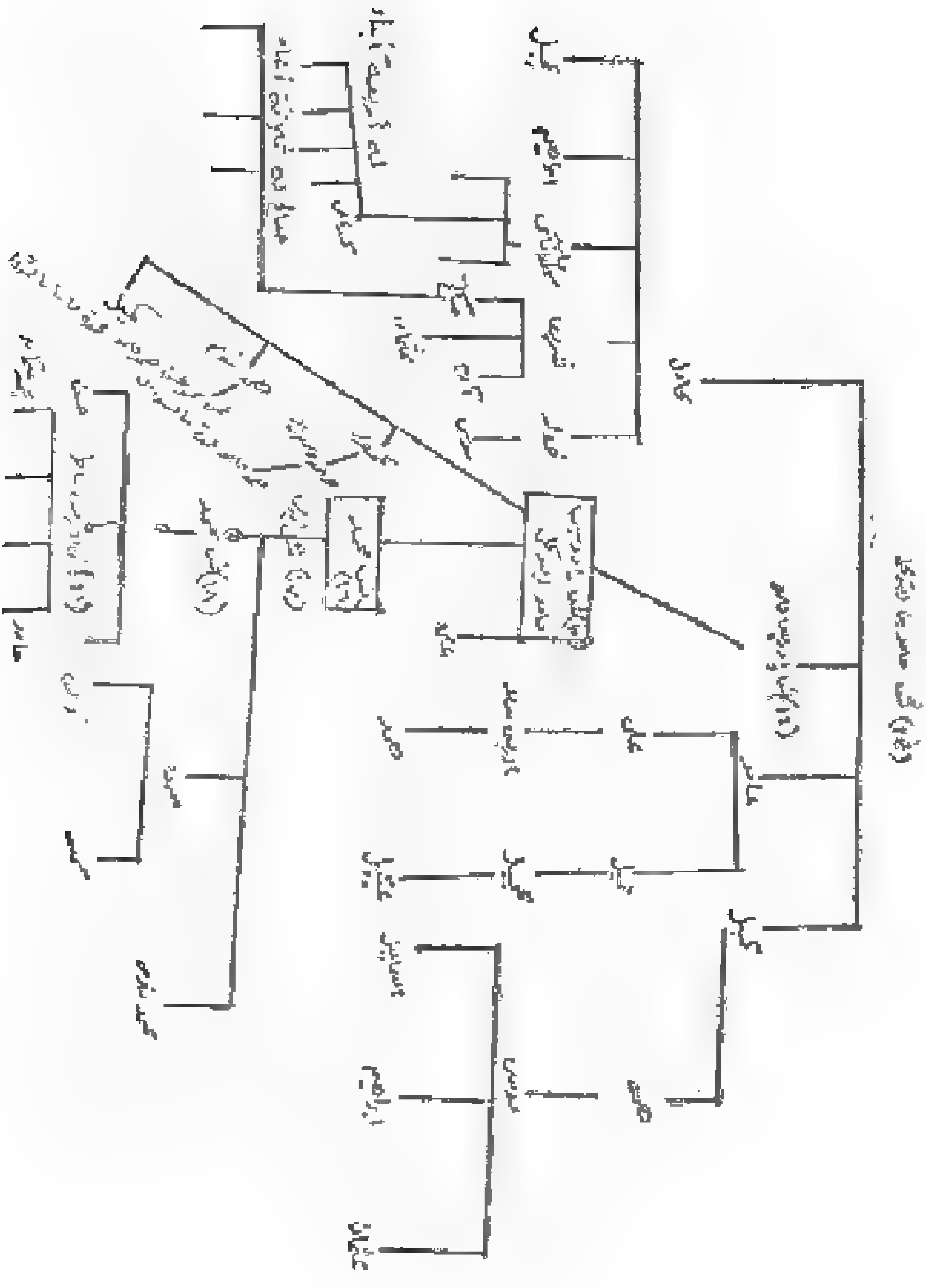

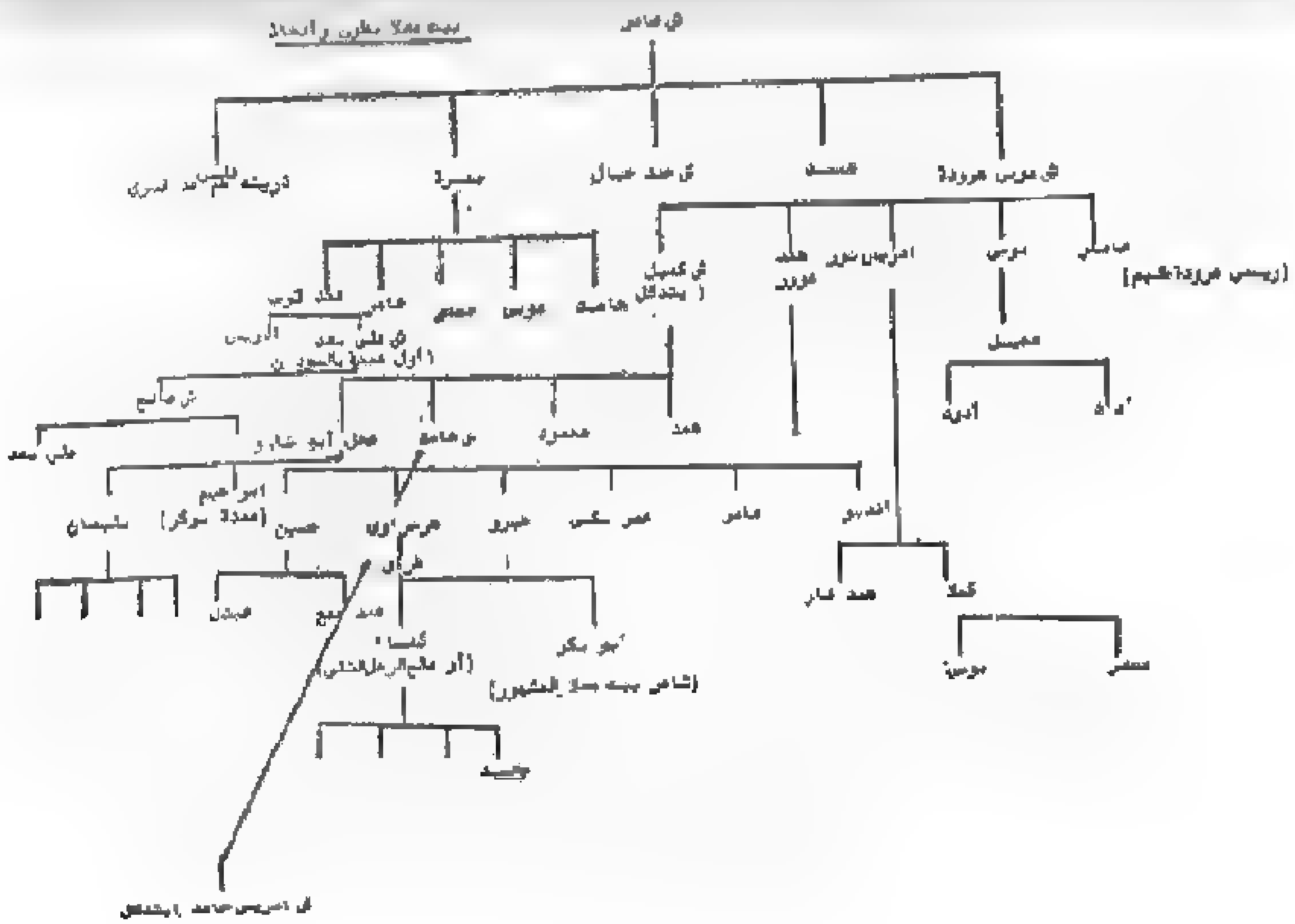

شجرة الخماسين سنة ١٩٤٨م في بيت معشو واقربائه بأرتيريا

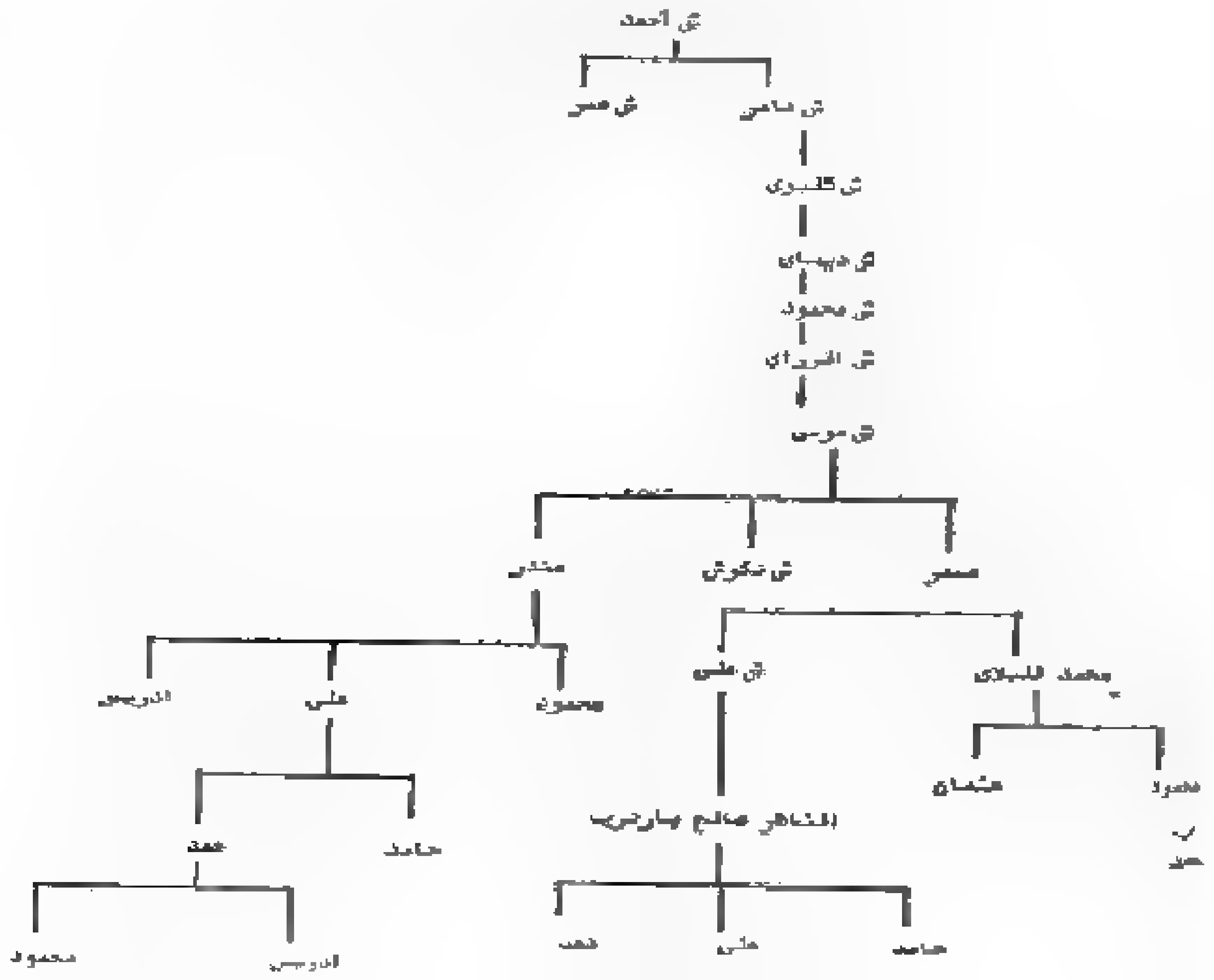

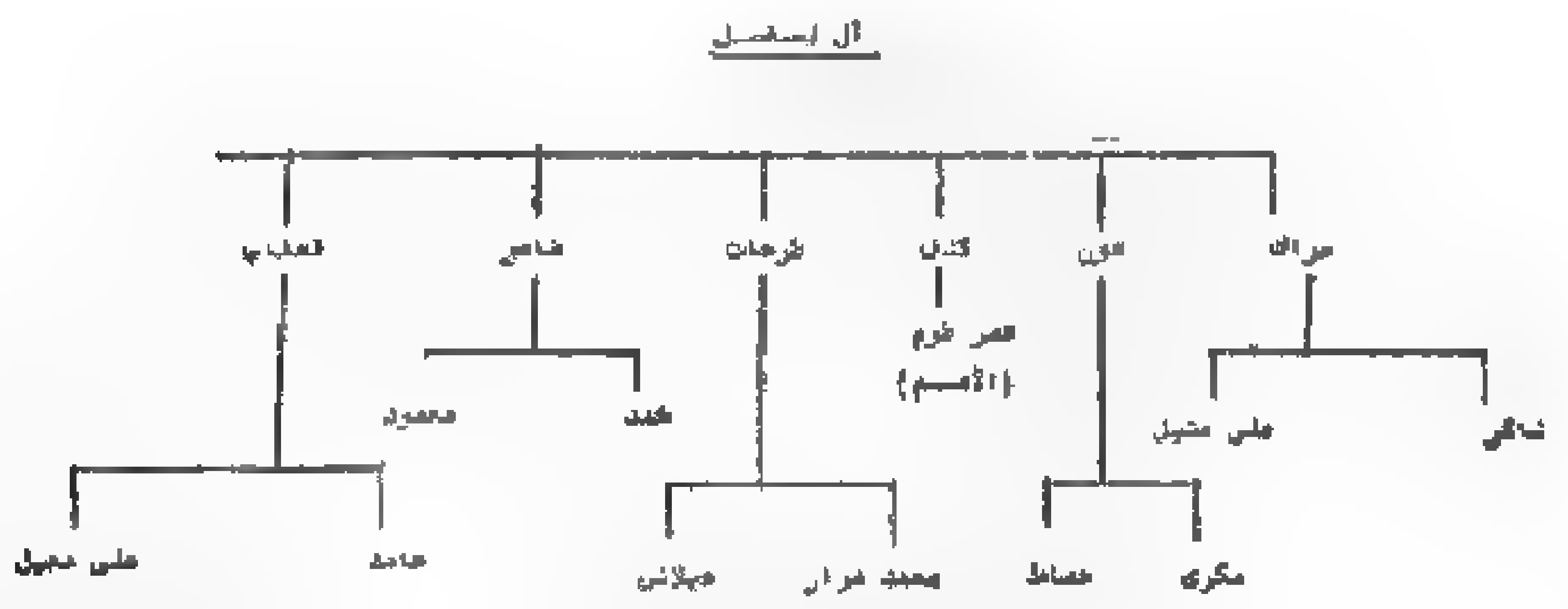

و ينتمون الى آل خليل [illegible] الأصل بالشمري [illegible] وهي فصائل كثيرة في [illegible]
[illegible] وهو من قبيلة [illegible] آل الشيخ [illegible] ويرأس الشيخ آدم [illegible] المذكور كل [illegible]
من آل الطبائل [illegible] اليه [illegible] وهم متحلون بالكرم و الشجاعة ،

بيت عودة آل فضل بالسودان

وهم أول قبيلة تحررت من سيطرة الهاشميين بل وكل الهاشميين بزعامة الشيخ عبد القادر بن محمد فراي.

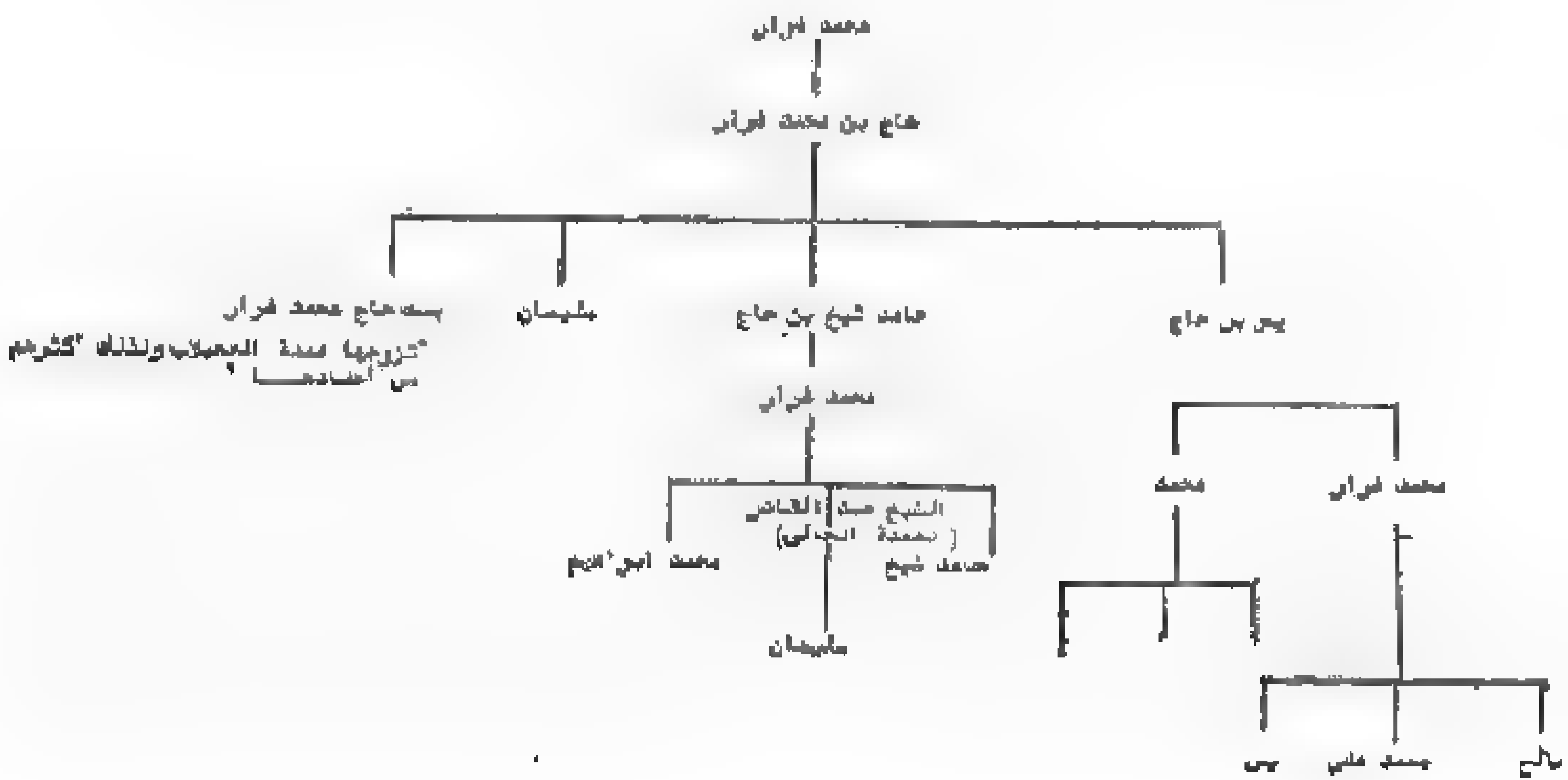

(بيت موسى)

هى من قبائل ألمدة التى سكنت بأراضى الحباسين (بنى عامر) واندمجت فيهم، وتسكن منشئها الأول وسمى الشيخ كَلَس Kalass أبى أن ينضم إلى سكان هجر لا فى المراعى ولا فى توريد الزكاة أو الجزية أخيراً واتخذ ناحية من هجر يقال لها « إرجيى » . ولهم عمودية طيبة فى إرتريا ، أما بالسودان فهم أصحاب حصة ضمن بيت عوض المكرية .

البكرية

يطلق هذا النسب على عدة قبائل تسكن فى إقليم البجة وتنتهى نسبتهم إلى محمد ابن أبى بكر الصديق أو أخيه عبد الرحمن . فى ذرية الأول قبائل العجيلاب ويسكنون على سواحل البحر الأحمر السودانى[1] ، ومساكنهم « عقيتاى Age tai » وهم من الأعابيد ، وعمدتهم هو الشيخ محمد بن ضرار ابن على ضرار وأبناء عمومتهم فى إرتريا قد هاجروا إليها سنة ١٨٨٠ م . ويرأسهم الشيخ إدريس سليمان محمود ، والأول يسكن سهول « شعب » والثانى « أدَرْهَا » وأما أخوانهم أبناء « حَبابَاى بن عجيل » وعمدتهم الشيخ سليمان محمد فيسكنون « قُميرو » ، وفى أغردت أبناء على طالب بن عجيل وهم أبناء حسن ولات وشَقَل ديولاب وكوكوى ، وقود .

وأما ذرية عبد الرحمن فكلها تفرعت من « السيفولاب » سكان « تهميبى » بالقاش وهم تابعون لنظارة الهدندوة ، وفى السودان من فروعهم

---

(١) تابعون لنظارة بنى عامر فرع من الملهيكتاب التابعيين لنظارة الهدندوة سكان تندلاى وآبار جبام كسلا .

« بيت عوض وشلوق » وماقيت وكر بكتاب وبعضهم فى إرتريا بأغردت ، وكلهم تابعون لنظارة بنى عامر . والبكريه عموما من أكثر قبائل البجة مطعا على بعضهم . وقبل سنة ١٩٤٧ م كانت قبيلة الرقبات[1] kigbat ، تحت نظارة كنتيباى الحباب ولكنها تحررت من تلك النظارة وأصبحت ذات نظارة مستقلة بأرضها ولها فى السودان عمودية .

محمد بن أبى بكر الصديق

نورد هنا ملخصا لحياة الإمام محمد بن أبى بكر الصديق بن عثمان (أبى قحافة) . ولد فى حجة الوداع يوم ٢٥ ذى القعدة وأمه أسماء بنت عميس ، وتوفى والده وهو ابن سنتين وقد تربى فى كنف أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وكان يلقب بأبى القاسم ، ويدعى « ناسك قريش » . وتزوج بابنة يزدجرد كسرى ملك فارس . واستعمله الخليفة عثمان بن عفان ليكون بمصر تحت إمرة ابن أبى سرح ، وغزا جزر البحر الأبيض المتوسط ، وجاء مع وفد مصر إلى المدينة المنورة مستنكراً أعمال الخليفة الذى سأل وفد مصر عمن يحبون أن يتولى إمارة مصر فقالوا محمد ابن أبى بكر فكتب له بذلك ثم عاد مع الوفد إلى مقرعمله . وبينما هم فى الطريق رأوا راكبا يدنو منهم ويبتعد فقبضوا عليه وحققوا معه ثم فتشوه فوجدوا عنده كتابا من الخليفة عثمان بن عفان إلى عامله بمصر (عبد الله بن سعد بن أبى سرح) يقول « إذا أتاك محمد ابن أبى بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم ، واستمر فى عملك حتى يأتيك رأيى » فعاد محمد والمصريون إلى الخليفة عثمان بالمدينة الذى أقسم بالله

---

(١) هم من ذريه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .

أنه ما كتب الكتاب ولا علم له به . وقيل أنه من عمل مروان كاتبه وعادت بعودة وفد مصر بقية وفود الأقطار ، وحاصرت منزل الخليفة . ودخل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلا واستحيا وخرج منه نهائيا . ولكن اتهم بتحريض الغوغاء على قتله . وتطورت الأحوال وبايع محمد أمير المؤمنين على ابن أبي طالب وسار معه إلى البصرة ، واشترك في واقعة الجمل ، وحمل هودج عائشة أم المؤمنين مع عمار بن ياسر عن الميدان بعد أن عقروا الجمل ، ثم سيرها الإمام على إلى المدينة المنورة[1] ، مع أخيها محمد ، واختار معها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات (في زي الرجال) . فتوجهت إلى مكة المكرمة فحجت ثم عادت إلى المدينة المنورة ، فلما أشرفن عليها خلعت النساء ملابس الرجال ولبسن ملابسهن . فقالت عائشة يغفر الله لابن أبي طالب فقد كنت أظنهن رجالا طيلة رحلتنا .

وعاد محمد إلى البصرة ، واشترك في قتال صفين حتى كان التحكيم . ثم ولاه الإمام على أمارة القطر المصري[2] ، إذ أن عامله الأول (قيس بن سعد) حادى شيعة الخليفة عثمان . فلما وصل محمد مصر قصد المسجد وخطب في أهلها فقال : « الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصرنا وإياكم كثيرا مما عمى عنه الجاهلون . إلا أن أمير المؤمنين ولانى أمركم ، وعهد إلى ماسمعتم ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فإن يكن ماترون من أمارتى وأعمالى طاعة فأحمدوا الله على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادى ، وإن رأيتم عاملا لى عمل بغير الحق فارفعوه إلى وعاتبونى فيه ، فإنى بذلك أسعد وأنتم

---

(1) في غرة رجب سنة ٣٨ هـ .

(2) في الحادي عشر من رمضان المعظم .

حذيرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته » ثم نزل . وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين يخيرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر . وحدث خلاف بين الحكمين مطيع المعتزلة في محمد ونابذوه ، فأرسل إليهم سرية لقتالهم فقتلوا رئيسها . فأمر بنهب أموال شيعة عثمان وهدم دورهم وحبس ذراريهم . فأرسل محمد سرية أخرى مؤلفة من ألفي رجل وفيها أخوه عبد الرحمن ابن أبي بكر[1] الصديق . وعين معاوية عمرو بن العاص على مصر ، وانتدب هذا معاوية بن خديج لحرب محمد بن أبي بكر الصديق مطالبا بثأر عثمان بن عفان . فلما علم الإمام علي بذلك رأى أن محمدا لا يستطيع المقاومة ، فولى على مصر الأشتر النخعي ، وكتب إليه عهدا جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة ، فتوفي في الطريق . وشق على محمد العزل فأرسل إليه علي « أما فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشتر إلى عملك ، وإني لم أفعل ذلك إلا ازديادا لك مني في الجد ، ولو نزعت ما تحت يدك لوليتك عليك مؤونة ، وأعجب إليك ولاية ، إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحا وعلى عدونا شديدا ، وقد استكمل أيامه ، ولاقى حمامه ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه وضاعف له الثواب ، أصحر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ما أهمك ويعنك على ما ولاك » فكتب إليه محمد « أما بعد ، انتهى إلى كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأي أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف

---

(1) قيل انه ارسل الى محمد يقول له «اما بعد فتنح عني بدمك يا ابن أبي بكر فانى لا احب أن يصيبك منى ظفر . ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك ماخرج منها انى لك من الناصحين . وقيل ان عمرا قتل محمد ابن ابى بكر صبرا .

بولية مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حربا وأظهر لنا خلافا وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظ له السلام » .

ثم وصل عمرو بن العاص ومعه ستة آلاف من الجنود ، وأما محمد فلم يكن معه غير ألفين . واستنجد بالإمام علي فبعث إليه بألفين (وصلت بعد وفاته وعادت إلى الكوفة) والتحم جيش محمد بجيش عمرو وانهزم جيش الأول ولم يبق معه إلا أخاه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلجأ إلى محل خرب وقد أعياه التعب وكده العطش حتى عجز عن حمل سيفه ، وإذا بمعاوية ابن خديج يبحث عن محل وجوده فدلته عليه عجوز ، فقال اسقوني ، فضربه معاوية بن خديج بالسيف فقتله ، ثم أدخل جثته في جوف بهيم ميت وحرقه وذلك في يوم ١٤ صفر سنة ٣٨ﻫ وكانت ولايته خمسة أشهر وعمره ثمانية وعشرين عاما . قيل إنه لما توفي محمد بن أبي بكر الصديق أخـــذ رأسه وجثته زمام الخادم ودفنهما خارج مدينة الفسطاط وبنى بجواره مسجدا يعرف بمسجد زمام ويزار إلى الآن .

وخلف محمد من ابنة يزدجرد ولدا هو القاسم[1] ، وبنتا عاد بهما عمهما عبد الرحمن إلى المدينة المنورة فكفلتهما عائشة أم المؤمنين .

قيل أن معاوية بن خديج أرسل قميص محمد إلى آل عثمان بن عفان بالمدينة المنورة ففرحوا بقتله . ولبست نائلة (امرأة عثمان) القميص ورقصت به بين الرجال[2] . وقيل أن أخت معاوية أرسلت إلى عائشة خروفا مشويا وقالت لها

---

(١) ولد سنة ٢٥ ﻫ .

(٢) ابن اياس — جزء أول .

هكذا شوى أخوك محمد بمصر . فحلفت عائشة ألا تأكل شواء قط حتى تلقى الله . ودخلت نساء المدينة على أمه أسماء بنت عميس وهى تصلى فأخبرتها، فعضت على شفتيها حتى سحت دما من ثدييها حزنا عليه .

وفى مقتله يقول أبو نواس :

يا هاشم بن خديج ليس فخركم   بقتل صهر رسول الله بالسدد

أدرجتم فى إهاب العير جثته   فبئس ما قدمت أيديكم لغد

إن تقتلوا ابن أبى بكر فقد قتلت   حجرا بدارة ملحوب بنو أسد

وطردوكم إلى الروحاء من وبأ   طرد النعام إذا ما تاه فى البلد

وقد أصاب شراحيلا أبا حنش   يوم الكلاب فما دافعتم بيد

ويوم قلتم لزيد وهو يقتلكم   قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد

وكل كندية قالت لجارتها   والدمع ينهل من مثنى ومن وحد

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية   عن ثاره وصفات النؤى والوتد

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (١)

هو أبو عبد الرحمن تزوج ابنة عمه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ورزق منها ولداً وبنتاً هي « فروة » أو أم فروة تزوجها محمد الباقر « ابن زين العابدين ابن الحسين رضي الله عنه » ورزق منها ابنه جعفر الصادق الذي كان يقول ولدني أبو بكر الصديق مرتين . وكان يقال له عمود الشرف والعقب من محمد في جعفر الصادق . وكان القاسم من سادات التابعين وفقهاء الشيعة بالمدينة المنورة . توفي بالمدينة سنة ١٠١ هـ وله من العمر اثنان وسبعون عاماً قال له عمر بن عبد العزيز عند وفاته : لو كان الأمر لي لوليت ميمون ابن مهران والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٢) الذي كان يقول دائماً في سجوده « اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان » . وللقاسم أخ اسمه عبد الله ابن محمد ولكل منهما ذرية طيبة .

في تاريخ قبيلة الليهيتكاناب ذكرنا كثيراً عن هذا الرهط . والآن نبدأ بالفخذ الذي تفرع من الليهيتكاناب وهم قبيلة الصيلاب أو الأملقدة أو أخوالها البكرية الساكنة بجوار بركة وسهول أراضي العباب حتى مصوع وسواحل

---

(١) قيل ان علي زين العابدين بن الحسين وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق أبناء ثلاثة أخوات هن بنات يزدجرد ملك فارس . قال الأصمعي ان هؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علماً وحلماً وصلاحاً وورعاً وفضلاً .

(٢) قيل ان محمداً لمس جسد أخته عائشة أم المؤمنين يوم الجمل ليتحقق من سلامتها . فقالت من هذا الذي يمس حرم رسول الله صلعم ؟ أحرقه الله بالنار . فقال لها : أنا محمد ؟ تولى نار الدنيا يا عائشة؟ «وكانت مستجابة الدعاء» . فقالت فلتكن نار الدنيا ولذلك شوى جسمه بالنار .

البحر الأحمر . ويزعم بهذا الرهط اليوم سكان منطقة ميرغاى وقبيل ابيده بالمجلاب، نذكر هنا ما وجدناه مدوناً في مذكرة لأخينا المرحوم إبراهيم خمران عن محمد بن أبي بكر الصديق إذ جاء بهـا ما يلي عن سيدنا القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، (قال) في وفيات الأعيان : هو أبو محمد القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ونسبه معروف فلا حاجة إلى رفعه وكان من سادات التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة . وكان أفضل أهل زمانه . روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وروى عنه جماعة من كبار التابعين قال يحيى ابن سعيد : ما أدركنا أحداً نفضله على القسم بن محمد . وقال مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة . وقال محمد بن اسحق : جاء رجل إلى القاسم بن محمد . فقال أنت أعلم أم سالم ؟ قال ذاك مبارك سالم . قال ابن اسحق : كره أن يقول هذا أعلم مني فيكذب، أو يقول أنا أعلم منه فيزكي نفسه وكان القاسم أعلمهم .

وأن القاسم بن محمد والدته ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس .

وتوفي سنه احدى أو اثنتين ومائة ، وقيل سنة ثمان . وقيل سنة اثنى عشرة ومائة بقديد ، فقال كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيهـا – قميصي وإزاري وردائي . فقال ابنه : يا أبت ألا تريد ثوبين ، فقال هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب والحي أحوج إلى الجديد من الميت . وكان عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين سنة رضي الله عنه . قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني في أخبار نحيلة بن العرب : كان القسم بن محمد بن أبي بكر يحدث . قال لما قتل معاوية بن خديج الكندي وعمرو بن العاص أبي (يعني محمد بن أبي بكر الصديق بمصر) جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني

وأخذاً لي من مصر ، فقدم بنا إلى المدينة ، فبعث إلينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها فما رأيت والدة قط ولا والداً أبر منها . اهـ .

وكما جاء عنه في كتب التشريع الإسلامي أنه قد (نشر علمها وأكثر من الرواية عنها ابن أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر) .

وقد ذكره عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة ضمن أقرانه السبعة في منظومته لدى محبوبته .

أحبك حباً لا يحبك مثله قريب ولا في العاشقين بعيد
أحبك حباً لو علمت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم الصلاة متيمي شهيدي أبو بكر فذاك شهيد
ويعلم وجدي القاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفي سليمان كله وخارجة يبدي بنا ويعيد
متى تسألي عما أقول فتخبري فللحب عندي طارق وتليد

حيلاب أو الحبابة

هذان الاسمان يطلقان على قبيلة واحدة تسكن سواحل البحر الأحمر وشرق سلسلة جبال البيجة جنوب توكر وضواحي العقيق حتى سهول أرض الحباب ، وأحياناً تصل بقرب مصوع (تبدأ حدودها شمالاً من جبل تقدرا إلى وادي وقر وبحوار منحليت) . وهي تجاور عدة قبائل أشهرها الحمدين وعاشري والحباب ، وقد أنشأها الشيخ محمد بن ضرار بن بلقتوا .

ويتألف من هذه القبيلة أكثر من سبع عشرة حصة بعضها في السودان .

ويتولى رئاستها (سنة ١٩٢٥ م) العمدة الشيخ محمد بن ضرار بن علي شفيق كاتب هذه الأحرف. أما في جهة مصوع فيرأسها الشيخ سليمان عبد الله فكاك شيك بن عجيل. ويتوحد منهم في خور بركة أغردات أناسية كبيرة أخذت منها نظارة برئاسة عبد الله محمد مرتضى ووكيله السيد عمر آدم إدريس ومساعده الشيخ محمد قمر عبد الله والقاضي محمد إبراهيم متين، كما أن مفتش حدود بني عامر والحدندوة هو السيد عجيل عبد الرحمن الحيلاوي. وفي السودان تفرعت من الأفلندة عمودتان إحداهما بالمقيق والثانية بكسلا.

ولنعد إلى منشيء العبيلة الأول الشيخ محمد ضرار فهو ينتمي إلى عائلة يقال لها « إيلات » Eylat أو إيلات من قبيلة مكلبيت كتاب الماش وهم من الحدندوة (ويلمكليات)[1] كما أن والدة ابيه ضرار وعمته وضة هي من الحيلاب فرع عيواب (غير عيواب القايدب بأركويت وسنكات[2]). وكان محمد ضرار واخوانه يسكنون مع قبيلتهم في جهة تندلاي بالقاش. وهذا الرهط ينتسب إلى سيدنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رضه).

وحدث ذات يوم أن توفي رجل مشهور من القبيلة فحاولوا أن يأخذوا بعض الأبقار إلى المقبرة كما هي عادة القبائل بالبادية لذبحها لمن اشتركوا في

---

(١) محمد المحلات دائما يسمون ومل علي وماركوين ونور الدين وتمم الدين ومبين وجمل والشادس وعلى طالب وسمرة ويتسمون على ابلهم نفس رسم الميراب «كولي» على صفحة الرقبة اليمنى لا نحن آل ضرار فنضعه على اليسرى.

(٢) يجمعهم الوسم والنسب الأعلى.

الحفر والدفن ، فاستنفدت الدهر من السير معهم ، فأشار أحدهم بأخذ ثلاث من أبقار محمد ضرار والسير بها (لأنها مطيعة وأليفة) ، فنفذوا ذلك بدون أن يستشيروا صاحبها الغائب ، فلما جاء شاهد أبقاره في غاية التعب ، فسأل عن الأسباب ، فقالت له بنت عمه بلقنوبة(1) أن أبناء أعمامك ساقوا منها أبقاراً إلى المقابر ثم ردوها عاجزة من التعب كما ترى ولهذا منعته ولكنه لم يكترث لكلامي ، ولم تجد من يدافع عنك لأن أمك أجنبية (من الهدندوة) . فاغتاظ من عمل أهله وساق الأبقار الثلاث إلى البئر لتشرب من الحوض ، فكان أول من لقيه أخو الميت ، فمنعه الماء فقتله ، فتكاثر عليه الملهيتكناب وعلى أخاه صمرة بن ضرار ، ودارت بينهم معركة قتل فيها من الملهيتكناب ستة(2) واثنان من جوار محمد ضرار وهما سمرة وعبد الله(3) ، فتدخل بين الطرفين الشيخ لاب حجرابم ، ورحل محمد ضرار ببقية أقربائه إلى أخواله الهدندوة مستجيراً فأجاروه سنتين(4) ، وبعدها تم الاتفاق بين الشيخ موسى ود علي (ناظر الهدندوة) ونصير أكد بن فايد (ناظر بني عامر) على ترحيلهم إلى الأخير إذ تعهد بحمايتهم هم ومواشيهم ، فكانوا وضعاً ليس بالقليل ، وأقاموا مع دنقل في عاصمته هو ا شاوت ، وبعد بقائه سنة في حماية دنقل رحل إلى أرض الحباب لأنه بسبب إحدى أبقاره قتل عبيداً لدنقل .

---

(1) قال السيد محمد عثمان شيخ السر ناس الله مقيم على بطريقية الطبقة وعمله ميتي بجوار قبر مضة الحكورة بأرض الحباب في جهة أسلاي وقبرها تل هناك تسكن حوله عائلات وعيلات وهي بكرية أيضا .
Aflag

(2) هذه رواية زعيم الملهيتكناب الديني الشيخ موسى الحسن .

(3) الأول هو جد أسرة الحسن والثاني جد أسرة موسى علي . والملهيتكناب يقولون أن القتلى أربعة اثنان منا واثنان من أبناء عمنا .

(4) ولولا قصة لما كان هناك قتال كبير مانهم يروون عنها الغبار فأكله حظاً محبطاً امتهان للكرامة والمسلم لا يسكت على الذل والقهر .

وأرسل معه دقلل رجلين من أتباعه كي يرشداه إلى الطريق (1) ، فرحلوا إلى الفنوب عن طريق ملكت ثم زعيب ، وهناك وجدوا دق كنتيباي حباب ، ذكروه ، يسكن في جهة « إمبوطي وملوط » بجوار عائلات كثيرة من الأسفدة وحملوا إليه صدور مواشيهم اعترافا منهم بأنه رئيسهم

ومرت بهم ذات يوم عصابة من البوحسة معها أبقار نهبتها من الحباب فاستخلصها محمد ضرار وأخوانه من العصابة ، وطلب منه كنتيباي أن يردها إليه بعد أن يأخذ نصيبها ، ورفضت عمته عفة وقالت له لو فتلك العصابة على بعير كنتيباي من شيء ، ومنعت إرجاعها . ثم تزوج هو وأصحابه بنات من الأسفدة عقب انهزام العصابة التي عادت إلى توكر ولما سألوها عن غزوتها قال رئيسها « أفرتى دَه عرى » e Afrai da nimr. أي وجدنا رجالا مبتذين قاتلونا — فسميت القبيلة « أفرينده » ثم حولت إلى « أفلندة » ، وأطلقت على كل من يسكن مع الحبيلاب أو الهمبتكاب تحت رئاسة الشيخ محمد بن ضرار وذريته من بعده .

واستخلص محمد ضرار أبقارا أخرى فأرسل إليه كنتيباي يطالبه بالعشر فرض بالشروط الآتية :

١ — أن يعترف كنتيباي برئاسة الشيخ محمد ضرار على القبائل التي تسكن معه

---

(1) عند الوداع قال له دقلل «أنت لم تستطع العيش مع أهلك الهمبتكاب عكيمه ترمد المعيشة في بني عامر ، فرد عليه بقوله» [illegible] ضرب بالسوط أمامي يقوم جدنا محمد ابن أبي بكر الصديق ولم يحترم جوارنا لك» .

٢ — أن ينضم إليه كل عربى باسمه أو بمساكنه من عربان الحباب .

٣ — أن يتعهد الشيخ محمد ضرار بأن يمنع العصابات من غزو الحباب .

فوافق كنتيباى على هذا ، ولذا كان أكثر الألمدة من أرض الحباب إلا الذين حضروا معه من الفاش أمثال « أبليمان — ادارمان — فرد » — ومعظمهم من أشراف اعن ، أمثال « تاوت وأخواتهم [1] . وتمكنت ذرية شاور دنور وموس لى وضرار وكنتيباى [2] .

وسكن الشيخ محمد ضرار فى جهة « أشداى » [3] حتى أدركته الوفاة وله ابن كبير طاهر وخلف عدة أولاد أكبرهم على الذى سلمه على الرئاسة [4]

بعد وفاة الشيخ محمد ضرار جاء كنتيباى « نجاشى البحر » وعين بن محمد ضرار على قبائل السهول ، وهو « الشيخ على بن محمد ضرار » وبقى كوالده ... كنا يسهول الحباب لأن جبالهم شديدة البرد لا تطيقها المواشى أو الناس قيل أن الشيخ محمد ضرار لما سكنها مجاورا لكنتيباى أصيب وأخوانه ومواشيه بحميات وزكام فاستأذنوا فى الرحيل إلى السهول والسواحل .

قيل أن عصابة من منفسع إذ ربما غزت الألمدة وسرقت أبقارها ولكن أدركها الشيخ على ومعه شباب أهله واسترد منها الأبقار قبل وصلوا مكانا

---

(١) هم الذين طردوا قبائل بلين من عد وبنة .

(٢) هما ذرية ولدين من شوش اسمه الرعط من مواشيليت .

(٣) المشهور بالمرعى الخصيب .

(٤) جاء كنتيباى حسه واعترف له بالرئاسه وسلمه سيف المشيخة وسمى «شافق Shafiq » أى «مستعجل» .

يقال له « القَقَنَا Algaata » ماتوا عطشا - فوجد جماعة من أبناء تمّاز ثم سيفه شارِق فأخذوه وأعطوه لزعيمهم . (وقد رأيته مع حفيده كنتيباي محمود بن محمد عسكر سنة ١٩٢٥م فى امبيرمى) وهو جميل وصقيل ومحلى بالفضة فلما أعجبت به قال لى « يا ابن ضرار تحن وجدناه فى الخلاء وقد قطع أرجل أبقارنا لأنه كان مدفونا » .

وخلف على من الأعمال عجيل وشقل (أم درمة محمد تمّور) .

العجيـــــلاب

الشيخ عجيل بن على

اسم قبيلة العجيلاب اشتق من اسم هذا الشيخ (عجيل) ، إذ أن شهرتهم بدأت فى الظهور فى عصره ، إذ وجد قبائل أخرى من الحباب تريد مزاحمته على سكنى السهول وهم أخوان كنتيباى الحباب ونال لهم « بيت عجايلاى » ، وانضمت تحت لوائهم أكبر قبائل السهول التى تسكنها العجيلاب ، فكانت الحرب بينهم سجالا ، ووقف كنتيباى على الحياد بين الفريقين [1] . وورث عجيل بن على كل أراضى بيت عجايلاى وقبائل « طُهُو وتُهُو (وإلهو) » وكذلك سيوهم الامرجية — وفى أيام الشيخ عجيل بدأت سلطة بنى عامر فى الظهور .

ولم يذق عجيل طعم الراحة إذ قضى أيامه فى حروب ونزاع ومشاجرات .

---

(١) أوضحنا كل ذلك فى تاريخ الحباب « بيت عجايلاى » .

وقد مات عجيل في جبل سمي باسمه [1] . أوضحنا حروبه في بيت ملا أيضا .
وخلف عجيل بن علي بنتا (اسمها فاطمة [2]) وستة أولاد هم : جمع — نصر الدين — نور الدين — هاكين حباپي — علي أبي طالب . وكلهم لهم ذرية إلا نور الدين .

ولما قضى الشيخ عجيل بن علي على آخر من بقي من بيت بحايلاي امتلك كل أراضيهم كما غنم سيوفهم الجيدة التي كانوا يشترونها من الصليبيين .

ولحسن بن ضرار من حسن قبيح (الأحمر) ابن سمابای قصائد كثيرة كلها في مدح جده ابن علي ذكر فيها جميع مواقع القتال كما مدحه ابنه الشيخ جمع بن عجيل وقد رثاه أيضا .

---

(1) قتلته عصابة من بيت ملا بعد أن أدركته الشيخوخة برئاسة زعيمها الشيخ حمد حسال .

(2) تزوجها ملاندوس من أسفندي حباب ، ورزق منها سبعة أنجال استولوا على مقاطعة أسفندي بالقوة ، وأطلق على كبيرهم «كنتيباى نصحح» «أمر» تاريخ الحنات» بعض من لايولد في دويها من رؤساء العشائر .

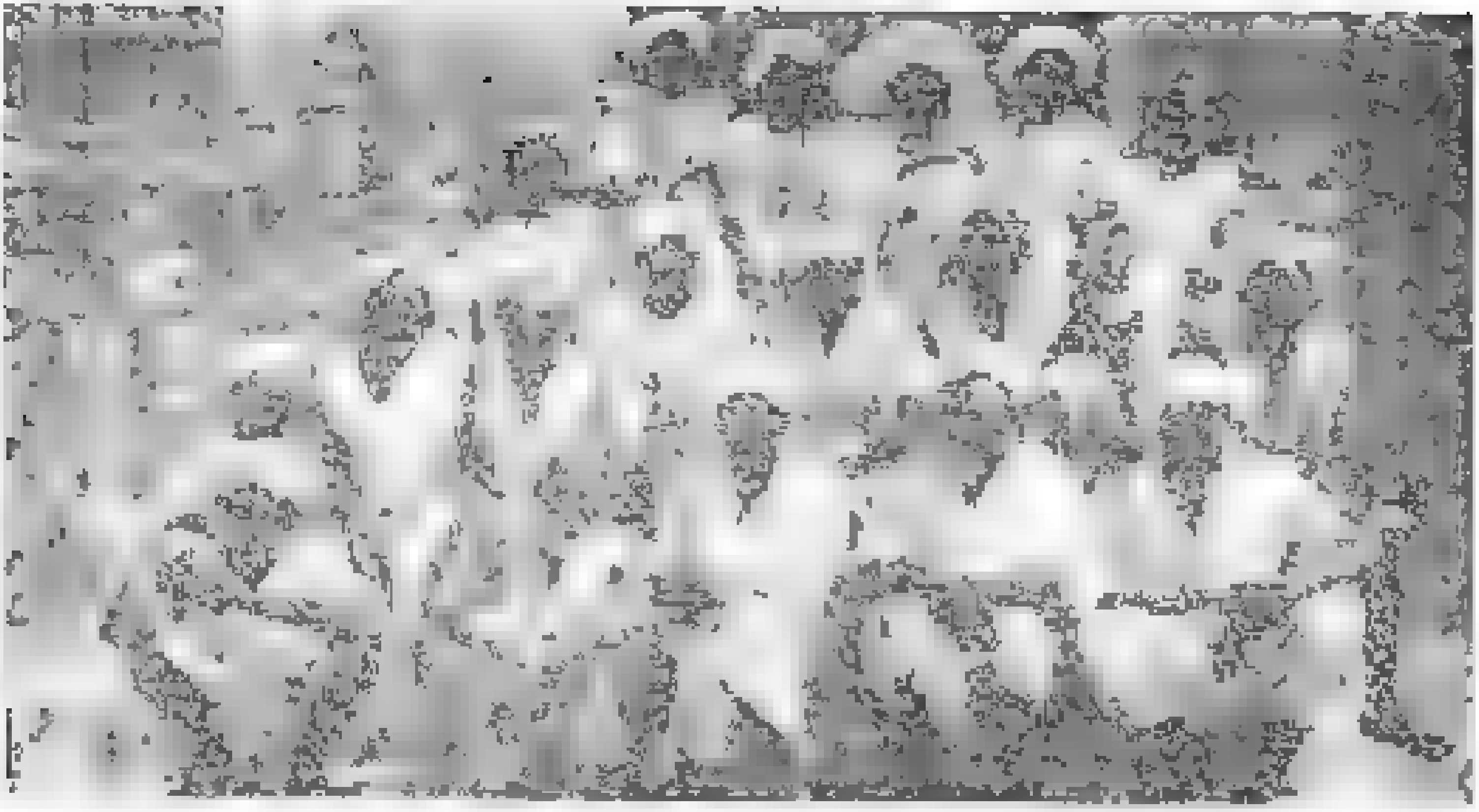

ثقيف من المجيلاب والاطرشة أمام باب ضريح الشيخ محمد ود ام بري

١ ـــ السيد عثمان عبد القادر محمد بن على

٢ ـــ العمدة الشيخ محمد على سليمان عبد الله .

٣ ـ وكيل العمدة الشيخ موسى محمد عبد الله

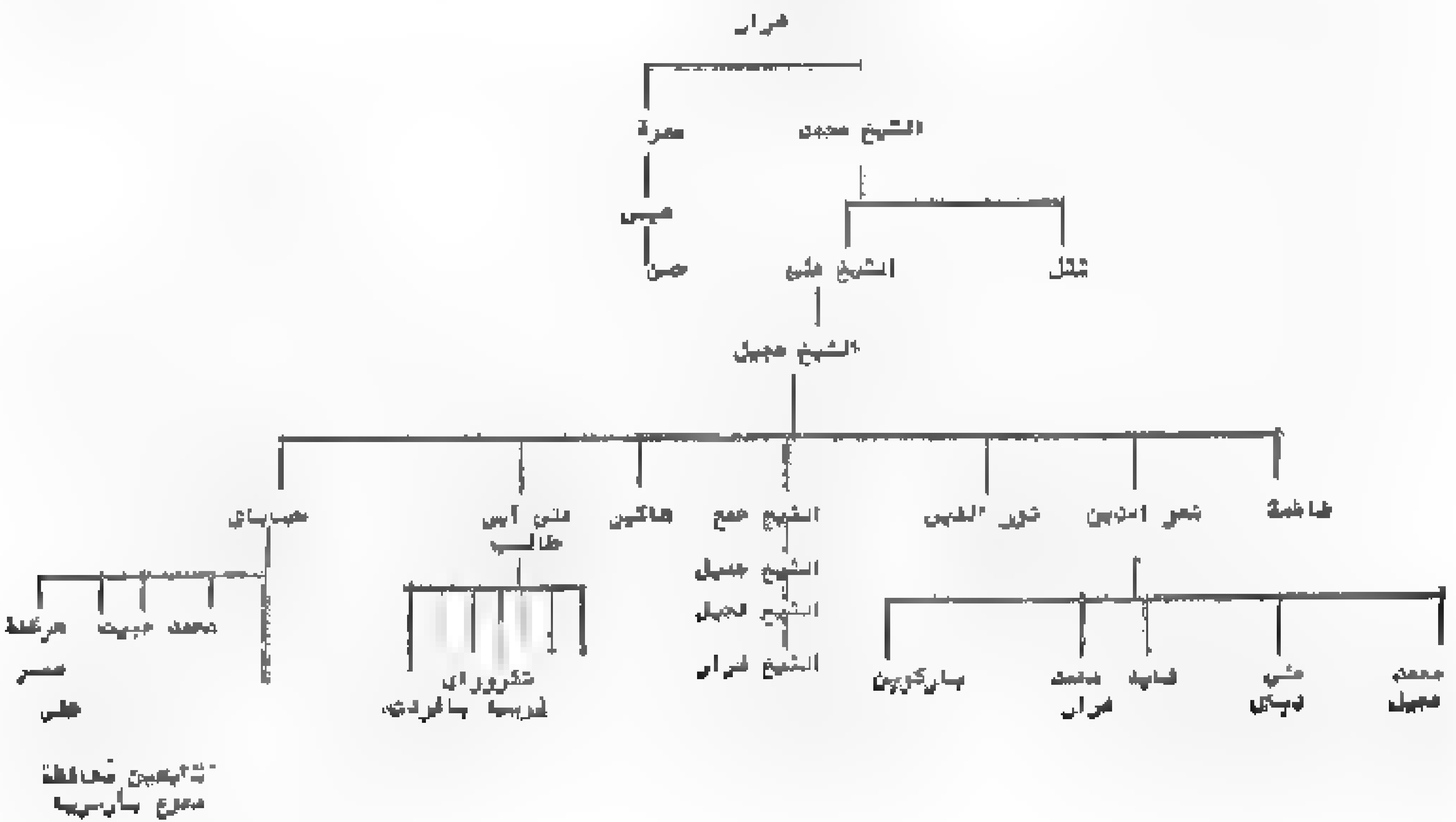
الشيخ محمد
الشيخ علي
الشيخ جميل
عيسى
حسن
فاطمة

الشيخ جمع بن عجيل

كان جمع أكبر أخوانه ولذلك تولى المشيخة عقب مقتل والده ، واندلعت نيران القتال بينه وبين بيت معلا حتى صفوا حساباتهم مع بعض في واقعة «حديب (محمد ذلك منفصلا في بيت معلا)» . والشيخ جمع هو أول من أعطى تقريبة الإبل وأنشأ « دقة أملقدة » وكان عصر جمع كله قتالا مع بيت معلا ، كما كان عصر والده مع بيت عمارلاي وذهب بسبب حرب جمع وحمد حسال « دقة أطيمدة ودقة بيت معلا » إذ قصوا على إبل بعضهم البعض .

وكان الشيخ جمع شاعراً كبيراً لم يترك مكاناً في أرض بني عامر والحباب إلا وتغنى به ووصف مراعيه وقتال قبائله . كما وأنه أول من سافر من مشايخ القنوب مع هاشري ودقال وحمد حسال إلى « أزيحي » عاصمة العبدلاب ووراء الدرنج . ثم سافروا من هناك لتقديم الولاء لملك السلطنة الزرقاء ، ويقال له « الملك بادي أبو دقن » وعن اقيته رحلاته الكثيرة من أشعاره كما أن له أشعاراً في الحماسة والغزل غاية في الرقة ، وأكثر من ذكر حروب والده مع بيت عمارلاي وحلفائها ، ولم يسلم من شعره حتى ابن أخته الشيخ حمد حسال[1] وأمه من بولاب السيلاب .

وأشهر القبائل التي كانت تحت رئاسة العجيلاب أو متآلفة منها قبيلة فائدة هي : أشمادة - أيلبسكان - أدارمان تره - ألموت - أمور - دوبسكات

---

(1) معناه محمد نور كتب من روعاء الملهمين قصيدة أحد بعد ... على ما يقول جمع لم أترك في شعري مكاناً لا ريب في بلاد بركة أو مقدم الا وذكرته في قصائدي وأصفاً بها ما شعرت به من ذنه سالم الى موكر الى مصوع ثم الى الغرب حتى أفرغت .

— بجاً يلاًى — عقبكب — رفيات — نورا — شاورْ — وايرا — عقيباى — دلكى — كنسكنة — ميكال — رجلانة — عصلاب — حسن عيسى — ثدلاب — بولاب — تبهو — أنثيل — . وقد رحلت ثلاثة أرباع هذه القبائل إلى إرتريا فى سنة ١٨٨٦ م بسبب قلة الأمطار وسوء المراعى.

وبعد احتلال إيطاليا لارتريا لم يعد منهم إلا الخمس وبقيت الأغلبية فى خور بركة بأرتريا والباقى فى شعب بصورع.

قيل أن دقلل سأل الشيخ جمع عن حبه لبلاده مقدم السواحل، فقال له إنى احتفظ بثلاث حسنات لقدوم، أولها هى حينما فقدنا الأمطار فى إحدى السنين اضطررت للهروب بقبيلة إلى أقرب الجبال فى طلب المرعى بعد أن تركنا المواشى الهزيلة والدواب. وبعد سنتين رجعنا إلى عقيتاى « وطننا » فوجدنا كل تلك المواشى قد حملت ووضعت وازدادت وأخذ كل مواشيه ودوابه وعلمنا أن المطر نزل بكثرة بعد رحيلنا فأنقذ تلك البهائم من موت محقق

وثانيها مثل الأولى أصبنا بقحط شديد ورحلنا إلى خور بركة وأقمنا فيها حولا ثم عدنا وكانت قد سبقت العرى بحلى إذا بى أجد فى وسط منطقة عقيتاى جبلا أحمر جديدا لم أتركه بالمنطقة عندما رحلنا وإذا به جبل من الذرة الأحمر فعلمت أن التجار أحضروه من القاش ولما لم يجدوا أحدا تركوه وملأوا شوالاتهم (ذهب من الحسير) من ملح وعادوا إلى أهاليهم فكانت هذه أيضا من حسنات عقيتاى ونعمة الله علينا.

وثالثها هى أن مرضا أصاب أبقارنا فقضى عليها وإذا بى فجأة أجد فى

الصباح نحو أربعين بقرة كلها حمراء خلف منزل فاعه ولا تزال ذريتها تسمى « قبيخ » باقية إلى اليوم .

وكانت القبائل تختار زعمتها الشجاع والفارس فزار دقة المجهلاب السيد حامد أحمد ناموتاى ونزل عند الشيخ جمع فأكرمه جدا فدعى بجميع الرجال والنساء وقال لهم مبارك لكم شيخكم هذا وأجلسه على سرير ثم غطاه بثوب كبير وسقاه لبن بقر وقال له أنت « شيخ الحليب » أى اللبن يكثر فى عصرك ووضع الناس عليه أوراق شجرة خضراء ولا تزال هـذه العادة مستمرة إلى اليوم .

أما بعد وفاته فكانت بيد عصابة من الهدندوة سرقت بعض الأبقار فقام خلفها هو وابنه سالم [1] وجعيل خلف العصابة ومعهم بعض الشبان من الأملندة فساروا قليلا فوجدوا رعايتها مقتولين [2] وكان جمع راكبا على جمله يشد الأشمار ويتبع الهدندوة وخيول السكيلات والأرتيقة تتبع الأبقار فكانت آخر قصائده الثانية التى مطلعها :

« وادى وَدْ جاور بِنْالا حليلتو وفُروت » .

(وادى ود جاور ينبت فيه أشجار الثمام والهجليج)

---

1) لم يعقب .

(٢) هما مندلاى وأكاته وقبلة مطعونين فى نحورهم وأصيب أيضا جعيل ابن جمع بطعنة تعبث مقتلا على مسافة من النشى . وأصبح للروايات أن سالم توفى بعد سنين فى توكر بالنخة المسماة باشمه وهى التى التى قتل فيها جمع وأصحابه .

« وَلِي جمل أرْؤُمْ ووات لِيَيْ إنْ بَرُوتْ » .

(أروى اى جبيل ويغرق الاوبى بنت المتعلقة) .

« من دَبَّة سالم وإشتوْ سِرع تجمِنَا وِيتِي لاقيلوثْ » .

(محال هى الرجوع دون بلوغ دبة سالم) .

« مارِّاى مَطِينا سِجادُو إجل حَسْلُوت » .

« ها هو جملى الكثير القرار يقسم لى رفقته كى أضع عليها الوسق » .

ثم ذكر للناهل وللراعى مادحا محاسنها وطيب روائحها فى أيام الشتاء ثم اختتمها قائلا :

إجلْ من جابَاتْ ردنيت ودَحَنْ آقلُوتْ

« سلامة الأيانب غير مضمونة لمن يريد إدراك اللصوص ورد ماله » .

حدارِيَتنا بِولاتْ ملواءْ وَآتْ شبلوت

« خبروا رفيقتنا (صديقتنا) بنت شبلوت بكل ما جاء فى قصيدتى هذه »

دَفَنَا تَجِهلال حتمانْ إيكُونْ وأبردُوت

« ستة تونا وترقص رقصة الموت (وهو البطىء الخالى من المرح) » .

أمها حليب عَبَاسِيتْ شِبِلاي لَدُول تَحْلِبوتْ

« يكفيني لبنها الذى يشبه لبن الناقة النام البيض الحلوب حديثا »

ونكتفى بهذا القدر منها .

وأصيب جميع بعدة حراب فى صدره وجانبيه تركزت فيه منعته عن السقوط وبقى كأنه قنفذ من كثرة الحراب ولم يعد من أصحابه إلا تسعة نفار .

وكانت العصابة تشك في موته، فجاءتهم امرأة وقالت لهم إنه ميت، وفعلا رمحت منه بعض الرماح فوقع كالطود الشامخ لضخامة جسمه، وأخذوا منه السيف واقتسموا الأبقار، وهذا السيف اشتراه الشيخ جمع من ابن غفارى (من ملوك قدماء اليلو)، ثم سمي باسمه «سيف جمع»، ثم أهدته العصابة لناظر المدنحوة الذى أهداه لناظر بنى عامر، والأخير أعطاه لناظر الحباب وإلى اليوم باق مع كنتيباى عثمان هداد إذ اشتراه من أبناء فكاك بن هداد.

وبجمع ثلاثة أبناء هم: جميل وأمه من أبناء عمير — قلاى. وسمرة وأمه من أسعدة (اشمادة)، وسالم لم يعقب. وارتحلت القبيلة إلى دية سالم لاقامة المأتم ثلاث سنوات، ثم جاء دقلل فى الشتاء وتأسف لموت الشيخ جمع الذى تبرأت القبائل للتهمة من الاشتراك فى قتله، ولكن حفيده الشيخ عجيل الذى كان يغزو ضواحى سواكن أخذ بثأره من قاتليه.

الشيخ جميل بن جمع

بعد أن أفاق من لسعة الثعبان عاد إلى أهله ولزم منزله أسبوعا «كعادة الملسوع» فلما شفى امتحيته الفصيلة رئيسا لها. وحدث بينه وبين أخيه سمرة [1] اختلاف فى تقسيم الميراث فطعن الأخير الأول فقتله. وجاء ابنه جميل بن عجيل فقتل سمرة. وكان جميل يقول أن التنكيراب قتلوا والدى جمع بن عجيل.

---

(1) تمسكى بالتحقيق رجب من ذريته ووجدت اثنين أيضا فى السمرة.

الشيخ عجيل بن جميل

تولى رئاسة العجيلاب والأطلندة بموافقة السيد الأمين حامد أحمد ناقدُو تاى (؟) ولم ينس عجيل ثأر جده جمع . فحالفا مالك زمام القبيلة اسعد لغزو الشكرياب بقرب تأماى وسلهات ولكنهم سمعوا باستعداده ، فغزوه قبل أن يغزوهم . فنهبوا قرية حرقة بن نصر الدين وقتلوا رعاة إبله وبقره ، وعادوا بها إلى « شبه » ، وأدركهم الشيخ عجيل بن جميل واسترد منهم كل ما وجده عندهم ، وقد ذكر كل ذلك في قصيده التى يقول فيها :

« شبَهْ جُرُوبَ دَسَّفنا دبت فيشوب القهينا » .

(نهبنا جبل شبَة القصير أخذا بثأر قريبه القينا) .

« أرَيْنا بَلّتنا وإبْ أرَيْم أبينا » .

(استرددنا ما نهبوه منّا ونهبنا أموالهم التى وجدناها) .

« سَمَتْ حِيْ مِن سمتْ جوكت إلا عوبقنا » .

(أول سمت جوهت « صدقته » بانتصار اتنا هذه) .

وهى طويلة ، واشتهر عجيل بكثرة بنيه [1] وتآلف العصابات فينهبون دوكر وما حولها ومصرع وضواحيها ، ثم يقتتلون عند تقسيم الغنائم كما حدث بين ولده : ود على [2] وابن عمه محمد بادكوين بن على أبى طالب .

والعجيلاب لا يغزون إلا للثأر ولا يهبون الاعتداء أو القتال إلا فى ديارهم أو مواشيهم أو مياههم ، وتوفى عجيل جميل عند أول الحكم التركى سنة ١٨٢٠م .

---

(1) كان له سبعة عشر ولدا .

(2) هو ابن نصر الدين بن عجيل . نهب مرة أبقارا كثيرة من ضواحى دوكر لايمكن حصرها فى «تاروه» سنة ثم أحضرها .

ذرية الشيخ عقيل بن عجيل بن ... بن عقيل بن علي بن محمد بن قراز

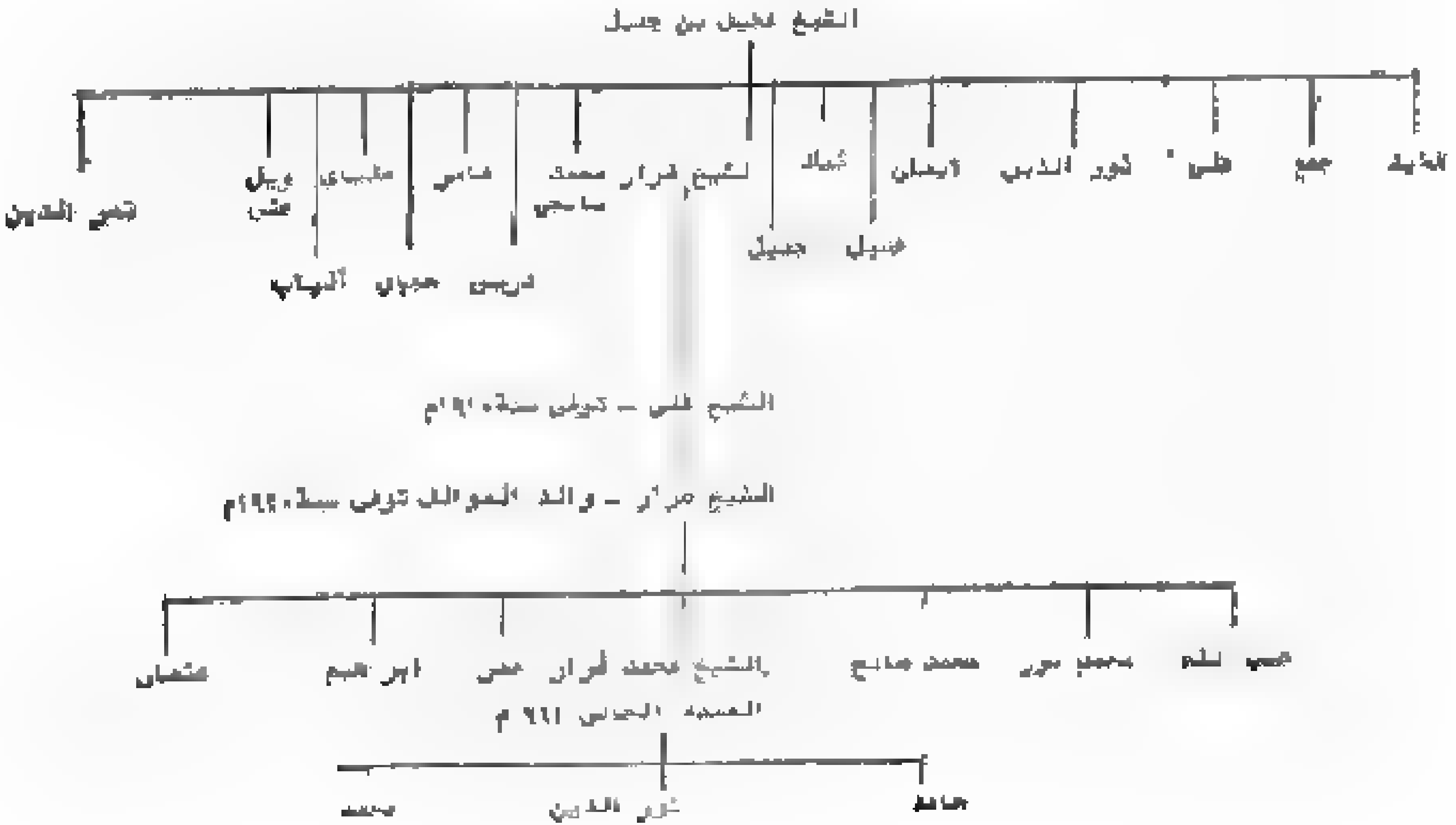

الشيخ ضرار بن عجيل

بعد وفاة والده وجد نفسه أمام خصوم أشداء وأبناء عمومة أقوياء وأحياء وهم سبعة أبناء : على طالب بن عجيل ، ومثلهم من أبناء حمادى بن عجيل ، ومثلهم من أبناء نصر الدين بن عجيل ، وكل منهم كثير الأمل فى نيل المشيخة إذ كان عميد العامريين « الشيخ موسى قرزقم » من أكبر خصومه ، وله أصدقاء وأقارب فى دقة دقال مع ناظر بنى عامر يعتمد عليهم ، خصوصا عمدة دقال « أوليّاب » ولم يكن للشيخ ضرار صديق غير السيد على بن السيد الأمين ابن الشيخ حامد ومحمد بن أكد عامرى فلما مات الشيخ عجيل حضر الأخوان بدبائلهما ووليا العمودية للشيخ ضرار بن عجيل .

وبعد سنتين حضر دقال أوليّاب بكل بنى عامر فى عيدب وطلب حضور الشيخ ضرار بن عجيل وقال له أنت أرسلت عيسى هاشا إلى سواكن وأوقعت الفتنة بين الوبالعلمات والسمرآر بسبب قتل أخيك وذلك لا يمكننى أن أتعاون معك وسأعين بدلك شكرورآى بن على أبى طالب عجيل (1) فقال له القبائل لا نقبله وافترقوا .

وفى أيام ضرار غزا الكميلاب والسمرآر « بعياله » قرى أخوانه فقتل أربعة من العجيلاب أبناء عم ضرار وثلاثة من أخوانه كان القصاص فيها من الفريقين عاليا ومساويا لما قتل من العجيلاب ، وبعدها أخذوا العهود من بعضهم وتمت مصاهرتهم لبعض ، وترك جلدى على ضرار وصية عند أهل توكر لمدة

---

(1) قال حمدراى بن محمود وهو من الأملندة لا تقبل غير ضرار وسفريحله وتقارتك الى مصوع .

ثلاث سنوات ، ثم احتشم الرفقان عن بعض بعضهما البعض إلى يومنا هذا بسبب المعاهدة مع المذكورين والأرتيقة أعلاه . ولما حانت وفاة الشيخ ضرار إبن عجيل سألوه أين تحب أن ندفنك ، فقال فى قرورة ولا يزال قبره بجوار نقطة البوليس هناك[1] .

الشيخ نور الدين ضرار

تولى العمودية بعد وفاة والده ولم يعش فيها أكثر من ست سنوات ثم أصيب بحمى ملاريا أخذها من زيارة لكسلا بعد اجتماع جمعيه « جور رجب » .

كان يزاحمه على الرئاسة ابن عمه فكاك بن شيك بن عجول ولكن فاز نور الدين بالأغلبية ويوم ولايته جاءت المواشى والأغنام فى السماء صغارها وكبارها تحلب لبناً . وحزن الحريم لوفاته . وخلف نور الدين خمسة أطفال هم « عجيل وحاج وحامد ومحمد على وصالح » وخلف أخوه محمد بن ضرار ثلاثة أطفالهم : فايد ومحمد وسليمان — أما عجيل ضرار فقد ترك ذرية وكذلك إدريس ومحمد ، أما جيل وجلابنوس فلم يعقبا .

وفى أيامه حاولت عصابة برئاسة جماعة من الحاضرين مع أهل توكر نهب أبقار العجلاب فأدركوها عندما وصلت عذوبتة وبعد قتال مرير استردوا أبقارهم وهى آخر واقعة إذ ظهر الحكم التركى بعدها .

---

(1) خلف ثمانية أولاد مات منهم منه دريس وجلابنوس وعجيل وجيل ومحمد وعاش بعده نور الدين وعلى ومحمد والأخيران ماتا سنة ١٩١١ م وقد تخلف عنهما كثيرا . وكل ذريه ضرار بالسودان الا واحد من ابناء عجيل ضرار بارتريا .

الشيخ علي بن ضرار

هو المشهور باسم « علي بانقي » تولى الرئاسة بعقب وفاة أخيه الشيخ نور الدين ضرار وقد حضر توليه السيد أبو بكر الأمين . وكان في صحة أبناء عمه « محمد عيون وحمد وجميع أبناء شوك بن عجيل ولكنهم لم يصبروا على وده فحاربوه كي يولوا أخاهم « حكاك بن شوك » ومراوا ما حاولوه فيه[1] .

ثم ارتحلوا من عقيتاى وسكنوا بقرب مصوع ، وبعد خمس سنين حضروا لنهب أموال أهل عقيتاى أبناء هو ومنهم في حل عنت ودار بينهم القتال ، فقتل حرب ابن عمه حامد محمد عباد وقتل حسن في ذ حرب ، فقال لهم نصر الدين وعلي ونور الدين محمد ضرار إذا لم ترتفعوا القتل سنفنيكم بجماعة حرب[2] ، فنحن وآل حرب نسمى ذرية جم ابن عجيل ، وحامد محمد عباد هم أبناء نصر الدين بن عجيل وذرية حرب ، وأهله وخصومه يسكنون في إرتريا إلا رجل واحد منهم بعقيتاى ، وبعض من ذرية نصر الدين أيضا يسكنون هنا بالسودان .

ولم يسلم العجيلاب من غزو الأحباش بإرتريا فقتل منهم نحو عشرين رجلا ، فأرسل الشيخ علي ضرار في أحضارهم فقاموا سنتين ، ثم ارتحلوا ثانية إلى مصوع وبقوا بها إلى اليوم ، ومنهم كثيرون من أبناء حسن ونصر الدين وحبابای وقایزاء حتی كانت المهدية في شرق السودان وجاء الأمير عثمان دقنة

---

(1) كان عدد شبابهم لايقل عن أربعين شابا مسلحين ارعبوا كل قبائل الحباب بل كل أهل ارتريا السواحل حتى منسع والبلين وشوما خصوصا فارسهم حرب (عبد القادر ابن حكاك) واخوانه السبعة .

(2) كانت مرحامهم كثيرة وهم اعرب رحما بالمذكورين .

عاملا على كل إقليم البجة حتى مصوع ، فيعد القبائل التى حاميه والذين فى ضواحى الحباب ومصوع والأحباش . وترك كل عمدة ابنه رهينة[1]

فى أيام الشيخ على ضرار بدأت هجرة الرشايدة من سواحل جزيرة العرب الشرقيه سنة ١٨١٩ م وكانت لاتبرح السواحل مطردها علاء الدين باشا من أرض الحباب لقتالها جماعة من عمروى وأمرها بأن تعيش شمال محمد قول والشيخ برعوت وحلايب ، وها هى اليوم قد وصلت أرض البطانة والقاموى[2] .

توفى جدى الشيخ على ضرار فى سنة ١٩١٠م وخلف اثنى عشر ولداً هم : والدى وأكبرهم الشيخ ضرار ، نور الدين وحامد ومحمد نور وحامد شيخاى ومحمد نور وعمر ويوسف ومحمد وحسن وإدريس وإبراهيم ولكل منهم ذرية ما عدا محمد نور وحامد شيخاى .

الشيخ ضرار بن على

تولى الرئاسة بعد والده وكساه السيد تاج أبو بكر والسيد محمود أبو بكر . كان صديقاً مخلصاً للسيد محمد عثمان تاج السر منذ ١٨٧١ م ولآل الشيخ محمد ابن على خصوصاً الشيخ عبد القادر وأنجاله فإن مودتنا لهم وراثية إلى اليوم فإنهم يسكنون بأمبيرى مصوع منقطعين للعبادة والتفقه فى الدين الحق .

---

(١) كان لرهينة عمى محمد نور على ضرار وعنه أحدثت الوقائع حول سواكن .

(٢) المجيلاب مقابر خاصة فى صفحة جبل «تمب» بجوار قبر الشيخ ابراهيم ادريس المجيدابى دفن جدى الشيخ على ضرار ووالدى واخوته وبجوارهم مقابر للهاشميين والحبيب وبجوار هذه المقابر تمر السيارات من والى توكر وقرورة .

ولما جاء الأمير عثمان دقنة وفد عليـــه إلى الدمم مشايخ بني عامر وبايعه واحتفظ ببيعته هو وأكد موسى وإدريس محمد(1) وفي سنة ١٩٢٣ م أصيب والدي بالتهاب رئوي توفي به وهو ابن ثمانين عاما(2)

كانت لجدي سفينة وأخرى لأبناء داخله (فود) وثالثة لابن عمهم إبراهيم عروض ورابعة لأبناء شمرودة بن موساي وكلهم من الأفلندة ومنهم سنبوك اسمه مبروك تملك عبد اللطيف علد الرحيم « بهدور » رحلت عليهـــا كل العجيلاب والأفلندة إلى جزيرة ابن عباس سنة ١٣٠٦ هـ ولما جاءت الأمطار بعد ستة شهور رجعوا إلى ديارهم .

قتل الرشايدة بالرصاص ثلاثة من أبناء علي أبي طالب نصر الدين عجيل فاتصل والدي بكنتيباي حسن حداد وكانوا قد قتلوا معه جماعة من أبناء حمدوري سنة ١٨٧٤ م . أما كيفية ذلك فقد كانت عائلة محمود دقة حمدوري مجاورة للرشايدة عائلة « زنيات » صار يعود رشيدي خلف أغنام إدريس محمود دقة إلى القرية ، فلما جاء الليل ذبح الجباب وأكله . وفي الصباح جاء صاحبه « عايد بن جلاف » فوقف على محل الذبح(3) فشاهد الدم فالتفت يمنة ويسرة ،(4) فلم يجد أمامه إلا الأغنام فساقها أمامه ، وإذا برجل يقال له علي

(1) هم رؤساء القبائل الكبرى في بني عامر توكر (العجيلاب وحمدوري وبيت معلا) .

(2) كان والدي قد أعد هذه السفينة لتهريب الأمير عثمان دقنة إلى جدة سنة ١٩٠٠ م ولكنه سجن وحجز السنبوك بسواكن . ولم يطلق سراحه إلا بعد سجن الأمير وسفره لمصر .

(3) قيل إن هذه القرية سميت بغيرا غير هذا .

(4) كان معه رشيديان .

كليب إدريس محمود دقة يصيح بأعلى صوته مستنجداً بالحباب ، فأدركه الحباب فى طلب سَوَلا ، فأطلق الرشايدة عليهم الرصاص فأصيب إدريس محمود دقة[1] وابنه موسى ودَرَبْ بن طَرَة الأفلندى ، وشابان من دُوبات . فوجد أخوه سالمان ثلاثة من الرشايدة قدعاهم لشرب القهوة ثم ناولهم وضرب أحدهم بفأس على رأسه فقتله ، فهرب الإثنان منه فدفن قتيله . وفى اليوم التالى نبشوه إخوانه ودفنوه من مكان آخر وقرب القاتل بأغنامه . فهربت قبائل الرشايدة من أرض الحباب واستجارت بالمجيلاب . فقال لهم الوالد نجيركم لمدة أسبوع إذ ليست لنا قدرة على قبائل الحباب وعصاباتهم[2] فلما انتهى نادى مناديهم « بكرة شادين يا رشايدة . ومن لم يشد فذنبه فى جنبه » . فشدوا رحالهم . ولكن الحباب أدركوهم وأوقعوا فيهم القتل والذبح ومعهم أبو بكر على أبى طالب المجيلابى يأخذ بثأر أخواله وتخق العصابات نهاراً بمنازل المجيلاب . فقال لهم الوالد والشيخ أحمد موسى إذا لم ترحلوا إلى ميقباى فأن الحباب لا يتركوكم أبداً[3] .

---

(1) أصابه عابد فى جبهته .

(2) أخذ ابن عمه بثأره مع عصابات الحباب . الرشايدة لا يقتلون إلا نهاراً وبالرصاص قال ردنى بن حدوت وكان متحالفاً مع عصابات الحباب «الرشايدة إذا أظلم الليل لا يتحركون أبداً ولو وجدوا عاصمتهم للنجدة لا يبرحون» .

(3) وصف محمد من كتيبدى أداد كل أعمال العصابات فى أشعاره . ومحمد هذا شاعر مفلق لم يتبعه غير أبو بكر بن طراى ؛ وكان الأول يدافع عن الهماريين ، والثانى يعيره بما فعله الهماريون من سوء الفعال مع الحباب .

في قتال العامريين والعلاويين انهزم العجيلاب انهزام التام [1] والذين استاء منهم حامد محمد أول العامري وعير العجيلاب بتخليهم عن نصرتهم ، وهم يردون عليه ، يكفيكم اتخاذ الرشايدة إخواناً لكم مات شجعانكم ولم تقتلوا إلا ثلاثة من العلاويين فقط وهم قتلوا أضعاف هذا العدد من خياركم.

ومن مآثر الوالد إعادة تربية الإبل وزراعة أراضي كركر وبلامات. وماء وادي عقيتاي حلو ولذيذ لا يمكن مقارنته بأي ماء آخر

الشيخ محمد بن ضرار

تولى المشيخة عقب وفاة والده في ديسمبر ١٩٢٠ م وكان عهده ميسوراً حتى كانت سنة ١٩٢٥ م فكثرت الأمطار والسيول وعدوا جميع أراضي كركر وبلامات حتى قرب عقيتاي ، مع أن العامريين والحباب أبرموا اتفاقاً لقتال العجيلاب بالرصاص [2] إذا منعوا مواشيهم من كل الأراضي المزروعة . وسمع جماعة من الرشايدة بأن القتال بدأ بين خصومهم القدامى والعجيلاب باعوا للآخرين عشرين بندقية مع كل واحدة خمسين رصاصة وكلها من النوع الأصيد بسعر جنيهين فحضرت بالإبر من موسم سنة ١٩٢٥م ووجدت القوم مدججين بالأسلحة النارية . فتأخر العامريون عن كتيباي والحباب ، واصطدم الآخرون بالعجيلاب وانطلق الرصاص من كل الأراضي المزروعة . ولما جاء العامريون للقتال صباحاً اختلفوا فعادوا مقتفين أثر الحباب إلى جهة « دروت وعد ويتة » وبعد أيام وصل مفتش توكر للمنـ

---

(1) كان في العجيلاب أكثر من ثلاثمائة شخص يوم قتال عدن المريقي .

(2) كان عند كل ... محدودة بعض البنادق والرصاص .

اسكوت G. C. Scott ومعه الشريف الحسن أبو الحسن، وعمل حدوداً بين
العجيلات والهاشميين جهة «جديف» ووضع علامة على الأعمدة الفاصلة
بينهما، وقال للعربان ليس لكم هذه أرض إلا إذا عدتم يوماً إلى اوطانكم.
وأحضر الشيخ محمد صرار ثلاثة من الجيش كي تراقب المنطقة

(١) الشيخ محمد صرار علي العمدة
(٢) الشيخ نور الدين محمد صرار الوكيل
(٣) الشيخ إدريس علي صرار يقف من مشايخ العجيلات

مما يكتب عند العرب في صحيفة الشيخ محمد بن صرار عمدة جميع العربان التابعين له ولأقاربه من العجيلات الحرية التامة وحق التصرف في أموالهم ومواشيهم، بل كانوا يمشون بين رؤسائهم كالمستعبدين والمستعمرين، فقسمهم إلى حصص وعين على كل حصة رئيساً عليهم لتحصيل الجزية، وصرف التموين وتوزيعه عليهم - وكذلك في سنة ١٩٤٢م قامت من عنده هذا الانقلاب ثم أهل العجيلات، ثم بيت أسعدي حباب، فاجتهدا استفادون في تأسيس هؤلاء المساكين ضده حتى كانت سنة ١٩٤٧م «مارس» نجحت مبادئه واعتنقها

العقلاء من رجال الشمال البنى عامر والحباب وقدموا عرائض للحكومة مطالبين بالحرية من نير استبداد المذكورين ، فتم لهم كل ذلك رغم تهديد رجال هاتين القبيلتين .

كما وأن الشيخ محمد ضرار هو أول من نادى باستقلال السودان من الحكم الثنائي .

في يوم العشرين من شوال سنة ١٣٨١ه الموافق الاثنين ٢٦ مارس ١٩٦٢م انتقل إلى الدار الآخرة أخي الشيخ محمد بن ضرار بن علي عمدة عموم المجلاب ودفن في قيت حيث مقابر الأجداد بعد حياة قضاها في نضال حتى رفع شأن المجلاب . وكان عمره ٩٤ عاما يوم وفاته عليه رحمة الله .

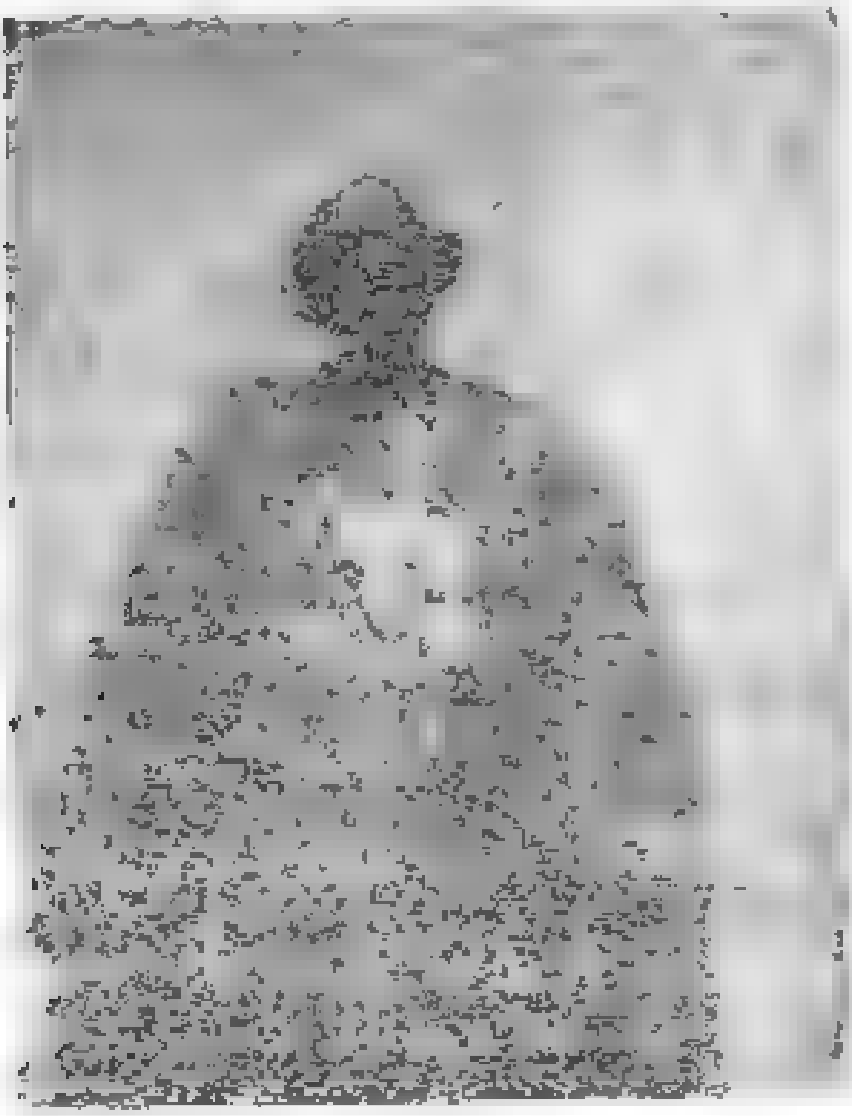

عمدة المجلاب بالسودان

الشيخ محمد بن ضرار بن علي بن ضرار

العجلاب

الشيخ محمد بن ضرار

الحدود الفاصلة بين العجلاب والبصريين

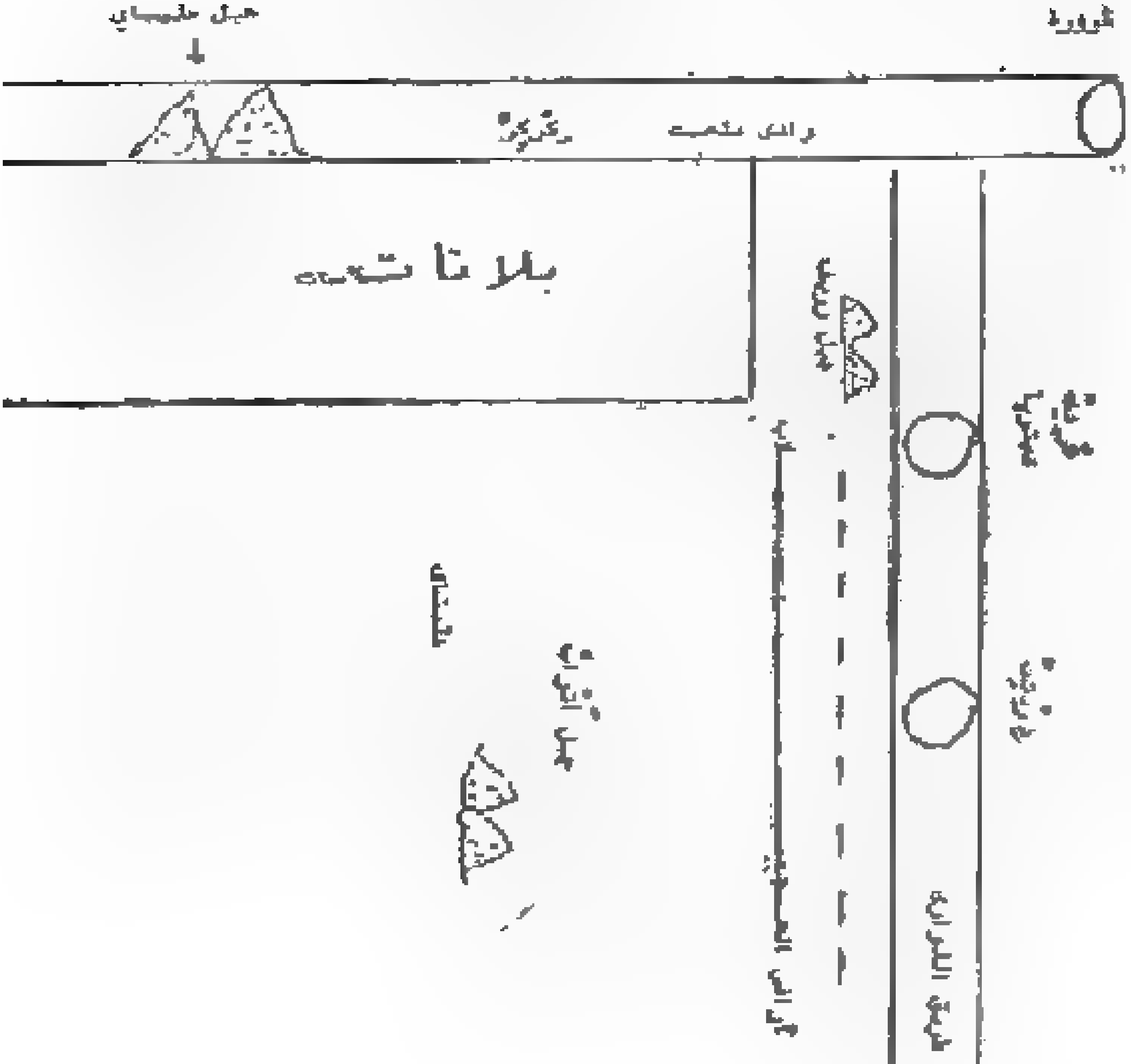

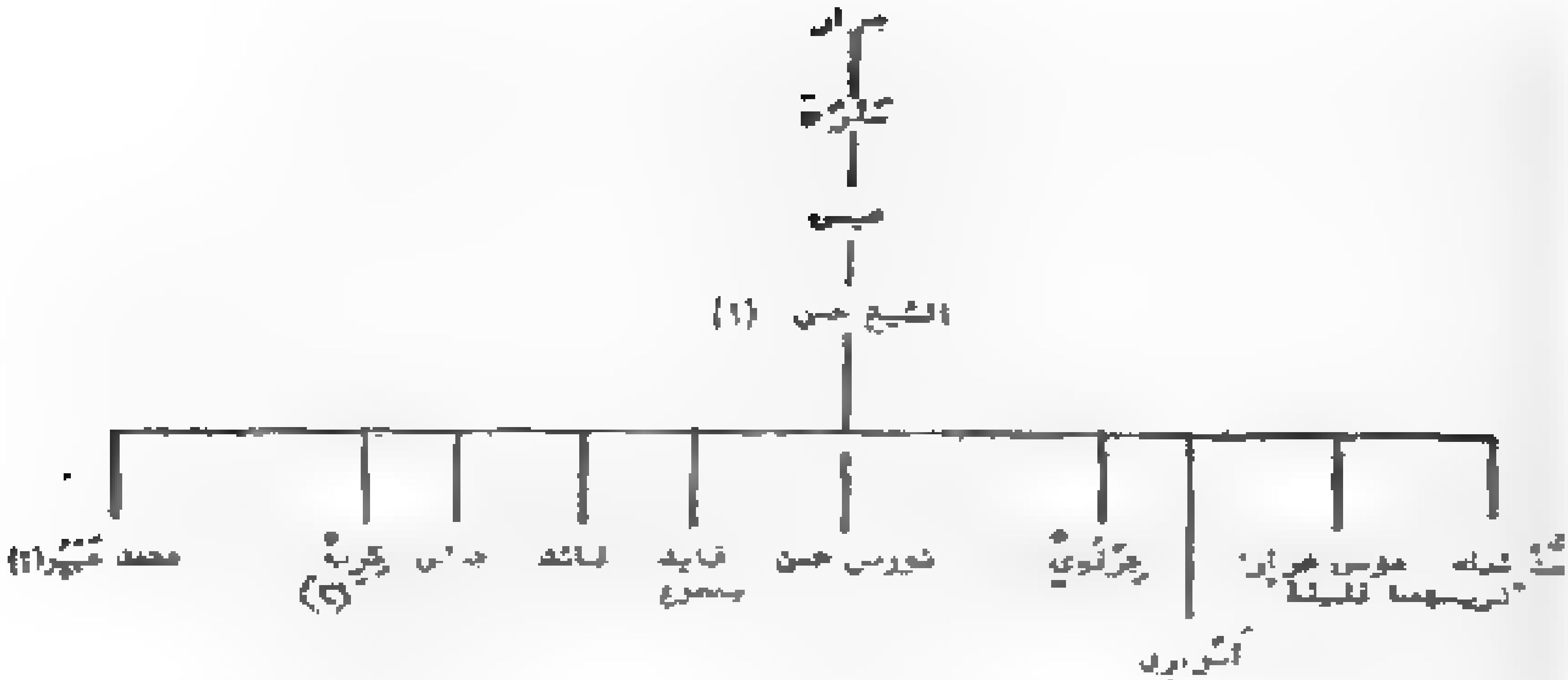

فاجبتهم من السودان

الشيخ نور الدين محمد ضرار

بصفته أكبر أبناء المرحوم سنا وزعيم خشم بيت الشيخ ضرار بن على ابن ضرار بن عجيل وافقت القبائل المجاورة له وعقدنا على ولايته منصب أبيه فألقيت مقاليد أمور منطقة عقيتاى على عاتقه .

ولقد وصلت بعد الوفاة بأيام (ثلاثة) وحضرت الاحتفال بانتخابه وكسوته. ولا بأس أن يذكر الأنظمة المتبعة عند بعض قبائل « إقليم البجة » فى ولاية العمودية فى العصور الإسلامية أى بعد القرن السابع عشر للميلاد وهذا النظام عمل به بعد عودة للمشايخ الأربعة إلى أعاليهم وهم : الشيخ حامد بن أحمد

---

(١) تولى رئاسة العجيلاب والافلندة لصغر عجيل بن على بن محمد بن ضرار ثم تولاها بعده الأخير .

(٢) من ذرية أبناء مسيرة وأبناء سميرة ومحمد جهر بأفرعده .

نافو تاي « نفوداب »[1] والشيخ عبدالله أبو الرايات الحلنقي « عليه قبة بجبلة بغرب كسلا » والشيخ محمد بن قايدبن قايد بن أبي الحسن الشاذلي[2] ، والشيخ عبد الله العركي بأبي حراز (جد العركيين) ، والذين اشتركوا في تنصيب الشيخ نور الدين محمد ضرار هم أحفاد الثلاثة الأول – وسيوضح للقراء ما حدث أمامنا من الطقوس والتقاليد .

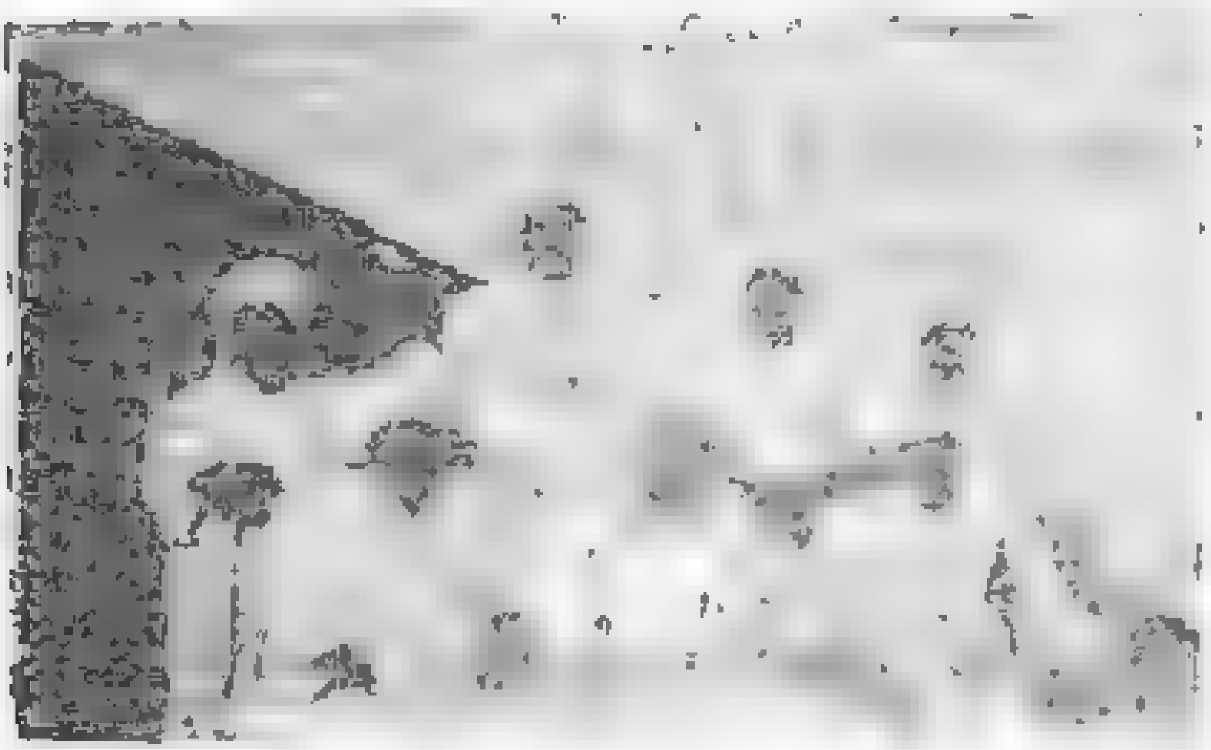

١ – الشيخ حامد نوراي ناظر بيت عوض بارتريا

٢ – الشيخ نور الدين محمد ضرار وكيل عمودية العجيلاب بالسودان

٣ – الشيخ علي حسب الله نور الدين شكانب عمودية العجيلاب

٤ – الشيخ محمود محمد علي وكيل عمودية بيت عوض بالسودان .

---

(١) توفي بجدة ويلقب بالشيخ الأسد وهو شقيق الشيخ ادريس أبومحمدين المتوفي بنمر عطبرة وعليه قبة وهو جد النفيداب .

(٢) توفي بجهة بقة وقبل «الناظر بني عامر بالعرضت» وهؤلاء الأربعة درسوا معا كافة العلوم الدينية ثم عادوا الى أهليهم «اقرا طبقات ود ضيف الله»

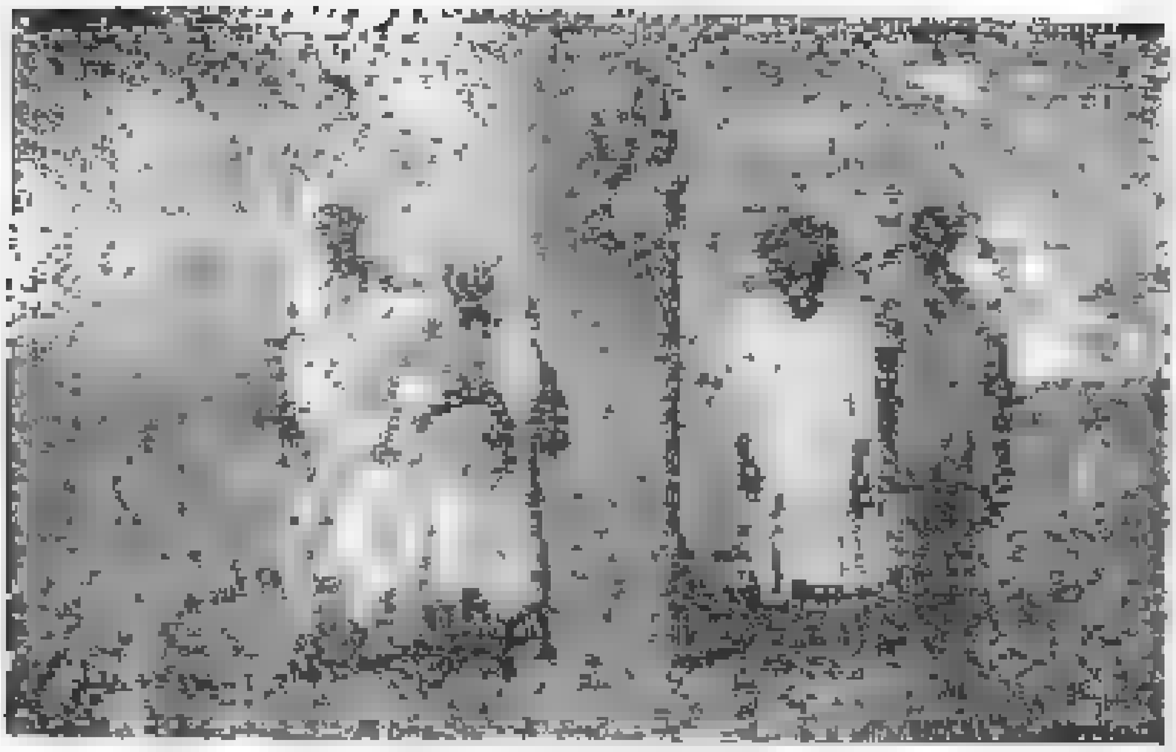

١ ـ الشيخ نور الدين محمد ضرار وكيل عمودية العجيلاب
ورفقاؤه أمام قبر الشيخ عيسى درهيب

(تولى العمودية بالبيجة)

توجد لدى بعض قبائل بنى عامر أنظمة خاصة تلزمها بعض طقوس دينية وعادات تقليدية فى غاية الدقة عند تولية عمدة حديث للقبيلة . وقد شاهدت هذه التقاليد حين ولاية والدى على قبيلتى العجيلاب والأملدة ثم ولاية الأخ المرحوم محمد ضرار على .

فقبل ولاية الوالد ضرار على لم تكن لدينا آبار غزيرة للمياه إلا تلك الشحيحة بأعلى وادى شكات وترورة ، فوضع « يوم ولايته » على إناء ماء وآخر لبن إبل فنبعت المياه من وادى عليتاى وبقرب ساحل البحر الأحمر المالح وانتعشت القبائل بتربية الإبل . ولما تولى الشيخ محمد ضرار وضع يده فى إناء مملوء بلبن البقر وآخر بالدخن ، فأصبحت مناطق عليتاى وبلانات وكركون صالحة للزراعة . فلما انتقل العمدة الأخير إلى جوار ربه يوم الإثنين مساء

٢٠ شوال ١٣٨١ هـ الموافق ٢٦/٤/١٩٦٢ ودفن في مقابر أجداده في قِبَتْ Girnat واتفرقتهم هناك في طريق السيارات بين توكر وقرورة غربا وشمال عيقرية ، وقد سبقتهم إليها قبيلة الحباب ، رهط ناظر بني عامر ، والرشايدة البكرية ، فلما انتهوا من الدفن وبناء قبر العمدة الراحل[1] وأدركتهم قبائل مجاورة حضروا جميعهم إلى القرش في عيتاى وحضر السادة آل نعم أبوبكر ومحمود إبراهيم وآل حاج أحمد النجاشي والأشراف آل الشيخ محمد فايد الشاذلي وآل علي كرار البكرية والرشايدة آل عدون وروبهي رهط الشيخ سليم محمد والسادة البهدور (أهل العقيق وعدوبنة وجزيرة ات عباس) وحددوا يوما لانتخاب العمدة الجديد .

قال الشيخ محمد إدريس حميد الحباب : أيها المحيلاب أراكم ستعجلون انتخاب عمدتكم ولكننا نحن من القبائل الأخرى والزعماء الدينيين قررنا بالاتفاق على أن نبدأ اختياره في آخر يوم أربعاء من شهر شوال[2] سنة ١٣٨١ هـ (٤/٤/١٩٦٢ م) فرد عليه فضيلة العلامة الشيخ سليمان علي كرار[3] عن

---

(١) تبنى قبور العمد والزعماء بشكل دائرة قطرها عشرة أمتار وارتفاعه متر واحد بنظام هندسي جميل - سألني أحد الأطفال وقد جاء ليتعرف عن أسباب كبر مساحة الدائرة وحفر القبر في الوسط فأخبرته بأنهم ربما أدخلوا إليه بعض أقاربه عند وفاتهم .

(٢) الموافق ٢٩ شوال ، الاعتقاد السائد في قبائل بني عامر أن أي شيء جديد يحدث به في آخر أربعاء من كل شهر عربي لا يتغير حتى ينتقل صاحبه إلى الدار الآخرة .

(٣) عمدة قبيلة رشايدة فهو من أكبر علماء بني عامر والحباب .

اليوم نوافق على كل ما أجمعت عليه القبائل الأخرى . فقال له الشيخ محمود حسن حيوتاى وابن أخيه نصدب حامد شيختاى (كلاهما من ذرية الشيخ محمد بن فايد بن الشريف أبو الحسن الشاذلى)[1] ، ثم تكلم السيد موسى بدوى محمد ، نحن حضرنا إلى اتفاق على تولية الشيخ نور الدين بن المرحوم العمدة الراحل الشيخ محمد ضرار على ، وهو كفء ، وقد كان وكيلا وممثلا لوالده أكثر من ثلاثين عاما ، واشتهر فيها بالحزم والكرم . وحضر السيد محمد بن حاج أحمد التيجانى والسيد محمد محمود إبراهيم والسيد بشير محمد عثمان (وقالوا) نحن فى انتظار حضور أبناء السيد عمر بن نافع بن أبى بكر وان يكون حضورهم قبل يوم اثنين من شهر ذى القعدة سنة ١٣٨١ هـ ، ووافق مشايخ حصص العجيلاب وزعماؤهم وأصحاب المسئولية منهم على تولية نور الدين خلفاً لوالده وانتظار آل نافع أبو بكر لأن تقاليد ولاية عمودية العجيلاب بدأت من أيام جدهم الشيخ حامد أحمد نامورتاى « تيدابى » إذ كسا العمده الشيخ جمع بن عجيل بن على ثم أصبحت من الطقوس المهمة والعادات التى بدونها لا يعترف بالعمودية خصوصا عند العجيلاب والنابتاب « وبدشا عرف لمن يتولى بفورها . وفى بعض القبائل لا يعتد بها خصوصا فى إرتريا ولكنها عند هدين الرهطين مهمة جداً .

وقد أعد مولانا الشيخ على كرار « عم العمدة الجديد » مشكوراً كل الكساوى اللازمة لهذا الاحتفال بالمقدس العتيق .

وفى صحى يوم ١٩٦٢/٤/٤ م توافدت القبائل إلى عقيتاى للاشتراك فى

---

(١) اقرأ طبقات ود ضيف الله .

تنصيب العمدة الجديد . بدىء الاحتفال بتلاوة من آى الذكر الحكيم بدأ بها السيد محمد على بن عمر بن نافع[1] أبو بكر ثم تلا أخوه عثمان عمر بعض الأدعية ، ثم تقدم السيد محمد حاج أحمد التيجانى « من علماء بنى عامر » وافتتح خطابه بسورة « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ثم عقبه الشريف محمود وتصيب حامد شيخاى وهما من العايداب وتليا أدعية مكتوبة ، ثم جاء الشيخ سليمان على كرار وأنشد موصلا مباركا ، ثم أعطى الملابس للسيد محمد بن محمود إبراهيم وهذا بدوره سلمها لأبناء عمومته آل نافع أبو بكر الذين مسوا الملابس ووزعوها بين الزعماء الدينيين ، وتولى هو إلباسه القميص قائلا « هذا قميص التقوى والإيمان إنشاء الله » وأخيراً حىء بثوب عشارى من الديلان ومسك مشايخ ورؤساء المحيلاب بأطرافه وأحضر السادة إناء مملوءا بالماء وآخر باللبن وثالثاً بالدخن ورابعاً بالسمن موضع العمدة الجديد « نور الدين محمد ضرار » يده اليمنى فى اللبن واليسرى فى الدخن ، ففرح المجتمعون جدا وتفاءلوا خيرا باللبن والدخن ، وبقى جالسا تحت الثوب لايبدى حراكا حتى غطاه كل من الحاضرين بالأغصان الخضراء . وفى تلك الأثناء كان أصحاب المواشى خصوصا الرشايدة يأتون بألبان نياقهم ليشرب منها ويرشها على المجتمعين حتى جاءت صلاة الظهر فأدخلوه إلى بيته ومعه أحد أبناء عمومته الشيخ محمد محمد نور الدين وبعد أسبوع خرج من الاعتكاف فرفع الفراش بعد ذلك بيوم وزار منطقة مشيخات المحيلاب والأفلندة صاحب السعادة اللواء محمد طلعت فريد ، تيمنا بقدومه السعيد على تلك المنطقة الآهلة بالسكان وكثرة الماء .

---

(1) حضرت هذا السعيد وهو لبن عم ابناء السيد ادريس احمد البغدادى كما ولدى العمودية سنة ١٩١٠ م واخى محمد ضرار ١٩٢٠ م .

ثم ما ألفنا في الاحتفال بمقدمه الكريم نرى أنفسنا منجذبين نحو سعادته لأنه اشترك معنا بسلاحه في حروب تحرير إرتريا والحبشة(١)

طلعــــة سعيدة

والتفاتة بارعة من السيد ناظر بنى عامر حينما دعا سعادة اللواء محمد طلعت فريد أن يتفقد مضارب خيام بنى عامر في السهول والجبال ، وقد بدأ سعادته بالعقيق حيث تكاثرت الجموع باستقباله والاحتفاء بمقدمه الكريم .

ابن عباس :

ثم تفضل سعادته فزار جزيرة ابن عباس وجاس خلالها وتفقد آبارهـا ومنازلها التي تقادم عهدها ، ثم مر بمنطقة عقيتدى بطائرة هيلكوبتر وإذا به يهبط في قرورة عند حدود السودان وارتريا ، وهناك تزاحم عليه الناس واختلط حابلهم بنابلهم وأصبح الوادي وساحة الاحتفال كأنه يوم الحشر ولم ينقطع سيل القادمين لرؤية سعادته من الأهالي القاطنين على جانبي الوادي وفي مضايق الجبال والتلال ، ورحب الشيخ سليمان حمد كرار بسعادته في قرورة مثنيا على شهامته وبسالته في كل المواقع التي اشترك فيها وفي جنوده الذين كانوا يعملون تحت قيادته منذ مدرمشات ١٩٣٥م حتى حروب ١٩٤٠ — ١٩٤٥م .

---

(١) لما هبطت طائرة اللواء طلعت في العقيق تفتحت أمامه المدامع وتكدست جماهير الكهول حول صيوانه وتذكروا فيه لتذكره أيامهم أيام عمر » بهذه الزيارة التي قال عنها خطيب الحفل «كلا في تحية الشوق إليه» وإنا جد مطالبين بها لقد كنا في غاية الشوق لمقدمكم إذ رأينا منكم أكثر مما سمعنا بأعمالكم معلمنا لأن ليست كل الرجال تدعى رجالا» .

ولما دقت الساعة الثانى عشرة ظهرو بارح قرورة عــــاد إليها فى الفتيق وصافحنا مودعا .

ونحن نثنى على همة الشيخ ابراهيم عثمان ناظر بنى عامر الذى هيأ لأهله وقبيلته مثل هذه الزيارات السعيدة

وايــــرا WAYRA

تحكم منطقة « حوار مشول منها » « بارتوبه » وحكمتهم هو الشيخ محمد على بن اسماعيل بن على بن محمد بن عمر أحمد بن عمر بن حمد بن حمد وايراى العلمية كتابى (1) .

حضر جدهم من بلاد التكا بعد الشيخ محمد بن ضرار بسقين بأولاده الثلاثة وهم أحمد ومحمد وسهل . وقيل أن ابن أخيه هو الرابع واسمه « على » قتل محمد بعد أن وصلوا عقيتاى بسبب خلاف بينهما فى الزراعة ، فتسم والدهم على مقاطعة الزراعة وصار يتنقل فى المراعى فزارهم ذات يوم رجل من بيت مملا يقال له « منّ » فصادقهم ورجع وإياهم إلى الشيخ دجيل بن على ثانيا فاندمجوا فى العجيلاب وأصبحوا فرعا منها ، عاشوا فى أمن أعيش حتى كانت مشيخة الشيخ ضرار بن دجيل - فنسبوا إليهم وأطلقوا « » وتخلوا عنه وانضموا إلى الحباب ، وعين عليهم كنتيباى جاويد الشيخ على بكيت بن كلاب فانتزاعه منهم الشيخ ضرار حتى أنهم اقتلوا رجلا من الأفلندة اسمه شنكيل بن تراب أوعز ضرار لابنه موسى شنكيل كى يأخذ بثأر أبيه فقتل قائم بن أحمد

---

(1) حد عجلاب الأفلنده .

قَيح [1] ولما احتلت إيطاليا إريتريا سنة ١٨٨٤م رحلوا من الحباب سرا إلى موطنَ وتقدموا ولاءهم لمحافظ مصوع ، فاستاه كنتيباى حامديك حسن [2].

ولهم عائلة كبيرة من أبناء بنتهم يسمون أبناء « صَنْدَق » ومنهم أبناء « أشَبْحقَن » وهما من أكبر عائلات وايرا . وهم كسائر قبائل هذا الإقليم يغيرون وينهبون فمن ذلك غزوة القبيلة « جُمجان » لديار وايرا [3] واستاقوا أبقارها من جَدَحَدَ ليلا بعد أن قتلوا فيها عمر محمد نور وعلى نور وعمر كَبَر « خير » وعلى كبر ، ورجلا من آل معلم كان ضيفا عندهم . فلما أصبح الصباح أدركهم محمد نور وأبناء محمد [4] وعلى موسى وعمراى على دايد في جبل « زَدْ يرُوط » فقتلهم عصابة جمجان جميعهم . واتهمت وايرا الشيخ باريباى محمد حبيب بن حباباى وابن عمه إبراهيم محمد طالب وعمر هوكبتة [5] قبل أن هؤلاء حضروا إلى محمد نور وقالوا له يعاب عليك أن تسمع استصراخ أهالك ولا تقوم لنجدتكم وهم أهلك وعشيرتك وقد نهبوا قليلاً « بقرة جدك حمد واراى [6] فتضرروا هذه الواقعة واستعدوا للانتقام وبعد ثلاثة شهور قامت عصابة من وايرا برئاسة قاسم بن ددير وهجموا على عائلة « إيلوس » وهى

---

(1) هو من ذرية أحمد عمر .

(2) ارتحلت معهم عدة عائلات مثل ميكال وايتبا وسمر عرعور وشى وذريه وسيتياى «ذريه سنة» وقيل أنها من تمس وهو رجل استداوى تزوج بأخت حمد عمر وولد منها أبو بكر .

(3) كان معهم بعض من أمرا الأحباش .

(4) هما محمد وسليمان وعلى ومحمد حداى .

(5) اجتمعت بابيه على فى «الجديد» وكلهم من المصلاب .

(6) كانت عصابة جمجان بأعلى الجبل ، ووايرا بسفله ، فقذفوها بالحجارة حتى قتلوهم تحت الجبل .

من جمجمن تسكن جبل ملقى [1] واستاقوا منها ثلاثة مراحات من البقر [2] .

وفي سنة ١٩٣٥م أسمت حكومة إيطاليا بأسم « كستيباى » على الشيخ محمد نور المذكور .

وتتفرع من وايرا عدة حصص أشهرها .

١ ـ أبناء شاقى	برأسها الشيخ عثمان حسن محمد نور
٢ ـ أبناء دستيباى	برأسها الشيخ عمر بن دلاش
٣ ـ أبناء إيتما	برأسها الشيخ محمود إدريس آدم
٤ ـ أبناء عقبة	برأسها الشيخ محمد محمد سليمان
٥ ـ أبناء قايد	برأسها الشيخ إسماعيل آدم عبد الله
٦ ـ بيت حمد البكرى	برأسه الشيخ إدريس محمود آدم
٧ ـ بيت حمد المصرى	برأسه محمد عمر إدريس

ولا يوجد منهم بالسودان إلا أفرادا قلائل كانوا مع أخوانهم الجيلاب حتى سنة ١٩٤٩م فانضموا إلى الأطندة ولذلك غضب عليهم إخوانهم بيدوريا .

(١) شاهدت في هذا الجبل حدائق غنية للبرتقال والموز واليوسف افندى والجوافة والقشطة الخ سنه ١٩٢٥ م .

(٢) نظم ابراهيم ضرار وايراى قصيدة في وصف هذه الواقعه وحمسه بكلمات منها «يا كستيباى لمحام ناظر جمجمن للآن ام منتظر لاخوانها» فهذا أول الشعـــر .

المهدية بسواحل مصوع

بعد تنازل وزارة نوبار باشا المصرية عن كافة حقوقها بالسودان يوم (١٨٨٥/١/١٧م) ومجيء غردون باشا لتسليم البلاد لأهلها — خرج صاحب الفضيلة القاضي عبد القادر حسين « قاضي سواكن » إلى تماي لمبايعة الأمير عثمان دقنة ، فعينه الأمير عاملا على سواحل بلاد الحباب حتى مصوع ، وهذه المحلات مشحونة بأقارب وأصدقاء فضيلته خصوصا الزعماء الدينيين من آل « درق Durql » أو آل الشيخ حامد ، والسادة آل محمد بن علي في امبيرمي وضواحيها فقام فضيلته وطاف بالقبائل في قراها[1] ، حتى وصل مكانا يقال له « كوطات » ففرحت القبائل بقدومه وبايعوه وقاتلوا معه جيش الراس ألولا في « طروح جبل » ، فانتصروا على عصابة الراس ألولا وطاردوها حتى بلغوا « جدحد » بعد أن أقاموا أياما في « داجري » ثم « جزجر » فاستاء كنفيباي حامد بن حسن من رجالهم إذ أصبحوا تحت سلطة الراس ألولا ، فبعث إليهم بعصابة نهبت ما بقي لديهم من الأنعام[2] ، وقتل منهم أكثر من ثلاثين رجلا في ثلاثة أيام متوالية برصاص إحدى فرق كنفيباي النظامية ، فرحل من بقي من الأحياء إلى مصوع طالبا للحماية إذ أصبحوا فقراء فتقدم رؤساؤهم إلى محافظ مصوع الإيطالي شاكين من كنفيباي وتصرفاته السيئة معهم[3] فوجدوا أعمالا كثيرة ، فاقتصدوا من أجورهم واشتروا بها أبقارا من اليمن والدنا كل

---

(١) كان فضيلته يجيد البجاوية والتيجرية .

(٢) كانت أبقارهم قد انتهبت بالنهب والطاعون .

(٣) تقدم بهم الشيخ عبد القادر بن الشيخ محمد علي ، فقتل معظم أصحابهم وأوصى نايب محمد بمساعدتهم .

فأرسل اليوم كنتيباى مندوبا لتحصيل الجزية ، فطرده « إدريس بن قانع » وقال له لن نرجع إلى ميلتين وها الأطمدة والحباب ، فالأولى حرضت شنكيل ابن أتراب على قتل والدى(١) . وأما الثانية فإنها دبحت ابنى أمامى . إذا أكره رؤيتهما . فانضموا إلى ضواحى مصوع

ومن مشاهير مشايخ وأمرا النداى الشيخ محمد نهماى وابنه داود الذى تزعها منه الشيخ محمد على . وفى سنة ١٩٣٥م حضرت بمصوع احتفالا أنعمت فيه الحكومة الإيطالية بلقب « كنتيباى » على الشيخ محمد على(٢) .

بيت عوض

تنتمى هذه القبيلة إلى سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه . أما تاريخها فيصعب علينا الحصول على مدونات مفيدة ، ولذلك ننقله كما سمعناه من رجالها وأقاربهم فنقول : إن مسجد المتلبين « كتاب » ذرية محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه « أنشىء فى بندلاى » بالقش لقراءة القرآن والفقه وسائر العلوم الدينية ، وكان يتخرج منه عدة تلاميذ . وكان فيه مشايخ من عائلة الفقيه يبعث المبعوث إلى القبائل الوثنية أو التى تجهل تعاليم الدين الاسلامى وليس لها محلات « خلاوى » لتدريس أطفالها القرآن الكريم وهو أهم أركان الإسلام للأطفال . فكانت البعثات ترسل إلى القبائل المجاورة ويحالفها التوفيق فى مهمتها الدينية، ويجد المبعوث إكراما وإحتراما عند القبيلة أو رئيسها . وبعد إنشاء الخلوة يأتى دور صلاة الجماعة فيؤمهم هذا الشيخ الدينى وينصحهم بنصائح

---

(١) قتله احد البجة .

(٢) يذكرون كراهية جدهم للزراعة .

دينية وغالباً يتم زواجه بإحدى قريبات رئيس القبيلة فتصبح إقامته معهم واجبة. ولما امتد سلطان دولة الفونج كان امراؤها يحملون الثقة في هؤلاء الفقهاء حتى يتحصلوا لهم زكاة مواشي القبيلة التي يسكنون بينها ويفهمونهم أنها حقوق فرضها الإسلام.

ولقد طفت بهذا الإقليم فلم أجد كثيرا من الهكريين وقد انتشروا بين القبائل وليس لهم مهمة إلا نشر تعاليم الدين الإسلامي. فالفضل كل الفضل يعود إلى ذلك المسجد الذي هو لأول من نوعه وهو مسجد تندلاى للملهيتكناب.

وتنتسب قبيلة « بيت عوض » التي نحن بصددها إلى رجل من السهولاب وأمه من الملهيتكناب اسمه عوض بن اشكرون اتخذ جبل هَجَر « مقر القبيلة اليوم » محلا لإقامته مجاورا قبائل الحاسين أمثال بيت معلا وإندول وهلال وقيقرو، وكان لها قبل عوض شيخ مشهور بالشهامة والشجاعة اسمه الشيخ موسى فتك بن ادريس بن كميل بن كِر بنْتاىَ. قيل أنهم في عصر الشيخ ادريس حاوروا الحدارب والمَتْ « الهجة الأصلية » وكان سلاحهم الحربة السبعية والرمح حتى تولى رئاستهم الشيخ موسى فتك فاتصل بعدة قبائل وزار المدن الحضرية مثل كسلا وسواكن ومصوع واقتنى السيوف واقتدى به رجال قبيلته وكان محمد بن موسى يحمل سيفاً جميلا بالفضة. وقيل أنه أول شاب لبس ثوب الدمور المخطط كما كان يحمل درقة سميكة. وثوب الدمور المذكور أصله هدية من دقال إبراهيم ابن دقال محمد « ناظر بني عامر في القرن الثاني عشر الهجري ».

وتنقسم بيت عوض إلى عائلتين إحداهما بيت الرئاسة ويطلق عليهـــا

« كرتاى » وهم ابكريون ، والثانية أبناء فلموب وهم من أفقنة ورجل من ذرية كرتاى يقال له « دبس » وتعريبها « صقر » وكان قد تمكن مع قبيلة وايرا وصاهرها واندمجت ذريته فيها . ولما اشتهرت بيت عوض دحو ، لبيا كثيرون من الليفكتاب واندمجوا فيهم .

هجر

هو جبل شاهق وكبير وينقسم إلى قسمين هجر الكبرى والصغرى ، فالأولى مصيف بحابلاى سابقا ، وكانوا يملكونها . فلما انقرضت بيت بحابلاى استولت عليها بيت عوض[1] .

أما هجر الصغرى فبقيت تحت سيطرة بيت معلا

قال المقريزى فى خططه : إن هجر هى عاصمة بلاد العام لكل قبائل البجة التى تسكن بين قوص وسواكن وباضع ، مصوع ، وجزائر دهلك إلى حدود أرض الحبشة . ومنها كان يقوم ملكهم إلى غزو مصر ومملكة النوبة . وليست بهجر آثار تستحق الذكر بل بها بعض كهوف يتقى من بداخلها من شدة البرد والثلج . واليوم يقال أن بالكهوف جنا ، وهى واقعة فى .

ومن يقف على قمة جبل هجر يرى السفن التجارية والشراعية تمخر عباب الماء . ويوجد بالسودان من قبائل بيت عوض الحس برأسه الشيخ محمد على محمود ، أما فى إرتريا فلها نظارة بعدة عموديات برئاسة الشيخ محمد توارى

---

(1) كان انقراض بيت بحابلاى على يد الشيخ عجيل بن على وشيخ مصر من شؤم عمار البيت بمشو .

ابن مسعود بن موسى بن ملك بن إدريس بن كيل بن كريناى بن عيسى ابن حمد بن كريب بن عوض بن شاور[٢] .

بيت قريش

هم إحدى بطون بيت عوض وقد أنشأها الشيخ قريش بن عوض اشكون ويرأسهم الشيخ محمد بن محمد بن موسى بن عيسى زليت :

وتوجد من بيت عوض عمودتان كبيرتان بالسودان وإرتريا اسمها شلوحى .

بهدور Bahdour

هذا الاسم يطلق على جزيرة « الشيخ ابن عباس » الواقعة بشرق عدوبة وأصبح اسما لكل من سكن الجزيرة . وهم مثل سائر سكان المرافئ خليط من عدة أجناس وقبائل قد جمعتهم الصلات التجارية والمرافق الاجتماعية فأصبحوا مؤتلفين ربطت المصاهرة بينهم وأواصر القرابة حتى انصهروا في بعضهم وتلاشت قبائلهم وجنسياتهم الأصلية بالاختلاط المتوالي في الأفراد الواردين إليهم من البر أو البحر . وأشهر هؤلاء السكان في عصرنا الحالي : عائلة « الشيخ على شابل عبد الرحيم وإخوانه ، فإنهم من بدايا ملوك « الغو » ؛ وبيدهم عمودية الجزيرة ورئاستها ومن أبناء عمومتهم عائلة « أبوبكر (أبكر)

---

(١) هو أحد الطلاب الثلاثة الذين أرسلهم شيخهم من مسجد المهيتكاب الى هجر وضواحيها ، وهذا الجبل لاتعيش فيه الا الأغنام لكثرة الناموس التى تقتل الابل والبقر . وفى جبالهم يستعملون نوعا خاصا من الشراب ومعظم الحمير . أما سكان سهول خور بركه والقاش فيعتنون بتربية الأبقار والضأن وقليل من الغنم .

ابن عامر بن الشيخ على وهو أيضا من رؤساء البجه الذين تفرقوا بعد زوال ملكهم على يد الشيخ عامر للنابتاب . ونبغ فى هذه العائلة عدة أشخاص بالتقوى والورع والتبحر فى العلوم الدينية والتفسير والحديث . منهم العالم المصلح الشيخ محمد آدم محمد أبكر الذى اغترفت من بحر فيضه كل البجه ور وكذلك جيرانهم من العجيلاب والنابتاب (هسرى) ومن مشاهيرهم عمه القبطان « مهدى محمد أحمد » الذى كان من رواد البحار ذوى الاتصال الوثيق بتجار ثغور البحر الأحمر خصوصا فى عدن واليمن ومصوع وسواكن وجدة بل وأحيانا السويس والبصرة ، وكانت له ولبعض أقاربه سفن تمخر بين مدن شطوط البحر الأحمر ببضائع التجار تحت ضمانته . ونال شهرة لصدقه وأمانته فى المعاملات وسنذكر بعض حوادثه فيما بعد .

ومثلهم عائلة « محمد دينقش Deenach » واشتهر منهم بالجود والشجاعه وإكرام الضيوف الشيخ على موسى أستاى إذ كان يوقد نار الأضياف ليلا ويقريهم ولو كانوا لصوصا قد حضروا لسرقة أمواله، ولا يسألهم عن أحوالهم إلا إذا انتهت ثلاثة أيام استضافه .

ويسكن معهم جماعة من أهل « ملك » « دنا كل » وهم أقلية .

قيل أن من خصاله أنه لاينام إلا إذا اطمأن على عشاء جيرانه وقد رزقه الله ميسرة فى المال فى التجارة ينفق منها على حسن الصيت وكان الرجل الوحيد الذى يقول « ماقيت Mageet » وهى كلمة لا يقولها إلا الكريم الشجاع ومعناها أنا أكرم مائة من الضيوف كما أقاتل مائة رجل شجاع ومن البجه ور الشيخ محراوى بن صديق « من يمشو » ، وسكن معهم ، وقد كان كثير الاهتمام بتربية البقر بعد أن صاهر العجيلاب وصار ما كنا معهم ، واتقى

أثره في المعاشرة وتربية المواشي سائر عائلات البهدور حتى اندمجوا في بعضهم البعض ، وكانت مواشيهم في عهدة بحراي حتى جاء دقل حامد بك سنة ١٨٦٩م وطلب منه أن يورد ضريبة على كل مواشي البهدور التي عوفوا عنها زمنا طويلا إذ كانوا في الجزيرة لا يهتمون إلا بالأغنام وقليل من أبقار اليمن . ففكر بحراي في طلب دقل كثيرا وعلم أنه بين أمرين الأول مخالفته والرحيل حالا من أراضي عامر إلى جزيرة ابن عباس بما يقدر على أخذه وترك باقي الإبل والبقر والضأن لدقل ، وهي مراحات جمة لا يمكنه أن يتخلى عنها[1] ، لأنها تعد بالألوف ، والرأي الثاني هو أن يرضخ ويدفع المطلوب منه بلا نزاع ، واستقر رأيه على الفكرة الأخيرة ووافقه عليها بعض من كان معه من البهدور فأعتبرهم دقل من عموديات الأملندة والعجيلاب وأضيفت ضريبتهم على الأخيرين برئاسة ناظرهم الشيخ علي صرار .

واشترى دقل حامد محمد جزيرة شرق بهدور حزقه جزيرة مصامير وسماها جزيرة « دقل » كان يستجم فيها كلما جاء من أغردت .

لا يعلم بالضبط من هو أول عميد تولى شياخة البهدور[2] ، ولكنهم يقولون أن جدهم المشهور هو الشيخ عيسى ودِ ذيب الذي كان صديقاً لابن « نَقّ ابن تَمْدَة Tah - Tagda » من رؤساء قبيلة « دَقْدَقِي Da8-Dagi » الحبابية وكانا يتزاوران ويقيم كل منهما مع صاحبه شهوراً . وكان ابن نق غلاما ليس ولكن الثاني كان مكارا ، إذ كان يراقب مراعيهم ومعاملهم ومحلات

(1) كان البهدور مثل اهل سواكن يتمتعون بعوائد قطعان على ما بالجزيرة من المواشى غير تابعين لاى نظارة .

(2) كانت البهدور تسكن المتوق .

مواشيهم وإبلهم حتى عرف داخليتهم . وفى أحد الأيام أخذ الشيخ عيسى عصابة من اللبتت وطاز قيلى وسار بها حتى وصل « يعرتت رحاب » (الطريق الواسع) ، فوجد فيها إبلا كثيرة . فلما أراد أخذها حال راعيها دون ذلك. فقال عيسى للعصابة اقتلوه فقالوا له صديقك العمدة تق ، فقال لهم وإن يكن. فقتلوه واستاقوا الإبل أمامهم إلى العقيق. واستاء الشيخ تق من عيسى وهرب بقبيلته إلى ضواحى مصوع خوفا من غزوة أخرى . ولكن المنية عاجلت الشيخ عيسى وتوفى فى المكان المسمى « عيسى درجيب » غرب العقيق ، ويوجد على قبره عمود حجرى طويل مثل المسلة .

بهدور

كان أهل جزيرة بهدور تابعين لجزيرة سواكن مثلهم فى ذلك أهل جزيرة عدالك التابعين لمحافظة مصوع . وليس لسكان هاتين الجزيرتين أى اتصال بأهل البادية إلا ما كان فى أواسط القرن التاسع عشر حيث فتحت مدينة كسلا سنه ١٨٤٠م ، وسميت كل هذه الاتجاهات فى ذلك بلاد الصومال وشرق السودان ، وكان يحكمها حكمدار « أيام ولاية الخديوى اسماعيل باشا » حوالى سنة ١٨٧٢م . وألقيت مقاليد جزيرة بهدور إلى مأمور يساعده على حكمها الشيخ عبد اللطيف على شابل ، ثم بعده الشيخ عبد الرحيم إلى أن توفى بلسعة ثعبان وهو ذاهب إلى « رق كتهياى حباب » فخلفه على العمودية[1] صديقه عثمان طوزراى . وانتظمت له أمور الجزيرة ولم يجد مزاحما على المنصب حتى شب الشيخ على شابل « أكبر أنجال عبد الرحيم » فأخذه معه وسافر به إلى مدينة

---

(١) كان أولاده صغارا فأوصى صديقه المذكور بهم .

سواكن وقدمه إلى المحافظ وذكر أنه كان يتولى الوظيفة بالنيابة عنه لحين إدراكه سن الرشد إذ أوصاه والده أن يكون وصيا عليه . واستشهد عثمان بأمير الأرتيقه الذى كان متفقا وإياه على كل ذلك . ووافق المحافظ وعين على شايل فى وظيفة والده (الشيخ على شايل عبدالرحيم) الذى حنق ولا يزال حنقه من عزله من الجزيرة ورحل إلى عدوبنة بعد أن اتفق مع إدريس جمع على باقى من العجيلاب على زراعة أراضى عدوبنة ، فنجحت زراعته نجاحا تاما .

وكان أصحاب المواشى من البهدور يسكنون بها مع أخوالهم العجيلاب . واستمرت البهدور على هـذه الحالة وسلل عقلاؤها من الجزيرة إلى عدوبنة شيئاً فشيئا . وفى عمودية شايل حوالى سنة ١٨٦٨م حدثت مشاجرة فى سواكن بين الشيخ على بكيت بك محمد(١) والقبطان المهدى محمد أحمد أبو بكر(٢) ، وادعى الأول أن البهدور تابعة لنظارة دقلل بنى عامر وأنها من عموديات العجيلاب هى والأملندة التى ترعى فى أراضيه . فأجابه المهدى بحق مثل الأرتيقة أهل سواكن لا يتبع بنى عامر إلا إذا هم اتبعوا نظارة الحدندوة ، وتفاقم الخلاف بينهما حتى رفع المهدى شكواه إلى ممتاز باشا « محافظ سواكن » فدعا الباشا الشيخ على بكيت ومهدى ونظر فى أمرهما ووعدهما بأنه سيندب مندوبا من قبل وزارة الداخلية المصرية ينظر فى قضيتهما . قال الذى روى لى هذه الحادثة أن مهدى قال له اتفقنا مع المندوب على أن ندفع له مائة ريال (١٠ج) فكتب لنا المندوب صورة عرضحال فأخذناها إلى كاتب العرضحالات فنقلها لنا ودفعنا له نصف ريال ثم عدنا إلى المندوب بالصورة والعرضحال ، فأخذ

---

(١) هو ناظر دقلل حامد بك محمد عمو شيخ مشايخ القبوب .
(٢) قبل ظهور الامام محمد أحمد المهدى .

الصورة ومزقها وقال لنا قابلونى بمرضحالكم هذا فى جمعية « حلاليب » عند شيخ القنوب على بكيت ، وسافر المندوب برا عن طريق توكر . وسافرنا نحن بحرا إلى العقيق . ووصل المندوب قبلنا بيوم . ولما جئنا فى اليوم الموعود بعد أن تكامل اجتماع المشايخ قدمنا إليه العرضحال المعلوم فقرأه ، ثم أعطاه لكاتب الشيخ على بكيت الدعو « حمد النور » (من الندين) فقرأه على الجميع ، فقال الشيخ على بكيت « هذه الحجج القويه والبراعة فى الكتابة لم يسلم منها رجال الحكومه أمثالكم ، وأنا سأبلغ الأمر لدقلل حامد بك وانفض الاجتماع . وسافر كل من الحاضرين إلى مقر عمله . وفى السنة الثانية حضر دقلل حامد بك بمصحبته وألقى القبض على مهدى محمد أحمد وقيده بالسلاسل(١) هو والشيخ على شابل عبد الرحيم ، وحرض جنوده لأخذ كل ما يقع تحت أيديهم من أموال الهدور . فنزعوا منهم كل شىء حتى البضائع التى كانت فى دكاكينهم وحوانيت غيرهم . فوقعوا فى حيص بيص ، وضاقوا بالشكوى وخصوصا التجار وأصحاب المواشى فإن استقياتهم من المهدى كان عظيما . وسافر محمد كلواناى(٢) (شقيق مهدى) وعبد اللطيف عبد الرحيم « أخو على شابل » إلى سواكن سنة ١٨٧٠ وقدما شكوى إلى ممتاز باشا الذى أرسل خطابا إلى دقلل حامد كى يحضر إلى سواكن ومعه على شابل ومهدى . فحضروا جميعا

---

(١) بعد وصول دقلل الى ام مكهان ابنه من العقيق الشيخ عثمان سلطان من طورة احد تجار الهدور الكبار ودفع الى دقلل ثلاث جوارى فدية عن دقلل لاخلاء مهدى . فى سنة ١٩٢٥ زرت عمدة صورة فى آكات فاخبرنا سألنى عن آل عثمان سلطان فأخبرته عن أحوالهم وأكرمنى جدا .

(٢) أصل اسمه حامد محمد حمد أبو بكر وكان عربيا جدا وكذلك عبد اللطيف عبد الرحيم .

إلى سواكن ، ووقف جيلاني بك أوتيقة « صهر دقلل حامد » في صف البهدور لأن بعض محلات تجار الأرتيقة قد نهبت ـ ظنا من جنود دقلل أنها ملك لتجار البهدور . فحكم ممتاز باشا برد كل ما أخذ منهم وأعلن أنها من الآن فصاعدا أصبحت تابعة لمحافظة سواكن رأسا وذلك بناء على تعليمات وردت إليه من مصر . فقال دقلل نحن لا نخالف الأوامر الحكومية ولكننا أصحاب حقوق في كل ما يخرج لتبادمة أو البهدور إذ لهم الخيار في البقاء أو الرحيل إلى سواكن . أما إذا خرجوا للبر فإن مشايخي يأخذون منهم الضرائب كما يأخذ موسى بك إبراهيم « ناظر الحدندوة » من كل ما يخرج من سواكن . وبعد أيام سافر ممتاز باشا ودقلل حامد بالباخرة « جعفرية » إلى مصوع[1] ومنها توجه دقلل إلى كسلا ورفع شكواه إلى مصر الخديوى رأسا . وكان موسى بك ناظر الحدندوة بمصر سنة ١٨٧١ م وقد ذهب إليها شاكيا من ممتاز باشا أيضا إذ جعل الشيخ عبد القادر أبو زينب السكولاني « والد الشيخ محمد عبد القادر » ناظرا على كل القبائل الضاربة خيامها حول جبال سواكن وتوكر وسنكات . وسئل موسى عن حقيقة أعمال ممتاز باشا[2] فأجاب بحكمة وتعقل كانت نتيجتها تعيين ممتاز باشا حكمدارا عاما على السودان وقبلها بمدة تعيين منزنجر باشا حكمدارا على شرق السودان . فأمر الأخير البهدور حوالى سنة ١٨٧٢م أن يرحلوا من الجزيرة وعدوبته إلى العقيق لأنه ميناء جميل الموقع . فرفض الأهالى الامتثال لأمره إلا بعضهم . فأمهلهم عاما كاملا فرفضوا . فأرسل إليهم قوة من العساكر رحلتهم إلى العقيق بالقوة « من لم يخضع بعد » موسى خضع بعضا

---

(١) طاف ممتاز باشا على سواحل البحر الأحمر والصومال .

(٢) ذكرنا خلافهما في « الحدندوة » .

حرموت » فاستقلوا وأقاموا فى راحة تامة وعلموا قيمة الميناء التجارية . وفى سنة ١٩٠٩م أخلوا العتيق ثانية وعادوا إلى عدوبة وصار سكانها جميعهم من أبناء حضرموت ثم ارتحلوا بسبب حوادث الشفتة سنة ١٩٤٥م

كان الشيخ على شامل كثير التمادى فى حب عدوبة حتى أنه ادعى فى إحدى السنين ملكيتها . واشتبك مع الشيخ « محمد ود موسى » . ولكن الأخير قال له أن المسألة بسيطة « هل ترضى أن نحتكم إلى دقلل حامد » فوافق على ذلك . ولما حضر دقلل فى الشتاء تقدما إليه بقضيتهما فطلب دقلل من محمد المجيلاب الشيخ على صراد إحضار المؤرخ والشاعر الكبير محمد عيون ابن حجول فأحضره بعد أسبوع ، وعين يوم جمعة للفصل . وأمر دقلل أن يحضر جميع القبائل ، فحضرت . ثم سأل محمد عيون عن طريقة الفصل فى قضيتهما ، فقال محمد عيون إن الأراضى اليوم عامرية مقسمة منذ سنين ، وكل قبيلة تعرف أراضيها منذ أقدم الأزمنة وأنشد القصيدة الآتية :

« عَيذب إنْتِلْ دَقَلاَت أرَا كَبْ وتُوجَه » .

(أراضى عيذب هى ملك لنظار بنى عامر وجميات التوج)

« ديقَبْ إنتِلْ دَدْ إبراهيم أمْعِلْ لفَاشَه قَيْرتَه » .

(زيقب تخص أولاد إبراهيم يوم يفخرون بإكرام الضيوف) .

« ودْ دِعِرا إنْتِلْ عَدديتو قَبِر حسن ود موسى » .

(ود دعرا تخص عائلة عددى حيث فيه قبر جدهم حسن موسى) .

« قِرَاو إنتل عد عِمِرتو وعَنْدَلْ على ود موسى » .

(قراو ملك أبناء عمر وعندل لعلى بن موسى) .

« قَنْرَنَهْ إِنْدَالْ غد هاسرتى الدنيا آكَيْ حاروسة » .

(فروبه ملك لأبناء هاسرتى ولكن الدنيا ثميرت) .

« شَلَقْ إِنْطَنَاتُو يِرِكْ إِبْ أَفْرُوشَة » .

(سو حل البحر الأخر هى ملك لنا « العجيلاب » بنباتها الجول الذيذ)

« جَنِيرة إِنْتِلْ بَهْدُورْتْ إِبْ دَوْنْتْ حَيُوسة » .

(الجزيرة « ابن عباس » ملك لمهدور ويدعبون إليها مستاييكم الشراعية) .

« عَدُوبَنَة قَدْ الشَيْكْ إِنْتِلْ أُكَدْ وموسى » .

(عدوبنة هى ملك أبناء بنت الشيخ ملك كد محمد وموسى أخوه)

سمعت من أحد ثقاة المهدور يروى عن محمد ضكلوانائى أنهم سافروا بستابيكهم[1] إلى مصوع ، وبعد أيام قال كلوانائى اتفقنا على زيارة القطب الربانى والسيد الجليل الشيخ محمد ابن على فى قريته بأمبيرى . فلما سلمنا عليه سألنا عن أنسابنا . فبدأ بسؤال محمد كبجراى . فقال له أنا من جنود الطوبجية التركية وعرقى حجارى من مدينة أملج ، بعد المدة نزلت رديف وأقمت مع المهدور أزاول التجارة . فقال له صدقت ، ثم سأل عبد اللطيف عبد الرحيم فأجابه أنهم مرلون أننا بجليون والله أعلم ، فقال له كلا بل أنتم من بقايا ملوك الحدارب[2] ، ثم سأل عن موسى أستناى « انقرضت ذريته » فقال له

---

(١) يعنى أنهم كانوا خمسة ستابيك .

(٢) يطلق هذا الاسم على قبيلة « أى » وفى جهة منى عمر يطلق على كل من يتكلم العربية وكذلك فى كتب التاريخ .

« أنا من الأريباب » . فقال له كلا بل أنت من شِلْعَن « أربقة ذرية الشريف علم الدين ، فبعد سوالى وولدك من الدريباب سكاب دربابة ، والدريباب هم ذرية على أوشاش وأبيه حمد دين . وهم من بقايا العنج . ثم سأل مجراى ابن صديق بن دار شيخ فقال له أنا من الدريباب ، فأجابه كلا أنت من ذرية رؤساء بيت بنشو . وسأل حمد آدم فقال له دريباب ، فقال له كلا أنت من بيت عوض البكريين أبناء عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وأعمامك السيفولاب والعجيلاب « المويتكناب » . فجاء الدور على حمد كلوالاى قال فقلت له « لا أدرى شيئا عن نسبى وشيخى أعلم به منى . فقال له أنت من بقايا البلويب ، وأمك بنت الشيخ ضرار عجيل ، وجدك الشيخ محمد البدوى[1] ، وقال لى ما رأيك فى هذا ، فأجبته أنهم يقولون ذلك . ثم استأذنا فى الذهاب .

ويضاف إلى هذه العائلات بعض أفراد اندمجوا فيهم من عدة نواحى ، أمثال الشيخ سليمان على قاضى الهدور وعثمان ذبرة طوززة وكلاهما من أنمدة ، وسرور وهو من بيت مملا

ولنيف من كرباب وفاصحاب الارتيقة الذين أمهاتهم من العجيلاب أمثال آل عبد محمود وآل وحيسة ويجاورهم الكميلاب والأشراف . وكان موطن الهدور قبل العصور الحديثة « عيسى درهيب » على بعد ميلين غرب العقيق وكان أكثرهم ممن تخلفوا من عاسكة « الطويب » الذين كانوا يسطابون فى خور بركة ثم من عيسى درهيب إلى دِرْبَاب وهو الرأس المستطيل الواقع بين العقيق وعدوبنة ، ثم عبروا منه إلى جزيرة ابن عباس لما كثر عليهم أذى بنى عامر .

---

(1) طبقات ود ضيف الله «الشيخ محمد نايد الشريف» .

علی شایل أيام المهدية

في عام ١٨٨٤ م حينما سقطت توكر واستلمت إدارتها حكومة المهدية الوطنية ، دعا السيد علي طويل مأمور العقيق عمدة البهدور الشيخ علي شايل كي يأمر الأهالي بالرحيل إلى جزيرة ابن عباس فرحلوا إليها جميعهم ، وقد بنى علي طويل حوضا كبيرا لخزن الماء يكفي سكان الجزيرة نحو ثلاثة أسابيع ، وكانت تمونهم الباخرة « جعفرية » أو « مخصر » من سواكن وهي محملة بالماء والطعام حتى ١٨٩٧ م ، د استردت الحكومتان « المصرية والإنجليزية » مدينة توكر ، فخرج الشيخ علي شايل بعد ذلك إلى عدوبنة ، وكان هرما ، وتسلم منه أعماله ابنه الشيخ محمد علي شايل حتى توفي ، وفي أيام علي شايل الأولى زاد إنتاجه « ماسحه » قيمة معلا لهيف من تجار البهدور الشراء سمن وعسل وجلود وبيع ملابس ومصاغات ذهبية وفضية ، وكان على رأس هؤلاء التجار آدم محمد أحمد ، وجابر أمان الجني ، وإدريس محمد محمود[1] الارتيقي ، وابن عمه محمد وجيه ومحمد عبد الكريم عبد الرحيم ، وكان محمد يبث معلا الشيخ « محمد إدريس » يتفرس في وجوههم وكل حركاتهم وتعابيرهم ، ومثل منهم « آدم محمد يختلي ، ويصب ، أما جابر فقد أخذت أمه[2] ، وإدريس محمد يسود أهله ما دام حيا ، ومحمد وجيه ومحمد عبد الكريم عبارة عن آلات لا تسير إلا بمحرك ، وقد صحت فراسته كلها .

---

(١) فـ توفي جيلاني بك نرسعة سمي الذكور في عمارة محمود بك ارتفعه ادارة سواكن .

(٢) كان من حملة القرآن وعد درس المرحوم حالي ادريس بك محمد علي أخيه الشيخ عمر محررة ابن عباس .

الشيخ محمد علي شايل

تولى بعد وفاة والده سنة ١٩٠٤م ، وكان طيب الأخلاق لم تصدر منه أي إساءة لأحد من البشر « وأنه كريم ما سب قط ولا سُبَّ » . واشتكاه البهدور إلى مدير المديرية ، فطلبوا عزله وتولية أخيه جعفر[1] الذي حصر عمه في التشق ممن كانوا سفراء سوء بينه وبين أخيه . فشكروه وطلبوا إرجاع أخيه محمد علي ، فوجدوا موافقة عامة . ولذلك عاد محمد علي إلى مشيخته وبقي فيها حتى توفي سنة ١٩٢٤م[2] ثم خلفه على العمودية ابن عمه علي عبد اللطيف بن عبد الرحيم .

الشيخ علي عبد اللطيف

كان هو العمدة اسميا ولكن كان يسير القبيلة بمشورة أخيه الشيخ محمد عبد اللطيف حتى ظهرت إرادته الضعيفة لكل إنسان وتألب عليه عائلة الدرباب والبلو وطلبوا عزله . فلم نجحوا ولوا مكانه ابن عمه الشيخ علي عبد الكريم وكان لا يحتمل الشدة معهم ولا الحزم .

وفي سنة ١٩٤٩م انتقل إلى جوار ربه رجل البهدور الشهم الشيخ محمد ابن عبد اللطيف الذي قضى باقي حياته في المطالبة بحقوق البهدور والبحث عن أنجع الوسائل للخلاص من نظارة بني عامر التي مقتت إلى البهدور بسبب رحيلهم من الجزيرة حتى تعود لسابق عهدها كامل سواكن ودخلت « حزرة

---

(1) كانت مدة عموديته ثلاث سنوات .

(2) ولم يبق رجيل الشرحة الى بيت الأخير . كل أهل جزيرة أم عيسى ومن يسكن منهم نفر وجود من لا يحفظ القرآن منهم ولما ظهرت المدارس دخلوها زرافات ووحدانا .

مصوع » ، واتفق مع ناظر بنى عامر على استرداد حقوقهم التى نالوا بعضها وبينا هم فى طريق استرداد البعض الآخر حدثت بينهم خلافات أدت إلى عدم توحيد كلمتهم .

الشيخ على عبد الكريم

١٩٢٧ — ١٩٣٧م

كانت البهدور مستقلة عن نظارة دقلل بنى عامر بعد مشاجرته للقبطان مولدى محمد أحمد حتى تولى العمودية الشيخ على عبد الكريم الذى اشترط عليه الناظر إدريس صالح بأن يكون تحت نظارة بنى عامر وإلا اعترض على مشيخته فقبل الشيخ على عبد الكريم لئلا تذهب العمودية من بيته . وكان يسكن مع البهدور أفراد من عدة قبائل رجعوا إلى قبائلهم سنة ١٩٤٨م ولم يبق معهم إلا جماعة من أبناء عمر (نابتاب) ، وكانت لعمدة البهدور رسوم على كل طرد يرد من البحر إلى العقيق ، ولكنهم تنازلوا عنه وعن غيره من الحقوق فى صك كتبوه احتج عليه المرحوم الشيخ محمد عبد اللطيف ومنع البعض من التوقيع عليه ، وقال أنه يسلب حقوقنا وندمج فى الحجلاب . وفى سنة ١٩٤٧م تولى الشيخ عبده على عبدالكريم وكيلا لوالده فلما توفى تولى العمودية رسميا .

الشيخ عبده على عبد الكريم

كان طيب القلب هادىء النفس يتمنى أن يرد للعقيق أيامه التجارية السابقة ولكن المرض لم يمهله فتوفى سنة ١٩٥٩م وخلفه على المشيخة أخوه .

تاريخ قبائل الامارار والبشــــارين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة لتاريخ

قبائل الأمارأر ــ والبشاريين

الحمد لله الذى سخرنا للبحث عن تاريخ عام قبائل البجة التى عن بعض أفرادها الذين لقونا كل مساعدة منهـا ، والصلاة والسلام على أبي القاسم الزاكى سيدنا محمد ﷺ .

وبعد فهذا التاريخ معرب ، لأنى أخذته وحوادثه من أفواه الناس الذين لايعرفون العربية إلا القليل منهم .

وكثيرون من الكتاب والقراء يشكرون على بعض قبائل إقليم البجة العروبه سواء أكانوا من العرب أو الأفرنج ويعتبرون عموم السكان هم البجة الأصليين المذكورون فى كتب التواريخ وذلك لجهلهم بلغتهم وعاداتهم وأخلاقهم وكل ما يكتبون مبنى على الحـــدس والتخمين ونحن لانأبه به ، ولا نعتمده لأننا نعلم من هم البجة وأين مساكنهم وأسباب رحيلهم ونزوحهم من ديارهم الأصلية . وعرف قبائل كبيرة لايقل تعدادها عن عشرات الألوف ولكنها أصبحت اليوم فى ظرف خمسين عاماً لايتجاوز عددها ثلاثمائة شخص مثل دقا محمد حامدى ، ودقا عبـــــــد الشيخ ، ودقا أم كلوب . . الخ أما الذين يدوّنون ما يسمعون وهم يجهلون لغتنا البجاوية « تبداويت » . أو

« التيجريه » وهي التي تنسب إلى الحباب وبني عامر فإنهم مهما أرتوا من الترجمين ، أو حفظوا من الكلمات ، فإنهم يجهلون أصولنا وفروعنا ، ولن يجيدوا لغتنا ما لم تكن أمهاتهم بجاويات . فالكاتب عن قبائل البجة (إقليم البجة) الذين تبدأ حدودهم شمالا من حلايب وبئر شلاتين ، وتنتهي حدودها عند مدينة مصوع ، وغربا على حدود أبو حمد وبربر ، وشرقا بالمعارف والحبشة ، يجب أن يتكلم اللغتين بطلاقة ، ويتفقه بأشعارهما ، ويتمثل بأمثالها ثم يكتب ما يشاء ، وتكون كتابته على علم ودراية وخبرة ومعرفة . لقد تيقنت من معرفة أصول كل القبائل ، ولذلك ما كتب عن قبائل الأمارأر والبشاريين[1] وأخوانهم من سكان حدود البجة الشمالية غير مرتبسات في سردهم أو قرشتهم مما لدى من الأدلة العلمية الماضية ، والله هو الهادي إلى الصواب .

محمد صالح ضرار

---

(1) ما أكثر معادن الذهب والزمرد والحديد و لمجبيز والمايكا والفضة بلاد هاتين القبيلتين . والكتب التاريخية وحوادث من سبقونا من الأمم يرى كيف كانت الحروب بين قبائل البجة والفراعنة والبطالسة والرومان والعرب أخيرا بسبب هذه المناجم الغنية . وقد نالت الشركات الانجليزية بعض امتيازات التنقيب ثم تنازلت عنه .

الأمارأر و (البشاريين)

AMMR—AR

(أمارأر) كلمة بجاوية مركبة من كلمتي : أمارْ وترجيمها : عمار : و « آرْ » ومعناها « أبناء » ، وفي لغة البجة تنطق : المين : أما : وفي لغة البجة كما في بعض اللغات غير العربية تقدم الصفة على الموصوف ، ويقدم أيضا الفاعل على الفعل ويعرف المضاف في كثير من لهجات شرق السودان « وخصوصاً في التبجرية والبجاوية والتجرينية الخ » . فالأمارأر هم إحدى قبائل إقليم البجة الشهيرة التي تسكن حول سهول وجبال ما بين سلوم وبورتسودان حتى سواحل دواية ومحمد قول[1] .

ويتصل نسب الأمارأر والبشاريين بالصحابي الجليل الزبير بن العوام القرشي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب وقد جاء في دائرة المعارف الانجليزية أنهم ينتسبون إلى قريش ، وأنهم من سلالة الجيش العربي الفاتح ، كما أنهم من الفرق العربية القرشية التي اكتسحت هذه الديار ، وكانت سبباً في هداية أهلها إلى اعتناق الدين الإسلامي

واجتمعت بكثيرين من شيوخهم « الأمارأر والبشاريين والعامرآب والعزغوياب » وكلهم ذكروا لي أنهم : زبيرية : من ذرية محمد بن ورّاق[2] الذي ينحدر من صلب محمد بن مصعب بن الزبير بن العوام ، فاعتمدت قولهم هذا لأنني وجدته في كتب العرب والأفرنج ، وكلهم يؤيدون هجرة ذرية

---

(١) سكنون من مسلتي الهدندوه والبشاريين .

(٢) البيان والأعراب للمقريزي الطبع حمد يشا الباسل .

المذكور حتى ابن بطوطة ذكرهم في رحلته وقال إنهم من بني كاهل[1] وسنفصل ذلك فيما بعد .

ولم يشذ عما ذكرناه من النسب الزبيري إلا قنصل بريطانيا بسواكن حوالى ١٨٨٣ م المستر دونالد كامرون Mr. Donald Cameron الذي طاف مع صديقه الشيخ السيد يس عثمان بدري إذ ذكر في مقاله : مع قبائل شرق السودان On The Tribes of The Eastern Sudan في مجلة المعهد العالمي البشري :

« إنهم من نسل سيف الله خالد بن الوليد » وهذه رواية ضعيفة جداً لأن المقريزي قال في البيان والاعراب إن علماء الأنساب اتفقوا على انقراض عقب خالد بن الوليد وأيد ذلك رفيق بك العظم في كتابه « أشهر مشاهير الإسلام » عن كتاب « أسد الغابة » إن ولد خالد انقرضوا وورث دورهم بالمدينة : أبناء أبي ذوبب[2] . وكذلك قال السمرقندي[3] مثل كامرون خطأً فتمسك السمرقندي باعتبار الكواهلة خوالدة « وخصوصاً الحسنات والحسانيـــة والعبابدة والأمارأر والعمرانيه[4] والبشاريون والرخوياب والملهاب وإخوانهم زبيرية من نسل عبد الله ومصعب وعروة الخ »[5] .

---

(١) نجد هذا الاسم في الزبيرية من بني أسد .

(٢) وربما أيوب بن مسلمة .

(٣) توجد لدى منه نسخة خطية .

(٤) انضموا الى قبائل بنـــي عامر والحباب وبعضهم اندمج في أهـــل ســـواكن .

(٥) رسالة الجنوب بعدد حضرة السودان عدد ١١١٧ بتاريـــخ اول اكتوبر ١٩٣٢ لصاحب الفضيلة الشيخ احمد عثمان القاضي .

وها أنا سأقدم تاريخ حياة مصعب بن الزبير لأبناء الأمار أو البشاريين وإخوانهم المذكورين أعلاه[1].

« مصعب »

هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد أحد أعلام التابعين الذين امتازوا بالشجاعة وعلو الهمة من بنى أسد ، وقد ولد فى ٣٤ هجرية . وأمه هى أم الرباب بنت أنيف بن عبيد من بنى كلب . وشقيقته هى « رملة بنت الزبير » التى أبت الاقتران بعبد الملك ابن مروان بعد قتله مصعبا[2] .

نشأته :

نشأ مصعب بالمدينة المنورة ، وكان صديقا حميما لعبد الملك ابن مروان ، وكانا متخذين دار امرأة من نساء المدينة يقال لها « حبى » منتدى يجتمعان فيه . ولما قتل مصعب أخبرت بوفاته فقالت « من قاتل مصعب » فقيل لها : قتله عبد الملك . فقالت « وا بأبى القاتل والمقتول »[3] ، وقد اتصف بالمروءة والكرم منذ نعومة أظفاره .

« ملخص ثورة ابن الزبير »

ثار عبد الله بن الزبير على حكم بنى أمية بعد وفاة الحسن ابن على عليهما السلام ، فبعث إليه يزيد بن معاوية جيشا ، ثم مات يزيد قبل أن تضع

---

(١) وكل من ينتمى لهذا الرهط .

(٢) قيل ان ارملة وفدت على عبد الملك فى قضية بينها وبين سكينة بنت الحسين ، فقال لها أن مروءة اخاك حال دون زواجى بك . فقالت له انه خشى عليك منى لئلا اقتلك لخدنا بثأر اخى مصعب « الاغانى » .

(٣) ابن الأثير .

الحرب أوزارها ، فخلا بوقائه الجو للزبيرية وبايعه أهل الحجاز ، وانقسم أهل العراق وبعض من أهل الشام ، فبعث أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير عماله إلى الأمصار التي بايعته وانتدب أخاه مصعبا لغزو فلسطين وسوريا .

سار مصعب ومعه الجيش حتى يدرك بني أمية قبل أن يتحدوا على من يولونه بعد معاوية الصغير ، ولكنهم اتفقوا وولوا مروان الإمارة ، وانتصروا على شيعة ابن الزبير بالشام قبل مجيء مصعب ، ولما دنا منهم مصعب تلقوه بجيوش كثيرة يقودها عمرو بن سعيد ، فاضطر أن يلتزم خطة الدفاع اتلاء على جيشه ، فعاد به وخسائره طفيفة .

ولاية مصعب على المدينة المنورة

كانت ولاية المدينة بيد أخيه عبيدة بن الزبير منذ جلاء بني أمية عنها سنة ٦٤هـ . فسمع عبد الله بن الزبير أن أهل المدينة يتهكمون على أخيه عبيدة ولا يحترمونه حتى أصبحوا يسخرون من كلامه ويهزأون بخطبه وأوامره . ومن ذلك أنه قال وهو على المنبر « قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم » ، « فسموه مقوم الناقة » . فأمر عبد الله بن الزبير مصعبا أن يسير إلى المدينة ويخلف عبيدة الذي اشتكر منه ضعف الإرادة . فأقام عاملا عليها من ٦٥هـ حتى أواخر سنة ٦٦هـ بما عرف عنه من الحزم ، حتى كانت ثورة المختار على أخيه أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ، وها ملخصها ليعلم القراء وخصوصا الزبيرية الجهد الذي بذله صاحب الترجمة حتى وفق لإخمادها والقضاء على صاحبها وشيعته ، حتى يتشبه كهولهم وشبابهم بأسلافهم الأماثل الذي يقول فيهم الشاعر :

فمن جدودی لآبائی الألى لأبى   إلىّ منى واحمله إلى والدى

فيا شباب الأمازيغ والبشاريين والعطرباب إنكم وإن كنتم فى مؤخرة قافلة العلم ، فلا ريب أنكم مدركون وسائرون فى ركبها يوما ما .

ثورة المختار

فى يوم ١٤ ربيع الأول سنة ٦٦ هـ ثار المختار بن أبى عبيد على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير واستولى على الكوفة وبعد قتال أخرج منها عامله (عبد الله بن مطيع) ودعا الناس إلى بيعة الإمام محمد بن على بن أبى طالب المشهور بابن الحنفية . وانتشرت دعوته ، وكثر أنصاره ، وبعث العمال إلى أرمينيا والموصل والمدائن ، وأرسل المثنى بن مخارمة العبدى إلى البصرة ليأخذ له البيعة من أهلها . فأجابه الرجال من قومه وغيرهم ، وطمع بعد كل هذا فى أن يستولى على المدينة المنورة التى كان عليها مصعب ، فأنفذ إليها جيشا ، وكتب لابن الزبير أن غرضه من إرسال هذه السرية هو غزو الشام ولم تطل حيلته على عبد الله ابن الزبير ، فندب إليه جيشا مثله وتقابل الجيشان بقرب المدينة . فطلب قائد المختار أن يدخلها ، فمنعه قائد ابن الزبير ، وحملا على بعضهما بعضا . فهزم جيش المختار وقتل قائده وعاد الزبيريون إلى مكة المكرمة منصورين . وفى الحال طلب ابن الزبير من ابن الحنفية أن يبايعه هو وأنصاره وكانوا بمكة المكرمة فامتنعوا ، فوضعهم فى السجن بزمزم ، وتوعدهم بالقتل ، وضرب لهم أجلا إن لم يبايعوا قبله أحرقهم . فكتب الإمام محمد إلى المختار طالبا أن ينجده . فبعث لهم المختار جيشا أدركهم قبل حلول الأجل بيومين وأخرجهم من السجن .

ولولا كراهية الإمام محمد للقتال لسفكت دماء المسلمين ، ولنشب بين الجيش قتال عنيف . فرحل محمد بأصحابه إلى الطائف وسير مصعب ابن الزبير الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة عاملا له على البصرة . وكان مركز المختار قويا جدا بين أهل الكوفة وأكثرية أهل البصرة . فلما دنا الحارث من البصرة ، قال المختار لجماعة من أهلها : « أخرجوا إلى هذا المغرور فردوه » فخرجوا إليه وأنذروه بالقتال ما لم يعد . فعاد إلى مكة وأرسل المختار كتابا إلى ابن الزبير يذكر فيه عودة الحارث بعد أن قرب من محل عمله بلا نزاع . فغضب ابن الزبير ورده . فلما بلغ عمله السابق عمل معه نفس العمل السابق . فعاد وكتب المختار مثل كتابه الأول ، فلام ابن الزبير عامله ، حتى كانت الثالثة فطن ابن الزبير لدهاء المختار وسوء ما يضمر . وعلم بذلك المختار أيضا وكاشف الناس جميعاً بعقيدته الشيعية التي طالما كان يخفيها حتى يأتي أوانها فجاهر بها صراحة وكتب إلى ابن الزبير : —

« من المختار بن أبي عبيد الله الثقفي خليفـــــة الوصي محمد ابن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء[1] » ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه ، فغضب ابن الزبير من جرأة المختار على هذه الوقاحة ، وتيقن أن المختار وشيعته تمكنوا بمنعته ، وبحث متفكراً في عماله عمن يندبه لمحو هذه الإهانة التي لحقته . فلم يجد من يقضي له على المختار وحزبه الآخذ في الازدياد إلا أخاه مصعبا المشهور بشدة الحزم ومضاء العزيمة بين فتيان قريش . وقال عنه الدكتور زكي مبارك في كتابه (حب ابن أبي ربيعة) إن مصعبا يمثل الفتوة العربية أصدق تمثيل .

---

(١) لم أتمكن من العثور على متن هذا الخطاب في مكتبتي .

ولا أعرف شيئاً أحب إلى النفس من الحديث عن أولئك الفتيان المطارعة الذين ملأوا إريتريا بأخبار البأس والجود ، ويكفي في الإشادة بذكر ذلك الفتى أن يعرف القارىء أنه أخي عبد الملك ابن مروان وعشيره .

وقل أن يجد القارىء في كتب التاريخ من لا يذكر شجاعة مصعب وإخوانه عبد الله وعمرو والمنذر الذين أتوا من ضروب الفروسية ما سارت به ركبان ذلك العصر في الآفاق . وقد ورثوها من والدهم الزبير بن العوام فارس قريش إذا ركب . وحسبك ما أبداه كل منهم من الثبات وربطة الجأش أمام خصمه حتى فاضت أرواحهم على أسنة الرماح وظباة السيوف . ولم يهموا أو يحاولوا الفرار قط . وكان إذا عرض على أحدهم الهرب يشمئز ويأنف من سماعه ، ويرى أنه بئس التراث الذي يخلفه لبنيه وأحفاده من بعده . وها هي قد دارت الأيام دورتها ، ومضت الحقب والقرون ، وشاهدنا هذه الخصال في أحفادهم الذين تجاورهم في هذا الإقليم ، إذ انتشرت عن هؤلاء الأبطال البجاويين البطولة بكامل معانيها فيهم وخصوصا في حوادث الحرب الاستقلالية . ونال إخوال الملك عثمان بن الشيخ عجيب (السادة الكيلاب) من حسن الأحدوثة والتضحية بالنفس والنفيس في آبار إنديب ، بقرب ميناء طوكر سنة ١٨٨٤م كيف ساروا بخيولهم هناك للقاء القائد بكر باشا وجنوده وهزموه هزيمة نكراء . وكان النصر معقودا لواؤه تحت راياتهم(١)

---

(١) هؤلاء الكيلاب يعتمدون في قتالهم على الصافنات الجياد لذا نجد الخيل لدى كل رب عائلة منهم حتى من سكنوا حول مدينة بورتسودان وضواحيها .

وسنأتى على وصف تلك الحوادث فى محلها . ولنعد بالقراء إلى أحد هؤلاء الشجعان ومصعب بن الزبير .

ولايته على العراقين

لما صدرت إليه إرادة أخيه عبد الله بن الزبير كى يسير إلى المختار امتثل وسار إلى البصرة فى أوائل سنة ٦٧ هـ ، فقدمها متلثما [1] ، ودخل المسجد وصعد المنبر ، فقال الناس : « أمير أمير » وجاء الحارث بن أبى ربيعة فسفر مصعب عن لثامه ، فعرفوه ، وأمر الحارث بالصعود إليه ، فأجلسه تحته بدرجة ، ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم . طسم [2] تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، (وأشار بيده إلى عبد الملك بالشام) ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده إلى أخيه عبد الله بالحجاز) . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده إلى المختار بالعراق) . ثم قال يا أهل البصرة بلغنى أنه لا يقدم عليكم أمير إلا حسبتموه ، وإنى أُلقِبُ لكم نفسى : أنا الجزار [3] . ونزل من المنبر وسعى دار الولاية فأتاه شبث بن ربعى من الكوفة هاربا من المختار

---

(1) ذكر صاحب كتاب الحيوان أن مصعبا كان شجاعا جوادا حسن الوجه كالقمر ليلة البدر .

(2) البيان والتبيين .

(3) تاريخ الأمم الاسلامية للخضرى .

وسوء إدارته ومعه بعض أشراف أهل الكوفة ، إذ دخلوا عليه وأخبروه بما حاق بهم من الخوف والإهانة حتى وطىء عبيدهم أكتافهم ، وثاروا عليهم وسألوه المروءة والنجدة ، وأعلموه أنهم على أهبة الاستعداد لنصرته ، وأنهم محافظون على بيعة أخيه ولم ينكثوها إلا وهم مرغمون . وقدم بعدهم محمد بن الأشعث أيضاً واستمده على نصرتهم ، وأن يسير معهم إلى المختار ، فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه وقال لهم : « لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة » ثم كتب إلى المهلب عامل أخيه على بلاد فارس يستدعيه لنشترك معهم في قتال المختار ، فأبطأ وأبقل [1] ، واعتذر بتأخر شيء من الخراج لم يكن قد جمعه ، والحقيقة أنه كاره الخروج لقتال المختار ، فعرف نواياه مصعب ، وكتب إليه مع محمد ابن الأشعث .

فلما وصله بكتاب مصعب قال له المهلب « ما وجد مصعب بريداً غيرك » فقال له ما أنا ببريد ، ولكن غلبنا عبيدنا على أبنائنا وحرمنا ، فأقبل معه المهلب بالجموع والأموال . وجاءه كتاب من أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير يقول فيه « سر إلى المختار عن معك ثم لا تبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما . فبعث مصعب العيون لتأتيه بأنباء المختار وبعث عبد الرحمن ابن مخنف إلى الكوفة وأمره أن يخرج إليه من كان ويثبط سواهم عن اتباع المختار . فأدى عبد الرحمن مأموريته على مايرام . أما مصعب فإنه جمع الجيوش وتكتم في أموره حتى لا تتسرب أخبارها إلى خصمه فيفسد عليه تدابيره الحربية . وأسند قيادة الفرق إلى رجال توفرت فيهم الشجاعة والخبرة التامة بخطط القتال أمثال عبيد الله ابن علي بن أبي طالب ومحمد بن الأشعث

(١) ابن خلدون .

وعباد بن الحصين التميمي وعمر ابن عبدالله بن معمر[1] والمهلب ابن أبي صفرة والأحنف بن قيس . وقد أحسن مصعب في اختيار هؤلاء الصناديد ليآزروه في قتال المختار لأنهم مشهورون بين العرب بحسن القيادة والصدق عند النزال مما يدل على سلامة مصعب وبعد نظره في السياسة والإمارة التي من مقتضياتها أن ينتخب الأمير من يثق فيهم ويرضون بالتعاون معه في المبدأ الذي يناضل عنه ويطمئن نفسه من عدم نكثهم للبيعة والعهد الذي قطعوه له .

استمر مصعب في حشد الجيوش وجمعها حتى وثق من أنها تكفي للقضاء على المختار وجموعه ، فقادها وسار بها ميمما أرض الكوفة بعد أن استخلف على البصرة المغيرة بن الحارث وقال له : إن لم تكن كأبيك فإنك كاف لما وليتك ، فشمر واتزر وجد واجتهد . ولما وصل عند المزار[2] نصب خيامه وعسكر فيها . وبلغ الخبر مسامع المختار ، فقام في أصحابه وذكر لهم استعدادات مصعب وقوة جيشه وأن لا سبيل لتأييد دعوته إلا البروز لقتاله . فوافقوه وساروا بقيادة أحمد ابن شميط حتى دنا الجيشان من بعضهما فتقدم ابن الشميط إلى عباد ابن الحصين وقال له : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة المختار وأن نجعل هذا الأمر شورى في آل رسول الله ﷺ

---

(1) قال عنه قطري بن الفجاءة «زعيم الخوارج» انه شجاع بطل فارس يقاتل لنفسه ولملكه . وقال عنه المهلب : انه فارس العرب ومناها .

(2) قيل ان رجلا اتى الى المختار وقال له : ان الله سيمنح فتحا عظيما لرجل من ثقيف عند المزار . فظن انه هو ولكن كان ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي في قتاله مع عبد الرحمن بن الأشعث «ابن الاثير» .

ورجع عباد وأخبر مصعبا(١) ، فقال له ارجع فاحمل عليهم . فرجع وحمل على أحمد بن شميط وأصحابه والتقى كل قواد مصعب أثر عباد وعسكروا عليهم كرة صادقة ، فولى جيش المختار الأدبار ، وقتل أحمد ابن شميط . فأصدر مصعب أمره إلى عباد أن يتعقبهم بالخيل وأيما أسير يأخذه فيضرب عنقه . وكان محمد بن الأشعث أشد على المنهزمين من أهل البصرة إذ لايدرك قومه أسيراً إلا قتلوه . فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من الخيالة ، وأما الرجالة فمابيدوا إلا قليلا . فسمع المختار خبر الهزيمة التي أصابت جيشه وموت قائده فقال « ماس الموت بد ، وما من ميتة أموتها أحب إلى من أن أموت ميتة أحمد ابن شميط(٢) » .

أما مصعب فإنه سار خلف المنهزمين في البر والبحر الفراتي وتعقبهم في نهيراته بالسفن حتى أدركهم واستأنفوا القتال وكاد أصحاب المختار أن ينتصروا حتى بادوا مكان القائد العام (مصعب) فجثا على ركبتيه(٣) ، وبرك الناس

---

(١) كان يود ابن شميط أن يوقع الخلاف في صفوف جيش مصعب بالمناوشات والمجادلات التي لانهاية لها إلا القطاع الشقاق والارتباك ، وربما انضم بعض رجاله الى دعوة المختار ، الذي كان يدعو للامام محمد بن الحنفية والذي لو حضر الواقعة لبايعوه جميعهم ، ولكن فطن مصعب للتحكيم وقد اختبره في واقعة صفين أمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابى سفيان ولذلك ضرب برأى ابن شميط عرض الحائط ، فإذا استشار الصارم الذكر وحصل الحكم له فيما شجر بينهم في الخلاف ولو لم يتذرع بالحزم والشدة لاستقصموه .

(٢) هذه العبارة لازالت شائعة بين عموم قبائل اقليم البجة بشرق السودان ولهم فيها اشعار كثيرة وحالما يبرك الرجل منهم يقول ما معناه أما فلان فقال الحيش .

(٣) تاريخ ابن الأثير .

حوله فقاتلوا وكروا على أصحاب المختار فحطموهم وهزموهم . وفي صباح اليوم التالي خرج مصعب ليتفقد جيشه فقابله المهلب وقال له « يا له فتحا ما أحسنه ولو لم يقتل محمد بن الأشعث » قال مصعب صدقت . وكذلك استشهد عبيد الله ابن علي بن أبي طالب وكنت أحب أن يشهد هذا الفتح . أتدري من قتله ؟ قال : « لا » قال قتله من يزعم أنه شيعة أبيه (أهل الكوفة) ثم أمر قواده أن يضربوا نطاقاً شديداً في الحصار حول قصر المختار لئلا يتسرب إليهم الماء والطعام . فخرج إليهم المختار في عشرين رجلا بعد أن حض أصحابه على الاستبسال في القتال ، وتطيب وتحنط وقاتل حتى قتل . وسقط في أمر مصعب كل من كان في القصر فأراد إطلاق العرب وقتل الموالي فأبى عليه ذلك صحبه . فأمر بقتلهم وجيء إليه بجير السكي فقال لمصعب : « الحمد لله[1] الذي ابتلانا بالأسر وابتلاك بأن تعفو عنا ، هما منزلتان إحداهما رضاء الله والأخرى سخطه . من عفا عفا الله عنه وزاده عزاً ، ومن عاقب لم يأمن القصاص . يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم ، وعلى ملتكم ، ولسنا تركاً ولا ديلماً . فإنما خالفنا إخواننا من أهل مصرنا . فإما أن يكن أصبنا أو أخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم ، ثم اجتمعوا ، وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا . وقد ملكتم فأسجحوا ، وقد قدرتم فاعفوا[2] . فرق مصعب لكلامه وأراد أن يخلي سبيلهم جميعاً ووافقه الأحنف .

ولكن قام عبد الرحمن بن محمد الأشعث واعترض ما اعتزم عليه الأمير وقال له : ــ اخترنا أو اخترهم . وقال أشراف الكوفة مثل قوله . فأمر مصعب

---

(1) تاريخ ابن الأثير .

(2) تاريخ ابن الأثير .

بقتلهم. ولما قتلوا قال الأحنف لأهل الكوفة: «ما أدركتم بقتلهم ثأراً». وأرسلت عائشة بنت طلحة (امرأة مصعب) إليه في العفو عنهم، فوجدهم الرسول قد قتلوا. وجيء إلى مصعب بامرأة المختار (أم ثابت بنت سمرة) وعمرة بنت النعمان فسألهن عنه فقالت الأولى نقول فيه بقولك أنت فأطلقها. وقالت الثانية «رحمه الله كان عبد الله صالحاً»[1]، فحبسها. وكتب بقولها إلى أخيه أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير فأمر بقتلها فقتلت ليلا. فبلغ الخبر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فهجا الزبير بأبيات منها:

ألا هنّأتْ آل الزبـــــير معيشة ... وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب

كأنهمُ إذ أبرزوها وقطّعت ... بأسيافهم فازوا بمملكة العرب

وقال عمر بن أبي ربيعة:

إن من أعجب العجائب عندي ... قتل بيضاء حـــرة عطبول

قتلت هكذا على غير جرم ... إن لله درها من قتيـــل

كتب القتـــل والقتال علينـــا ... وعلى الغانيات جر الذيول

---

(1) قيل ان المختار كان لايوافق له على رأي، وكان خارجيا، ثم صار زبيريا، ثم صار رافضيا، ثم ادعى النبوة، وان جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحي من عند الله سبحانه وتعالى. وكان له كرسي ادعى انه مثـــل تابوت بني اسرائيل. وكانوا يحملونه على بغل اشهب، ومر عليهم ابراهيم ابن الأشتر وهو سائر لقتال عبيد الله بن زياد وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم الى السماء يدعون الله. فقال ابراهيم له لاتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. هذه سنة بني اسرائيل اذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا. وسار هو الى مقصدة. ومتفق على ذكره لانه من رجال مصعب الذين استشهدوا ولم ينكثوا بيعته او يخونوا عهدة وميثاقه.

وبعد موت المختار دانت أرض العراقين لابن الزبير ، وخضعت لسلطانه بفضل همة أخيه فتى قريش مصعب بن الزبير صاحب الآراء السديدة والسياسة الحكيمة التي سار عليها مع شعب مثل أهل العراق . ولما دخل مصعب الكوفة جئ إليه بعبيد الله بن الزَّبير[1] الشاعر فقال له مصعب : « أيه يا ابن الزبير (بفتح الزاى) ألست القائل :

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله ... تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال : « نعم أنا القائل لذلك وأنا الحقير المؤتى العذر ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع » فقال : « أما أنا فما أصنع بك إلا خيراً أحسن إليك قوم فأحببتهم وواليتهم ومدحتهم » . ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً . فكان بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره . وعمل مصعب هذا هو منتهى التعقل إذ قلوب الرجال وألسنتهم لا تكتسب إلا بالفعل الجميل (فطالما استعبد الإنسان إحسان) . وجاءه عمرو بن جرموز (قاتل أبيه الزبير ابن العوام) حتى وضع يده في يده فألقى عليه القبض وقذف به في السجن وكتب إلى أخيه عبد الله يذكر له أمره . فرد عليه عبد الله بئسما صنعت . أظننت أني أقتل أعرابياً من بني تميم بالزبير . خل سبيله . فأطلقه مصعب وهو يعلم أنه قاتل أبيه فجعل المرجع في كل أمور الدولة إلى أخيه الأكبر صاحب السلطة العظمى والمسئول أمام الله عما يأتيه عماله .

ودخل عليه ذات يوم عبيد الله بن قيس الرقيات (شاعره) فأنشد أبياتاً منها :

---

(1) الأغانى .

على بيعة الإسلام بايعن مصعبا كراديس من خيل وجمعا مباركا
تبـارك أقرانا ويمشى أمامنـا ونتبع ميمون النقيبة ناسـكا
إذا فرغت أظفاره من كتيبه أمال على أخرى السيوف البواتكا

ولما استولى مصعب على الكوفة كان إبراهيم بن الأشتر على الموصل والجزيرة ، فكتب إليه مصعب يدعوه إلى طاعته ووعده بولاية الشام وأعنة الخيل ، وأعطاه عهد الله على ذلك ، وكان قبله قد كتب إليه عبد الملك ابن مروان يعرض عليه ولاية العراق ، فنظر فى كلا الدعوتين ، وقبل دعوة مصعب وسار إليه . وبعث مصعب على عمله المهلب ابن أبى صفرة وعين سائر الولاة على بقية الأمصار التى أخضعها لسلطان أخيه ، وقام عاملا لأخيه على العراقيين ، فسعى سعاة السوء بينه وبين أخيه حتى أوغروا صدره عليه وأفهموه أن مصعبا يريد أن يستقل بملك العراقيين ، وأنه ينشر الدعوة لنفسه ، فعزله عن عمله فى أواخر سنة ٦٧ هـ ، وولى مكانه ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير الذى كانت ولايته على المصريين كبيرة عليه فعجز عن إدارتها ، فاضطر أبوه أن يرسل مصعبا واليه على الكوفة ، وترك ابنه حمزة عاملا على البصرة فوقع خلاف بين الأخير وأهل البصرة ، فكتب الأحنف بن قيس إلى أبيه بضعفه وسوء تدبيره ، فعزله ورد البصرة إلى مصعب ، فارتاح أهلها بولايته عليهم حتى أن وفدهم لما سار إلى الحجاز (مكة المكرمة) سنة ٦٩ هـ سألهم عبد الله ابن الزبير عن مصعب فقالوا له : — أحسن الناس سيرة ، وأقضاهم بحق ، وأعدلهم فى الحكم ، فصعد المنبر وقال

« أيها الناس إنى سألت الوفد عن مصعب فأحسنوا الثنا عليه وذكروا ما أحبه ، وإن مصعبا أطبى القلوب حتى ما تعدل به ، والأهواء حتى تحول

عنه واستعمال الألسن بثنائها ، والقلوب بنصحها ، والنفوس بحبها ، فهو المحبوب في خاصته ، المحمود في عامته ، ما أطلق الله به لسانى من الخير ، وبسط يده من البذل » ثم نزل .

في سنة ٧٠ هـ شخص مصعب مكة المكرمة حاجاً ومعه رؤساء أهل العراق وأشرافهم ، وقدمهم إلى أخيه قائلا له : « يا أمير المؤمنين قد جئتك بسادة العراق الذين سارعوا إلى بيعتك ، وقاموا بإحياء دعوتك ، ونابذوا أهل معصيتك ، وسعوا في قطع دابر عدوك ، فأعطهم من مال الله » فأجابه عبد الله : « جئتني بعبيد أهل العراق وتأمرني أن أعطيهم مال الله[1] ، لا أفعل . وايم الله لوددت أني أصرفهم كما صرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل[2] ، من أهل الشام » فأجابه أحدهم : أتدرى يا أمير المؤمنين أن مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كما قال الشاعر :

علقتها عرضاً وعلقت رجلا غير ... وعلق أخرى غيرها الرجل

« أحببناك نحن ، وأحببت أنت أهل الشام عبد الملك بن مروان » . ثم انصرفوا عنه بعد أن يئسوا من نواله ، واعتزموا على خلع بيعته ، ومخابرة خصمه عبد الملك بالوفود عليه . وأما مصعب فلم يسعه إلا الامتثال لأمر أخيه . ولو أنه كان شاعراً بالخطر الذى أضمروه بسبب بخل أخيه فاستمر في مقصيه

---

(١) نسي عبد الله بن الزبير ان لا سلطان الا بالرجال ، ولا رجال الا بالمال — «المثل» .

(٢) كان عبد الله بن الزبير يرى عدم ثبات العراقيين على البيعة والعهد ، اذ ان كثرة الحروب والطوائف المتفرقة لم تجعل لهم حالا يستقرون عليها .

ورأى التخلى عن أخيه فى مثل هذا الوقت العصيب الذى تألب عليه فيه الخصـوم ليس من المروءة التى اتصف بها أو الشهامة التى تحلى بها منذ صباه .

أما عبد الملك بن مروان فإنه انتهز فرصة غياب مصعب بمكة المكرمة ، وأرسل أحد رجاله (خالد بن عبد الله) لينشر له الدعوة بالبصرة وليأخذ من أهلها البيعة . فنجح فيما انتدب له . وانقسم أهل البصرة إلى زبيرية ومروانية ، واقتتلوا ثم تهـــادنوا واتفقوا على إخراج خالد قبل عودة مصعب فخرج .

عودة مصعب إلى البصرة

لما سمع مصعب بما حدث من بعده عاد مسرعاً وأنزل العقاب على كل الذين مكنوا لبيعة أخيه ، واستعمل معهم ضروب الشدة حتى تظاهروا بالهدوء والسكينة ، وأرسلوا إلى عبد الملك ليقدم عليهم بجيشه فلبى الدعوة وجمع جنوده وقادها بنفسه ولما أراد السير دخل على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فقالت له : « يا أمير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأى أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه » . فأجابها : « لو وجهت أهل الشام كلهم(1) وعلم مصعب أنى لست معهم لهلك الجيش كله ثم تمثل :

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواكب

فبكت عاتكة وجواريها فقال لها : « قاتل الله كثير عزة لكأنه يشاهدنا

---

(1) كلما أرسل عبد الملك جيشا الى مصعب هزمه وشتت شمله حتى اشتد عليه وضعفت الروح المعنوية فى جيشه .

حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم تَثْنِ همه ... حَصَانٌ عليها عقد دُرٍّ يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه ... بكت وبكى مما عناها قطينها

وسار عبد الملك بجيشه ميمما العراق وعلى مقدمته أخواه محمد وبشر حتى نزلوا دير الجاثليق (بين الشام والعراق).

ولم يكن مصعب أقل همة أو طموحاً من عبدالملك ، فإنه جمع جنوده وجعل على مقدمتها إبراهيم بن الأشتر حتى بلغوا معسكر الرواق ، فعند ذلك دب دبيب الغدر والخيانة بين رؤساء جيش مصعب وكاتبوا عبد الملك يمنوا إليه ، (إلا إبراهيم ومسلم الباهلي) وهم نيف وعشرون رئيساً . فرد عليهم بالعطاء الجزيل والولايات التي سأل عليها أغلبهم حتى حادوا عن سبيل شرف المبدأ والثبات على العهد .

وقد أرسل عبد الملك كتاباً إلى إبراهيم فأتى به إلى مصعب مختوماً ، فقرأه فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال له مصعب «أتدري ما فيه» قال : — «لا» قال : «يعرض عليك ولاية العراق» . فقال إبراهيم : «وما كنت لأتقلد الغدر والخيانة» وقد كتب لأصحابك كلهم مثل الذي كتبه إلى فأطعني واضرب أعناقهم قال : «لا يناصحني عشائرهم» قال : فأوقرهم حديداً أو احبسهم في أرض كسرى» . فقال : «إني لفي شغل عن ذلك . رحم الله أبا بحر[1] إن كان ليحذرني غدر أهل العراق»

---

(1) هو الأحنف بن قيس المشهور بالحلم ورجاحة العقل ، سئل مرة من أين اقتبس حلمه فقال من قيس بن عاصم «رسالة ابن زيدون شرح ابن نباتة» .

فلما تدانى العسكران خرج عبد الملك ودنا منه مصعب ، فعرض عليه عبد الملك ولاية العراقين من قبله وأن يغدر بأخيه وناشده بالأخوة والمودة .(1) فأجابه مصعب بأنه لن يتخلى عن أخيه وإن كان معاوضاته لتجنب القتال لا تعدى قدما . (2) ورجع كل منهما إلى جيشه ثم بدأت المناوشات وهجم الزبيريون وانهزم الأمويون وحال الليل دون استمرار القتال ، وفى اليوم التالى اشتد القتال ومال أكثر أهل العراق إلى جيش عبد الملك حتى إن أحد قوادهم (عتاب بن ورقاء) قتل إبراهيم بن الأشتر ، وانهزم جيش مصعب حتى بلغوا معسكره .

مقتل مصعب وابنه

فلما رأى مصعب ما أصاب أصحابه دخل على زوجه سكينة ابنة الحسين بن على ، ونزع عنه ثيابه ولبس غلالة وتوشح بثوب وأخذ سيفه . فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع . يقول عنها أحد الأدباء وقفت سكينة بين الدمقس والحرير تصلح صورتها التى ابتدعتها حتى تسبت إليها وعليها رداء معصفر فضفاض ينفح منه الطيب فيملأ الجو حينما دلفت إليها وصيفتها وأسرت إليها أن سيدها مصعبا دخل إلى غرفته . فمرت تتهادى إلى حيث زوجها الذى كان يتقدم على رؤوس الحراب فى طلب المجد فرأته واقفا بقامته الشماء ، وقد لبس غلالة وتوشح بثوبه وأخذ سيفه . فصاحت من خلفه وقالت : واحزناه عليك يا مصعب . فالتفت إليها فرأى فى عينيها الساحرتين ما كانت تخفيه فى قلبها

---

(1) فقد كانا صديقين منذ ثلاثين عاما .

(2) لأن كلا منهما خرج لتوحيد الامارة لرهطة فاما زبيرية أو أموية ، بعد استخلاصها من خصمه .

فعرجها وقال : « أوَ كلُّ هـذا الحب فى قلبك ؟ » فقالت : « أى والله وما كنت أخفى أكثر » . فابتسم وقال « لو كنت أعلم أن هـذا كله لى عندك لـكانت لى ولك حال » . ثم ألقى آخر نظرة على البيت الذى يحبه والشخص الذى يهواه ، وانفلت من بين يديها وخرج والابتسـامة لم تفارق ثغره . فأتبعته بنظرها حتى توارى شبحه من خلال دموعها ، ثم اختفى وراء الأفق حيث سار إلى المعركة الفاصلة وضاح الجبين ، لم يكترث لقولها الذى كاد أن يثنيه عن أداء واجبه . ولولا تذرعه بالحزم واتصافه بالشهامة وعلو الهمـة لما ذهب قولها جزافاً . وكان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر :

ألا إن الأُلى بالطف من آل هاشم[1] تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

فتقـدم مصعب بهذه القبيلة ، فتلقاه ابنه عيسى وقال له : يا أبت إن القوم سيقتلوننا ، فإن أحببت أن تأتيهم ، وقد عرض علينا محمد ابن مروان الأمان لما شاهد خذلان جندنا . فقال له : والله لا تتحدث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك ، فاذهب أنت ومن معك إلى عمك ودعنى فإنى مقتول[2] فقال عيسى لا أحدث عنك قريشاً أبداً .. فقال له : إذن تقـدم أمامى حتى أحتسبك فتقدم حتى قتل ، وقاتل مصعب حتى كثرت جراحه وكلت يده من

---

(1) لما رفض الحسين بن على النزول على حكم عبيد الله بن زياد قاتله حتى استشهد هو واخوانه العباس وجعفر وعبد الله وعثمان وابو بكـــر ومحمد الاصـغر . وقال احد الشعراء يرثى ابراهيم بن الاشتر .

فعش مثلك أمس خذلتـه لامره فما خان ابراهيم فى الموت مصعبا

(2) الحقيقة انه شعر بقتله يوم رفض أخوه عبد الله ان يعطى اصحابه من دنانير بيت مال المسلمين .

الضرب بالسيف . وهجم عليه عبيد الله بن ظبيان فسبقه مصعب بضربه بسيف على البيضة فنشب فيها ، فجعل مصعب يقلب السيف ولا ينتزع منها . فخرت قواه . ثم جاء رجل من خلفه فقتله . فحمل ابن ظبيان رأسه ورأس ابنه عيسى إلى عبد الملك فسجد شكراً لله . ولما رفع رأسه قال للقاتل لولا منيتك لألحقتك سرساً به إذ كانت الحرمة بيننا قديمة ، ولكن الملك عقيم وأنشد شاعر الشام (يزيد بن الرقاع) :

ونحن قتلنا ابن الحوارى مصعباً أخا أسد والمذحجى اليمانيا

ولما بلغ خبر وفاته زوجته سكينة بنت الحسين قالت ترثيه :

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذى يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية إلى القوم حتى أوردوه حماما

قيل أن مصعبا لم يبق معه إلا سبعة رجال . وجاء إليه كاتبه (ابن أبي فروه) وقال له : جعلت فداك قد تركك القوم ، وعندى خيل فاركبها وانج بنفسك . فدفعه فى صدره وقال « ليس أخوك بالعبد يحاول هرباً من القتال » .

وبوفاته انتهت الوقائع والحروب بين العراقيين والشاميين .

بعد وفاة مصعب

استولى عبد الملك على أرض العراقيين ولم يبق لابن الزبير إلا الحجاز . وطار خبر وفاة مصعب إلى مكة المكرمة فصعد أخوه عبد الله ذات يوم المنبر والكآبة بادية على وجهه ، والعرق يرشح فى جبينه ويحمر تارة ، ويصفر تارة ، وهو صامت لا يتكلم ، حتى قال أحد الحاضرين لجاره : ماله لا يتكلم ، أتراه

يهاب المنطق ، والله إنه لخطيب الأبيب[1] ، فما تراه يهاب ؟ قال « أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب » ثم قال خطبته المشهورة[2] .

وأولها « الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة يعز من يشاء ، ويذل من يشاء الخ - إلى أن يقول أن أهل العراق أسلموه (مصعب) وباعوه بأقل ثمن - لئن قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار الصالحين . إنا والله ما نموت حتف أنوفنا . ما نموت إلا قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف . والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم رجل في جاهلية ولا في إسلام قط . ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه . فإن تقبل الدنيا علي لا آخذها أخذ الأشر البطر وإن تدبر عني لا أبكي عليها بكا الضرع المهين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

فقام رجل من بني أسد وأنشد :-

لعمرك إن الموت منا لمولع وكل فتى رحب الذراع أريب

بان يك أمسى مصعب نال حتفه لقد كان طب الود غير مريب

---

(1) هذا ما حدث للمرحوم سعد باشا زغلول يوم تأبين أخيه فتحي زغلول باشا .

(2) قتل لعبد الله بن الزبير ابن عمر من قبل الحجاج . فقال شمس الشيخ ان في الاسلام اذا ولقد قتلت قوما فقتلوا ثم عوبت عن مثل مصارعهم + وقد قتل معه في مكة المكرمة ابنة الزمير . وأما والده الزبير فقتل بوادى السباع في حرب الجمل . أما جده العوام فقد قتل في حرب الفجار ، وخويلد في حرب خزاعة .

جميل المحيا يوم ألقى غريبه — وإن عضه دهر مبير رهوب

أتاه حمام الموت وسط جنوده — فطاروا سلالا واستقل بلحوب

ولو صبروا نالوا حياة وكرامة — ولكنهم ولوا بغير قلوب

وختم حياة هذا الشهم شهيد الوفاء والبسالة كما قيل فيه من الأعداء والأصدقاء.

قيل أن عبد الملك بن مروان سأل جلساءه: من أشجع الناس؟ فأكثروا في ذكر الشجعان، فقال لهم: أشجع الناس مصعب بن الزبير إذ جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد ابن عبد الله بن العباس. وولى العراقين ثم زحف إلى الحرب فبذلت له الأمان والحباء والولاية والعفو عما خلص في يده. فأبى قبول ذلك واطرح كل ما كان مشغوفا به من مال وأهل وراء ظهره. وأقبل بسيفه يقاتل ما بقى معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريما حتى تغدو قريش بكريم مثله.

حمى نفسه أن يقبل الضيم مصعب — فمات كريما لم تذم خلائقه

من أقوال مصعب المأثورة

التواضع من مصائد الشرف. فالناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون. فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنك لا تسمع منهم إلا مختارا.

هم المانعون الجار حتى كأنما — لجارهم بين السماكين منزل

بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن — كأولهم في الجاهلية أول

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا   أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

لقد عرضنا من تاريخ حياة أحد قبائل البجة الشمالية (كما ذكرنا) عن طريق هجرة العرب ، والأسباب التي اضطرت هذا العنصر العربي على استيطان القطر السوداني السعيد ، أما عن الأبناء والأحفاد الذين تتألف منهم القبائل فيرونه آخرون إذ لا يمكننا حصر ذلك بدقة لأنه كما قال من سبقونا من المؤرخين أمثال زيدان ، حيث قال : ـ فنجد في بعض القبائل قلة عدد الآباء أو حذف بعض الأجداد بسبب النسيان أو تشابه الأسماء ، وأحيانا تنتمي القبيلة إلى زعيمها المشهور . والقبائل السبع التي ذكرناها أطلق عليها أسماء منشئيها إلا الأخيرة (عامراب) التي هاجر جدها عامر مبتعدا من مجاورة أخيه عمار وأطلق عليه اسم درق . وهو الدرق الذي كانت تضعه ذريته في أعناقها لتميز نفسها عن وثني أرض الحبشة الساحلية .

ونحن في كتابنا عن قبائل البجة (شرق السودان) نعتمد الأنساب التي يقدمها لنا أصحابها ، وندون ما يؤيدها مما لدينا من المراجع . لأن بعض هذه الأنساب وجدناها مكتوبة في أوراق بالية ، وبعضها وصلت إلينا من نسابي ومؤرخي القبائل الذين لا تخلو منهم أي قبيلة ، بل في بعضهم كثيرون من القراء يحتفظون بالأنساب في طي مصاحفهم ، وبعضهم يحفظه عن ظهر قلب ، وبعضهم ينشده لك وقد نظمها أحد أجدادهم ، ويصف كل جد بما اشتهر به كما فعل شعراء الحباب والعجيلاب .

وفي عموم قبائل البجة يندر التسمية باسم المرأة وذلك لا يكون إلا في أبناء الرجل الذي يتزوج بامرأتين أو ثلاث ، فلدى البشاريين أم ناجي وأم علي وهذا نظام سارت عليه القبائل العربية .

فقد كان لأمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثلاثة أولاد باسم محمد من ثلاث أمهات محمد الأكبر وأمه خولة بنت جعفر من بني حنيفة ، ويسمى محمد بن الحنفية ، وكان يقال لابن هارون الرشيد محمد الأمين ابن زبيدة .

وفي بعض القبائل نجد رجالا يلقبون بأسماء أو صفات فتختفي الأسماء الأصلية وتبقى الألقاب(1) .

وهذا كثير جدا في قبائل البجه ، وأحيانا يترجمون الاسم العربي إلى البجاوي إذ أنهم لا يحسنون النطق العربي فهذا أحمد (ماركوين) جد الهدندوة سمى ابنه جعفر الطيار وسمته البجه كيلاى Kilai وتعريبها طائر . وكذلك والده واسمه محمد فلعظم مكانته لدى البجة لقبوه بلقب وهدأ Wehada الزعيم أو الناظر وهو الذى أوجد القبيلة ولذلك سميت إليه فقيل هدادوه(2) كما وأن لفظه « أوكير » وتعريبها الخير وكلمة كيبو تعريبها الخضر .

لما استولى الخديوى محمد على باشا على السودان ١٨٢٠ غيَّر لقب ملوك جميع الممالك السودانية الصغرى وأطلق على هؤلاء الملوك لقب ناظر ، فقيل لملك بني عامر ناظر بني عامر ولملك الهدندوة ناظر الهَدَنْدَوَة . وهكذا ألغيت

(1) فكان يقال لسيدنا حمزة بن عبد المطلب : أسد الله . وفي الهدندوه رجل شجاع مطاع بين القبائل ضاع اسمه ونسى لقبه وهو : هـداى دوم Hadai Doum هجم بعصابته حوالى ١٨٤٢م على عزوز رجب واحترق منازل الجيش المصرى التركي ونهب وغنم خيل فرسان المغاربة الذين كانوا معسكرين فيها انتقاما للشيخ الناظر وهدأ محمد دين وعقبه موسى بن الهمتكتاب الذى اعتقل بالخرطوم وماتوا هناك بالجدرى .

المملكة وبقيت النظارة . وصار الناظر (الفير حازم) لأنه الأسباب ضمه المفتش ، أصغر مفتش ، في السجن مهما حل من الرتب والنياشين .

أمارأر

هي إحدى قبائل إقليم البجة التي تسكن بين المشاريين والهدندوة ، وتنقسم إلى عائلتين كبيرتين إحداهما من ذرية عمار ابن محمد بن كاهل وهم من الزبيرية الذين اتخذوا جبل أكرارب Akra - Ribi مسكنا لهم . وأمارأر هذا عنده أنجال تألفت منهم الأمارأر هم :

١ — فاضل ٢ — نفيل ٣ — رغيب ٤ فهد (فهيض)

٥ — عامل ٦ — محمد ٧ — سعد .

فمن الأول تألفت قبيلة الفاضلاب :

تطلق الفاضلاب على ذرية فاضل بن عمار ، وهذا له ولدان هما حافظ وقد انقرضت ذريته ولم يبق منها إلا حصة صغيرة تسكن وادي الكتيره Lakatto وأمور Amour وقليل منهم في عقامت Aoamat والثاني من أبناء فاضل : الأولى عائلة : إيدنيب Eidaneib ويسكنون جبل أكراربای Akra-Ribai (١) ، والثانية عائلة حمدایاب Himmadayab (٢) وهم أكثر حصة في عدده (٣) . الفاضلاب وهم بيت الرئاسة ، واشتهر منهم بعض الرجال بالكرم والشجاعة وحب الخير حتى انتمت منهم كل قبائل الأمارأر

---

(١) وتعريبها الجبل الموي .

(٢) الحمداب .

(٣) عمومية .

والأتمن Atman[1]، وأشهرهم الشيخ محمود بك علي وأولاده أمثال محمد دَرَب كاتي Darabkati والشيخ نقر[2] ، (بغيل) والشيخ آدم رحمه ، والشيخ أبو حوة محمد سعدون .

محمود بك علي

لا أدري من أي النواحي أستكتب عنه لأن كل أعماله تمثل البطولة والشهامة لاسيما وأنه نشأ في عصر كثرت فيه المشاغبات والحروب وخصوصا الحرب الاستقلالية (التي أعلنها الإمام محمد أحمد المهدي) والتي تولى قيادتها في شرق السودان الأمير عثمان دقنه .

وكان محمود بك علي عالي الهمة يريد أن يتخلص من رئاسة ناظر الأتمن محضر واقعة سنكات يوم أول عيد الفطر سنة ١٣٠٠ هـ ، وإليه يرجع أكثر الفضل في رحيل أكثر المصطفين بسنكات إلى مدينة سواكن عن طريق قبائل الأمارأر ، وهذا طريق بعيد وشاق ولكن الناس تحملوه خشية أن يقعوا في أيدي المندوبة الذين بايعوا ابن ابنتهم الأمير عثمان دقنه لئلا يغنموهم . وقد كان الإتفاق بينه وبين محمد بك توفيق[3] ، على فصله من نظارة الأتمن واعطائه نظارة منفصلة عنها .

---

(١) أو العثمانيون أي أبناء عثمان بن الشيخ عجيب المانجلوك .

(٢) اجتمعت به وهو كهل فلقيت منه اكراما كثيرا وكذلك ابن أخيه الشيخ علي شيك درب كاتي .

(٣) أرسل ابنه علي محمود مع توفيق للاشتراك في واقعة تيب فقتل علي . . . واستاء والده وتنكر للمهدية والأمير عثمان دقنه .

ثم جاء سليمان باشا نيازى حكمدار شرق السودان ، فاعترف له بذلك وطلب منه ألا ينضم لمطاردة الأمير بأركويت إذ كانت ضالعة مع الأمير لأن زعيم الأمرأر في تلك الجهة تابعاً للطريقة القادرية التى يتزعمها الشيخ الحسن ابن عاشق الذى اشترك فى فتح الخرطوم وفى قتل الجنرال غوردون .

فانضم الشيخ محمود على إلى الحكومة ودخل بأهله مدينة سواكن وناصب المهدية العداء ، واعتمدت عليه الحكومة فى كل حركاتها كما أنعمت على أنجاله برتب الضباط الحربية ، وأعطتهم قيادة الخيل والجمال للاستطلاع ومعرفة أحوال معسكر الخصوم(1) . ولكنهم لم ينجحوا تماما . وهذه سنة الله التى فطر عليها عموم قبائل البجة فإنها يستحيل أن تكون عوناً على بعضها أو تتحد مع أى خصم أجنبى ضد أى قبيلة بجاوية أخرى ، فتندمج القومية البجاوية . لا يمكن أن يتساهلوا فيها ، وما عداها من المسائل مثل العقائد والحرمة والطائفية والجهاد مكانها فى الدرجة الثانية . فإذا امتهنت كرامة أى بجاوى (ولو كان من قبيلة معادية لهم ولقبيلتهم) فإن كل البجة يقفون فى صفه ويهبون للدفاع عنه ، وهم لا يعترفون إلا بعصبيتهم الفعلية . انظر إذا نشب قتال بين عائلتين من قبيلتهم يقفون على الحياد ، ويمنعونهما من القتال ولو ماتوا بينهما ، وإن كانتا قبيلتين فتأتى الثالثة للصلح والتوفيق ولا تنحاز لأحداهما . وإذا جاءت الحكومة أو قبيلة لا تنتمى إلى البجة فإنهم يتحدون ويتآلفون مع إخوانهم ، فإذا لم يفعلوا ذلك مع الحكومات السابقة فلأنهم لم تقع عليهم يد إخوانهم وكذلك القبيلة الأجنبية (مثل الرشايدة وغيرها) عن جاورهم من متكلمى العربية .

(1) كثيراً ما علموا عن أماكن قصف الأنصار فكانوا لا يرشدون أو يتخلفون عنها .

انظر إلى هؤلاء الحكام حتى المفتشين منهم قضوا هذه السنين الطويلة وطافوا كل الجبال والسهول والوديان والمضايق والكهوف ورأوا ما فيها من الآثار ولكنهم للآن لا يعلمون عن حقيقة أحوال قبائل البجه وعاداتها وشئونها الداخلية ولقد اخذ على كثيرون من المستشرقين مكنت أرى من واحد بصدق دعاوى أن لا أطلعهم إلا على القشور التى لا مضرة من نشرها أو معرفتها. كما وأنه توجد بعض عادات لا تخلو من آثار فضطر لإخفائها لأنها موجودة فى أحسن المواضع.

القاضلاب

للشيخ محمود بك على زعيم القاضلاب مواقف تمثلت فيها الشهامة بكامل معانيها أشهرها يوم أن استجار به قاتل، والشيخ لا يعلم شيئاً عن أهل القاتل والمقتول، فقال المستنجد: «إنى قتلت ابن عمى وجئت إليك كى تحمينى من أهله الذين يتعقبون أثرى».

فقال له «لا بأس عليك أنت آمن عندنا». وأرسله مع ابنه إلى مكان خفى وقال له احتفظوا به.

فلما جاء أهل القتيل قابلهم بحفاوة وترحاب، وأكرمهم جداً. ولما قدم لهم الطعام لم يأكلوا، فقال: - «إلا تأكلون» فقالوا نحن جئنا خلف قاتل وعلمنا أنك أجرته فنريد منك أن تسلمنا إياه أولا. فقال لهم: - «اطمئنوا وسأسلمه لكم ليلا، وأجعله فى مكان كذا، وأربطه لكم بحبل فى الشجرة». فارتاحوا لكلامه إلا شخصاً منهم. وأكلوا الطعام وأخذوا قسطهم من الراحة ثم ودعوه. فلما جاء الليل ذهبوا إلى الشجرة فوجدوا فيها شخصاً ملفوفاً

فى ثياب مربوطا فى الشجرة ربطا محكما . ، فأرغموا القتلة إلا ذلك الشيخ بأنه قال لهم . انتظروا حتى نتبين حقيقة شخصيته . فأطلقوا منه الحبال ، ثم كشفوا عن وجهه فوجدوه البكباشى محمد كرب كاتى ابن محمود بك على ، وبهتوا وتحيروا من وراء الرجل المستنجد به . واستعاروا للعار الذى كان ينتظرهم بين القبائل إذا قتلوا ابن الرجل الذى أكرمهم وقادتهم وأحسن مقابلتهم . فأطلقوا سراح محمد درب كاتى الذى قال لهم ، اقتلونى بقتيلكم فإن أبى اختارنى لأكون الفداء . فقالوا لا شأن لنا بقتلكم وبقاتلنا . هيا قم معنا إلى والدك . فلما اجتمعوا به شكروه جدا وتنازلوا عن أخذ الثأر وقبلوا منه الدية . وكساهم ثيابا وأعطاهم زادا يبلغهم أهلهم . ولو لم تكن لمحمود بك على غير هذه الخاصلة لكفى .

وبذل مجهودا جبارا لدى ولاة الأمور حتى يكون منفصلا بنظارته تبعا لمديرية البحر الأحمر وكسلا وأن تكون نظارة الأتمن تابعة لمديرية بربر لأن عاصمتهم (أرباب) قريبة من بربر .

فكانوا يمدونه بالوفاء طالما تنتهى المهدية ويعود السودان كله للعهد القديم . وله موقف آخر وهو يوم سفر الأمير عثمان دقنه إلى كسلا عقب وفاة الإمام محمد أحمد المهدى ١٨٨٥ م ومعه جيشه الجرار لقتال الحبشة وإعلان وفاة المهدى . ولم يبق معه غير بعض الجنود والنساء والأطفال . وعلم كتشنر باشا بذلك فهجم واستاق النساء والأطفال إلى سواكن ، وقال إن هذه غنائم سنبعث بها إلى مصر فى الباخرة القادمة . فتصدى له الخليفة الصافى من أهل سواكن ، وكذلك محمود بك على وقالا لا نسمح لك بإخراجهن بتاتا لأنهن إخواتنا وبناتنا : فإما أن ترسلنا جميعا أسرى أو تتركهن . فاستاء من

موضعهما واتصل بمصر . فصدرت إليه التعليمات من اللورد كرومر أن يسلمهن لأهلهن . ووصلا ارحمن بواسطة أماوسون إلى معسكرين سالمات .

ولولا أن عملت القومية التجارية لسواكن وسدحت ، لسالت دماء بين أهل سواكن والجيش .

وعلم كتشنر أن لا اعتماد على أي تجاوي ضد أخيه التجاوي وذلك استناداً من أبناء محمود بك على وموقفهم الذي وقفوه بعده في حادث الهدا فحدث بينهم خلاف — خرجوا على أثره من سواكن وانضموا لجيش الأمير عثمان دقنه ، فاستقبلهم بترحاب واحتفال عظيم ، وضرب لهم النحاس أسبوعا كاملا في هندوب ، ثم سلمهم إدارة بلاد الأمارار وقيادتها الحربية ونقل الأمير قيادته إلى توكر .

وبعد أعوام اعتقل المدير الشيخ محمود بك على لأن أولاده أقلقوا راحة الجيش في ضواحي سواكن وقتلوا بعض الجنود والفرسان والخيل ولما أطلق من السجن قال للناس لا صداقة للحاكم ، إنهم كما رأيتم اعتبرونا نحن الذين قاتلنا معهم الأمير عثمان دقنه ، أعداء لهم . والحقيقة إننا نحن البجة يجب أن نقف صفا واحدا ضد أي أجنبي . ثم ألقى القبض على الخليفة العاشي وأرسل معتقلا إلى مصر أيضا لأنه دامع من النساء والأطفال(1) .

---

(1) بعضهم يتهم آدم زهرة «جهره» بسرور خطاب ضد الخليفة . ويتهم هذا كل بعده ختم السيد محمد عثمان تاج السر الميرغني يضرب به الناس على علم السيد .

وبعض حوادث طلب انفصال الأمارار عن نظارة الأمن سنذكرها فى حوادث النظارة إن شاء الله.

توفى الشيخ محمود بك بن زعيم القاصلاب فى يوم ٢٢ ديسمبر ١٨٨٩م وكان موالياً للحكومة طوال مدة حياته مؤملا أن يتخلص من نظارة الأمن. وهذا ما لا يمكن حدوثه ومنحته الحكومة مرتباً شهرياً لا يزيد عن ثلاثين ريالا (ثلاثة جنيهات مصريه) وله مواقف مشرفه جـداً منها أنه تعهد لتوفيق بك بإيصاله هو وجنوده من سنكات إلى سواكن[1]. ولكن توفيق لم يوافق. وقال له إنى أرسلت فى طلب ألف جندى ومائتين من الفرسان ٦٣ ولها وسته مدافع جبلية وأخرى سريعة الطلقات[2] وبعد وفاته خلفه ابنه حمد دوب كاتى.

عشيب ESHEIB

هو عشيب بن عمار الذى تزوج ابنته مريم الشيخ عجيب المانجلوك كبير وزراء دولة الفونج (السلطنة الزرقاء) ورزق منها ابنه عثمان، وسنأتى على تفصيل ذلك فيما بعد.

---

(١) كان الشيخ محمود يريد أن سر به فى اراضى الامرار وهى ثلاثة أضعاف المسافة العاديه.

(٢) كان توفيق بك يجهل الاوضاع فى مصر التى كانت محتلة بالجيوش الانجليزيه والهنديه ومتمكنة فى تجريد المصريين من كل سلاح فى أيديهم. أما جيوش السيد احمد عرابى فقد أرسلت الى مجاهل كردفان وتوكر وباديه سنكات. وللحكام الانجليزى الجديد بمصر يريد ان تندلع نار الحرب حتى يشترك فى استرجاع السودان وضمه لأملاكه كما ضم مصر مثله.

والمشيباب هم حصبان صغيرتان إحداهما على ضفاف نهر أتبره يرأسها الشيخ محمود أبو عائشة ، والحصة الثانية بجبل إرْبا Erba .

وبعضهم يقيم للزراعة بجهة حَيَتْ Hayate وأمْورْ وغيرها ، ويرأسهم الشيخ عيسى محمد شيك وكلهم ذرية شمس بن عشيب ، وليس لأخويه عبد المعين أي ذرية ، وانضمت إليهم عائلة يقال لها ليلَنَاب Leelanab (١) وهم أبناء بنت المشيباب وأصلهم من بقايا البَلَوِيب المشهورين .

NAHAD نَهَدْ

كانت ذريته كثيرة جدا قبل المهدية ويسكنون في جهة إِنْدَهْ Indeh وقد قاتلوا الأنصار حتى لم يبق منهم اليوم إلا جماعة قليلة حول نهر أتبره .

AAMIL عامل

استوطنت ذريته مع الهُوشَيَابْ المجاورين لهم ولهم أراضي صغيرة بالنسبة لقلتهم .

SAAD سعد

ارتحلت ذريته إلى أرض الهدندوة فمنهم جماعة بجبل أُوكَرْ Owkr وجماعة بأرض القاش ، ويرأسهم الشيخ وكيل وهاج المرحوم . وهم اليوم أقلية في تلك الجهات وربما انضمت جماعة منهم إلى الهَيْكوتياب - Haykotyap.

---

(١) تطلق على الكثير الرعايد وهي كلمة بجاوية .

حمدأوب HUMMAD

يقال لفرعه حَمَدَاب Hummadab وهم جماعة صغيرة تسكن وادى أكَّات Akkat القريبة من محطة سلوم إلى حدود جبل أوبو Obo ، وبعضهم بجهة القاش وخور بركة . وهم يتبعون لعمودية الفاضلاب ، ويرأسهم الشيخ أبو حوه آدم .

وهاجمت قبائل الأمارأر ، التى كانت تتألف منها سبع عموديات كبيرة قضت عليها الحروب الأهلية بينهم وبين البشاريين فى القرن السابع عشر للميلاد فقد كانت حدود الأمارأر متصلة بحدود البشاريين ونشب بينهما قتال عنيف استمر عدة سنين التزم فيه أبناء عمهم (الأتمن) الحياد[1] التام مع أن ناظر الفاضلاب عرض عليهم الاشتراك فى القتال ، ولكن ناظر الأتمن رد عليه بأنهم يخشون بأس البشاريين لأنهم أغلبية ساحقة ومسلحون بأسلحة جيـــدة ، فتحجبوا عن القتال الذى خسر فيه الأمارأر خيرة رجالهم الأجاويد وشبانهم الصناديد .

وحدثت فى القرن التاسع عشر للميلاد واقعة أخرى بين الفاضلاب والحامداب (حمدوه) قتل فيها جماعة من الفريقين . وفى هذه المرة جاءت عمدات الأتمن ، ولكن تم الصلح بين القبيلتين . ثم جاءت المهدية وقاتلوا جيوش الأنصار فى كل مكان فكانت هذه ثالثة الحروب التى خضخضت قواهم وأفقرتهم من المال والأنفس .

---

(1) يقول الشيخ محمد ابراهيم ان الاتمن كانوا ضعفاء جدا أثناء القتال فأرسلوا أثناء القتال عصابة منهم لكى تنهب بعض ابل البشاريين . وفعـــلا نجحوا واقتنت بعض عموديات الأتمن من هذه الابل .

قتال القاضلاب والهدندوة(1)

حوالى ١٨٧٠ م حدث خلاف بين عائلة فى القاضلاب والأمارأر يقال لها إيدامْبيت Eydambit وعائلة من الهدندوة تسمى حمداب . وكان يرأس الأولى عمدتها الشيخ على آدم وحمد ، والثانية إبراهيم حمددو Hamad - Dow عمدتها المشهور باسم حمددو أور Hamad - Dow-Or والسبب هو خلاف نشأ بين حامد حمددو أور (أخو العمدة) الثانى وجماعة من الإيدامبيت على الآبار فأخذ حامد حمد من الأخيرة ناقتين وتمكن القاضلاب أيضاً من خطف ناقة من الحمداب (هى ناقة محمد محمود الحمدابى) ، فذبح صاحبها إحدى ناقتى القاضلاب ، فاستاءت كل من القبيلتين لسماع بذبح الناقة ، ولكن رؤساؤها تماسكا أعصابهم واتفقا على إزالة الخلاف بالحسنى ، ودعيا للاجتماع رؤساء القبيلتين فى هرّان Harran وحدث تراشق بالعصى والحجارة قتل فيه محمّدين موسى كرب من الحمداب . وبتوسط المشايخ فوقفوا القتال والتراشق ودفنوا القتيل وتأجل الاجتماع لفرصة أخرى لنظر القضايا جميعها فيه .

عاد المصلحون إلى قبائلهم ، واستاء الحمداب لقتل محمدين ، وجمعت كل أقاربها فى أرض القاضلاب إيتدار Eyet - Dar . وكان القاضلاب رحلوا فى طلب المراعى إلى شواطئ البحر الأحمر حيث أن الأمطار كانت غزيرة ، والكلأ كثيف جداً بخلاف أراضيهم الغربية التى أحرق أشجارها خصومهم لما لم يجدوا أحداً فى إيتدار Eyet - Dar علماً منهم بإحراقها الشيخ على آدم

(1) هاتان القبيلتان مجاورتان لبعضهما ومشتركتان معاً فى مراعيهما ومياههما .

وجهه وحل بقبيلته إلى محل الحرائق ، فوجدوا الحامداب واشتبكوا معا في قتال عنيف انتهى بقتل جماعة من الفريقين . ثم عاد الحامداب إلى ديارهم (جبيت وسنكات) واستنجدوا بأهاليهم من الهدندوة ، كما استنجد الفاضلاب بالأمين ، وصارت كل قبيلة تقتل كل من تجده من الأخرى حتى كانت المهدية[1] ١٨٨٣ م ، فاتبعها الحامداب وأنكرها الفاضلاب ، وأتى الأمير عثمان دقنه كل الدماء والحوادث التي كانت بين القبائل بعد مجيئه وتعيينه أميراً على شرق السودان[2] .

---

(١) أعلن الامام المهدي القتال بالكتب والرسائل حتى كانت واقعة الجزيرة أب ١٨٨١م بينه وبين أبو السعود باشا و شترك معها اربعون مجاهدا من شيوخ شباب الهدندوة بقيادة السيد ابراهيم ابن الحاشي فلم يعد منهم الا اربعة اشخاص) .

٢) فكانت دماء عهد الحكم التركي موضوعه بلعدة) .

« أمارأر »

أتمن

وهنا نبدأ بالقسم الثاني من الأمارأر وهم الأتمن Atman وهم ذرية عثمان ابن الشيخ عجيب ابن عبد الله جماع . قال نعوم بك شقير مؤرخ السودان في أواخر القرن الماضي نقلا عن الشيخ إبراهيم عبد الدافع عن العبدلاب :

انتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية المجاور لجبل سَقَدي على مقربة من سنار . وكان كبيرهم « عمارة دُنْقُس » ، وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له السيد عبد الله جماع . فاتحد عمارة وعبد الله المذكوران على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من أيدي النوبة . وهاجما القوم في سوبة ، فقتلوهم شر قتلة ، وأخربا سوبا ثم سارا إلى قَرِّي فقتلا ملكها ، واستوليا على البلاد كلها ، وذلك كان سنة ٩١٠ هـ — ١٥٠٥ م .

لما تم لعمارة وعبد الله النصر على النوبة ، اتفق رأيهما بأن يكون عمارة هو الملك الأعظم في مكان ملك سوبا لأنه الكبير المقدم ، ويكون عبد الله في مكان ملك قري ويلقب شيخا . فجلس عبد الله في قرّى وذهب عمارة واختط مدينة سنار وجعلها كرسي مملكته . وكان عمارة وعبد الله كالأخوين إلا أن رتبة عمارة أعلى من رتبة عبد الله . فكانا إذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبد الله . وإذا غاب عمارة قام عبد الله مقامه . ولم تزل هذه العادة متبعة في أسلافهما إلى انقضاء المملكة .

وقد نقل العبدلاب عاصمتهم من قرى إلى الحلفاية وامتدت سلطتهم من أربجي إلى الشلال السادس . وتوفي عبد الله جماع حوالي ٩٦٥م وكان يقال إن الشيخ عبد الله جماع يلقب بالسيد لأن نسبه من جهة والده يتصل بالإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وكانت والدة الشيخ عبد الله من أشراف الرفاعيين وله من الأولاد تسعة أشهرهم هو الشيخ عجيب .

ثلاثة شبان من الأمارأر يمثلون الفتوة البجاوية

الشيخ عثمان بن عجيب

هو الشيخ عجيب[1] بن عبد الله جماع الملقب بالمانجلوك . ى ماجل الأك ومنه لقب « ماجل » الذى يخاطب به شيوخ العبدلاب إلى اليوم . وعرف العبدلاب بأولاد عجيب أيضا نسبة إليه . وكان رجلا صالحا دينا . وقد حج إلى بيت الله الحرام عن طريق سواكن . فلما وصل الشيخ عجيب إلى سواكن تلقاه أهلها بالحفاوة والإكرام وضرب له بالأرتيقة النحاس أسبوعا كاملا . ورفعوا له شكوى بسبب صعوبة المياه . فأنشأ لهم الصهريج الكبير الموجود لخزن المياه .

ونزل الشيخ عجيب فى ضيافة الشيخ فول الأرتيقى هو وجميع من كانوا معه . فلما استقر به المقام تكلم مع الشيخ فول عن رغبته فى الزواج فعرض عليه أخت زوجته . مريم بنت عشيب ابن عمار . وكانت مع أختها بسواكن فأرسلوا إلى أبيها وعمها الشيخ فضل كى يحضروا من أكرباى . فلما حضروا وافقا على الزواج وتم عقد القران .

ثم سافر الشيخ عجيب إلى جدة ثم مكة المكرمة وأنشأ بها رواق السناريين ثم زار المصطفى ﷺ بالمدينة المنورة وأنشأ فيها أيضا رواق السناريين[2] . وحفظ للسودانيين أحسن الذكرى بهذين الرواقين اللذين بناهما بإذن الحكومة العثمانية « تركيا » .

---

(1) ووالدته هى بنت الشريف حمد أبو دنانة .

(2) وحفظا وصنا للحجاج السودانيين هل بحثت حكومة السودان عن هذين الرواقين وقررت احياء معالمهما بعد أن نالت البلاد استقلالها وأعادت بناءهما وخصصت حالتيهما) .

فلما أتم مناسك الحج عاد إلى سواكن واضطر أن يترك زوجه بسواكن حتى تضع حملها . وأخبروا والدها بأنها إذا وضعت ولداً أن يسموه عثمان .

وكان كما قال ، فوضعت ولداً فأرسل إليه والده سيفاً جيداً وطاقية ذهبية و كـكر « كرسيا » ونحاسا « نقارة » فنشأ فى كنف أجداده وأخواله .

أما الشيخ عجيب فلم يكن بينه وبين ملك سنار « الملك عدلان » أية مودة وصفاء نية ، ولذلك خرج عليه الشيخ عجيب وتقاتلا بجيشهما فى مكان يقال له كَلَـكول « بين العيلفون والخرطوم » فقتل الشيخ عجيب وفر أولاده إلى دنقلا ، ثم أمنهم الملك عدلان وعين الشيخ عجيل بن عجيب فى قرّى مكان والده ، والفضل فى ذلك التعيين يعود للشيخ إدريس ودأرباب .

الشيخ عثمان بن عجيب :

اعتنى جده فاضل بتربيته وكان منصباً خطيراً يتنظره وينتظر بنيه . فلما بلغ أشده زوجوه بفاطمة بنت إيلقدّ Eylaqad الـكيلانية . فرزق منها أربعة أولاد هم أحمد كُرُبْ Kurup ومحمد نور ، وقويلاّى Qwilai (٢) وتطلق كلمة أُنْنُ على ذرية هؤلاء الأربعة وهى لاتستعمل إلا عند تمييز أبناء البنت أخوالهم وهم الأمارأر . ويطلق على الجميع فى كافة أنحاء البجه ولدى الحكومة

---

(١) كانت أرملة ولها ولد من زوجها الاول اسمه أحمد الحضرمى من ذرية جعفر الطيار بن على بن ابى طالب وقد اندمجت ذريته فى الكميلاب .

(٢) ومعناه قصير الاذن وهذا يدل على نسيان اسمه العربى وبقاء هذا اللقب .

أيضا أمارار[1] ، مع أن الأغلبية اليوم هي من الامتى . . . . .
الأراضى وغيرها انهم إلا فى النظارة لأنهم محتفظون . . . . .
والنحاس والسكر والطاقية .

على بن عثمان

هو جد عموم عموديات العليابا ، وقد رزق ستة أولاد هم عثمان الرغوب وعيسى ومنقيب وهؤلاء الثلاثة أمهم من بشاراياب المندوة وقامع وواد (أو كما يسمونه وَقَدْ Waqad وأمهما تنيسة بنت نهد ، وكذلك قرشى بن على وأمه سوا كنيه ، ورزق على عثمان ستة أولاد هم منوفل Manoufil وأرفوب Arfoub ومهجن Mahajun وسعيد وعلى هيكل Haykal[2] ، ومبارك .

أرفوباب ARFOUYAB

تألفت من أرفوب بن عثمان الرغوب عمودية أرفوباب وعمدتها الشيخ أوكير عيسى جبرين ، وهو مشهور بالصبر والنظر فى المواقف . واشتهر منها الشيخ عيسى صبرين وابنه الشيخ حسين . ويسكنون وادى يُويْدَرْ Yoyder ومنتشرون فى كل الأنحاء حتى أرض بنى عامر والمندوه . ولهم ميل فطرى للمجازفات التجارية وتتفرع منهم عدة بطون أشهرها جبريناب وصندوقاب وحامد عداب .

منوفلاب MANOUFALAB

يسكنون حول وادى اوكو Oko بجوار السكرماب والمصواب (بشاريين) . وهذا الوادى مشهور بأراضيه الخصبه ، وقد شاهدته وكان

---

(1) يقولون ان ابن ستة للقوم — منهم .
(2) وتعريبها الميمون .

الخلاف بين سا كنيه على أشده بسبب جودة الطمي و كثرة المياه فيه ، ودائماً يكثر الخلاف بين سكانه من المنصوراب والسكرماب .

واليوم عمدة المنوفلاب هو الشيخ محمد أبو عائشة .

منوفلاب MANOUFALAB

اشتهر رجل بالتقوى والصلاح اسمه الشيخ محمد إبراهيم [1] ، من المنوفلاب وكان تابعاً لطريقة الشيخ الحسن ودهاشي خليفة الطريقة القادرية بجهة تور رحب وأربياب . وساعده الشيخ الحسن ببعض المصاحف ، فأخذها وسكن جهات مشهورة بخصوبة أراضيها ، وفتح عدة خلاوى لدراسة القرآن . وكان لديه نحو خمسمائة طالب أجادوا القرآن وحفظوه من ظهر ، وكلما تخرجت جماعة تولى كل منهم إنشاء خلوة في قريته . ولذلك استفاد كثيرون من المنياب و المنوفلاب وجيرانهم من القراءة والكتابة ، فأفادوا واستفادوا ، هذا في الأمارأر في الشمال الغربي . أما أمارأر الشمال فقد بقوا على حالتهم الطبيعية حتى قيض الله لهم إنشاء مدينة الشيخ برغوث (محمد طولي) عروس البحر ، وقد كان ضرورها وتعميرها على حساب سواكن التي زال اسمها من بين موانئ البحر الأحمر . وأول خط مواصلات وضع هو شريط السكة الحديد للتقدم منها إلى كافة أنحاء السودان ، وقد قررت وزارة الحكم الذاتي إزالته من سلوم إلى سواكن . وقد احتج نواب شرق السودان على ذلك ، ولكن وزير المواصلات صمم على إزالته . ولقد كان نفعاً للحجاج وغيرهم من البحارة . ولقد وصلوا بطرق سيارات أسفلت وإنشاء مدينة للحجاج في عملة آسوتريه ، وهذه المدينة

---

1) هو خلاف الشيخ محمد ابراهيم الناظر الذي ماله حرمة بسبب تشابه اسمه لاسم هذا الشيخ فاعتقلته الحكومة .

سكان مدينة الأمارأر أيضا خصوصا إذا أنشئ فيها سوق صغير لكافة لوازم الحجاج وبعض أهل سواكن يذكرون الشيخ برغوث ويقولون إنه سبب خراب مدينتهم العتيقة فيها العداء ، هذا من جهة أمارأر بورتسودان الذين يتمنون أن يستمر عمران مدينتهم في تقدم سريع إذ أنهم تنسموا ريح التمدن والعلوم والمعارف منذ ظهور بورتسودان بين المراقي ، خصوصا زيارة الخديوي عباس لها سنة ١٩٠٨ وزيارة الملك جورج الخامس لها سنة ١٩١٢ وسيأتي جيل من أبناء الأمارأر يبرزون أيضا كافة القبائل في كل الميادين الاجتماعية والعمرانية بفضل إقبالهم على العلوم والمعارف ولو بعد قرون على رغم أولئك الذين يكرهون تقدمهم وتعلمهم ويودون خراب بورتسودان وهو من رابع المستحيلات مادام ذلك الأسد رابضاً في فم المرسى متوسدا الثرى في ضريحه مع البرغوث .

والموفلاب يقتنون تربية الإبل جدا ، وتوجد عائلة منهم تسكن حول نهر عطبرة .

مُهجَن MOHJAN

وتفرعت من مهجن عمودية المهجن وهي تسكن حول وادي دروات وحيب وتسمى أراضيهم تيكدول Tipikdal ومعناها الأراضي المرتفعة . ورأسهم الشيخ أوكير عيسى موسى ودو زحل حازم ومنهم جماعة العسايلاب[1] وبعض الوقداب والفرشاب سكان أرور

علي أو هيكل

عمران عثمان المرغوب ، وهو جد الكيلاب والعبادلامك وهم أكبر قبائل

---

(١) هم ذرية عيسى بن علي بن عثمان ومنهم مناسل أشراف سواكن .

بالأمن بعد السنداربيت والعمد الرحماناب ، ولهم ميل إلى المنازعات ، كما أن لهم ميلا إلى الشجاعة وإكرام الضيف وإذا ورد ضيفهم في الإناء بعض الفضلات اعتبروه جائعا وأتوه بالزيادة حتى تقضى على كل ما أمامه من لبن ولحم ويرد إليهم الإناء خاليا من كل شيء . واشتهر منهم في الزمن الماضي الشيخ محمد دَلّوب ، والشيخ محمد على عيسى وولده الشيخ أحمد بن آدم وهو أفضل رجل ظهر منهم وعمدتهم اليوم الشيخ على محمد دبلوب. واشتهر بالتقوى والصلاح وتفرعت منهم عدة خشوم مثــــــــــل موساى دواب ، وعيساى دواب ، وكُبدواب ، والسعداب ، والرحماناب ، وأبو القحمات ، والجهاداب ، وعبد الوهب ، وقويش شالداب (وهم من البلوب) . وانضمت العمودية الكملاب بعضة البداب . واسكيلاب يسكنون حول جبيت المعادن إلى ما بعد هداى[1] .

منيب

ابن على بن عثمان وهو جد بدنة النياب ، وهم ذرية على منيب وعوض كير منيب . تفرعت من الأول : حامداب ومسعودى والهى والأوصاب . وأما ذرية عوض كير منهم الشاكرات والسعوداب وهم يسكنون الجهة الجنوبية من جبل دروربه Dar [illegible] وكاولت ، ويزرعون حول هبيت وبعضهم تسكن حول عطبره . واشهر رؤسائهم الماضين الشيخ موسى ابن عدلان ، وعمدتهم الشيخ محمد سمرة .

---

(1) انضمت أغلبية الوقداب إلى عمودية السنداييب وهم مشهورون بحبهم للبيع والشراء في البادية والحضر وانضمت إليهم عائلة النافعاب .

أحمد كُرُب KURUB

ابن عثمان بن عجيب ، تألفت منه قبيلة كبيرة اسمها كرباب Kurbab ، ه غير أنهم أقل من سائر الأتمن . وهم من أحسن الناس منطقا ، وألطفهم معشرا ، وأشدهم بأسا . واشتهروا بمصاهرتهم للمجاذيب (جمليون) ويقال إن كرب توفى وزوجه حامل . فلما وضعت حملها كان ولدا ، فأوصى والده بأن يسمى كُرُب على أبيه . وورث كرب سبعة أنجال هم عيسى وأمين Abeen وكرتاى وعلى حاج وعسيب ومحمدين ، ومن هؤلاء تألفت الخمس الآتية : وقداب : مَلَكَاى دواب Malakai-Dewab ، سعدوناب ، على حدلاب . وهم جماعة الشيخ حسن بابورى الذى كان عمدة فى منتهى الشهامة والدفاع عن أهله ، وقد عزلته الحكومة وضمت العمودية إلى حمد .

ويتولى عمودية عموم الكرباب اليوم الشيخ حمد على حمد محمد (وهو من عائلة عون التى تنتسب إلى شندير بن عيسى ست العمودية) ومنهم الشاتراب ، ويسكنون إرْبا Erba . وكذلك الأيتاب والعرر سكان أمور ، والحداب انضموا للستراأز (سدندوه) ومنهم حصة عسيب وعلى حاج ، وهم من أقامة. والكرباب عموما هم غالبية سكان بورتسودان . ومما يؤسف له أنهم للآن لم يلتفتوا لإدخال أبنائهم فى المدارس . ويقيم عمدتهم بين محمد قول وسلالة وأركو حيث أن لهم زراعة طيبة هناك بجوار النصوراب . وصادفا ما حدث بينهما خلاف على تحديد الأرض الزراعية . وآخر ما كان ما شاهدته فى رحلتى إلى منجم بِرْكَاتِيب B.rkateib الذى يديره الشيخ أبوبكر سعيد باعشر نيابة عن الشركة ، فقد وصلنا أوكو والقبيلتان على وشك الصدام . وقد اصطفت كل جماعة فى جهة استعداداً للنزال . ومازلنا نسعى بينهما حتى قبلا الهدنة . وأقسموا اليمين بحضور النظار والعمد فيما هم فيه مختلفون

كُرُبـاب[1]

واشتهر في الزمن السابق من الكرباب رجل في منتهى التقوى والصلاح اسمه الشيخ اكوبن عوض ، له قبر بزار شمال بورتسودان تجتمع فيه كل سنة كافة قبائل الكرباب للاحتفال بحولته في يوم ٢ شوال فيمكثون حول ضريحه نحو عشرة أيام كلها لهو ولعب وطرب وسباق خيل وجمال ثم ينصرفون كل إلى مقر عمله وشغله .

ومن العجيب أن هذا القبر على ساحل البحر والمياه حوله حلوة ولذيذة الطعم .

نـــــــود

ابن عثمان بن محبوب الذي تناسلت منه قبيلة « النوراب » وهم يسكنون أربمات ودَرُور ووادي عكات (أكات) . وقد رحلت اليوم عائلاتهم إلى ضواحي طوكر . ويرحلون في الصيف إلى أراضي القاش حتى نهر أتبرة . وهم مشهورون باستعمال السيوف والعصى الطويلة ، ودائما يصيبون بها الهدف حتى إن أحدهم قتل بها أسدا . ورزق نور ولدان هما سعد وفاضل . وذرية الأخير قليلة ، وقال لها فاضل نوراب ، وهم يرحلون حيث المطر والمرعى . أما سعد فله من الأعقاب : أرتول Artoul وزيدان ووكين ووناس Wannas . فمن الأول عائلة النوراب مثل عليدوات (بيت عمودية) ، وإيلاقات ، والشاشاب والوكيتاب . ومن مشاهير رجالهم الشيخ أبو فاطمه حسن وإليه يعود الفضل في رحيلهم إلى أراضي القاش الخصبة . وكذلك الشيخ على آدم الذي اكتشف مرسى الشيخ برغوث ١٩٠٣ م حينما زارها الأسطول

---

(1) جمع أبناء أحمد كرب .

القرسى[1] . وهم يسكنون سهول شواطئ بورتسودان ، ولهم رسوم على كل مقبول يرسو في موانيهم . قال عنهم الرحالة بروخهارت[2] الاوروبى : لما رست سفينتنا في مرسى نوارتيت جاءتنا جماعة من الهوراب وقدموا لنا كبشا سمينا وألبانا كثيرة لم نجد أناء نضعها فيه لكثرتها .

وفي ١٩٢٣ اجتمعت في تندلاى برجل منهم اسمه الشيخ عبدالقادر الهوراني له جمل أصيل يقال له قلبت qalbat ، طلبنا منه أن يسابق جمل رجل من الرشايدة أفاق واحدنا باختياره سرعة عدو جمله فرضى عبد القادر . وقام الجملان من أروما قاصدين تندلاى . وإذا بقلبت ينال قصب السبق وقد كتب مراسل صحيفة حضارة السودان عن ذلك . والحقيقة أن الهوراب في جهة توكر والقاش هم أحسن من يعتنى بالجمال غير البشارية[3] . وعمدتهم الشيخ عثمان أبو فاطمة حسب . ويتولى الوكالة بالقاش الشيخ يوري عمر شريف وهو ذو خلق سام وفاضل اشتهر بحسن السمعة والمحافظة على مركزه الأدبي . وله خبرة بكافة شئون القبائل . ومنهم الشاب الأديب على افندى منيب بشركة شل ، والصاغ الأستاذ منيب صاحب محله (استراحة) توارتيت المقامة بين بورتسودان وسنكات . ولكن موسيكون لهذه الاستراحة شأن يذكر يوما من الأيام خصوصا موقعها الجبلي على الساحل المشهور بكثرة أسماكه (توارتيت ولل المدن الراقية تنصب خيام ويقضى الناس فيها أوقات الراحة الأسبوعية حيث تكون التسلية الوحيدة بعد عناء العمل) .

---

(1) اوضحنا ذلك في بورتسودان .

(2) قام من سواكن قاصدا جده .

(3) هذه الجمال تمتاز عن كل ما سواها خصوصا .. مثير .
و « كلاي واوا » .

قويلاى QIWILAI

تطلق على ذرية قويلاى[1] بن عثمان بن محجوب وأصبح اسمهم . امارأر بسبب تناسلهم من حميدة عمار . وكل ابن بنت ينشأ ويتربى فى كنف أخواله ينسب إليهم . ورزق قويلاى اثنا عشر ولدا هم موسى وسعد أبو قديلوى Abu-Qadiloy ورحمة وسلطان وعلى وعبد الرحمن وسالم وسليمان وعبد الرحيم حامد (والأخير أمه بنت سعد المدندوية) ومحمد ونترای (وأمه من سعتراب بشاريين)

وتفرعت منهم عمودیات وحصص بأسماء كل منهم وكلهم يسكنون فى ضواحى متقاربة لبعضهم إلا جماعة من أبناء سعد فإنهم سكنوا بربر . واشتهروا فيها بالجود والكرم . وأشهرهم خلف الله بن طالب وإخوانه والحسن وأحمد وطه ولهم حصة حسنة بين بربر وأتبرة

ومن ذرية سعد (قديلوياب) جماعة يسكنون شمال أربعات بجوب الكرباب ولهم بئر عذبة تسمى ابت EY T وأشهر رجالهم هو الشيخ عمر حمد

ومن ذرية رحمة : الرحماناب وأشهر رجالهم الشيخ على موجر الرحوم . وأما سلطان فقد انقرضت ذريته . وأما على فمن ذريته الهيياب Heepyap وتعريبها الأراك . ويسكنون مع الهداب المدندوة والليكنيب . وشاهدت رجلا منهم يقال له الشيخ محمد الأمين بن إسماعيل بن محمد ابن عبد الله المشهور بالهيياى لأنه أول من استعمل فرع الأراك فى السواك

---

(١) وتعريبها قصير الاذنين .

(٢) تسكن معهم حصة — سمعيابلیب .

(٣) هم ذرية محمد الهيب بن على المذكور .

وقد شاهدته فى ١٩٣٣ وقد نيف على الثمانين عاما ، وهو طلق اللسان فصيح العربية ، يندر أن يتكلم البجاوية . وله معرفة تامة بالقراءة والكتابة . ويحتفظ بين دفتي مصحفه بسلسلة نسبه العبد لاوى ، وسنقلها عند ذكر تاريخ نظار الأمارأر إذ وجدناها تتفق مع التي يحتفظ بها ناظر الأمارأر الحالى (١٩٣٠) الشيخ أحمد حمد محمود (١).

عبد الرحمـــــــــــاناب

تطلق على ذرية عبد الرحمن قوبلاى ، وهم من أشــد قبائل الأمارأر وأعزهم نفسا وأشجعهم ، ويراعون الوهاب على حسن الأحدوثة والسمعة الحسنة خصوصا عند اجتماع المجالس القبلية .

وتتألف منهم عدة حصص مثل « عليندواب وحامدنلواب ومحدوناب والسمرداب والسعيداب وغيرهم » ، ويسكن بعضهم فى أربعات ، والبعض فى جهة أسور ولهم آبار وزرائع خصبة .

واشتهر منهم رجال صناديد أمثال الشيخ آدم سعدون الذى شاع عدله فى الأحكام ولو على نفســه ، وكذلك كان المرحوم والده الشيخ حمد بن حماد وغيرهم .

وانضمت إليهم ذرية سالم « سالماب » وسلمان « سلماناب » أصحاب الأراضى الخصبة فى جهة هييت ووادى شعباتيم .

« عبد الرحيمـــــاب »

هى ذرية عبد الرحيم ، ويهتم بتربية الإبل الأصلية ، وفى إحدى السنين اعتبرت حصة تابعة لعبد — الرحماناب ولكن أخيرا تقرر أن تكون

---

(١) توفى عام ١٩٤٨ وخلفه ابنه الشيخ ارباب احمد .

عمودية منفصلة ترعى أينما يكون المرعى جيداً ، فتارة يرحلون إلى أرض المدندوة وأخرى إلى البشاريين والموسياب . ويرأسهم الشيخ صبار محمد .

حامداب قويلى

هم ذرية حامد بن قويلاى ، واشتهروا بمناصرتهم لجيوش الأنصار فى وقائع أبيت وهوشيري التى اشترك فيها معهم الفاضلاب ، وكان النصر حليفهم إذ كانت قيادتهم منظمة جداً برئاسة الشيخ كُرُب بن حامد والشيخ محمد بن قويلاى وعمدتهم اليوم هو الشيخ عيسى على كرب . وتتألف منهم عدة خشوم أشهرها : عمر هاساب ، عبد الله دواب ، ومحمد عيسى دواب ، عبد اللاياب ، وعيساى دواب وموساى دواب ، وأكرعاب ، وركاباب ، وهمولاندواب ، وحلقاب ، وسيداب ، وبرشاب ، وكيراب ، وشيدن

الشامياب

هم ذرية شفع بن حامد بن قويلاى ، واشتهروا بالصبر والأناة . وانتشرت سمعتهم بسبب عميدهم الشيخ محمد قيلاى الذى فاق أقرانه فى المجالس والاجتماعات خصوصاً فى الخلافات القبلية ، وله أشعار فى الصبر والحماسة والحكم والمواعظ .

وخيامهم منصوبة حول وادى هييت المشهور بعذوبة مائه ، ومن مضاربهم التطراب والتليلاي والهوش والوقداب ومركزهم الأصلى جبل تاأسوتريه ، وطرق خور أربعات ، وبعضهم بأرض المدندوة .

ويتولى العمودية اليوم الشيخ محمود أبو آدم .

موسياب

وتطلق على ذرية موسى بن قويلاى وهم بيت نظارة الأمارأر ، ومن رزق

موسى ولدان هما محمد وهتيم انتقلت ذريه الأول إلى أرض الهندوة . وأما الثاني فقد نشأ مع أخواله في سواكن ، ودرس القرآن ، ثم تولى رئاسة للوصياب . وتفرعت من ذريته عدة خصص هي الحمداب (بيت النظارة) وحمد اويدواب ، والحكم وخاكاب والعيسياب ، والحامد أقاب والسعد أقاب AQMAB والقرابيه .

ويسكنون اربات وأمور وإرما وهقامب ، واشتهر منهم بالتقوى والصلاح الشيخ الفكي سعد وابنه القاضي الحالي الشيخ محمد شريف سعد .

والناظر الحالي لعموم قبائل الأمارأر هو الشيخ أحمد بن حمد بن محمود ابن حمد قساى (غضبان) بن محمد بن موسى بن محمد بن هتيم بن موسى بن قويلاى بن عثمان بن الشيخ عجيب المانجلوك ابن السيد عبد الله جماع .

الشيخ قويلاى بن عثمان

كان أصغر أخوانه وتولى عليهم الرئاسة وانفصل عن العاصلاب . وشغل هو في البحث عن الشهـــــرة ، وإذا بابنه حامد يقتل رجلا تاميا وثانيا ، وفي كل مرة كان الوالد يدفع الدية وهي من الماشية على حسب مكانة المقتول . متبرأ منه والده ولكن أخوه موسى دفـــع الدية كاملة أحرم ، وقال إن أعمال حامد الإجرامية تضطر البجة كي ترحل مقلها وتخلى لنا الأرض التي نريد أن نحتلها بعد رحيلهم . فلما سالت منية قويلاى أوصى أن يكون خلفه ابنه موسى .

وقد كانت حوادث القتال على الأرض مع البجة كلهـا في أيام الشيخ قويلاى بن عثمان ، وهذا أمر أراده الله أن يكون حتى تخلو البادية من سكانها الأصليين بما كان يحدث فيها من المشاجرات وسفك الدماء ، حتى إن

عثمان المرغوب بن على قتل رجلا من شجعان البجة، ثم اختفى فى أعين الناس ومعه عصابة مؤلفة من سبعة أشخاص كانوا ينهبون كل مايقع تحت أيديهم . فاشتكى منه زعيم البجة (وهو من الهدندوة) للشيخ قوبلاى ، وقال له إن ابن أختك عثمان المرغوب قتل منا رجلا فسلمه لنا كى نقتله . فاعتذر بعدم مقدرته من قبضه ، وعرض عليه أن يقتل من يشاء من أولاده إلا موسى . فقالوا له نحن نريد القاتل أو موسى . فقال لهم أمهلونى حولا كى أفكر فى الموضوع . فرضوا . أما هو فقد دعا إليه عثمان المرغوب وقال له يا ولدى إن البجة أكثر منا عدة وعددا ، وأشد قوة ، وإنى خيرتهم بين أبنائى إلا موسى فقالوا لابد من عثمان أو موسى ، والرأى عندى أن تزيد العصابة التى تحتك من أبناء الأمارأر والبشاريين وتبدأون الهجوم من جهة جبيت المعادن ثم تطاردهم فى الخلاء التى سكنها منهم أقلية ، ولكن عثمان وعصابته بدأوا هجومهم الأول فى جهة جبيت المجاورة لقرى الشيخ قوبلاى وقتلوا نحو اثنى عشر رجلا من البجة، فحالفهم التوفيق ، وأقلقوا راحة البجة حتى إنهما اجتمعت فى مكان واحد لقتال الشيخ قوبلاى . فاستنجد بالبشاريين والكملاب والعبابدة والركوابلة (المجاورين لبشاريين) ونشب القتال بين الفريقين . فانهزمت البجة ، وطاردها حتى عبر وادى أمور الذى كان حدا فاصلا بينهما ، وورثت القبائل دارهم فى شعاب صحراء البجة .

الشيخ موسى بن قوبلاى

تولى رئاسة الأمن بعد وفاة والده وتزوج بامرأة مين أهل سواكن هى بنت أحمد صبور ، ورزق منها ولدا اسمه عجيم ، ثم قتل موسى فى قتال عنيف حدث بينه وبين عاكولاب الهدندوة ثم تولى بعده النظارة الشيخ واكد

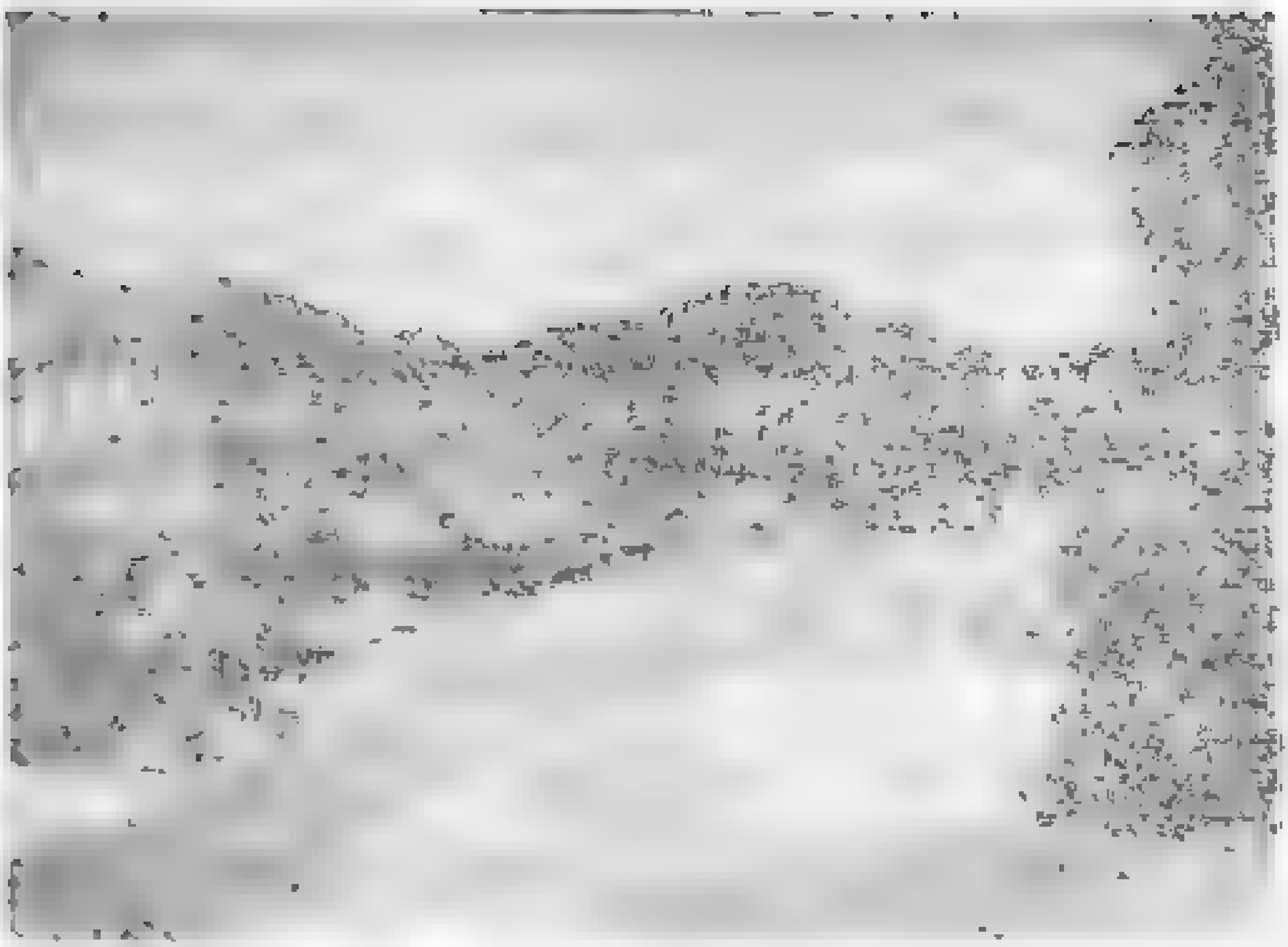

منظر نهر أربعات الذي يجري في أرض قبيلة الأمارأر
وهو الذي تمد منه شبكة مياه الشرب لمدينة بورتسودان

الشيخ قوبلاى

يقول الشيخ محمد إبراهيم إن الشيخ قوبلاى كان كثير الدهاء في الحرب والقتال ومن دهائه أن إحدى القبائل زحفت إلى بلاد الأمارأر كي تستولى عليها فأرسل قوبلاى إلى عموم الأمارأر كي يجتمعوا في صعيد واحد ويكمنوا في الجبال والأودية . ووصل الغزاة إلى حيث نصبوا فيها خيامهم واستعدوا لقتال الأمارأر . فقال قوبلاى لرجاله من يأتيني بأخبار هؤلاء القوم ويعرف عددهم وقوتهم . فقال له أخوه علي ، أنا أتطوع لكي آتيك بخبرهم وأحوالهم فقال له قوبلاى أنت رجل شجاع ومتسرع وأخشى أن تشتبك معهم فتفضحنا . فتقدم كرب ، فقال لا أوافق لأنك قوي ولا يمكنك الإفلات منهم . فقالوا له تركنا لك اختيار الرجل الذي تود أن توكل إليه هذه المهمة .

فقال ما أتولاه بنفسي . وتملا قام متنكراً واندمج في المراة وطاف بمجالسهم
وبمقتصماتهم حتى علم أين يقيم قائدهم . فانتهز فرصة بعد حاشيته عنه وطعنه
بحربته في صدره وهو مضطجع ، فصرخ القائد وارتوى في الحمم وانسل من
بينهم ولحق بقومه . واشتبكت العصابة بعضها البعض ، ودار بينها قتال شديد
حتى لاح الصباح ، وقد كثرت القتلى . وهجم قوبلاي بجماعته على فلول
العصابة وفرقها تفريقاً وغنم كل ما كان لديهم .

ولما دفن الشيخ قوبلاي دفن في هيت .

الشيخ قواكيد

ابن عيسى بن كرب ، وكان رجلاً عادلاً وحكيماً ازدهرت في أيامه قبيلة
الأمن ، وابتدأت في طرد الشجرة حتى كبر سنه ، فلما أشرف على الموت نادى
كل رؤساء الأمازار وقال لهم : إني كبرت وصرت عاجزاً عن إدارة
القبيلة ودعوتكم كي تختاروا رجلاً من بينكم تولونه تقارنكم من بعدي .
فقالوا له نقترح الشيخ سعد بن علي بن عيسى بن علي فقال لهم إنه رجل حرب
وجلاد ولا يصلح القبيلة الحزم أو الصارم في أحكامه بل القبائل تحتاج إلى
سياسي محنك يزن الأمور ويبحثها من جميع نواحيها . فاقترحوا سعد بن
عبد الرحمن . فلم يوافق ، وقال لهم إنه رجل يحب المال ، ومثله ربما يضيعكم
بالشيء التافه . فعرضوا عليه محمد بن لطماع (جد الكيلاب) ، فلم يقبل وقال
إنه رجل في يديه الخير والشر ، فإن أعطاكم خيراً لابد من أن يعطيكم شراً .
فاقترحوا عليه حمد بن سلطان ، فلم يوافق . وقال إنه لا يستمع رأي أي إنسان
والاستبداد بالرأي فيه هلاك القبيلة . فقالوا له ليس لدينا بعد هؤلاء من نرشحه
للرئاسة فالرأي رأيك . فقال لهم إني أعلم أن الشيخ موسى بن قوبلاي وقداً
يصير أكثر عقداً تخولة معه عقل ، وقد علم على ذات يوم وأنا ممتلئ قد ملت كفه

فسررت من حديثه وتبحره فى العلوم ، فإنى احترمه لكم إذ لا يوجد من يحمل الزعامة غيره ، فاذهبوا وأحضروه من سواكن . ولما توفى الشيخ واكد خلفه الشيخ عقم .

الشيخ عَقَّم(١)

أول ناظر أجاد القراءة والكتابة وحكم الأمارأر بالكتاب والسنة ، وازدهرت فى أيامه كل قبائل الأمارأر ، وازدادت مواشيها وكثر تعداد سكانها ، وابتدأت البيجة فى الرحيل من عيذاب . ولم ترحل النظارة من بيت عقم إلى يومنا هذا .

وفى ذريته عائلة اسمها عيسياب ، تكون تكاد المثلة للطبقة الإرستقراطية فى الأمارأر إذ أنها تترفع عن الصغائر ، وقد اجتمعت بأحد شبانهم بجهة أتبره المسمى الشيخ محمد هدكل بن أحمد محمد شيك وكيل الناظر فى تلك الجهة فسررت من حديثه ولطفه وتفانيه فى حقوق الأمارأر .

وتوفى الشيخ عقم ودفن فى جبل كُوكريب Kokreib وخلفه ابنه محمد .

الشيخ محمد

ابن عقم تولى نظارة الأمارأر وتزوج امرأة من البشاريين من أتبره . وفيما هو فى منزله أتته امرأة وأخبرته بأن البشاريين قد جمعوا جموعاً كثيرة ويريدون غزو الأمارأر وهم على وشك القيام بذلك ، وقد قرروا أن يدعوك أنت ومن معك من أهلك لتناول الطعام والقيلولة معهم حتى المساء ، فلا تقبل دعوتهم ، ويجب أن تعود فى الحال إلى قبيلتك وعشيرتك وتستعد لملاقاتهم . فقام الشيخ محمد من ساعته إلى رجل من شيرديناب Shirdenab

---

(١) أى يجلبه للمهم .

(حَدَّمدَّوَة) اسمه الفقيه علي بن بلال ، وطلب منه أن يدعو له بالنصر والتوفيق على خصومه الذين استعدوا لغزو أهله . فقال له الفقيه علي : أنا أطلب لك من الله أن يمنعك وأهلك من السير السريع حتى لا يدركوك . ثم أعطاه حجرا أبيض وقال له : أعطه لأحد رجال قبيلتك ممن لا يخطئون الهدف . وإذا اصطدم هذا الحجر بإنسان أو دابة فأنتم لا شك منصورون . فرحل الشيخ محمد ساعته وأدرك أهله وكانوا مجتمعين في وادي أورير owreir . فأخبرهم بأن العدو على أثره ، وأمر بعضاً من رجاله الجهوريي الصوت كي ينادوا القرى من رؤوس الجبال للقتال والاجتماع في أورير . فلما تكامل عددهم نادى رجلا من الأمارأر وسلمه الحجر وقال له عندما ترى طلائع البشاريين تظهر من عقبة دِرِس Diris واقذفهم عسى أن تصيب الهدف . فلما ظهرت الطليعة قذفها الأماراري Ammar - Arerpi بالحجر ، فأصابت رجل ناقة القائد مكسرها . فسقط القائد في محل يقال له أفوي Afoy وسمي بها الموقف ، وقال لهم عودوا من حيث أتيتم ، فعادوا بدون قتال ، ولم يحدث في أيام الشيخ محمد بعدها قتال حتى توفي ودفن في وادي أقت Agount في مكان يقال له مرديلو Mardaylo بجوار قبر أخيه محمد حمد . وتولى النظارة بعده ابنه موسى .

الشيخ موسى

حالما تولى الشيخ موسى ابن محمد هَدَّم نظارة الأمارأر ، اعتبار (أرباب) عاصمة لعموم قبائله وجعلها مقر بيت النظارة .

وفي أيامه قامت عصابة من الأمارأر لغزو بشاريي نهر أتبرة برئاسة سعدون بن محمد حجاب JAVAB ، فأخذوا كل ما وقع تحت أيديهم ، فقامت خلفهم نجدة من البشاريين ، فشعر الشيخ موسى محمد بأنها تعقبهم ، فقال الشيخ سعدون اختر بين أمرين إما أن ترد إلى النجدة وتقاتلها أنت وأهلك

الناضلاب فتفوقوا بالشجاعة والفخر . وإما أن تأخذوا أنتم الفداء وتحن قاتل البشاريين . فأجابه الشيخ سعدون هيهات أن تمكنكم من حرقه لاسيما وأننا على أتم استعداد له . فنحن أتنا نحن الناضلاب سنصمد لقتال البشاريين وأنتم الآخرون اهربوا بالغنائم (وهذه مكيدة من الشيخ موسى لاستفزاز الناضلاب والبشاريين (وكانوا أكثرية) ، فكان قتلى الناضلاب كثيرين جدا . وبعد هذه الواقعة أصبحت للناضلاب بدنة واحدة (عمودية) بعد أن كانت أكثر من سبع عموديات .

وبعد وفاة الشيخ موسى خلفه ابنه محمد .

الشيخ محمد بن موسى

كانت أيامه كلها حروبات وقتال مع البشاريين وغيرهم. قتل في إحدى هجماته عمه حمد بن عقيم عبد البشاريين وكانت الواقعة سجالا بينهما . فلما توفى دفن في أرباب وخلفه ابنه على النظارة .

وتفاءلت بنظارة الشيخ موسى كل قبائل الأمارأر وتحسنت أحوالها ، وازدادت في المواشي والنقوس ، ونزلت بأراضيها الأمطار بلا انقطاع . فلما توفى اجتمع كل العمد والأعيان وقالوا لن ندفنه في الأرض إذ أننا نتفاءل به . فقال لهم ابنه محمد إنه جيفة فمن يشتريه منكم بحلاله ماعز لأنني أريد دفنه في الأرض . فقالوا له لك الخيار . فلما انتهوا من دفنه طلبوا من ابنه محمد أن يتولى النظارة ، فقال لهم إذا وليتموني فلا تطالبوا مني ما كان يعمله والدي في حياته من الطيبات لأني مقر بعجزي وضعفي ، فما رضوه وولى النظارة .

الشيخ حمد هسّاى HASSAI (1)

تولى النظارة بعد والده الذى تركه له الحروب والغزوات مع قبائل العبابدة والبشاريين وغيرهم .

وكانت الأولى أقوى من الأمارأر ، واعتادت أن تغزوهم سنويا وتعود بغنائمها سالمة إلى أهلها بدون أن يتعقبها أحد من شجعان الأمارأر .

وفى إحدى السنين جاءت عصابة من العبابدة لنهب إبل البشاريين من جهة الباك أو أوتاك Back فسمع بها سكان الباك ، فاستجاروا بالشيخ حمد عمان فى أرباب . فأجارهم وأمر بضرب النحاس ، فاجتمعت إليه كل القبائل القريبة والبعيدة خصوصا البشاريين والكميلاب . فاجتمع لديه خلق كثير بكامل أسلحتهم وأكثرها الحراب .

وكانت عصابة العبابدة مقيمة فى الزراعة المجاورة للباك ، فأمرهم رئيسهم الشيخ عقيد العبابدى بأن يعودوا إلى ديارهم . وفى هذه الأثناء أخذت جماعة منهم بعض المواشى من أصحاب الزراعة لطعامهم ، فجاء إلى الشيخ عقيد صاحب (2) الماشية وطلب تعويضها إليه ، فقال له خذ لأمر منها وقد أكلتها العصابة . فما كان منه إلا أن ذهب إلى أرباب حيث الرجال مجتمعون واشتكى للناظر . ثم وقف فوق النحاس واستمر الرقص وقال : أيها الرجال إن العصابة التى أخذت أموالى أقلية ضئيلة ونحن أقوى وأشد منها فلا تخشوهم ، فقوموا معى نحمل عليهم حملة واحدة صادقة ونبعدها عن المتصورون . فاتفق الناظر معه وكذلك فعل أخوه الشيخ على والجمهور معهم واقتفوا أثر العصابة ، فأدركوها بوادى

---

(1) هساى - تعريبها العصبى لانه لم يجد راحة فى سبى نظارته .
(2) هو رجل من العشماب .

وورشم Kor sham شمالي جبل قُرَت Gurat فتقدم الشيخ لمبارزة الشيخ عنيد وقتله وسلب منه سيفه[1] . واحتفظ الفريقان ببعضهما وتعصب لأمارة . وقد أثنى بعض شعراء البادية على شجاعة الشيخ حمد همّاى . وفي آخر أيامه افتتح محمد على باشا السودان وقدم الشيخ حمد همّاى الولاء للحكمدار ، ثم توفي بجهة اتبرة بقرب منازل البطران (البشاريين) وهو يتفقد شئون قبيلته التي أصبحت موفورة الجانب طيلة أيام نظارته .

الشيخ طاهر

ابن حمد همّاى ، تولى النظارة بعد وفاة والده وجاءته دعوة من حكمدار السودان فسافر إلى الخرطوم وقدم ولاءه ، وأنعم عليه الحكمدار بكسوة شرف وسمح له بأن يحصل الجزية من كل قبيلة أجنبية تسكن في أراضيه وفي خلال حياة الشيخ طاهر توفي ودفن في أرباب . ثم تولى بعده أخوه الشيخ طه .

الشيخ طه

ابن حمد همّاى الذي حصلت في أيامه عدة خلافات بين الأمرأر أنفسهم العاربة خيامهم حول سواكن . ثم أنعمت عليه الحكومة المصرية برتبة البكوية لولائه لها وعدم اتباعه الأمير عثمان دقنه . كما أنعمت على ابنه الشيخ أحمد برتبة البكباشي وعلى أبنه الشيخ طاهر برتبة اليوزباشي وذلك حوالى ١٨٨٥ م .

وتوفي الشيخ طه في أرباب قبل الحرب الإستقلالية وانتشارها بشرق السودان والشيخ طه رافض أن يدفع الجزية للحكومة التركية فأرسل إلى كسلا وتعين مكانه الشيخ محمد .

---

(١) رأيت هذا السيف عند الشيخ عمر محمود بك علي .

الشيخ محمد

ابن حمد حسان تولى بعد عزل أخيه ، فكان محبا لقبيلته ويعطف على الفقراء ، ويعتقد أنهم عاجزون عن دفع الجزية . وأخيرا استاءت منه الحكومة المصرية وعزلته عن النظارة لأنه صار يتهاون فى تحصيل الجزية وعينت مكانه أخاه .

وفود الأمير عثمان دقنه ١٣٠٠ هـ

نزل الأمير عثمان دقنة فى أرباب عند عودته من الإمام المهدى (بعد فتح الأبيض) فلم يجد ناظر الأمارأر بأرباب لأنه ذهب لتحصيل الجزية ، وجلس يوما عند الفقيه أحمد القلهاوى Qulhawi وباسمه الفقيه أحمد وكل من كان حاضرا . وترك الأمير مع الفقيه منشورا من المهدى إلى الشيخ حمد محمد يتضمن إمارته على كل عمائر الأمارأر ويطلب منه الجهاد فى سبيل الله .

الشيخ حمد محمود حساى

بعد عودته إلى أرباب وجد كل قبيلته وعشيرته على استعداد للجهاد فأنكر عليهم وقال لهم : تسرعتم فى البيعة . ولم يزد على ذلك .

وبقى فى أهله حتى كانت سنة ١٣٠٣ هـ أرسل إليه الأمير عثمان دقنه كى يحضر بأهله ورجاله إلى سلطنيا Frsnra أو سنهات فامتثل وانتشر الجدرى فيها فمات به الكثيرون من المقاتلين والرجال .

عندما يستولى الإستعمار على البلاد يرى مثل هؤلاء الرجال يقضون مضجعه ولا يريحونه ؛ ولذلك كان يلفق[1] الخطابات ويرسلها مع الجواسيس إلى

---

(١) كان المستعمرون الانجليز يلفقون هذه الخطابات حتى يشككوا قادة الثورة المهدية فى رتب بعضهم وفى أعمالهم .

المذكورين . ويوصي هؤلاء الجواسيس بأن يجتهدوا في عدم إيصالها لأصحابها حتى تقع في يد الأنصار مقدم الأمير عثمان . أما الممونة بإسمه فإنه لا يعلم عنها شيئا بل لا يجيد قراءتها ولكنها كانت إحدى مكائد الإستعمار للتخلص من الرجال العاملين .

وهذه الخطابات كانت تصاغ في صيغة ردود على خطابات من هؤلاء الزعماء وأقرب أمثلة لذلك ما يلي :

إلى حضرة المخلص الأمين الشيخ فلان بن فلان — السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلنا جوابكم وفهمنا ما فيه ونشكركم على المعلومات القيمة التي ذكرتموها لنا وعلمنا ما تعانونه وأخوانكم من الجوع والمرض أنتم وأهلكم . ونحن إن شاء الله قريبا سنحضر لاستخلاصكم من الأشقياء . فقط استمروا في الكتابة إلينا كلما وجدتم فرصة ... الخ .

وعندما يقع مثل هذا الخطاب في يد الأمير يحاكم صاحبه بالإعدام . وقد أرسلت الحكومة الإنجليزية عدة خطابات كان أحدها إلى الشيخ حمد محمود ناظر الأمارأر ، وآخر إلى الشيخ حسب عبدالله رجب[1] ، زعيم قبيلة النوراب فحكمت عليهما المحكمة بالقتل[2] . فقام بعد قتلهما الأمارأر قومه رجل واحد وقاتلوا جيوش الأنصار أيما رجولة حصروها في جهات جبيت المعدن وهيت وأمور ، حتى إن الأمير عثمان دقنه اضطر أن يرسل جيشا عرمرما من الأنصار المسلحين بالرصاص بقيادة الأمير مكي علي حمد الجيلاني أقتالهم في هيت . وبعد تلك الواقعة هدأت الحالة ، ثم جاءت سرية من جهة أبو حمد وطلبت من

---

(1) تمرسيما مطـــر .

(2) اجتمع مشايخ الامارار على ذلك لدى الخليفة عبد الله فدعا الامير الى ام درمان للتحقيق معه .

الأمارأر زكاة الإبل ، فرفضوا أن يعطوها بعيراً ، وقاتلوها قتالا شديداً حتى هزموها ، وعادت من حيث أتت وقد أبلى زعماء العشائر أحسن بلاء وقادوا تلك الجحافل إلى النصر وأخذ الثأر ، وكذلك فعل الشاريون في جبل حلايب[1].

وقد خلف الشيخ حمد محمود ولدين هما محمد وأحمد الناظر الحالي ١٩٤٨ م وبقيت إدارة الأمارأر في يد وكيل الناظر الشيخ حمد دربكاى بسواكن ، فلما تم فتح السودان طلب مدير سواكن كل عمد الأمارأر في ١٩٠٠ ، فلما اجتمعوا قال لهم المدير أنا عملت لكم هذا الاجتماع لكى تنتخبوا ناظراً من بينكم - إما من الفاضلاب أو الوسياب . وكان المدير يريد منهم أن يختاروا محمود بك علي . ولكن كانت الأغلبية من عمد الأمين ، فقالوا نريد أن يكون العمدة من الوسياب (وكانوا أحد عشرة عمدة والفاضلاب عمودية واحدة) فرفض المدير قولهم . وقال سنؤجل انتخاب الناظر لمدة سنة وأنتم أن تتفقوا . فلما انتهى الحول دعاهم المدير إلى اجتماع في نقطة هندوب . وكان الأمين قد اتفقوا أن يكون المتكلم في الاجتماع الشيخ محمد إبراهيم . فلما عقد الاجتماع افتتحه المدير وقال : إن مسألة تأجيل النظارة ليست من مصلحة القبائل والحكومة ولذلك أحب أن تختاروا من بينكم ناظراً لهذا المنصب . فرد عليه الشيخ محمد إبراهيم عن الوسياب جميعاً اتفقنا على انتخاب الشيخ محمد بن حمد محمود . فسأل المدير بقية العمد فأيدوا الشيخ محمد إبراهيم . وكانت إن الحكومة كانت تريد المنصب لابن الشيخ محمود بك علي لأن والده وقف في صفها طيلة سنين الهدية وساعدها بالبوليس الراكب (هجانة وخيالة) تقديراً له لهذه الخدمات ، ونسيت أن للقبائل أصولاً وعقائد لا يمكن التخلي

---

(1) اقرأه من الشاريين .

عنها خصوصاً مسألة ولاية النظارة والعمودية . ودارت في الاجتماع عدة مناقشات حادة بين العمد والمدير الإنجليزي ونائبه المصري محمد بك إبراهيم وسائر رجال الحكومة ، وقرروا تأجيل الاجتماع لغد . وعلم الشيخ محمد قويلاي أن الصدام بدأ بين العمد والحكومة فركب راحلته وذهب إلى أسوان .

فلما أطل الليل أمر المدير بإلقاء القبض على الشيخ محمد إبراهيم ، فاحتج باقي العمد . فأمر المدير بالقبض على العمد أيضاً ووضعت فيهم السلاسل والأغلال ، وأرسلوا بالبوليس إلى سواكن[1] وسجنوا . فاذركهم الشيخ أرتور على الباب (عمدة العبد الرحمناب) ، فقالوا له ابتعد عنا واكتب خطاباً للشيخ خلف الله طالب ببربر واذكر له جميع ما حصل لنا حتى يرفع شكوى لمدير بربر بأننا مأمون لمديريته . وأصبح مدير سواكن يتصرف فينا بصنوف الظلم حتى نتنازل عن حقوقنا الوراثية ، وغير ذلك . واحتج مدير بربر وطلب إرسالهم إلى بربر للنظر في قضيتهم . فلما اجتمعوا به قال لهم إني أعرض عليكم أن تكون البلاد التي تصب ماءها في البحر الأحمر تابعة للشيخ محمود بك علي ، والتي تصب ودينها في النيل تحت نظارة الشيخ محمد حمد[2] ، فرفضوا وقالوا نحن لا نقبل أي تقسيم لأننا إحدى عشر عمودية ، والناظرات عمودية واحدة ، فليس من العدل أن يكون الواحد أكثر من الإحدى عشر .

البكباشي أحمد محمود علي

بعد خروجه من سواكن سافر إلى أم درمان لمقابلة خليفة المهدي . فلما وصل إليها نزل عند الأمير يعقوب (أخي الخليفة) . ثم قابل الخليفة وطلب

---

(١) تريد الحكومة الإرهاب حتى يقبلوا نظارة الناظر ، ولكن هؤلاء العمد أولاد الوزراء الموصيح لا يريدون التنازل عن حقوقهم الوراثية .

(٢) كان معروف بضرب العود البلدي (الربابة والطنبور) والطرب .

منه أن يكون أميرا عاما على عموم قبائل الأمارار وأن يكون [illegible]، وألا تكون عليه سلطة غير سلطة الخليفة . وفوض إليه أمر العشور من التجار الذين يخرجون ببضائعهم من سواكن ، وأن يكون له حق الإشراف على سواحل البحر الأحمر التي شمال سواكن . ثم غادر الأمير أحمد محمود أم درمان آتياً إلى سواكن سنة ١٣٠٧ هـ . وبينما هو في الطريق شعر بتقطع جسمه من مرض الجدري[١] فتوفي بعد أن أبلغ مدة[٢] وعين الخليفة عبد الله بدلا منه أخاه الأمير طاهر محمود بك.

وقد أدركت بعض أبناء محمود بك وأحفاده ، فلا أكون مغاليا إذا قلت أنهم كما قال الأقدمون « كلهم يتسابقون على الخيرات » .

ومن شبان هذه القبيلة صديق حضرة أفندي إبراهيم طلاب الذى أوقف حياته على خدمة قبيلته حتى يسعد ا كثر المتضررين في كل الأعمال والمهن ، ولم تلهه غيرته عليها من [illegible] الأعمال الخيرية التي يتطلبها الوطن السعيد[٣] .

بشاريون أو بشاريين

BISHARIN

تقطن هذه القبيلة في شمال قطر الشرق حتى سواحل البحر الأحمر وعلى ضفاف نهر عطبرة ، وتعتبر هذه القبيلة بقية بني سعد البوشية ، وجدهم هو محمد

---

(١) يقول [illegible] نعوم شقير [illegible] ان موت احمد محمود لم يكن الا من سم دسه له الخليفة عبد الله في الدسم .

(٢) [illegible] في طريق التجارة بين بربر وسواكن آمن تحت حمايته .

(٣) [illegible] يوم دالبع عن اهله [illegible] جيش الانصار [illegible] كتاب عثمان دقنة .

ابن وراق من سلالة مصعب بن الزبير بن العوام وقد كثر تعدادهم وتخلفوا عن متابعة السير مع أقاربهم الكواهلة واستطابوا الإقامة مع بنى عمهم العبابدة فى بادية عيتباى Aetbai ، واتخذوا جبل علبه Elba مقراً لإقامتهم ، وصاهروا البجة حتى كانت أيام شيخهم محمد بن كاهل ، فتزوج من الحداريب (ملوك البجة) ورزق سبعة أولاد هم بشار وعمار وعامر وكال وكميل ومسلم ومرغوب [1] .

ويروى أن محمد وبنيه تشاجروا مع عائلة بجاوية تجاورهم فى جبل علبه وانتصروا عليها وطردوها من جوارهم . وهكذا فعل العبابدة مع أكثرية البجة الذين اضطروا للرحيل والإقامة حول محمد قول : (بأنديب) وجبيت للمعادن وأربعات . وأقام أبناء محمد كاهل وأحفاده فى مكانهم ما عدا كال ومرغوب وذريتهما إذ رحلوا إلى العطبرة ، فوجدوا ذرية مسلم قد سبقوهم ومنعوهم من مجاورتهم . وساعدهم زعيم البطاحين ، فأرسل زعيم الكلالاب إلى البشاريين فى طلب النجدة ، فلبى نداءه الشيخ أحمد بن عمران بن عيسى برجاله على النجب ومعهم بعض من العبابدة ، فقاتلوا البطاحين والشلّين ، واستولى أحمد عمران على جزيرة بعلوك Baalouk وتاكو واتخذها عاصمة لقبيلته ، وهى مقر الناظر إلى يومنا هذا . ومن بعلوك كانت تسير العصابات لقتال عائلة شبو ديناب الهدندوية فى القرن الماضى . وللبشاريين ميل فطرى إلى إظهار البسالة والشجاعة فى كل مواقعهم . وكانوا يتولون ضمان القوافل التى تسير بين مصر والسودان وسواكن وكسلا .

---

(١) للبشاريين علاقات وخلافات كثيرة مع الهدندوة ، وأغلب حوادثهم مع تلك القبيلة . وعلى القارىء أن يراجع ما كتب عن ذلك فى الفصل الخاص بقبيلة الهدندوة من هذا الكتاب .

أما نشأة القبيلة فكما ذكرنا فهم أبناء الزبير كما فصلنا ذلك فى الحديث عن قبيلة الامارار .

وكانت أراضيهم التي ينتشرون فيها الآن تكوّن عملكة البجة الشمالية ، فمحيت وحلّت محلها مملكة البشاريين حتى عهد الفتح التركي للسودان سنة ١٨٢٠م فأمر محمد على باشا باستبدال كلمة الملك بالنظارة ، وصار يطلق على الملك « ناظر » ، واستمر ذلك إلى يومنا هذا .

ولما قوى البشاريون استطاعوا كما ذكرنا طرد القبائل البجاوية (السكان الأصليين) من تلك الأراضي ، فارتحلت عنهم إلى الجنوب حتى بلغت بأيديب Baideib (وهي ميناء محمد قول [1]) ، واستقرت هناك نهائيا . وكان ملوك البجة السابقين من عرب بلّى القدين وأيضا أنهم هاجروا إلى السودان منذ أقدم أزمنة التاريخ . وفي جبالهم معادن الذهب والزمرّد والحديد . وكذلك يستخرج من بحرهم الصدف واللؤلؤ والكوكيان . وقد أقيمت في ميناء دُنقوناب Dongonab زراعة للصدف الذى يستخرج منه اللآلىء . كما توجد شركات وطنية وإفرنجية لاستخراج المعادن التي سبق أن ذكرناها .

وفي سواحل البشاريين الجنوبية يقع ميناء « شنعاب » وهو ذو موقع جميل تأمن السفن فيه من الأنواء والعواصف .

وتنقسم قبيلة البشاريين إلى عدة عائلات :

(عالياب) أو (عَلياب)

وهم ذرية على الذين تناسلت منهم عائلات آقاب ، وسرّاراب ومحمد عالياب ، وكُربيلاب وحُمَد عمّراب وهم أكثر عائلات البشاريين في جهة عيتباى ، وعمدتهم هو الشيخ عبدالرسول عبدالله ، ويسكنون حول جبل عيس Aeis .

---

(١) هو « محمد قول » رجل من قبيلة الارتيقة كان يشتغل بالتجارة (راجع تاريخ قبيلة الارتيقة في كتابنا تاريخ سواكن والبحر الاحمر (طبع الدار السودانية) .

(حمد أوراب HAMAD ORAB)

تفرعت منهم عمّر وتشّاب ، وحمد كوراب ، وقمهاتاب ويقيمون فى حلايب (علبّ) وجبل علبه وتجاورهم عائلة ـ عامراب ـ وعمدتهم هو الشيخ حمد بطران .

(شنتيراب SHANTIRAB)

تفرعت من شنتير عائلة سمداب وسالماب وشايش وقهياب وعمدتهم هو الشيخ محمد تيته جيبرين .

(إيراياب EIRAYAB)

هم ذرية إيرا (أبيض) بن اتاك ويسكنون بين محطة الميدية وأبو حمد ويندر فيهم من يجيد الخطاب باللغة البجاوية إذ يتكلمون العربية كسائر قبائل العرب الساكنة على ضفاف النيل وعمدتهم الشيخ موسى طاهر .

لفيف من أبناء البشاريين على ظهور جمالهم السريعة القوية التى كانت تحمل أثقال القوافل والبهارات وسلع الدنيا القديمة من ميناء عيذاب البجاوية إلى مدينة قوص المصرية

فهذه العائلات يقال لها « أبناء أم على » وأما بيت النظارة فيقال لهم « أبناء أم ناجى » : وهم ناجى و كادت ذريته أن تنقرض » ، ومنصور : جد المنصوراب ، وعيسى ، وهو الثالث الذى تناسلت منه عائلة « عيسداب وناتعاب » . يتولى نظارة البشاريين اليوم الشيخ أحمد كرار أحمد الذى ضم إلى قبيلته أبناء عمومته من الكلالاب والرغوباب والنقيداب ، وهؤلاء الأخيرين هم من ذرية القس أحمد نافع (نانموتاى) سكن مع البشاريين بعد أن فارق أهله عند شيخ حامد ابن أحمد . ويرأس هذه العائلات الشيخ محمود كرار أحمد شيخ مشايخ البشاريين .

انتهى الجزء الأول من كتاب (تاريخ شرق السودان – ممالك البجة – قبائلها وتاريخها) والذى اشتمل على :

أقاليم البجة وأصلها ، مملكة قبائل بنى عامر « قبائلها وحوادثها وتاريخها » وتاريخ قبائل الأمارأر والبشاريين .

ويليه الجزء الثانى والذى يشمل على :

تاريخ قبيلة الحلنقة فى بلاد التاكا (كسلا) ، وتاريخ مملكة الحدندوة ، وقبائل الرشايدة (أو الزبيدة) .